

عبد الرحمن بن عطية



تاريخ العربية لسان العالمين



عبد الرحمن بن عطية



تاريخ العربية لسان العالمين

ترجمه عن الفرنسية
حفناوي بالي

تمت الترجمة في المعهد العالي العربي للترجمة



© دار هومة للطباعة النشر والتوزيع – الجزائر 2007.

صنف: 4/244

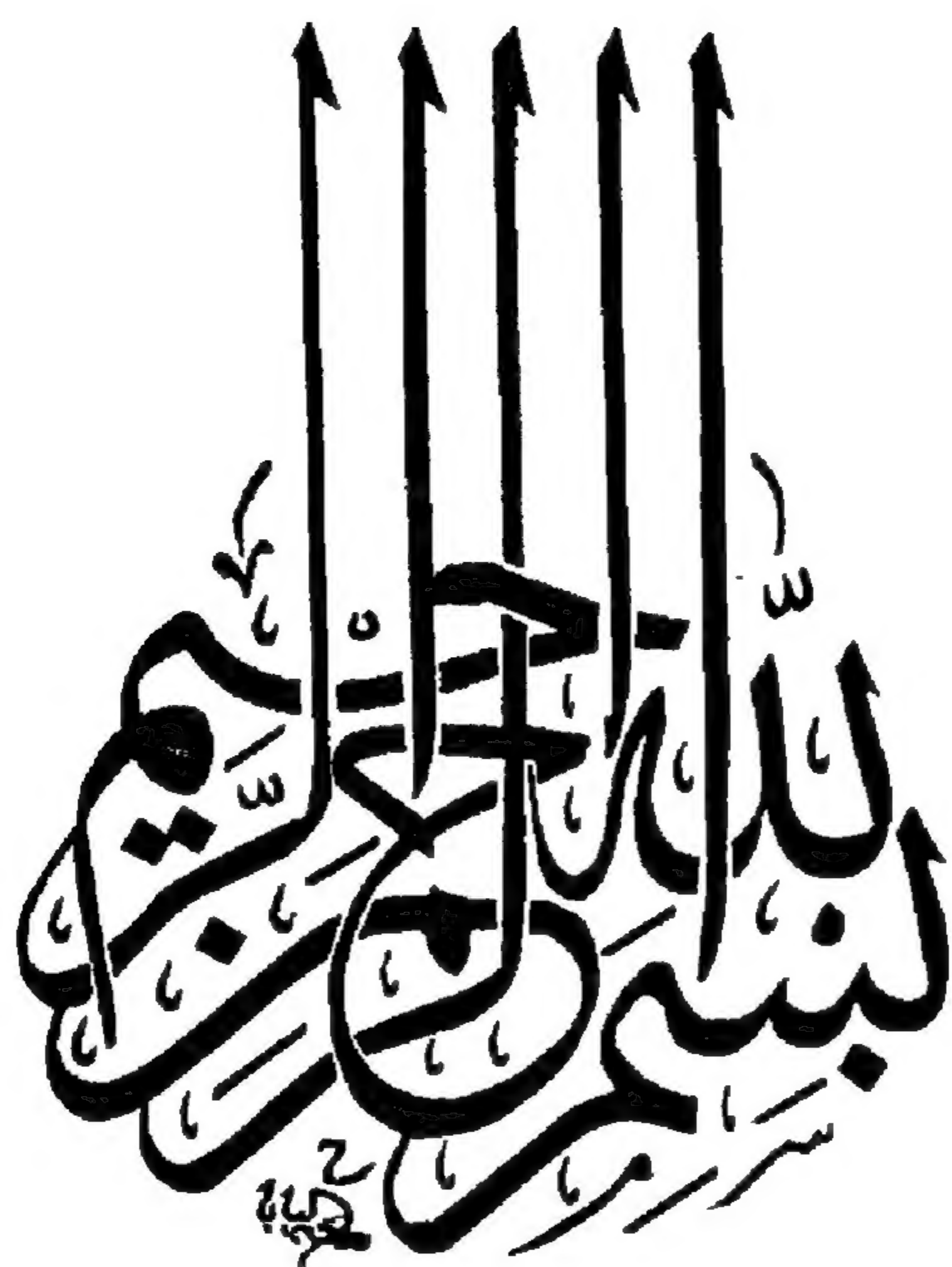
– الإيداع القانوني: 1297/2007

– ردمك : 4–071–65–9961–978

يمنع الاقتباس والترجمة والتصوير إلا بإذن خاص من الناشر

www.editionshouma.com

email : Info@editionshouma.com



من المؤلف إلى القارئ

لقد ظلت كتابة أسماء الأعلام العربية من لدن المؤلفين ذوي اللغات الأروبية، فيما يبدو، أمرا ميسورا دائما، وما طرح إشكالا لغويا ولا حاك في الضمير منه شيء. وها نحن اليوم نعاينه حين قراءتنا أعمال المؤلفين العرب المترجمة من قبل العلماء الأوائل (اللغويين منهم) لأروبا، بخاصة انطلاقا من العهد الإيسباني المتألق للآداب والعلوم العربية، بأسماء مكتوبة بوجه يتنكر لكل علاقة -صوتية أو حرفية- مع التسميات الأصلية.

وعلى النيدن ذاته، درج مؤلفون كثر إلى غاية القرن العشرين، على الرّغم من تطوّر البحث العلميّ واللّسانيّ، ونشر دراسات أثرية (انطلاقا من وثائق أصلية، كتابات منقوشة ...) وإتقان أكبر للغات العروبية أو اللغة العربية.

فعلى سبيل المثال، سمّي كلّ من اللوك : خوفو وخاف-رع ومنكو-رع، بعد التحويل الصوتي لأسمائهم، على الترتيب : Chéops و Chéphren و Mykérinos ! إن استعمالا لهذه الأسماء، امتدّ على عقود كثيرة، قد كرس استخداها بين أيدي القراء. فلو أنا تجرانا اليوم على الكلام عن خوفو، فما من أحد يسعه الإدراك أنّ رغبة كلامنا هو Chéops.

بهذا الوعي، اعترت صناعة ترجمة كتابنا هذا، من الفرنسية إلى العربية، معوقات كثيرة، ينبغي أنها ذلت. ولقد خول لنا نشر عناوين عدة -يضم كل واحد منها باب بحث علمي- حل بعض من إشكالات التحويل الصوتي للأسماء :

1. هناك أسماء أعلام أصلية، تكتب بصورة متحررة في الترجمات، أنصفت، موافقة لكتابة اللغة الأولى (أو لتفسيرات هذه الأسماء).

2. هناك حروف صوتية، شوه رسمها، أعيدت لشكلها الأول : ككتابة Y (الذي يقرأ "ou") أصبحت I، كما في Syrie سورية، وككتابة C (الذي ينطق كافا K أو قافا Q) كما في Cirta قرطة.

3. في كتاب سابق "العرب في أوروبا قبل العهد المسيحي"، شرحنا الأصل العربي لتسمية لعمر (Homère). اسمه السلفي -حسب بعض المؤلفين- هو Méionidis (أي ابن معان).

في هذا السياق نجد أن تسمية موسى بن ميمون القرطبي عند المؤلفين الأوروبيين هي Maïmonide، (التي تعني ابن ميمون في اليونانية) دون أن يحدث الأمر حيرة عند أحد. بكتابة تناظرية عمدنا إلى كتابة Homère تارة عمر بن معان وتارة أخرى عمر اللوذني، تلافيا لكل لبس مع شخصيات تاريخية جنيسة.

4. يمكن استبدال حرف P الذي لا وجود له في الهجاء العربي، إما بحرف الباء أو الفاء. فلذا Platon هو تحويل صوتي للاسم بلاطون، تواطاً جميع الكتاب العرب اعتباطاً على كتابته فلاطون، الاسم Penjab "بلاد الأنهار الخمسة" جرت العادة بكتابته في العربية بنجاب، في حين أن الحرف P ها هنا موافق لحرف الفاء، الذي نجده في كلمة "خمس" (Pen) في اللغات الأوروبية، يتعلق الكلام بـ Fünf في الألمانية و Fem في الدانماركية و Five في الإنجليزية ... مما يدفعنا لقراءة تسمية هذا المكان على النحو : فنجاب.

5. لقد أرجعت بعض الكلمات التي تدارسنا أصلها العروبي إلى معانيها الأولى: على سبيل المثال، المصطلح philosophie هو كلمة عربية-فانقية، مرت

نحو اللغة اليونانية الفصحى (المشتركة) ¹Koinè. هي الكلمة فم الصفاء، حيث التركيب المزجي من الكلمتين : فم (مع تناوب بين اللام والميم)، وصفاء/ صفو "خلوص، صحو، نقاء" ² أو صفوة "الخيرة، ذؤابة الشيء". هذه الدلالة "الفم الخالص" تتوافق مع تفسير الكلمة philosophie، العبارة التي تترجم المعرفة العميقة للأشياء التي يمكن لإنسان حيازتها، مرتبطة بنقاء ووضوح الكلام الذي يعكس هذه المعرفة، دونما زيف ولا كذب. وأما الكلمة "philosophe"، فقد ترجمت في كتابنا بـ"فمصفائي" (اسما منحوتا، الجمع منه فمصفائيون)،

6. أسماء أخرى، تلك التي ألفنا نقلها حرفيًا، عن الأسماء اللاتينية أو اليونانية، ترجمت ها هنا بكلمات درجت في استعمال الكتاب العرب القدامى، في توافق مع المعنى الدقيق لهذه الأسماء. لذا ترجم مصطلح géographie، الذي يعدّ تحديدًا عنوانًا لمصنف لابن حوقل "كتاب صورة الأرض"، والذي ترجمه مع ذلك G.Weit و J.H. Kramers بـ "Configuration de la terre"، في كتابنا هذا باستوصاف الأرض.

7. هناك اسم جنس آخر، غير موجود (بالوضع المشار إليه) في معجم اللغة العربية، وكان واجبًا علينا كشفه مجددًا : يتعلّق الأمر بالمصطلح "colonialisme" وبتكريس هذه النظرية الأخلاقية والباطلة على أرض الواقع، أي مصطلح "colonisation". هذا المصطلح للتقدم الذي ترجم إلى العربية بالاستعمار، مصطلح جديد طرأ في المعجم العربي بحبل من المستشرقين، متسرّبلًا معناه السلبي، من أجل تبرير الاحتلال العسكري لبلاد ما واستغلالها. في حين أنّ هذه الكلمة وردت بمعنى نبيل وشريف، في القرآن الكريم :

﴿مَرَأَشَأْكُمْ مِنْ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ (سورة هود- الآية : 61).

1. انظر كتابنا "الاستعمار العروبي في بلاد الإغريق القديمة".

2. تعني كلمة sophôs في اليونانية "حكيم (ثقف، مستنير، فطن) و"sophia" الحكمة (فطنة، أهلية، نجابة)".

مما يحظر علينا استصحابه في ترجمة فعل سلبى وضارّ لاحتلال أجنبي لبلد ما وتسخير أهاليه واستغلال مصادره بجموح، ونتائج ... لذا فقد ترجمنا هذا المصطلح متقيداً بهذا المعنى المتقدم بالغل والاستغلال¹، آخذين في الحسبان استعمال كلمة الغل في النص القرآني :

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ﴾ (سورة الأعراف- الآية : 43)

بالمعنى المضاعف المقدم في الإحالة. وأما المصطلح "colonialisme" الذي لا أثر له في المعجم العربي، فقد ترجم بالتسلطية.

8. لقد تعود مؤلفون عرب كثر تسمية الأماكن والأشخاص والشعوب، إلخ. ليس بإحالتها على البلد الأصلي أو كتابتها الأولى، ولكن بالإحالة على البلدان الأروبية، التي "تسلطت"² على بلدان آخر من حيث انحدر هؤلاء المؤلفون ذاتهم. لذا نجد المصريين، بالرجوع إلى التسمية الإنجليزية يدعون بلاد ألمانيا "جرمانيا". في حين يستخدم الجزائريون تسمية "ألمانيا" الفرنسية، تماماً كما يسمون العاصمة البيريتانية بلندرا (في الفرنسية Londres)، في حين أن العرب المشارقة يسمون هذه المدينة لندن (في الإنجليزية London) بوجه أصوب.

من المنظور نفسه، كتبنا أسماء بلدان وأنهار وجبال في أوروبا، إلخ. لا اعتماداً على التحويل الصوتي لأسمائها الأروبية إلى العربية ولكن بإثبات تسميتها الأصل توافقاً مع معناها الأصل. من ذلك كتب اسم "إسبانيا" بصورة "إيسبانيا" (حيث المقطع إيب يتطابق مع الكلمة الفانقية التي تعني "جزيرة"، كما الحال في إيبيريا أو إيطاليا)، كما كتب اسم "بريطانيا" على هيئة

1. - الغل (بكسر الغين) : العداوة والحقد الكامن، الوارد أيضاً في سورة الحشر (الآية : 10).

- الغل (بضم الغين) : طوق من حديد أو جلد يوضع في عنق الأسير. الوارد أيضاً في سورة سبأ (الآية : 33)

وكنا في سورة يس (الآية : 8) وفي سورة غافر (الآية : 71) وسورة الإنسان (الآية : 4).

2. ما كان فعل هذا المصطلح موجوداً في اللغة الفرنسية، فكان لزاماً "اجتباؤه" لترجمة حالة واقع منافع للحضارة، لم يكن دائماً مقراً به عند اتباع "التظرية التسلطية". هذا الفعل تركب انطلاقاً من الصيغة

الفعليّة للاسم، مثلما : - christianisme ← christianiser

- islamisme ← islamiser

- socialisme ← socialiser

- colonialisme ← colonialiser ، وبالتالي ،

بيريتانيا، منطقة احتلها فانقيو بيريت (أو بيروت)¹، كما كتب اسم قازة "أوربا" أو "أوروب"، التي تتلقب باسم الأميرة الفانقية عروبا بصيغة "أروبا"² ! ما من أحد اليوم يقضّ عليه مضجعه كتابة اسم البلد الجزائر بالفرنسية "الجرى" أو بالإنجليزية "الجريا"، وهو تحويل صوتي لا يمت بصلة لا من قريب ولا من بعيد للكلمة العربية التي تعني "الجُزر" (أي الجزائر).

دوننا الكلام عن اللغة العربية -لسان حضارة- إلا أن نبوءها المقام اللائق بها، خلال محفل اللغات العلمية والأدبية الأخرى. لا يحقّ لنا الكلام عن العربية، لسان العالمين، إلا باستعمال واف، واستغلال أمثل لثرائه ومرونته وكماله..

ختاماً، أزدجر تشكراتي للمترجم، السيد حفناوي بالي، الذي أبدى، طيلة هذه الصناعة، انضباطاً وصرامة ملحوظين، بسعيه الدؤوب نحو ترجمة دقيقة لكل جملة، وتمحيص كل كلمة، لنأليشوه ظاهر الكتاب أو تغمط روح النص الأصل.

هذا، وامتناني الخالص لدار هومة للطباعة والتشريع والتوزيع، التي رعت هذا العمل بغية وضعه بين أيدي القراء بالعربية، بمناسبة سنة الثقافة العربية بالجزائر، 2007.

المؤلف : ذواكجة 1427

الموافق له ديسمبر 2006

1 . انظر كتابنا "العرب اسلاف الجاليين"

2 . انظر كتابنا "العرب في أوروبا قبل العهد المسيحي".

من المترجم إلى القارئ

تاريخ العربية، لسان العالمين، هذا الكتاب الذي نقدم ترجمته العربية نقلاً عن الفرنسية بين يدي القارئ، هو ملتقى مباحث متراكبة المستويات، يعضد بعضها بعضاً في تعميق فكرة الكتاب وتكريس منهجية الكشف عن الحقيقة وفق سياق الموضوعية؛ عالمية اللغة العربية، وعلوية اللسان العربي، بما يفسح المجال لتبدي حقائق آخر -مدارها ورافدها اللسان- حول حقيقة العروبة ومعنى العربي وماهية هذا المفهوم وفحواه ومتحدر هذا المعنى ودلالته الحقّة، بمنأى عن كل تقصّد أو ترصّد، بل سلوك مقتضى المنهجية الموضوعية.

فالكتاب بهذا، يفتح الباب على مصراعيه مفسحاً لغير ما مجال، التاريخ واستوصاف الأرض كما علم الطبائع واللسانيات خائضاً في ميدان الهجرات والملاحاة، غير مفرط في الثقل الديني، بتحليل متزن متأنّ مسترسل ...

ولما كانت هذه طبيعة الكتاب فقد اقتضت اللغة الصنّو نفسه؛ بمعاجم متدفقة، غزيرة التنوع، فإذا الواحد منها على التاريخ وألفاظه وعباراته يحيل، وآخر على الاستوصاف الأرضي وما يقتضيه من سبك لغوي ورصف اصطلاح، وصعيد آخر فيه لعلم الطبائع باب وآخر للدين بنقوله ومفاهيمه وعباراته. فالكتاب بذلك مراوحة معجمية بها من الموسوعية مسحة.

فكان لزاماً أن تسلك صناعة الترجمة كل هذه التعاريج، وتتستهم كل تلك المستويات، للظفر بتوافق في المقابلة، إن على صعيد المصطلح وانتقاء الألفاظ

وإرسال العبارات معجمة، أو على مستوى توجيه الخطاب مراعاةً. وكان الحرص منا على ذلك مشوبا بالخوف على المحتوى أن يغمط والمبنى أن يهمل، فالتنائية لا تنفك، أمرا واحدا رأسا وأصالا.

ولقد كان العمل ليتيسر لولا خصوصية اعترت المصنف ذاته، فهو نفسه درّة ضمن نفائس عقد بحث مرصوف، اقتضى فيه مؤلفه الدكتور عبد الرحمن بن عطية منهاجا خاصا -لا يند عن البقية- في تمحيص الحقائق والأخبار وتخريج المعاني والأفكار، فضلا عن مفارقتها -على غرار الحلقات الأخر- الخطية المعجمية، التي اقتضاها جلّ الباحثين ودأبوا ينهلون منها، على عجزها وبجزرها، فالدكتور سنجيس الأوجس رجّاع إلى الأصل، يتأبى كلّ دخیل، مناوئ لكلّ غريب، رافض لأيّ تشويه، رغيمة إنصاف الحقائق. ولولا أن من الله فتداركنا بتوفيق منه بهمة الدكتور المؤلف ومرافقته خلال مراحل الصناعة كلّها، لما بلغ الضبط اللغوي والاصطلاح، ما نحسب أنه عليه من احتفاء تلقيق وبلغة، ولو ما مناولة الضبط والمراجعة لما اهتنت العبارة ولا الإشارة إذا أبدا. وحسبك أن المؤلف قد حصل بما دبح من أبحاث وتحقيقات قوائم معجمية تحيل على حقائق دلالية ومفاهيم اصطلاحية صعبة ...

وما لنا ولألفاظ دخيلة، نشار؟ والأصيل عندنا متوافر كفاية ومحقق للغاية، ولا يتعذر الواحد منا بشيوع الخطأ ولا يحتج باستشراء اللحن، ما دام السبيل إلى تحري الأصيل واقتضاء الأصوب ممكنا متاحا أبدا ... وليت الخطب المّ بجزئيات المباحث وفروع العلوم، ولكن أن يرد حياض تسميات العلوم ذاتها، التي كان العرب مدبجوها وممهديها فذلك ما يستنكر ولا يفارقه الاستقباح. وغير بعيد منا تسمية : الجغرافيا والفلسفة، اللتين لا يظن أن العربية بهما ضنينة، فكان الواجب أن نعود إلى الأصل فنقول : علم استوصاف الأرض والفمصفاء، مرّة باقتضاء التركيب اللصيف المترن، وأخرى باستغلال التحت الذي هيا له العرب قبل اليوم ... ولئن تبنت الغرابة في خرافة بحث الأصيل سماعا أو قياسا، فالتقيصة في التزام الخطأ.

هذا وأسماء الأعلام ترجمت كلها باقتضاء مبرر، فإن كان الاسم لمؤلف أروبي، ترك على حاله الصّوتي، حتى نجتّب العربيّة عجمة هي في غنى عنها، وإن كانت له بالعروبة وشيجة تقصيناها (والفضل الأكبر للمؤلف) واثبتنا التحويل الموائم، وقاربنا وسدّدنا، والأمثلة في ذلك كثيرة، وبها نوّه المؤلف في مقدّمته، والمتن الذي بين أيدينا يجليها.

وأبى المؤلف، وأبينّا إلا أن تسلك المعاني والمباني مسلك الموضوع وتكون على المستوى نفسه، فحاولنا تحريّ السّلامة اللفظيّة والقياس الأصيل، فنخلنا الألفاظ جهدنا مخلصينها من شوائب العجمة وقذى التّخيل وهجين الكنة وركيك الرّطانة، وأرسلنا العبارات وسعنا غير متكلفة ولا متجشّمة، دونما تنازل عن الأصيل أيّا صعيده. وكانت لنا بالرّغيل الأوّل الأسوة، سبكا وصياغة ومنطقا وتواضعا. وما لا يدرك كله لا يترك جله.

ثم إن المترجم كصاحب كل صناعة، متندّم أبدا، كسعي مدى الدهر، فلو خالف نظره وبصره إلى ما دبّج توّأ أو اطلع في غلوته عما حسم في بكرته، لقال لو وضعت ذا بدل ذاك، ولعلي إن أبدلت كذا بذا، لكان للمعنى أجود وللعبارة أسبك. وذلك طبع في النفس وسجية للفكر ودليل استيلاء التقص على البشر. وحسبنا أن نسلم في ترجمتنا هذه من غيلة المعاني أو غفلة الإسقاط أو زلة التّحميل أو اعتلال في اللّغة أو قصور في العبارة. ونخالنا ما عدّنا في ذلك حكما، وهو المراجعة المرّة بعد الكرّة، انفرادا ومداولة مع المؤلّف، فاطمأنّا إلى ما قصد واطمأنّ إلى تبليغنا.

ولقد تعمّقت عندنا من خلال ترجمة هذا الكتاب حقيقة هي جوهر الصّناعة (الترجمة)، وهي التي إليها للح الجاحظ بقوله ، يكفي من حظ البلاغة أن لا يؤتى النّاطق من سوء فهم السّامع وأن لا يؤتى السّامع من سوء إفهام النّاطق. ولا نشطط بسحبنا هذا الفهم على المداولة في الترجمة، نعني بين واضع النصّ والمترجم، إن توافر الالتقاء والاجتماع، وإلا فعبر تدبيج الأوّل ومن خلال

كتاباته وآثاره. فتلك عصمة أبلغ في التجارة، وحنة أسلم للتصّ مبنى ومعنى وروحا وأخدم وأفيد للقارئ.

هنا ولا نحسبنا حزننا القياس ولا حفظنا الشّاد ولا ملكنا ناصية اللّغة ولا ذلّنا بعد معتاصها ولا أحطنا بغريبها ولا تعرّفنا إلى جملة دارجها ... فإن أصبنا فبتوفيق من الله، ثم بفضل معلّمينا (وعلى رأسهم معلّمي الأوّل سي محمّد الطّاهر غربي والتّاصح المخلص الشّيخ الهاشمي موساوي ومحمّد الأمين بتاي والسعيد هيمه) وإن أخللنا فعثرة تقال، وزلة ينبّه إليها ونبرا من كلّ تحميل ما لنا فيه يد ولا نسلنا إليه بحال قصد ولا لنا به قبل. فليحسن القارئ الظنّ وإنا لننزل منه ذلك عرفانا منزلة المنّ.

وليس يفوت الكريم في موسم الجنى وإبان القطاف، أن يحمد الله على ما وهب وما إليه وفق، فهو مولانا لا إله سواه. وكما أنّه لا يحمد الله من لا يشكر الناس، فشكرا لوالدينا رأسا، ذوي الأيادي المتصلة متا وعطاء، وإلى كلّ من كانت له علينا حقّ رحم في الدّين أو التّسبب أو العلم أو الفضل أو الصّحبة والرفقة أو الجوار، وأزدجر جامّ شكري للمؤلف الفاضل، الدّكتور عبد الرحمن بن عطية، الذي ظلّ طيلة مراحل الصّناعة حريصا ممّخّصا ممعنا التّظر دونما كلال، منبّها مشيرا ناصحا مشفقا. وإنا لعلّى سعة صدره لمن الشّاكرين. وإلى من رعى تصفيف وتطريس القمطر ونظم السّطر للسّطر وسهر على إخراجه وأبدى في ذلك اجتهدا ونجابه، خالص تشكّراتي وامتناني. وإلى دار هومة، التي خصّت بالحظوة نشر هذا العمل وتوجيهه لسنة الثّقافة العربيّة، فائق الامتنان ولطاقمها -وأخصّ طاقم التحرير- جميل الشكر والعرفان.

ولله الأمر من قبل ومن بعد

ربّ أنعمت فرد

المترجم : ذو الحجة 1427 للهجرة

الموافق له ديسمبر 2006 للميلاد.

المقدمة

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾^١

درج الأجنبي عن الثقافة العربية، في عصرنا الحاضر على إلحاق مصطلح "عربي" بكل شخص يتكلم العربية، أو بكل امرئ يلتزم بتعاليم الإسلام، ولو لم يكن يتكلم العربية. وبالمقابل فأولئك الذين لا يتكلمون العربية أو لا يدينون بالإسلام يعتبرون عجماء، ولو انحدروا عن أصول عربية، مثال أولئك الأحباش والمالطيين والإيسبان (الإير).

وأما قاطنو البلدان المكونة للعالم العربي، فهم يتلقَّبون بأسماء ذات علاقة بالتطابق الاستوصافي-الأرضي الجهوي بدل أن يتسموا بالعرب، على غرار نعت قاطني وادي النيل بالمصريين والتوبيين أو السودانين، وكذا وسم أهل العراق بالرافديين، أو وصف ساكني سورية بالأرميين أو بالشاميين، وتسمية ساكني شمال إفريقيا بالمغاربة أو البربر، وتسمية ساكني الجزء الجنوبي من شبه الجزيرة العربية باليمنيين، إلى غير ذلك. بل إن ساكني الحرمين الشريفين؛ مكة المكرمة والمدينة المنورة يتسمون بالحجازيين أو السعوديين.

فضلا عن هذا، فمتقدمو الذكر هؤلاء لا يُعتبرون عربا (من جهة الأصل)، لأن الكتاب العرب أنفسهم يصتفونهم ضمن العرب المستعربة (المنحدرة عن إسماعيل بن إبراهيم -عليهما السلام-)، هذا ما يعني، أعاجم تعلموا العربية بعد نزولهم بالحجاز

فأين هم العرب إذا؟ ومن هم؟ ومن أين انحدروا؟ وهل حقاً هم موجودون؟ أو أن كلمة "عربي" ليست سوى مفهوم شامل، من السعة والغموض بمكان حتى غدا مفرغا من كل دلالة؟

١. الآية الثالثة عشر بعد المائة (١١٣) من سورة طه.

جميع هذه الأسئلة وغيرها تشي بطائل عن مدى تعقيد تفسير "العربي"، حيث أن كل واحد يسعه توظيفه وفق هواه، أو بمقتضى لون العصر. وعلى هذا فالمصطلح بحدّ ذاته هذا والذي أوغل في القدم، يظهر له أثر في المخطوطات المنقوشة المصرية أو الآشورية البابلية بداية من الألفية الثالثة (أو الرابعة حسب بعض المؤلفين)، التي سبقت العهد المسيحي¹.

لقد تناول "العهد القديم" العرب بتسميتهم في غير ما سفر : الأيام (الأول والثاني)، الملوك (الثاني)، إلخ. وعرفهم باعتبارهم ساكني منطقة من مناطق شبه الجزيرة العربية متاخمة فلسطين. أمّا "العهد الجديد" (رسالة إلى الجالطيين) فيجعلهم شبيهين بالأنباط، في حين أن القرآن أشار إليهم باعتبارهم بدوا (أعرابا) طورا. وتارة، في مواضع أخرى من النصّ القرآني أشار غير ما مرة للثعت "عربي"، باعتباره وصفا يلحق بـ"القرآن" (أو اللسان)، وهو الثعت الذي قد لا ينعطف جهة القومية.

ولقد أعطى الرسول -صلى الله عليه وسلم- في حديث مشهور تفسيراً لعنى "العربي"، يجمع معناه في "كل من تكلم العربية فهو عربي"².

ولقد أورد بعض الرواة المسلمين أن اللسان الذي تكلم به آدم -عليه السلام- في الجنة قبل هبوطه إلى الأرض هو اللسان العربي. كما أنزل القرآن على سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- بوساطة الروح الأمين جبريل -عليه السلام- باللسان العربي.

يستحيل الكلام عن العربية دون الكلام عن الدين، فلئن كانت اللغة العربية لسان الوثنية العابثة عند العرب، فهي أيضا لسان الإسلام، وكذا

1. اورد I. Wolfensohn (في كتابه "اللغات السامية") إشارة العرب هذه في المخطوطات المنقوشة البابلية المرتبطة بالملك سرجون وحفيد نار-رم-سين.

2. حديث رواد ابن عساکر في "تاريخ الشام" عن مالك عن الزهري عن بن سلمة بن عبد الرحمن، أنها الناس الرب واحد والأب واحد وأنّ النين واحد، وليست العربية بأحدكم من لب ولا أم، وإنما هي اللسان فمن تكلم العربية فهو عربي.

لغات ديانتى التوحيد الأصليتين الآخرين (المسيحية واليهودية) كانت لغات عروبية، فلقد كان لسان التوراة الكنعاني (الفانقي)، ولسان الإنجيل الأرمي.¹

لقد أطلق الكتاب الأوروبيون على اللغات التي نسميها بالعروبية، تسمية اللغات "السامية" (أو "الحامية السامية"). ولقد عمد هؤلاء إلى استعمال قسمين لتصنيف اللغات العروبية ضمنهما : قسم اللغات السامية (منها العربية، والبابلية، والأرمية ...)، والقسم الثاني هو قسم اللغات الحامية (منها الأكادية، والمصرية، والحبشية، والعربية الجنوبية، والفانقية، واليبية-البربرية، ...).

لقد عمد بعض اللغويين إلى إدراج العربية الجنوبية والحبشية ضمن القسم الأول، وآخرون يعدّون الأكادية ضمن اللغات الحبشية، وغيرهم حذد الأرمية والفانقية ضمن السامية الغربية. ولعلّ الاختلاف إن لم نقل اللبس انّذي يتسرّب مختلف تصنيفات هذه اللغات، فضلنا تسمية "اللغات العروبية"، ولذلك مبرراته :

1- هذه اللغات تتشابه جميعها صرفا ومعجمة. فلقد أفضى تحليل اللغات العروبية الذي أجراه اللغويون وكثير من الكتاب²، إلى نتيجة أنّها جميعها تنحدر عن لغة واحدة. فقد صرح Ph. Hitti في مؤلفه "تاريخ العرب" بصدد السياق بأن : اللغات الآشورية والبابلية والأرمية والعبرانية والفانقية والعربية الجنوبية والحبشية، جميعها لهجات مشتقة من لغة وحيدة، هي اللغة-الأم : العربية. كافّة هذه اللغات تتشابه حقيقة ... يقضى من هذا كلّه إلى أن أسلاف هؤلاء الأهالي للتعندين (مثل البابليين والآشوريين، والكلد والعموريين والأرميين والفانقيين والعبرانيين والعرب والأحباش) شكّلوا شعبا واحدا في الماضي السحيق عاش في فضاء واحد ..

1. انظر كتابنا "العرب محزكو الدنانات الحنيفة الثلاث".

2. من بينهم Ph. Hitti و G. Lebon عن المعاصرين، وسطرابو وديودور الصقلي وأروادوت عن القدامى.

- 2- لقد حُسِمَ تحديد صرف ونحو العربية بفضل لسان القرآن. مما وطن لهذه التسمية مقياسا علميا وأعطاهها صبغة الديمومة. وفي هذا السياق أورد ¹ G. Dhorme : ، إن العربية، إلى جانب اللغات التي نصطلح عليها "اللغات الجنوبية السامية"، يبدو لنا خرافة محافظتها على النظام المشترك لما يمكن تسميته بالسامية القديمة، إن لم نقل البدائية. إن العربية وجنيساتها استطاعت أن تصمد في وجه صروف الزمن، دون أن تنتني ولو عند الصغائر، وذلك خصوصا في معالجة الحروف الصامتة التي تؤلف هيكلًا للجذور والكلمات لجميع اللغات السامية
- 3- اليمنية (اللغة الحميرية)، القريبة من المصرية والآكادية، إلخ. تنعت، حسب اللغويين بالصفة "عربية"، وهي اللغة العربية الجنوبية.
- 4- تكتي العربية من طرف اللغويين بلغة الضاد، الذين يقرّون بأنها الوحيدة التي تستعمل هذا الصوت "ض"، على الرغم من أن اللغات العروبية الأخرى تستعمل هذا الصوت أيضا (بخاصة البربرية والآكادية والعربية الجنوبية).
- 5- لقد جلى اللساني G. Dhorme من خلال كتابه "العربية الفصحى ولغة حمو-ربي" التشابه التحويلي والعجمي بين اللغة البابلية والعربية الفصحى. والحال أن البابلية هي فرع من الآكادية، هذه الأخيرة صنفها كثير من المؤلفين ضمن اللغات الحبشية (مجموعة اللغات الحامية).
- 6- يقترح E. Renan الاستعاضة عن مصطلح "سامية" بـ "سورية عربية" لوصف هذه اللغات. أما ² Leibnitz فقد طرح فرض تسمية "عروبية" لهذه اللغات.

1. في كتابه "العربية الفصحى ولغة حمو-ربي".

2. G.W. Leibnitz هو فمصفاني وعالم رياضيات لأاني، ولد في Leipzig (1646-1716).

والخلاصة، هو أنه باعتبار المبررات التي أسلفنا نضدها وتقديمها، فإنه يسعنا أن نسمي اللغات المسماة بالسامية أو "الحامية السامية"¹ باللغات العروبية. إذا كانت التصنيفات الاعتبارية للغات العروبية المسماة بالحامية السامية، المجتابة من لدن مصنفين أوروبيين تخفي وراء الأكمة ما وراءها من إحياءات غير لغوية، فإن تصنيفات الناطقين بالعربية من قبل المصنفين العرب على القدر ذاته من الداتية ومدعاة للنظر. إن المؤلفين العرب في الواقع يقسمون المتكلمين بالعربية إلى مجموعات ثلاث :

- العرب الأوائل، الذين لم يبق لهم أثر، هم المسمون بالعرب البائدة.
- العرب أنقياء العرق، هم المسمون بالعرب العرباء والعاربة.
- العرب الذين انحدروا من سلالة أخرى ويتكلمون لغة أخرى، وأصبحوا عربا، وهم المسمون بالعرب المتعربة والمستعربة.

كتب Ph. Hitti بالاعتماد على التسابين العرب، أن السكان الأصليين للجزيرة العربية هم القحطانيون (أهل عربية جنوبية)، أما الأهالي الآخرون المستعربون، فتعتبر أجنبية هاجرت لهذه البلاد، وهم العدنانيون. وسنتناول في صلب المدونة هذه، الادعاءات الجذرية والجازمة والشبيهة بالاطروحات الآرية لـ Gobineau.

إن المصرية التي أنكر اعتبارها لغة عربية من بعض المؤلفين المعاصرين (على الرغم من أقوال الكتاب القدامى -من أروادوت إلى سطرابو- الذين نسبوها اشتقاقا إلى العربية الجنوبية) أخذت شيئا فشيئا ترجع إلى أصولها العروبية

1. كتب E. Renan بهذا الصدد في كتابه "حياة عيسى" : "أنوه بأن هذا الاسم ينعت ها هنا ببساطة الشعوب التي تتكلم أو تكلمت إحدى اللغات المسماة سامية. مثل هذا الوصف بطبيعة الحال يشوبه القصور، ولكنه إحدى الكلمات التي ينبغي استصحابها دفعا بالتفاهم، حتى بعد تأشيرنا على الخطأ المترتب".

بفضل استقرار أمثل للنقوشات المصرية وبفضل دراسة مقارنة دقيقة للغات العروبية ومعرفة أوسع باللسانيات التاريخية.

لقد بين¹ B. Hrozny (على غرار كتاب آخرين) أن جزءا من الكلم المصري أصله بابلي. كما أن أعمال E. Dhorme التي أشار إلى نتائجها في كتابه ("العربية الفصحى ولغة حمو-ربي") تتيح، من جهة أخرى، لبعض الكتاب العرب أن يعترفوا بأن البابلية كانت لغة عروبية. إذ قبل ذلك كان هؤلاء الكتاب ينكرون نسبتها تلك، نسبة لغة النبي إبراهيم الخليل -عليه السلام- إلى أرومة اللغات العروبية.

علاوة على ذلك، إذا كان كتاب كُثر نوهوا بالوشيجة التي تربط اللغات العروبية بعضها ببعض (اللغات الحامية السامية حسب اصطلاح آخر)، فقليل منهم من أشار إلى اللغة البربرية (أو الليبية) ضمن هذه العائلة، ولعل السبب وراء ذلك يكمن في كون هذه اللغة ظلت ولا تزال محكية أساسا، لم تترك أدبا ولا كتابة منقوشة متوافرة (نسبيا قياسا إلى اللغات العروبية الأخرى). وهذه اللغة التي صمدت في وجه صروف الدهر والتاريخ لا تزال حية دائما، بعد آلاف السنين من الاستعمال، على عكس شقيقاتها كالفانقية والأكادية والمصرية، على سبيل المثال، اللتي تناعين للاندثار والموت.

ثم إنه في الألفية الثالثة التي سبقت العهد المسيحي، امتد الفضاء الاستوصافي-الأرضي الذي كان يقطنه المتكلمون باللغات العروبية، من ضفاف المحيط الأطلسي إلى ضفاف المحيط الهندي، ومن قمم جبال البرانس إلى قمم إمالاين. وفي الغرب أعملت الإبرية البربرية من المحيط الأطلسي إلى غاية النيل، والمصرية والعشبية من القرن الإفريقي وصولا إلى البحر الأبيض المتوسط، والفانقية في شرق البحر الأبيض المتوسط وفي الأناضول، والعربية الوسطى والعربية الجنوبية، من سيناء وسورية إلى خليج عدن، والأكادية والبابلية في

1. في كتابه "تاريخ آسيا الغربية، والهند وقرتا".

كافة بلاد الرافدين، واللغات القوقصية التي تدلي بقرابة إلى الإيرانية - البربرية في القوقص وفي شمال آسيا الصغرى.

لقد شهدت بلاد فارس الحالية، ووادي السند استخدام لغات عروبية عدة من طرف مستعمرين عروبيين قدموا من مناطق مختلفة من العالم العروبي¹. ولقد كنا بيتا في كتابين سابقين أن المستعمرات العروبية في الألفية الثانية قبل الميلاد، امتدت إلى أوروبا الشرقية (بلاد الإغريق ووادي الدانوب) كما وصلت إلى أوروبا الوسطى (البلقان وساحل بحر أذريا)، وبلغت أوروبا الغربية (شبه الجزيرة الإيطالية وجاليا والجزر البيريتانية)، وكذا أوروبا الشمالية (ألمانيا وإسكانيا الحالية)، كل هذا بقرون كثيرة قبل مجيء القبائل، ذات لغات هندية-أروبية في جميع هذه الأصقاع².

لئن كانت المملكة الرومانية قد قضت على استعمال اللغات العروبية وكذا لغات أخرى دون الهندية-الأروبية، باحتلالها جزءا من أوروبا (بخاصة الإيرانية في إيريا وفي فرنسا الحالية، والجالية والفانقية في جاليا، والثورسكية في إيطاليا، والإيليرية في البلقان). فالحال على خلاف ذلك بالتسبة للغات العروبية في شمال إفريقيا، وفي شرق البحر الأبيض المتوسط وفي بلاد الرافدين، حيث حوفظ عليها.

إن ميلاد مملكة فارس على أيدي "بني أحمينا" لم يؤد إلى عدم إلغاء استعمال اللغات العروبية في البلاد الخاضعة للإيرانيين فحسب، بل إن لغة عروبية، ألا وهي الأرمية، أصبحت اللغة الرسمية لمملكة فارس. فضلا عن هذا، مع ترقية اللغة الهندية-الإيرانية (قرونا كثيرة بعدها) كلغة رسمية للدولة الفارسية، ولقد حفظ -قبل وبعد مجيء الإسلام- العديد من ألفاظ الكلم العربي

1. انظر كتابنا "الرحلة المجهولة للغة قديمة، البربرية".

2. انظر كتابنا ، - "العرب في أوروبا قبل العهد المسيحي"،

- "العرب، أسلاف الجاليتين".

في معجم اللغة الإيرانية ، فلا غرو إذا أن يوجد في وقتنا الحاضر حوالي ثلث هذا المعجم من أصل عربي (وهو ما يجمع عليه جميع الكتاب).

وعلى هذا النحو يجري الأمر في تركيا ، إذ ورغم التغييرات التي أقحمها كمال "أتاترك" في تركيا، "لتطهير" هذه اللغة من جوهرها العربي، فحوالي ثلث كلم الثروة اللغوية التركية لا يزال مكونا من الكلم العربي (وجميع المؤلفين يقرّون ذلك).

والظاهرة اللسانية نفسها تسجل في اليونان حيال اللغة الهلانية¹، أو في إيسبانيا حيال اللغة اللاتينية - الإيسبانية، حيث أحصى في هذه اللغة الأخيرة ما يربو عن ألفي كلمة عربية.

إن هذا التأثير المعجمي الذي تكرسه اللغة العربية، ليس فقط على اللغة الإيسبانية، بل على جميع اللغات الأروبية "الحديثة" لهو طبيعي بالنظر إلى :

- إذا علمنا أن هذه اللغات الأروبية الحديثة انحدرت عن اليونانية واللاتينية، وأن اللاتينية سليله اللغة الهلانية. وما من مؤلف يسعه إنكار تأثير اللغة اليونانية على اللغة اللاتينية، وهو الأثر الذي يرجع أساسا إلى التاريخ والحضارة اليونانية²، وهو ما تبرره الدراسة التقابلية لنحو اللغتين.

- إذا علمنا -لقد بينا هذا في مؤلفاتنا السابقة- أن أهل أروبيين كثير، الذين سبقوا القبائل الهندية-الأروبية تكلموا لغات عروبية، وهي لغات أثرت -بشكل بالغ أو يسير تبعا للأقاليم- في اللغات الهندية-الأروبية للوافدين الجدد³.

1. انظر كتابنا "أهمية جوهر اللغة العربية في اليونانية الفصحى".

2. يصرح A. Meillet (في كتابه "لمحة حول تاريخ في اليونانية") بهذا الصدد : «كرست اللغة اليونانية المشتركة (Koinè) على كالم جميع اللغات الأروبية اثرا غالبا ما نجهل أهميته، إنما بالتأثير المباشر للغة اليونانية للمصنفين والعلماء، أو بصورة غير مباشرة بوساطة اللاتينية، التي استعير كلمها المصنفين والعلماء من اليونانية أو اقتبس عن الهلانية..»

3. ما كتبه A. Meillet (في المصدر السابق) بخصوص اللغة اليونانية يمكن إسقاطه دونما تجشّم على اللغات الأروبية : ، لقد تقاطع الغزاة (الهلانيون) مع أهل البلاد، الذين ظلّوا بلا ريب الجوهر الأساس للأهل. بهذا تتفسر الميزات التي تقلبت الهندية-الأروبية على التراب الهلاني..

تلكم هي العناصر جميعها المشار إليها، والتي ستكرّس مادة دراستنا التاريخية للسان العربي، وريث جميع اللغات العروبية القديمة، مطية الدين الإسلامي وترجمان الحضارة العربية - الإسلامية.

ولما كان تاريخ اللسان العربي موغلا في القدم، يعود إلى أصل الإنسانية، حسب تعبير E. Renan، فإن ذلك يجعلنا نقرّ مسلمين بصعوبة بحثنا وتعقيده، فالوثائق "التاريخية" لهذه الحقب المعنة في القدم منعدمة. والمصادر الموثوقة الوحيدة التي تحت التصرف تتألف من أسفار "الكتاب المقدس" ("العهد القديم" و"العهد الجديد")، وفق استقراء متسق تاريخيا ولغويا مع موضوعنا، وبخاصة من القرآن الكريم الذي يقول عنه المولى سبحانه :

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ (سورة الكهف - الآية : 54)،

﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (سورة فصّلت - الآية : 3).

والله أعلم.

البَابُ الْأَوَّلُ

التَّارِيخُ وَاللِّسَانِيَّاتُ

﴿وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾

(سورة التحل - الآية : 103)

إن اللغة ظاهرة اجتماعية بحتة ... فعلى الأرجح -بداهة- أن كل تغير يطال البنية الاجتماعية يترجم بتغير الظروف التي فيها تتطور اللغة¹.

فاللغة نفسها الموحدة في الأصل، تتغير إن يسيرا أو كثيرا وبخاصة في مستوى كلماتها، بفعل تموقعها الفضائي والملاسات والتطورات التجارية والتاريخية والدينية ... وكذا بفعل مجاورتها لشعوب أخرى، غير أن الجوهر والجذور الأصلية تبقى ويخلد. ولا يسع منكر إنكار الأثر الاستوصافي-الأرضي والبيئي على اللغة؛ فالقتاص الذي يعيش في غابات جبلية، تختلف تعابيره عن فلاح السهول، كما تختلف مفرداتهما الوظيفية.

إن اللسانيات علم اجتماعي. وإذا صح أن البنية الاجتماعية موجهة بفعل التاريخ، فليست أبدا الصروف التاريخية ذاتها من يحدد منحى التغيرات اللغوية، بل تغيرات البنية الاجتماعية هي الوحيدة المخولة تحوير شروط وجود الكلام، مشفوعة بشعور الانتماء للجماعة اللغوية نفسها².

وهذه للقول الأخيرة لـ A. Meillet المتعلقة باللسانيات التاريخية التي تجبرنا، سعياً لمساجلة أصوب وفهم أوفق للموضوع، على اعتماد سرد اجتماعي-تاريخي ولغوي وحيز للعالم العربي المعاصر ثم للعالم العربي في عهد أقدم، في عهد يصل بنا إلى ثلاثة آلاف سنة مما يسبق العهد المسيحي، وفق دراسة جدّ وحيزة لمختلف

1. A. Meillet في كتابه "اللسانيات التاريخية واللسانيات العامة".

2. سبق ذكره.

الحضارات العربية قبل الإسلام واللغات التي كانت الأهالي العروبية تتكلم في جميع الأصقاع التي كانت تقطن.

وسنعاين في ما يُستقبل أن ظهور (كما تعدد) اللغات العروبية تداعى (قسم منها) مستجيبا لتغيرات البنية الاجتماعية، التي بحد ذاتها تخضع لتنوع الفضاء الاستوصافي-الأرضي والمناخي الذي آوى إليه كل واحد من هذه الأفواج البشرية المهاجرة، وهي الأفواج البشرية التي عاشت أصلا في المناطق نفسها، وفي ظروف اجتماعية متجاورة إن لم نقل متطابقة، وتكلمت بلغة مشتركة.

الفصل الأول

العالم العربي المعاصر

يمثل العرب عرقاً قديماً خاصاً، مع تأكيدنا على مفهوم العرق، حيث هو تجمع أفراد ينحدرون عن أسلاف مشتركة (وبالتالي يتكلمون اللغة نفسها)، وهو ما يميز إرثاً من الصفات الجسمانية والخلقية والتفسيّة المشتركة. فالعرب ينتمون إلى الجنس الأبيض، ميزتهم بشرة فاتحة أو سمراء، وشعر عكف نوعاً ما، وأنف دقيق، هم بذلك جنس يدانون كثيراً أو يختلطون بجنس البحر الأبيض المتوسط¹.

1. خصائص استوصافية-أرضية واجتماعية

يشكل العالم العربي كتلة بشرية وحضارية، تمتدّ دونما فاصل من المحيط الأطلسي إلى المحيط الهندي، من نهر إسنغل إلى الفرات، مماسة خط الاستواء (عند الصومال)، منتهية عند أعمدة عركنيل (مضيق جبل طارق)، في القرن الجنوبي لأروبا. يتحدّد في أقصى امتداده، من الغرب عند خط طول 5° غرباً عند طنجة (الغرب الأقصى) وخط طول 17° غرباً وخط عرض 17° شمالاً عند موريتانيا، جنوب مدار السرطان. ويتحدّد شمالاً بخط عرض 38° شمالاً على الساحل الإفريقي، ودرجة العرض نفسها تقريباً عند سورية والعراق. ومن الشرق ينحصر عند خط طول 60° شرقاً وخط عرض 23° 27' (مدار السرطان) عند عمان، يحده المحيط الهندي. وينتهي عند خط الاستواء (درجة عرض 0°) عند الصومال من جهة الجنوب.

وبما يحوز من امتداد وتنوع استوصافي-أرضي ومناخي، يزخر العالم العربي بأنواع بشرية مختلفة كما هي عليه في أروبا، في حين أنّ سيمة الوجه

1. G. Lebon في كتابه "حضارة العرب".

والهيئة العامة هي نفسها. فالمسافر المحتك الذي يزور هذه البلدان يمكن أن يُمَيِّز بلا ريب كعربي، الجزائري أو السوري الأشقر بعينين زرقاوين، أو المصري الأسمر بعينين سوداوين. وفي كل من هذه الدول أعضاء الجامعة العربية، يمكننا أن نقف على تشابه متعدد في البشرة ولون العيون والشعر، يتراوح من اللون جذ الفاتح والأعين الملونة والشعر القميحي إلى البشرة السمراء والعيون الناصعة والشعر الفاحم.

كما يمكن أيضا إحصاء النوع الأسود أو الرنجي، كما هو الحال في الأقاليم الصحراوية في المغرب وفي المملكة العربية أو في السودان. وعلى الرغم من ذلك فهذا النوع البشري الأسود لا يشبه النوع البشري الإفريقي دون الصحراء أو الجنس الأسود الأمريكي. فهو يتمتع بالخواص الخلقية والخلقية العربية، رغم شعره الأجد وأنفه الأفطس نتيجة للوسط والتشابك والوراثة المكتسبة على مر القرون بل والألفيات.

اللغة الرسمية والشعبية لهذه الدول هي العربية. وهذا لا يمنع من وجود فروقات في المفردات والغة والتطق في كلام هؤلاء الأهالي، ولكته بالتأكيد أقل من نظيره في اللغات اللاتينية المتجاورة أكثر (الإيطالية والفرنسية على سبيل المثال). فالفلاح المغربي يستطيع التخاطب ببسر مع فلاح من التيل، أو قروي عراقي.

وموازاة للعربية توجد لغات أو لهجات إقليمية (كالبربرية في شمال إفريقيا، والقبطية في مصر¹، ولهجات بلاد الرافدين أو اليمن، والأرمية في ثلاث قرى من سورية)، بيد أن جميع هذه اللهجات مشتقة من لغة واحدة مشتركة. وكل لغة ولهجة سلكت بطبيعة الحال تطورا خاصا بها، بالأخذ بعين الاعتبار ترامي أبعادها الفضائية نوعا ما، واستعمالاتها في نطاقات استوصافية-أرضية مختلفة والاستعارة من لغات بلدان مجاورة و/ أو سيّدة في عصر ما (مختلف أشكال "الغل والاستغلال" الأوروبي -الكرسة للأطروحة التسلطية- في شمال

1. القبطية في مصر، هي بخاصة لغة شعائرية، على غرار السريانية (في سورية) والكلمية (في بلاد الرافدين).

إفريقيا، والاحتلال الهلاني لمصر، إلخ)، وكنا تباينها الديني أو الحضاري (فلقد ظلت اللغة القبطية راسخة لدى المصريين الذين لم يتقبلوا غزو بلادهم من طرف الإغريق، وبعد ذلك عند المسيحيين موخدي الطبيعة في المسيح الذين لم يتوافقوا مع الكنائس الرومانية والرومانية).

الذين السائد بزيادة إن لم نقل الرسمي في جميع هذه الدول هو الإسلام. ولكن إلى جانبه يمكن إحصاء ديانات أخرى كالسيحية واليهودية. فهناك أقليات معتبرة مسيحية في مصر (الكنيسة القبطية)، وفي سورية والأردن والعراق وفلسطين (الكنائس الرومانية والإغريقية واليعقوبية والأرمية ...). كما أن ما يقارب نصف سكان لبنان هم نصاري (وبخاصة الكنيسة المارونية)¹. وعلى ذلك تؤكد هذه الأقليات المسيحية² على عروبتها، على حد السواء عند السياسيين والشعراء كما الفتانين.

وعلى غرار مواطنيهم المسلمين، فالمسيحيون يشغلون مواقع مهمة في الحكومة والجيش والمالية. ولا شيء يفرقهم عن مواطنيهم المسلمين ما لم يكن أحيانا اسما مسيحيا، أو التردد على أماكن عباد غير المسجد. وهناك أقليات ضعيفة يهودية لا تزال في شمال إفريقيا (فلقد اتفق أن كان يهودي وزيرا ضمن حكومة ملك المغرب السابق) وكذا في الشرق الأوسط. والجزء الأعظم من اليهود الذين عاشوا في البلاد العربية قبل ثمان وأربعين وتسعمائة وألف 1948 (الموافق لسنة سبع وستين وثلاثمائة وألف 1367 للهجرة) هاجروا نحو أوروبا وأمريكا أو فلسطين بعد الحروب العربية-الإسرائيلية.

1. مذهب سوري تابع للكنيسة الرومانية، مؤسسه هو "الفتيس" مارون، الذي انفصل عن موخدي الطبيعة في المسيح.

2. جبران خليل جبران، لبناني، هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية (أمريكا الشمالية) في بداية القرن العشرين (القرن الرابع عشر للهجرة)، أحد أعمدة النهضة للأدب العربية. تفتى في أشعاره بحنين وحب أرضه. هناك كتاب نصاري آخرون درسوا الصترف والتحو العربي في القرآن وصولا إلى استخدام لغة نقية وعلمية.

إن حجما مساحيا بهذه الأهمية، يمتد نطاقه على أكثر من سبعة آلاف وخمسمائة كيلومتر، يمد ضرورة بسبب لظهور تنوع تضاريسي ومناخي. فمن جهة الغرب يحلق بالعالم العربي المحيط الأطلسي، ومن الشمال البحر الأبيض المتوسط، ومن الشرق البحر الأحمر فالخليج العربي (أو خليج فارس) وبحر عمان، ومن الجنوب يحيط به المحيط الهندي. وثاني أكبر نهر عالميا في الطول وهو النيل يتواجد بالسودان ومصر، كما يجتاز نهرا دجلة والفرات سورية والعراق (وينبع هذان النهران من تركيا)، كما أن هناك أنهارا ذات أهمية متوسطة في الغرب الأقصى (سبو، سوس)، وكذا مع استغل (نهر حدودي مع موريتانيا)، وأنهار أقل أهمية في سورية ولبنان.

إن استوصاف الأرض الطبيعي للعالم العربي يقف على تشكيلة جد واسعة : سواحل وسهول وهضاب عليا وصحاري وجبال (أو سلاسل جبلية).

وتبلغ بعض قمم الجبال أكثر من 3000 متر علواً : جبل طوبقال (4165 مترا) بالمغرب، وجبل التبي شعيب (3760 مترا) في اليمن، وجبل حاصر (3607 مترا) في العراق، وجبل كيتي (3187 مترا) في السودان وجبل القرنة السوداء (3090 مترا) في لبنان، وجبل طاهات بالأهقار (3003 مترا) في الجزائر، والجبل الأخضر (3000 مترا) في عمان وجبال الحجاز بالملكة العربية، وقمم أخرى تلاني هذه الأرقام كجبل حرمون (2814 مترا) في سورية وجبل القنيسة كاثرين (2641 مترا) في سيناء (مصر).

يمتد النيل في إفريقيا على طول 6700 كيلومتر. وينبع النيل الأزرق من إثيوبيا، عابرا السودان، ليلتقي بالنيل الأبيض (الذي ينبع من أوغندا) حتى الخرطوم، ثم يمضي صعودا بكامل مصر من الجنوب إلى الشمال ليصب نهاية في البحر الأبيض المتوسط.

تعيّن أكبر صحراء في العالم الحدود الجنوبية للعالم العربي، أساسا في إفريقيا. تحد الشواطئ الرملية للمحيط الأطلسي (في موريتانيا)، وتقرب بأقل من 250 كيلومترا من سواحل البحر الأبيض المتوسط في الجزائر، وبسورت

الكبرى يلتقي رمل السواحل الليبية برمل الصحراء. وفي مصر تتخطى قناة السويس بعد الانعطاف على ضواحي القاهرة، مروراً إلى سيناء ثم انتهاء عند أقصى شرق شبه الجزيرة العربية (عمان). ولقد استضافت الصحراء القاسية والخالية التيل، حيث شق واديه الشهير : لقد أخصب التهر هذه الصحراء فأنجب حضارة مصر المتألقة.

وكما كنا رأينا حول التضاريس، فإن النظام المناخي هو الآخر جد متنوع. واختلاف المناخ في هذه المناطق هو نشاط -كما في سائر العالم- لتباين العرض، والتوزع غير المتساوي للأراضي والبحار ومجري المياه، والتضاريس فيما يخص طبيعتها، وامتدادها وارتفاعها وتأثيرات التغيرات الجوية. ويتفق الوقوف على مناخ متوسطي أو بحري ومناخ تحت المداري، ومناخ مداري ومناخ استوائي، ومناخ قاري ومناخ صحراوي، ومناخات إقليمية (قرب الغابات والجبال والتجمعات البشرية المهمة). باستثناء المناخ القطبي كل مناخات العمورة ممثلة في العالم العربي.

العوامل نفسها التي تحدد المناخ هي من يحدد منحى الغطاء النباتي والزراعة. تركز التغذية في البلاد العربية أساساً على الحبوب (القمح، الشعير، الترة، والأرز) : حيث يستهلك سكان شمال إفريقيا بشكل أساس القمح (الكسكس)، وفي مصر ودول شرق التيل الأرز. وفي المناطق الصحراوية يعتبر التمر هو العنصر الغذائي المختار : حيث يعرض على الضيف العابر من أجل إكرامه الحليب والتمر. وأما دول حوض البحر الأبيض المتوسط فيستهلكون بشكل كبير الزيتون وزيتونه. ويعتمد المطبخ العربي كثيراً على استخدام التوابل : هذه التي أدخلها العرب إلى أوروبا. ومن أجل أن يبسط الرومان نفوذهم على هذه المواد، حاولوا غزو جزيرة العرب في غير ما مرة، دونما نجاح.

وعلى غرار تباين العناصر السابقة فالري هو الآخر يتباين تبعاً لهذه المنطقة أو تلك : الجلابية (وخاصة ذات القبعة)، وهي ثياب فضفاض ونفعية،

والبرنس (وهو رداء أو مشتمل ينسج من الصوف أو وبر الإبل)، والسرّوال "العربي"، جميعها في شمال إفريقيا. والقميص (وهو ثوب مسترخ من الأكتاف حتى الكعب) في مصر والمملكة العربية. والتنورة التي تحيط بالتطاق وتغطي الركب في اليمن، إلخ. كما أن سرة الرأس هي الأخرى متعددة، العمامة (من عمان إلى المغرب الأقصى)، الكمة البسيطة في شمال إفريقيا، والكوفية في شبه الجزيرة العربية، وكذا الشاشية أو الطربوش (وهي قبعة مخروطية) من أصل فائقي. لقد أخذ العرب شيئا فشيئا، لا سيما في الدول التي احتلها الأوروبيون، يميلون للباس الأوروبي (السرّوال والصدر) ويتخلّون عن زيهم التقليدي، الذي لا يلائم بزعمهم أعمال العصر (في المصانع والورشات ...).

وأما بخصوص الثياب النسوي، فقد ظلّ محافظا على مرّ القرون، مع متغيرات في كل منطقة. فالرأة لا تزال دائما كما هو الحال في جميع المجتمعات ضمانا للعادات والأعراف، التي تنتقل كما هي من الأمهات إلى البنات.

2. الهجرة العربية في العالم

إنّ مجال هجرة العرب المعاصرة في العالم على قدر كبير من الأهمية يشفع في فهم تشكيلة العالم العربي، الذي يعود تكوّنه إلى آلاف كثيرة من السنين، والذي سنعاين مظاهره المختلفة في الفصل التالي :

فالعربي المعاصر، على غرار أسلافه، رخالة كبير. يهاجر متغربا بيسر لأقاليم آخر، رغبة في الأولى تحصيل المعاش له ولعائلته، بسبب بور الأرض أو المجاعة أو الجوائح الطبيعية (فيضانات، الجفاف، التصحر).

تستدعي الهجرة نحو آفاق آخر ثقة في النفس والهوية، وتحكما في الأحاسيس النفسية-العاطفية، وسهولة التكيف مع الوسط المضيف (مجتمعا بشريا ومناخا ولغة وغذاء)، وتجاوز بعض الفروقات (الدينية والثقافية أساسا).

هاجر العرب إلى إفريقيا ما دون الصحراء وأمريكا وأروبا مستصحبين حضارتهم وفنونهم وعلومهم ووطنانتهم، فأسهموا في إثراء الرصيد الثقافي والفتي للمناطق المستقبلية.

بدأت هجرة العرب إلى أمريكا الجنوبية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي (الموافق للقرن الثالث عشر للهجرة)، وفي أمريكا الشمالية بدأت سنة ثمانية وسبعين وثمانمائة وألف 1878 للميلاد (الموافق لسنة خمسة وتسعين ومائتين وألف 1295 للهجرة). وهي الهجرة المنحدرة خصوصا من آسيا، وبالأخص من سورية (حينها كانت لبنان منطقة تابعة لسورية)، وتليها الهجرة من مصر. وقد حافظ العرب في بلدانهم المختارة -على الرغم من توالي الأجيال، واقتران بعضهم بأسر غير عربية- على عاداتهم وطابعهم الخاص.

أهل جلد ومثابرة وشجاعة كثير من المهاجرين الذين كانوا حين وفودهم خالي الوفاض وصعاليك في البلاد المضيفة، لأن يبلغوا مراحل من السعة : فهم أساتذة في الجامعات ومقاولون بتأؤون وعمد ونواب وأعضاء مجالس الشيوخ ووزراء ومصرفيون وضباط سامون في الجيش ورجال أعمال ناجحون وملأك كبار للأراضي، إلخ. فواحد منهم وصل إلى الرئاسة في الأرجنتين، في العشرية الأخيرة من القرن العشرين (الموافق للقرن الخامس عشر للهجرة). وعدد كبير من هؤلاء العرب استعاضوا عن أسمائهم الأصلية بأخرى إنجليزية-إسكسونية أو لاتينية، من أجل تنسية انتمائهم للعالم العربي، الذي يذم غالبا، أو بفعل الضغط الاجتماعي الذي لا ينكر في هذه البلدان "ذات الحكم الجماهيري والحرّة".

أما الهجرة نحو أروبا فانطلقت أساسا من بلدان شمال إفريقيا، وفي البداية خضعت لعوامل آخر. فبعد الحرب العالمية الأولى شجعت فرنسا -مولاة الجزائر أو "حامية" تونس والمغرب- الهجرة لعوزها للأيدي العاملة من أجل إعادة بناء بلادها التي دمرتها الحرب.

وبعدها فرّ سكان شمال إفريقيا هروبا من ظروف المعيشة القاسية وإعالة أسرهم بحالات بريدية هزيلة، ولكن منتظمة. وبعد الحرب العالمية الثانية، تحت تأثير الكماشة التي أخذت سلطة "الغل والاستغلال" تطبق فكّيها شيئا فشيئا، أخذ المغاربة يهاجرون طواعية نحو فرنسا ودول أوروبية أخرى.

عموما، لقد حافظ عرب الجيل الأول في جميع هذه القارات على جنسياتهم الأصلية. غير أن الأجيال التي تلت، في معظمها، ولبررات اجتماعية-اقتصادية فضّلوا التجسّس بجنسية البلاد التي يقيمون فيها، مشجعين في ذلك من طرف الدول المضيفة. دون أن يقطعوا بهذا وشيختهم السريّة التي تربطهم ببلدان آبائهم، أو يتنكروا للجنسية الأصلية أو ينقطعوا عن الغب.

ويمكن أن نلاحظ في جميع هذه البلاد (في أوروبا وفي أمريكا) مذ هذه السنين الأخيرة نوعا جديدا من الهجرات العربية. هذه الهجرات ليست طلبا للرّزق ولكن سعيا وراء المعرفة والعمل. مئات بل وآلاف من عرب الغرب (المغاربة) وعرب آسيويين آخر توجهوا لأروبا أو أمريكا الشماليّة (كندا، الولايات المتحدة الأمريكيّة) من أجل مواصلة دراستهم، تحضير الماجستير أو الاطلاع على آخر الفتيات (الكيمياء، التفطية، والكهربية، الإعلام الآلي ...) ولم يعودوا للبلاد، مع أن مهامهم انتهت. وآخرون طيارون ومهندسون وأساتذة فضّلوا التغرب طموحا في ظروف عمل أفضل وفي مقابل يتوافق ومجالهم المهني. وقد شكّلوا هنالك مستعمرات صغيرة في لندن ومونتريال ونيويورك وهوسطن، بمناخهم الثقافي والطبخي الصغير (الموسيقى الشعبية، الرأي والكسكس).

وفي إفريقيا بدأت الهجرة العربية المعاصرة قبل الحرب العالمية الأولى. وهي دون أهمية نظيرتها الأوروبية أو الأمريكية، وطالت بلدانا كثيرة دون الصحراء. وأغلبية هؤلاء المهاجرين تجار.

الفصل الثاني

العالم العربيّ قبل مجيء الإسلام

كلمة "عربيّ" مصطلح عامّ ينعت أهل من الثقافة نفسها، ولجميعها لغات تتقارب فيما بينها، وتنحدر عن أرومة مشتركة.

وكلمة "عربيّ" بالاعتبار اللّغويّ، تدلّ المادّة "عرب" منها على ملك ناصية العربيّة (اللسان)، وعلى الأصل العربيّ (كإنسان).

وتنعت كلمة أعرابيّ أهل البدو، الرّحل، في حين أنّ كلمة "عارب" (أو عاربة) لها معنى "الامتلاء والفيض (نهر، سيل)" وكلمة عربية وجمعها عرب وعربات، تصف سيلا دافقا كما تصف أيضا مركبة أو سيارة. يتبدى إذا أنّ هذه الكلمات كلّها ذات علاقة بمفهوم حركيّ ومور ... أو الترحال.

في الأصل (وحتى يومنا هذا) كان العرب (ولا يزالون) مُمثلين بفنّتين من الأهالي :

- أهل حضريّة اتصلت أو جاورت مجاري المياه والأنهار والسيول، وهؤلاء هم العرب بما للكلمة من معنى، حتى ولو لم يسمّون بالعرب، بل بدل ذلك تلحق بهم أسماء الأقطار والأقاليم التي يقطنون (مصريّون، بابليّون، أرميّن، سوريّون ...). ولطائفة العرب الحضر هذه فضل ميلاد حضارات بلاد الرافدين وحضارات الفانقيّين والمصريّين (أساسا)،

- أهل وقبائل عاشت نمطا معيشيّاً ظعنًا، ركيزتها الرّعي امتيازًا أو أساسا. هم الأعراب أو البدو. وانتحالا من اسمهم لقبت شبه الجزيرة العربيّة المؤلفة في معظمها من أقاليم صحراويّة بجزيرة العرب.

1. العرب (الحضر) والأعراب (البدو)

في كتابه المعنون بـ "حضارة العرب" وصف G. Lebon في صفحته الأولى جزيرة العرب كما يلي : « هي شبه جزيرة واسعة تغطي جزءاً منها الصحاري وتحدها أبحر ثلاثة : من الغرب البحر الأحمر، ومن الشرق بحر عمان وخليج فارس ومن الجنوب بحر الهند ... ومن الشمال يعترى تحديدها غموض، فهي تقريباً في منحى خط يمتد من غرة المدينة الفلسطينية التي تقع على ضفاف البحر الأبيض المتوسط، إلى غاية البحر الميت ومنه إلى دمشق، ونهاية من دمشق إلى الفرات، الذي يذيل وصولاً عند خليج فارس ... »¹.

وفي الصفحة الثالثة عشرة أورد : « الجزيرة العربية قسمها القدامى إلى مناطق ثلاث : البلاد العربية الصخرية، في الشمال الغربي، والبلاد العربية السعيدة في الجنوب الغربي. والبلاد العربية الصحراوية في الوسط والغرب. بحيث تضم البلاد العربية الصخرية كل المنطقة الممتدة بين فلسطين والبحر الأحمر. وتتألف البلاد العربية الصحراوية من المفازة الرملية الكبرى الممتدة من تخوم سورية وما بين التهرين حتى الفرات وخليج فارس. أما البلاد العربية السعيدة فتحتضن كامل الجزء الجنوبي لشبه الجزيرة العربية، نجد والحجاز واليمن وعمان، إلخ. »

وفي كلامه عن البلاد العربية الصخرية في الصفحة الرابعة عشرة، استطرد : « لقد قلنا آنفاً أن البلاد العربية الصخرية لم يحملها علماء استوصاف الأرض العرب على أنها جزءاً من جزيرة العرب، ولكن من الوجهة الاستوصافية-الأرضية والقومية يستحيل إقصاؤها. فهي تضم جل شبه جزيرة سيناء، وتمتد من حدود فلسطين إلى البحر الأحمر. ويرتبط نعت "الصخرية" تماماً بطبيعة البلاد. ويشغل وسط شبه الجزيرة الجبل الصواني العالي الذي شكله سيناء ... غير أن هذه المنطقة المهجورة هي من أشهر مناطق التاريخ. هي أرض أدوم،

1. عین E. Renan (في كتابه "تاريخ اللغات السامية") حدود شبه الجزيرة العربية كما يلي : من الشمال، سلسلة طوروس وجبال أرمانيا، ومن الشرق الجبال التي تبلغ حوض دجلة، وفي الجهات الأخرى البحار الحيطية.

بالنسبة لـ "الكتاب المقدس"، وأرض العمالة وأهل مدين والأنباط، وأرض جميع هؤلاء الشعوب الذين حفلت صفحات الأسفار العبرية بذكرهم..

إن رسم حدود شبه الجزيرة العربية كما أوردنا للتو، عن G. Lebon يتوافق مع ما يذهب إليه المؤلفون العرب أنفسهم، إذ يسمّون جزيرتهم بجزيرة العرب.

وتبرّر هذه التسمية كون أرضهم -أرض شبه الجزيرة العربية- تطوّقها أربعة أبحر : البحر الأحمر من الغرب، وبحر عمان والخليج العربي من الشرق، والمحيط الهندي من الجنوب، والبحر الأبيض المتوسط من الشمال، ومن الشمال الشرقي، ونهاية بنهر الفرات.

والواقع الطبيعي لشبه الجزيرة، مغطى بصحار وسهوب، وفي مواضع آخر بمناطق جبلية جدّ مرويّة وبهضاب خصيبة، وجميع للظاهر محاطة بمسطحات مائية (بحار وانهار) تؤثر بالضرورة على نمط معيشة سكان أيّ من هذه المناطق أو نوع مجتمعهم.

وضمن سياق الكتاب نفسه، أثبت G. Lebon في الصفحة الثانية والعشرين بخصوص العرق : « ينبغي اعتبار كلمة عرق، اليوم في إسقاطها على الإنسان، كمرادف لكلمة جنس. فيمكن ببساطة جدّ مجردة تحديد معنى مصطلحي العرق والجنس البشري، بأن نقول بأنهما يصفان تجمّعات أفراد يحوزون مجموعة من السمات المشتركة تنتقل بانتظام بواسطة الوراثة ... شعبٌ هو تجمّع أفراد ينتمون إلى أعراق غالبا جدّ متنوّعة، يجتمعون تحت لواء دولة واحدة ولهم بالتالي عدد من المصالح المشتركة. فهناك اليوم شعب إنجليزي ولّاماني ونمساوي وفرنسي، إلخ. ولا وجود لعرق إنجليزي ولّاماني ونمساوي وفرنسي. وأفراد هذه الشعوب هم من أصول جدّ متباينة ومنقوصة الالتحام حتى الآن بحيث يسوغ إعطاؤها هذا اللقب.. »

وأضاف المؤلف نفسه : . مجموعات أفراد يمكن أن تتحد تحت لواء القوانين نفسها، تنقاد لممارسة الشعائر الدينية ذاتها، وتتكلم اللغة عينها، ولكن لا تبلغ تشكيل عرق متجانس إلا إذا رسمت فيها البيئة والتشابه والوراثة جملة من الصفات البنوية والخلقية المشتركة ... ومن بين المؤثرات القادرة على تحويل وتثبيت خصائص داخل عرق ما نذكر البيئة. ولئن كانت البيئة عاملا ذا بال، فالوراثة التي تمثل استعدادات تراكمت على امتداد ماض مترام، عامل جد حاسم وأبلغ أثر أيضا . . وضمن السياق نفسه وفي موضع أدنى، لخص : . نعتبر بصفة عامة أن العرب يشكلون عرقا واحدا . .

عمليا، جميع المؤلفين يفرقون بين العرب والأعراب، يورد G. Lebon عن هؤلاء المتقدمين : . الأعراب أو كما نسميهم عموما البدو، لهم من المغرب الأقصى وحتى شبه الجزيرة العربية أنماط وعادات وطباع، هي اليوم ما كانوا عليه منذ آلاف كثيرة من السنين نفسه، وهو ما سيقون عليه سجيح الأوجس . . وأضاف في الكلام عن الحضر : . يختلف عرب حاضرة شبه الجزيرة العربية كثيرا عن الأعراب الذين كنا نكلمنا عنهم غير بعيد ... فرغم أنهم يلهجون بلسان أعراب الصحراء نفسه، ويجري في عروقهم الدم ذاته، ولكن ما أشجع البون بينهما ! فلعرب الحاضرة كما باقي الشعوب المتحضرة فروقات معتبرة من بلاد أخرى. فهذه الفروقات موجودة في شبه الجزيرة العربية. في مقاطعة نجد، مقاطعة أكبر بكثير من بعض الدول الأوروبية حقيقة، حيث توجد فروقات عميقة بين العرب كتلك التي تفرق ساكني شمال أوروبا عن ساكني جنوبها . . ولقد جاهر ابن خلدون منذ قرون كثيرة خلت بوجهة الرأي نفسها، من تفريق الفصل بين الحضر والبدو.

أما بالنسبة لنا، فإننا نشاطر¹ Ph. Hitti وجهة نظره ذات الأطياف الأكثر فيما يتعلق بالتقسيم بين عرب وأعراب. إذ يورد : . في بعض الحالات يكون ارتقاء البدو نحو الحاضرة حثيثا، وأحيانا تكون التجمعات البشرية

1. في كتابه " مجمل تاريخ العرب ".

نصف بدويّة، وأحايين نصف حاضرة. ومن بين هؤلاء الأعراب من أصبح حضرياً، بالإضراب عن جميع صور البداوة، وهناك آخرون في طور الرقيّ نحو الحضرة. وهكذا ينبعث الوريد الحضريّ ويلتحم التياران. ويمكن أن نشاهد على تخوم سورية مساكن في الحالة الوسيطة بين البيوت والخيم.

ولا نزال نراوح الكاتب نفسه ومؤلفه، حيث فرّع العرب إلى فئتين :

- ١ - عرب الشمال وهم أساساً بدو (نجد والحجاز)، الذين يتكلمون العربية (لسان القرآن) ويرتبطون بأهالي البحر الأبيض المتوسط لشمال شبه الجزيرة،
- ٢ - عرب الجنوب هم أهالٍ حضر (اليمن وحضرموت والمناطق الساحلية) ويتكلمون اللغة العربية الجنوبية (السبئية والجميرية) ويرتبطون بالأهالي الجبلية (ومنهم الأرمان والحثيون والعبرانيون).

وموازاة ليموله الرعوية فقد يمارس الأعرابي الفلاحة في الوقت ذاته^١، إذا ما اتفق وجوده قرب واحات واسعة ومضيافة. فقد يفلح الأرض خلال موسم (أو أكثر) بغية تأمين الخبز (الحبوب) لعائلته، وبعدها يغير المكان.

لقد كان البدو يقطعون مسافات طويلة وعائلاتهم ومواشيهم بحثاً عن الكلّ ومواقع الماء. وغالباً ما يضطرّ الأعراب تحت طائلة جفاف المحيط والحرارة المحرقة فغور الآبار، وحيث تغدو المراعي الكلة سراباً، ويُجبرون بأن يرحلوا بالآلاف قدماً أبعد، وأن يصعدوا نحو الشمال (أو يتوجّهوا نحو الجنوب) حيث يعلمون أنه بوسعهم العثور على الماء وبالتالي عتق حياتهم.

وكل عائلة كانت تتألف على الأقل من رب العائلة وزوجاته وأولاده الذكور. ولكل من الأولاد زوجة أو أكثر وله بالتالي ذرية أكثر. ويتستى الجزم بنسبة المواليد العالية للأعراب باعتبار تعدد الزوجات للرجل، هذا من جهة، ومن أخرى فلزماً إكثار عدد الولد الذكور، لما يقتضيه العمل في

١. كما يمكن أن يكون بخاراً.

مجتمع ذي طبيعة رعوية، وكذا ما يقتضيه رد الغارات المحتملة من الجيران، وربما هناك مبرر آخر وهو حيازة الأسرة وزنا داخل القبيلة. بالاعتبار المذكور كان هناك تقاطع ثلاثة أجيال داخل العائلة الواحدة. وقد يقدر عدد أفرادها بمائة ونيف، إذا ما اعتدنا فقط بخمسة أولاد ذكور من الجيل الثاني، متزوجين وأبنائهم. وإذا ما قدرنا منهم عشرة، أي عدد العائلات في كل عمارة (في أدنى تقدير)، وعشر عمائر في كل قبيلة، قد نحصل على رقم يربو عن عشرة آلاف نسمة.

ننوه بأن الأعراب كانوا يتجمعون في شعاب، إذ كل شعب كان يتألف من مجموع قبائل تلتقي في نسبة اسم سلف واحد، وكل قبيلة تتفرع إلى فصائل (خيم). وكان رئيس الشعب يُختار من بين شيوخ القبائل لحنكته وشخصيته. وكان التضامن بين أفراد الشعب فعّالا، ويتبغى تحرّيه من أجل استبقاء الحياة في ظروف قاسية، كهذه التي كانوا يعيشون. وكانت القاعدة هي طاعة رب العائلة بالتوافق مع مجلس القبائل.

ولقد أمدنا أبو العباس القلقشندي¹ بتشعبات القبيلة المختلفة (من الشعب إلى الفصيلة) كما يلي :

- الشعب (جمعه الشعوب).
- القبيلة (جمعها القبائل).
- العمارة (جمعها العمائر).
- البطن (جمعه الأبطان).
- الفخذ (جمعه الأفخاذ).
- الفصيلة (جمعها الفصائل).

١. القلقشندي، في كتابه "نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب".

لقد نَمَى الأعرابي بتكيفه الدؤوب مع المحيط -المتسم بالتذبذب بلا انقطاع- صفات ثابتة من التشايط والفتانة على مَدَّ تاريخه. ولقد وصفه الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- : « إن البدوي هو أصل العرب وعجينة الإسلام ».

وقد كان لكلّ شعب مرعاه ونجته، ولم يكن من المستساغ -حسب الأدبيات البدوية- أن ترعى قبيلة مواشيها في نطاق ليس تابعا لها. وفيما يتعلق بموارد الماء خارج نطاقها، فعلى شيخ القبيلة أن يتقدّم بطلب لنظيره في القبيلة المجاورة. ولأنّ الماء كان ضرورة حيوية في الصحراء، فقد كان الإذن دائما مُرتفقا ما استثنينا حالات الحرب المعلنة بين القبيلتين.

وفي الحال الأخير كانت القبائل تأمّ الشمال أو الغرب أو الجنوب من أجل الحصول على الماء والقوت لها ولماشيتها لا من أجل الإقامة. لكون الأعرابي لم يكن يخطّط حياته، بل يتجه إلى حيث الظروف الموائمة لبيئته ومعيشتة.

2. الحضارات العربية قبل العهد الإسلامي

آلاف السنين قبل العهد الإسلامي أسّس العرب على غرار حضارة شبه الجزيرة العربية (في قسمها الجنوبي) حضارات أخرى في الشمال، في بلاد الرافدين وفي مناطق الهلال الخصيب (العراق وسورية) وعلى ضفاف النيل (من الحبشة إلى مصر). وتبعاً لهذه التطوّرات الحضارية فلم تقطع هذه الأقاليم وشيحتها التي تربطها ببلدانها الأصلية، من جهة العلاقات الاجتماعية-التاريخية، والتجارية والثقافية أو الدينية¹ وبدرجات متفاوتة. فقد تعرّض مصالح مملكة ما أحيانا الدولة الشقيقة والجارة، فتنشب عنها حروب مع هيمنة سياسية، لمنطقة على أخرى أو بلد على آخر، كما هو الحال في عالمنا اليوم.

1. في هذا العهد، كان العرب وثنيين ومشرّكين.

1.2. في بلاد الرافدين والهلال الخصيب

تتموقع هذه الحضارات أساساً في ما بين النهرين، (دجلة والفرات) وفي الهلال الخصيب، بشكل أساس في العراق وسورية الحاليتين. واللغات التي استعملت قبل الألفية الثالثة، والمالية لهذه الحقبة في بلاد الرافدين والهلال الخصيب هي : الأكادية والكلمية (البابلية) والأرمية والعمورية ... كلها لغات عروبية تدعى "السامية". وكما أشار G. Lebon : « إن دراسة اللغات المسماة بالسامية تبين حقيقة أن العبرانية والفانقية والسريانية والأشورية والكلمية والعربية لها قرابة متينة، وبالتالي أصل مشترك ».

لقد كانت بلاد الرافدين مهداً للعديد من الحضارات، وواحدة من الحضارات الأولى، يرجع تاريخها إلى نهاية الألفية السادسة قبل العهد المسيحي : ألا وهي الحقبة المسماة بالعبيد، وتتميز بتشييد المعابد والريقورات، وصناعة الخزف الذي يطلّى. وشهدت نهاية الألفية الرابعة إقامة مدن-دول مع أور واوروك وأريدو ولاجاش، إلخ : وهي حقبة ما قبل سرجون.

ومع إنشاء أول مملكة لما بين النهرين من طرف سرجون فقد استخوذ على المدن-الدول من طرف السلطة الأكادية، التي تأسست سنة أربعين وسبعمائة وألفين قبل الميلاد (2740). فقد استولي على إقليم سوسة. وظهرت سلالة أور الملكية بداية من سنة خمسين ومائة وألفين (2150) في بابل (بلاد الرافدين السفلى) : ودامت حتى سنة ستة عشر وألفين (2016). كما بعثت بعض المدن-الدول الكبرى : أور ولاجاش، إلخ. وقد دمرت مدينة أور نحو سنة خمس وثلاثين وألفين (2035) من طرف العموريين، وقد دامت مملكتهم قرنين وكانت عاصمتها ماري (على ضفاف الفرات المتوسط).

وسنة خمس وتسعين وثمانمائة وألف (1895) قبل الميلاد ظهرت السلالة الملكية البابلية، وكان أول ملك لها سمو-أبوم عموريا. أحد ذريته، سمو-ربي الذي اعتلى سدة العرش سنة اثنين وتسعين وسبعمائة وألف (1792) المؤسس

الحق لملكة بابل. وقد شرع ناموسا مقدسا يحمل اسمه، وهو قانون محرر باللغة الأكادية (البابلية).

ثم تلت الملكة الآشورية سلطة بابل، سنة خمس وخمسين ومائتين والف (1255) قبل الميلاد، وهي الفترة المسماة بالآشورية، والتي امتدت لأكثر من ستة قرون، إلى غاية خمس وعشرين وستمائة (625) قبل الميلاد. وقد حكم ببابل ملوك مثل تاج-الآت-ننوى-الحارث الأول (أول ملك في هذه الفترة)، واشور-نصر-بعل الثاني، وسلمان-آزر وتاج-الآت-فن-آزر وسرجون الثاني، وسن-آخ-رب، إلخ.

وبداية من سنة خمس وعشرين وستمائة (625) قبل الميلاد، تأتي الحقبة المسماة بالكلدية، آخر أطوار مملكة بابل. حيث شهدت أعظم ملوكها نبو-خذ-نصر (604-562). وسنة تسع وثلاثين وخمسمائة (539) احتل الفارسي قورش من بني اخمينا بابل، التي ألحقت فيما بعد بسلطة فارس.

وقبلها في الألفية الثالثة، شهدت بلاد الرافدين في كلدا وحدها (جنوب البلاد)¹ دولة سميت بالسومرية "ليست سامية"، كما يضبط المؤلفون. وقد ظهرت هذه الأخيرة في أواخر الألفية الخامسة (حوالي 4000 قبل الميلاد).

وفي تقدير هؤلاء المؤلفين أنفسهم أن السومريين -ذوي الحضارة العريقة والمتألقة- ليسوا عربا. فحسب² Ph. Hitti : إن العرب (البدو) الذين وفدوا إلى وادي الرافدين نحو أربع آلاف سنة قبل الميلاد، قد حلوا ما بين التهرين وتواجدوا في حالة جهل وهمجية. فقد أخضعوا الأهالي المحليين وامتزجوا بهم. وافضى التحام الفئتين القوميتين لميلاد البابليين وحضارتهم.

الأمر القمين بالتنويه ها هنا، هو أن الدولة السومرية -التي أنشأت في الوادي السفلي للفرات، قريبا من خليج فارس- كانت جارة على مرّ العليد من القرون للممالك العروبية في وسط وشمال بلاد الرافدين، قبل أن تبتلعها السلطة الأكادية.

1. كلدا (أو بلاد الرافدين السفلي) تسمى أيضا بابل.

2. في كتابه "تاريخ العرب".

2.2. في مصر

قرونا كثيرة قبل أول مملكة موحدة، شهدت مصر إمارات كثر في الشمال والجنوب. ثم تجمعت هذه الإمارات مشكلة مملكتين : مملكة الشمال والأخرى الجنوبية بعد مجيء موجات الهجرات قدوما من شبه الجزيرة العربية أكثر من ستة آلاف سنة (6000) قبل الميلاد¹، وبعد شغل البلاد من طرف هؤلاء. وقد التحم هنالك العنصران البشريان (المنتسبان للعرب أي العروبيين والأهالي المحليين) وتأسست مملكة موحدة ملكها مينا²، وذلك خمسة آلاف سنة (5000) قبل الميلاد. والزعايا المصرية تقدسه وتعتبره ابنا لهور (حور هو اسم آلهة عربي عند وثنيي شبه الجزيرة العربية، وكان يرمز إليه بالصقر).

قسم أحمد كمال³ تاريخ مصر إلى ثلاث سلالات ملكية، وبدورها تنقسم كل واحدة منها إلى أسر كثر :

- تكونت السلالة الملكية الأولى من إحدى عشرة أسرة، على أقرب تقدير من خمسة آلاف (5000) إلى ألفي (2000) سنة قبل الميلاد. وقد شيد الفرعون خوفو من الأسرة الرابعة أولى وأكبر أهرامات الجيزة. وشيد الفرعون خاف-رع ثاني (أكبر) الأهرامات. وشيد الفرعون منكو-رع ثالث (أكبر) الأهرامات؛
- تكونت السلالة الملكية الثانية من ست أسر، بين ألفين (2000) وثمانين وخمسمائة وألف (1580) قبل الميلاد، وهي الحقبة التي شهدت حكام الهكسوس (أو الملوك الرعاة)، الذين حكموا من سنة ثلاثين وسبعمائة وألف (1730) إلى ثمانين وخمسمائة وألف (1580) قبل الميلاد.
- تكونت السلالة الملكية الثالثة من أربعة عشرة أسرة (اثنتين منها أصلها من بلاد فارس)، من سنة ثمانين وخمسمائة وألف (1580) إلى ستين وخمسمائة (560) قبل الميلاد.

1. محمد عزة دروزة في كتابه "تاريخ موجات الجنس العربي في وادي النيل".

2. Ménès بالتسبة للكتاب الأوربيين.

3. في كتابه "العقد التمين".

لقد جرت رواية المصريين على إلحاق نسب المصريين ببلاد بُنت (بون) مصرحة بأن هذه المنطقة مقدسة. ولقد كتب ديودور الصقلي : « إن المصريين القدامى تعود أصولهم إلى البلاد العربية الجنوبية، قدموا مصر عن طريق الحبشة والسودان (ساكنو الحبشة والسودان هم خليط من العرب والأفارقة السود) .. وحسب ديودور الصقلي ذاته، فإن اللغة المصرية والعربية : « لهما الأصول نفسها..

لم تنقطع هجرات شبه الجزيرة العربية البشرية (انطلاقاً من الشمال أو الجنوب) البتة : جالبة معها دماً جديداً، واندмجت بشكل سريع، ومن هذا المبدأ يبرر التطابق بين الأعراف الاجتماعية والدينية للجماعتين وكذا التقارب الشديد بين اللغتين.

لقد كانت أسماء الآلهة المصرية هي نفسها عند بلاد العرب الوثنية : حور هو آلهة السماء. وفي عهد الأسرة الملكية الثامنة عشر استوطنت قبائل كنعانية في منطقة القاهرة الحالية، وأعطت اسم آلهتها حور أو هول لأبي الهول¹. وبلاد سيناء، هو اسم آلهة القمر سين، ومنه اشتقت هذه التسمية : ونجده في بلاد الرافدين، في أور (بلاد بابل) حيث يتواجد معبد سين، وكذلك في بلاد الرافدين العليا، في حاران (حسب ألواح ماري).

كان التحنيط والتطبيب ممارسين من طرف عرب جنوب شبه الجزيرة العربية، وكان هؤلاء يستخدمون فيه البخور ومواد مخصوصة موجودة في اليمن. وإلى هناك قدم المصريون للتزود منها واستخدامها في طقوسهم الجنائزية. وكان الختان يجري إجبارياً لكل المصريين التذكور.

ولقد عاشرت إثيوبيا في تاريخها طويلاً مصر : إلى غاية الأسرة الملكية الخامسة والعشرين، فقد حكم الملوك المصريون إثيوبيا وكذا الملوك الأحباش

1. محمد عزة دروزة. سبق ذكره.

مصر، لأن المملكتين كانتا موحدتين¹. ويمكن أيضا الوقوف على التناظر الكامن في فن البناء : فقد أحصيت أهرام ثمانون ذوات التمثط المصري في إثيوبيا.

3.2. في جنوب شبه الجزيرة العربية

مذ أمد سحيق عُرِفَت اليمن في جنوب شبه الجزيرة العربية. وسماها المؤلفون القدامى بالبلاد العربية السعيدة ولا ينون يتحدثون عن غناها وخصوبة تربتها. وكل المؤلفين (أو على الأقل الأغلبية العظمى منهم) لا يختلفون حول كون هذه المنطقة كانت مهد العرب.

وكانت هذه البلاد مركز توزيع العلاقات التجارية مع الهند والصين وبلدان الهلال الخصيب وكذا مصر. حيث توجد التوابل والتبانات العطرية التي يحتفي بها المصريون لمعابدهم (وقد كان البخور والطيب يستخدمان في تحنيط الموتى)، وكذا الكافور والعنبر والبلسمين والقرفة ... وحتى الذهب والفضة.

وكان عرب اليمن بتائين وفلاحين، فضلا عن كونهم بحارة. وكانوا يجلبون على متن سفنهم حرير الصين، والتوابل والأسلحة المفلوذة من الهند، والذهب والعاج من إفريقيا.

وقد حدثنا² G. Lebon عن حضارة اليمن المتقدمة حين كتب: «تتضافر المصادر (أخبار الأيام العربية القديمة وقصص الكتاب المقدس، وعدد قليل من المخطوطات المنقوشة مثل تلك الآشورية أو الأخرى التي اكتشفت غير بعيد من دمشق والكتاب القدامى) فيما بينها حول إثبات أن اليمن كان مقام مدن مزهرة بلا ريب كمدن مصر القديمة، ولها حضارة متقدمة. يقبع حطامها اليوم تحت وطأة الغبار. ويدل على رخاء مدن اليمن الكبرى قدمها وامتداد علاقاتها التجارية. ومن الصعوبة بمكان أن نظفر في التاريخ بشعب كانت له علاقات تجارية ذات بال على غير ما حضارة. والحال أن علاقات العرب امتدت لأطراف العالم المعروف آنذاك واستمرت منذ عهد سحيق، إذ أن "الكتاب المقدس" أو ما لذلك..

1. المصدر نفسه.

2. في كتابه "حضارة العرب".

وأضاف هذا المؤلف، في أدنى السياق قليلاً (ص : 61) : « على الرغم من العوز الشديد للقرائن الأثرية التي سبقت مكملته ببال المعلومات التي استقينها من الكتاب القدامى، بشكل يسمح بحس حضارة متألفة في ماضي البلاد العربية نسيت اليوم، رهن رصد تاريخها.. »

كان العرب الذين هاجروا نحو الأنحاء والقارة المجاورة منذ بعض آلاف السنين، ورثة حضارة متألفة وعرفوا فن البناء (العمارات ذات الطوابق العديدة، الحواجز، السدود)، وفتيات الزراعة وجر المياه والتجارة وملاحة أعالي البحار وعلم الفلك والأدب ... تكلم G. Lebon عن الثقافة العربية قائلاً : « الواقع أن أي أدب أو لغة لا قبل بارتجالهما، ووجودهما لهو شاهد على ماضٍ سحيق. فلقد أفضت دائماً العلاقات العريقة مع الأمم الأكثر تحضراً إلى الحضارة بالشعوب سريعة القابلية للتأثر، وقد أقام العرب كفاية الشواهد على أنهم من ذلكم الصنوّ. فمن أجل التجاح نهاية في خلق سلطة واسعة وحضارة جديدة¹ في أقل من قرن، يستدعي استعدادات هي دائماً ثمرة تراكم وراثي طويل، وبالتالي ثمرة ثقافة عريقة سابقة .. »

2. 1.3. الملكة العينية²

هي مملكة الجنوب التي لها أقدم وأطول تاريخ، حسب أقوال المؤلفين الإغريق والرومان (سطاربو وديودور الصقلي وقلين). معين [باليم المفتوحة] أو معان [باليم المضمومة] كانت العاصمة. وقد اكتشفت بقايا أثارها سنة أربع وسبعين وثمانمائة وألف 1874 للميلاد (الموافق لواحد وتسعين ومائتين وألف 1291 هجري) من طرف J. Halévy ثم من بعده Josong Glaser.

وهناك كتاب قدامى أمثال سطاربو وديودور الصقلي -أخذ عنهم كتاب آخرون محدثون- تكلموا عن الملكة العينية على أنها مملكة ظهرت

1. يتعلق الأمر بالحضارة العربية الإسلامية.

2. بعض المؤلفين يكتبونها "معانية".

في جنوب شبه الجزيرة العربية (اليمن)، نحو منتصف الألفية الثانية قبل الميلاد. في حين أن جلّ المصادر تعزو الفانقيين لأصل شرق وجنوب شبه الجزيرة العربية. علما بأنّ الفانقيين كانوا حضورا في بلاد كنعان في بداية الألفية الثالثة ممّا سبق العهد المسيحي، وعلى ذلكم العهد كانت الحضارة الفانقية متألفة، يمكننا القول بأنه في اليمن (البلاد العربية السعيدة)، وقبل الألفية الثالثة هاجر فرع من فروع شعب إلى فانقيا، ناقلا إليها حضارته ولسانه.

ولا نغادر سياق الملكة المعينية التي ذكرها المؤلفون، وقد بلغنا أن أرضها جاورت الأراضي الفانقية وبلاد مدين ودودان ومملكتي بلاد الرافدين ومصر. وقد خفي عن الكتاب القدامى -الذين لم يحصل لهم علم بالاكتشافات الأثرية التي توصل إليها في منتصف القرن العشرين الميلادي (الموافق للقرن الرابع عشر للهجرة)، فهم يجهلون بالتالي وجود مملكة في أرخبيل البحرين، لها عاصمة اسمها دلمون التجارية، وفي جنوب شرقي شبه الجزيرة العربية، بلاد مجان، وهي ممون ناحية الرافدين الأساس بالتحاس. وإذا ما درسنا الاسم مجان أو مجون، فمن الممكن ربطه باسم علم فانقي، مجون¹. وهذا التقارب مع الفانقيين وتماشيا مع ما ذكره أروادوت وسطرابو بصدد متقدمي الذكر هؤلاء، يفضي إلى أن أصولهم ترجع إلى البلاد العربية السعيدة. وفي اعتبار الكتاب القدامى لا تتحدد البلاد العربية السعيدة فقط في جنوب شبه الجزيرة العربية (اليمن) ولكنها تشمل أيضا المناطق الشرقية، أي بلدان الخليج العربي (البحرين، عمان ...) وحضرموت.

تشير الكتابات النقوشية المكتشفة حديثا (في النصف الثاني من القرن العشرين الميلادي، الموافق للقرن الرابع عشر الهجري)، المتناثرة في جميع أطراف شبه الجزيرة العربية (في شمالها كما جنوبها وشرقها) والتي يسميها المؤلفون "النقوش الثمودية"، إلى كتابة واحدة ولكن لا تحيل ضرورة على الأهالي

1. حسب Z. S. Harris مجون، هو اسم علم فانقي (في كتابه "صرف ونحو اللغة الفانقية").

ذاتهم. صرح¹ Ph. Lippens بصدد النقوش التمودية : . يصف هذا الاسم بطريقة غير دقيقة بعض قبائل شمال البلاد العربية، قوم ثمود الذي نعثر على آثاره على الأقل حتى اليمن. ولقد طرحت التسعة آلاف (9000) نقش التمودية التي عثر عليها خلال الحملة العلمية إشكالية تشتت هؤلاء العشائر بل وتواجههم تحت هذا الاسم الخاص..

يأتي ترتيب التموديين، الذين يلقبون باسم سلفهم ثمود، زمنياً بعد قوم عاد، الذين خلفوا أنفسهم قوم نوح. وهو ما يعني أن التموديين تواجدوا في شبه الجزيرة العربية آلافاً كثيرة قبل العهد المسيحي.

هو التاريخ المتزامن مع وجود مملكة دلمون، أكثر من ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد، والمتوافق مع إشارة² P. B. Cornwell للتلمونيين في العصر القلري (البرونزي).

تشير الكتابات المنقوشة البابلية التي تروي أخبار الأيام لنار-رم-سين نحو خمسين وسبعمائة وثلاثة آلاف (3750) قبل الميلاد³، للمعنيين (أو الميناويين) على أنهم عمالقة، أصولهم من العراق (بلاد الرافدين). وقد ذكر هذا الاسم مكتوباً "معانيين" في "العهد القديم" (كتاب أخبار الأيام الثاني)، كما لح إلى العمالقة في القرآن الكريم، بصدد ذكر قوم عاد، خلفاء قوم نوح :

﴿مَرَّا ذَكَرْنِي فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً﴾ (سورة الأعراف- الآية : 69).

حسب ما ورد في "العهد القديم"، تموقعت الملكة المعينية في جنوب شرق البحر الميت. وعلم ياقوت وجواد علي، ديدان (دودان) والعلاء في شمال الحجاز، وهما اسماً أهم مدينتين معينيتين. وكتاب آخرون عرب وأروبيون

1. في كتابه "رحلة استكشافية في البلاد العربية الوسطى".

2. في "المجلة الوطنية لاستوصاف الأرض". أفريل-1948.

3. يؤرخ مؤلفون آخرون (مثل B. Hrozny) حكم نار-رم-سين، ما بين عشرين وثلاثمائة ألفين (2320) وأربع وثمانين ومائتين وألفين (2284) قبل الميلاد.

على حدّ السّواء حدّدوا سكنى التّموديين في منطقة وادي القرى (قرب الحجر)، في شمال مكّة المكرّمة. إذا لقد أقام المعينيّون في شمال شبه الجزيرة العربيّة، قبل هجرتهم نحو الجنوب، تماما مثل السبئيين الذين عوّضوا الأولين (المعينيّين) في الشمال كما الجنوب.

يوسع تاريخ المعينيّين وقرابتهم القوميّة والثقافيّة بالفانقيّين تفسير التشابه في أحرف الهجاء الفانقيّة والمعينيّة الذي أشار إليه Hummel ، الكتابة العربيّة الجنوبيّة هي في الأصل عربيّة شماليّة، حيث عناصرها المكوّنة ممثلة في الكتابات التّموديّة، واللحيانيّة والفانقيّة. وتطوّرت الكتابة باتجاه العربيّة الجنوبيّة مع موجات الهجرات المعينيّة، ثمّ السبئيّة في اليمن.

ويمكننا الآن التفهّم بصورة أحسن تقسيم اللّغات العربيّة الذي اقترحه الكاهن القانونيّ G. Ryckmans ضمن فئتين¹ :

- العربيّة الشماليّة، تنقسم إلى اللحيانيّة والتّموديّة والصفانيّة، في حين أن التّموديّة استعملت بشكل معتاد بعيدا في جنوب مكّة المكرّمة،

- العربيّة الجنوبيّة تجرّأ إلى لهجات مختلفة : السبئيّة من جهة، ومن جهة أخرى اللّجات المنتسبة إلى الميناوية، وهما القتبانيّة والحضرموتيّة.

وهكذا نجد أنفسنا بين يدي مملكة معينيّة كبيرة، سابقة للألفيّة الثالثة، تستغرق جزءا كبيرا من شبه الجزيرة العربيّة : وهي ما تسمّى بمملكة دلمون، أو مملكة العمالقة أو بلاد مجان، أو المملكة التّموديّة، والواقع أنّ هذه المملكة دونما ريب، هي من سمح بهجرة جزء من شعبها نحو شرق البحر الأبيض المتوسط (بلاد كنعان) ثمّ بعدها نحو آفاق آخر وراء الجبال والبحار.

فضلا عن هذا، فقد عثر على آثار تواجد تجاريّ للمعينيّين في الجزيرة (مصر) وفي جزيرة دلس (بحر أجا) وفي أور (في بلاد الكلد). وهذا التواجد خارج شبه الجزيرة العربيّة (بمصر وأجا) أو في تخومها (بلاد بابل) يذكّرنا بإشارة

1. "رحلة استكشافية في البلاد العربيّة الوسطى" J. Ph. Lippens.

سطاربو حيال بلاد اللوذ (لوذا): ، لقد حملت لوذا في الأصل اسم معان ... أسماء موسيون ومعانيون ومعينيون تنعت شعبا واحدا، وهو ما يقوم حجة على الرابط الحميمي الذي كان بين اللوذيين والموسيين ..

لقد رأينا في كتاب سابق¹ الأصل السامي أو العروبي للوذيين، مع إشارة Ph. le Bas (في كتابه "آسيا الصغرى منذ العصور الأقدم"، ص. 31) : ، خضع كل من لوذا وموسيا لملك واحد، هو مينا أو معان (والد عطاء، السلف الأسطوري للوذيين) منذ القرن الخامس عشر قبل عصرنا، هذا الملك أسس عبادة قبائيل (آلهة الطبيعة) وعطاء (آلهة أناضول) .. وهو ما يثبت أن المعينيين (يطلق عليهم سطاربو اسم الميناويين) استعمروا هذا الجزء من آسيا الصغرى محتفظين بالاسم ذاته، "المعانيين".

علاوة على ذلك، نستطيع إجراء تقريب علمي² (بين أسماء الأعلام) بين الملكة المعينية والحضارة الميناوية لقرتا، التي سميت تبعا لميناو، أول ملك للجزيرة وابن الفانقية عروبا أخت قادم الفانقي .

وإذا ما علمنا أن المعينيين ذوو أصول رافدية، فسنتفهم بصورة أفضل تسمية الحضارة الميناوية المرتبطة بجزيرة قرتا. ولهذه العلة أشار B. Hrozný² أن : ، المخطوطات المنقوشة القرطوية تقر التأثير الخطير الذي كرسه بابل (بلاد الرافدين السفلى) على قرتا في انعهود الأقدم .. كانت قرتا في عهد حكم سرجون (جن نار-رم-سين ومؤسس الملكة الأكادية) حسب المؤلف نفسه : ، مستعمرة بابلية : والدليل وجود أسماء كثر لأماكن بابلية في التصوص القرطوية .. في موضع أدنى من الكتاب نفسه يخبرنا B. Hrozný أن : ، نار-رم-سين احتل أيضا بلاد مجان، متاخمة للبلاد العربية، من حيث جلب النييوريت (صخر بركاني متبلور) لتمثيله ونقوشه ..

1. عنوانه "العرب في أوروبا قبل العهد المسيحي".

2. في كتابه "تاريخ آسيا الغربية، الهند وقرتا".

كانت مجان، على سواحل الخليج العربي (عمان اليوم) في الألفية الثالثة، المؤمن الرئيس بالتحاس لناحية الرافدين.¹

حسب المؤلفين، وطأ القرطونيون شبه الجزيرة الإغريقية في جنوب البلاد (بلو بتاس)، نحو القرن التاسع عشر قبل الميلاد، واصطحبوا معهم حضارتهم، ثم تبعهم بعدها الميناويون الذين اجتاحتها شبه الجزيرة الإغريقية قدوما من مناطق آسيوية. وبخصوص هؤلاء الأخيرين كتب Severyns² :
امتزج الميناويون ذوو الأصول الإغريقية في جنوب البلاد (بلو بتاس وأرجوليطة)، بالأهالي المحليين من سلالات أخرى وانتهى الأمر بتسلم مقاليد الأمور للأولين ... ثم احتكوا بميناويي جزيرة قرتا وتأثروا بهم وبحضارتهم ..

وبما أن الميناويين يقال أنهم من أصل إغريقي، فينبغي أن ندرك إذا أنهم من أصل فانقي (أي معيني أو قرتوي) لأنه، بالتسبة لنا³، يختلط الإغريق والفانقيون في التسمية. والميناويون (لبلاذ الإغريق) ليسوا سوى العينيّين.⁴

وتماما مثلما قاربنا بين الاسم ميناو (ملك قرتا) واسم مينا (ملك لوزيا)، واسم أول ملك للملكة المصرية الموحدة مينا، الذي حوّره المؤلفون الأوروبيون إلى "Ménès". فإتنا نعلم من التصوص الأساطيرية أن "الضوء" (Zeus) بعد خلع الأميرة الفانقية عروبا قدم إلى قرتا في شرم مصرّة (بحر ليبيا) الذي يتواجد في مركز المنطقة الساحلية جنوب الجزيرة.

وليس توافق اسم هذا الشرم مع اسم مصر وليد الصندفة العلمية، فحتى في شمال شرم مصرّة نجد جبل أيّدا (صنو ذلك الوجود في آسيا الصغرى)، وكذا أسماء أخرى ذات تناغم عربي.

1. وهو ما صرح به S. Méry رئيس المهمة الأثرية لـ CNRS (باريس) في الإمارات العربية المتحدة.

2. في كتابه "بلاد الإغريق والشرق الأدنى قبل عمر".

3. انظر كتابنا : - "العرب في أوروبا قبل العهد المسيحي".

- "تاريخ الاستعمار العروبي في بلاد الإغريق القديم".

4. لقب ديودور الصقلي وسترابو العينيّين بـ Minaei.

كتاب كثر، منهم¹ S. Alexiou يخبروننا بأن : ، نحو الألفية الثالثة قبل الميلاد قدم أهال من آسيا الصغرى مهاجرون نحو الأرخبيل الجنوبي لبحر أجا وجزيرة قرتا وبلاد الإغريق القارية. وقد جلب هؤلاء الأجانب معهم التحاس ... وفي الوقت نفسه وفدت موجة مستعمرين ثانية قدموا من ليبيا وانتصبوا على قرتا الجنوبية. ومع إدخال التحاس واستعماله في صناعة الأدوات والأسلحة، بدأ عصر جديد في قرتا مضربا عن نمط معيشة عصر الحجر المصقول البدائي ..

ولقد رأينا في كتاب سابق² أنه في الألفية الثالثة قبل الميلاد سكن آسيا الصغرى أساسا الفانقيون والسوريون. وبهذا الصدد صرح³ E. Curtius : ، كانت قرتا متموضعة بشكل جيد يسمح بمتابعة العلاقات بين بلاد الإغريق وليبيا. وكانت مدينة إيطائس⁴ (وصيادو الأرجوان التابعون لها) على اتصال بجزيرة ثيرا⁵ وقد وُهب تاريخ هذه الجزيرة وثبة جديدة بمجيء عائلات غادرت جبل التاج في جنوب البلاد. كان هؤلاء المهاجرون من بني أجا، أي عائلات فانقية رجعت إلى الشرق من حيث أنت رأسا ،. وفي الكتاب نفسه يؤكد Curtius وجود الاستعمار القديم في جزيرة قرتا : ، في حين قدم مهاجرون كنعانيون من سورية ومن مصر السفلى وتوطنوا البلاد مبكرا وبوفود جد معتبرة قياسا إلى أجزاء التطاق الفالجي الأخرى. فقد أصبحت مستعمراتهم حصونا قوية منيعة، كما تبين الأسماء الفانقية لدن مهمة؛ مثل إيطائس وقرت، التي سميت فيما بعد كنوسس ..

1. في كتابه "قرتا القديمة".

2. في كتابنا "العرب في أوروبا قبل العهد المسيحي".

3. في كتابه "تاريخ إغريقي".

4. مدينة في قرتا.

5. حسب الروايات : تسمت ثيرا بهذا الاسم وهو لقب حاكم سابق لزافرة، هاجر إلى هذه الجزيرة، وهو فانقي الأصل ... سكان هذه الجزيرة هم ذرية اتباع قادم، ومن بينهم الفانقي مينا-بعل-رأس، أحد أقاربه. بطو، ابن ابو لونس، الذي سيصير ملكا لقورن في ليبيا، وهو أحد مواطني ثيرا.

يمكننا القول بأن انصهار الأهالي الوافدين من فانقيا ومن آسيا الصغرى ومن بلاد الرافدين من جهة، ومن ليبيا ومصر من جهة أخرى، أفضى إلى تشكيل الشعب القرتوي، وكان نقطة انطلاق الحضارة الميناوية. وفي هذا الخصوص كتب S. Alexiou¹ : إن كثافة التبادل مع مصر ومع أهالي آسيا الصغرى الساحليين وأهالي سورية كرسّت أيضا تأثيرا إيجابيا على تطوير الفنون. وبهذا -على سبيل المثال- فإن قرتا مدينة لهذه البلدان بفن عمل الحجارة والمعدن ..

وقدّر بعض المؤلفين، مثل محمد عزة دروزة² أن استغلال مناجم النحاس والمعادن الأخرى عرف في مصر قبل السلالة الملكية الأولى. وهي الممارسة التي أدخلت بفضل موجات مهاجري شبه الجزيرة العربية الذين قدموا وادي النيل سواء عن طريق الشرق (سيناء والدلتا) أو عن طريق الجنوب (ساحل البحر الأحمر)، مرفوقين بحضاراتهم وطقوس موتاهم ودياناتهم وفنونهم وكذا تنظيماتهم الاجتماعية والسياسية. وهذا قبل أول مملكة موحدة لمينا، وهو ما شهدت عليه ألواح الأردواس المنحوتة بأشكال مختلفة مرتبطة بهذا العصر.

تكميلا لهذه العطيات الكتابية المنقوشة والأثرية (التي أشار إليها عالم الآثار Evans منذ تسعمائة والف -1900- ميلادي، الموافق لثمانية عشر وثلاثمائة والف -1318- هجري فيما يتعلق بالتأثيرات المصرية) والمعطيات الحضارية المرتبطة بتأثيرات مصر ومنطقة بلاد الرافدين في قرتا، فهناك معطيات لغوية كشفها الأساني³ B. Hrozny : إن مسألة تشفير الكتابة القرتوية الخطية "ب" (من خمسين وأربعمائة والف -1450- إلى مائتي والف -1200- قبل الميلاد)، التي كتبت بها أغلب المخطوطات المنقوشة، قد حلت بفضل كتابات آسيا الغربية (الحثية بالخط المقدس القديم، الكتابة ما قبل الهندية، السمارية البابلية، السينائية)، وبصفة أبلغ بفضل الكتابة الفانقية من جهة، والخط المقدس القديم المصري من جهة أخرى ..

1. مصدر سبق ذكره.

2. مصدر سبق ذكره.

3. مصدر سبق ذكره.

يؤكد لنا هذا الاستطراد حول الحضارة الميناوية في قرتا وحول أول مملكة موحدة في مصر، حقيقة تطابق الأسماء بين ملك قرتا المسمى ميناو والحضارة الميناوية وميناوي بلاد الإغريق وملك مصر مينا من جهة، والمملكة العينية ومجان (في شبه الجزيرة العربية) والمعانيين في آسيا الصغرى من جهة أخرى.

وبهذا قد وجدت مملكة عروبية كبيرة قبل الألفية الثالثة، امتدت على أكبر جزء من شبه الجزيرة العربية، وصلت إلى شرق البحر الأبيض المتوسط بداية من الألفية الثالثة بوساطة أحد فروعها، ألا وهي المملكة الفانقية.

وبفضل التوسع السياسي والإقليمي للمملكة الأكادية، وتأسيس احتكار تجاري وملاحي فانقي، فقدت المملكة العينية أهميتها أو خبت، لتظهر من جديد، ولكن هذا الطور كمملكة جنوبية نحو منتصف الألفية الثانية قبل العهد المسيحي.

2.3.2. مملكة سبأ

كان السبئيون في الأصل بدوا ثم تحضروا في اليمن. وتبدى قوتهم في ضعف المملكة العينية، نحو ثمانمائة (800) قبل الميلاد. تمتد مملكتهم على حساب المملكة العينية، وبعدها عاوضتها كلية وببساطة في إرث مجالها التجاري.

وكانت أول عاصمة صرواح ثم تلتها مارب. وامتدت أرض سبأ نحو الشمال إلى غاية واحة ديدون، كان الحجاز (الذي يشمل مدن مكة المكرمة والمدينة المنورة) مدمجا في هذه المملكة. كما تبلغ حدودها في الشرق حضرموت وخليج عمان.

كانت الزراعة، خلال هذه الحقبة جد متطورة. وجرى تشييد سد مارب سنة خمسين وستمائة (650) قبل الميلاد (٩) بغية سقي أراض جديدة وتخزين مياه الأمطار والسيول. ثم بنيت بعد ذلك سدود أخرى، مما جعل من المنطقة كانتها جئات عدن.

4.2. في البحر الأبيض المتوسط

كان الفانقيون، عروبيو الشمال (فلسطين ولبنان وسورية الساحلية اليوم) بخارة عتاة وبسطوا سيادتهم على كل البحر الأبيض المتوسط (من بحر أجا إلى الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط) واستعمروا كافة الجزر (من صقليا إلى غاية أرخبيل الباليار).

بداية من الألفية الثالثة قبل العهد المسيحي تمتعت المدن البحرية من فانقيا كل منها بحكم ذاتي واسع في ظل الاتحاد العهدي المرن نوعا ما، وأصبحت بالتطور والتوسع الاستعماري حواضر يحكمها أمير أو ملك. وأشهر هذه الحواضر وأشنها قوة هي ثور (سور أو صور). وشيد معبد "ملك القرية" (آلهة كنعاني) حسب ما روي نحو سنة خمسين وسبعمائة وألفين (2750) قبل الميلاد.

وكان البخارة التجار الفانقيون بالخصوص من احتكر فعلا في هذا العصر العلاقات التجارية في جميع بلدان البحر الأبيض المتوسط. فقد أهلهم عتوهم الملاحية والتجاري بداية من فتح مراكز نفوذ تجارية في شمال كما في جنوب البحر الأبيض المتوسط، ثم بناء موانئ، ونهاية تأسيس مستعمرات سكانية ومدن في أروبا (بحر أجا وقبرس ومالطا وصقليا وإيطاليا وفي المناطق الأذريوتية وسردانيا وقرسيكا وإسبانيا وكذلك في جنوب فرنسا الحالية) وعلى جميع الساحل الإفريقي، وصولا إلى المحيط الأطلسي.

أسس الفانقيون قادس (مدينة قادس) على المحيط الأطلسي نحو مائة ألف (1100) قبل الميلاد. وهذا يفترض أنهم عبروا أعمدة عركنيل (مضيق جبل طارق) في أقرب تقدير خلال القرن الثاني عشر قبل الميلاد. ومن هنا سيطروا الطريق البحري للقصدير، وهو المجلوب من يريتانيا (جزر القصدير أساسا).

وقد أشار ¹G. Lebon إلى تواجد الفانقيين في أروبا الغربية خلال الألفية الثانية. حيث كتب : ، كانت تجارة الفانقيين تتم بخاصة عبر البحر، كما استفادت أيضا من الطرق البرية، بل قد فتحت آخر جدد. فمثلا

1. في كتابه "أولى الحضارات".

قبل عبور أعمدة عركئيل وإيجاد مسلك بحريّ إلى غاية الجزر البيريتانية، اتجر الفانقيّون مع هذه الجزر بوساطة قوافل تجتاز جاليا، من مرساليا وصولاً إلى الضفاف التي نسميها مضيق كلت ..

فقد كانت مرساليا بالتالي، وحتى قبل القرن الثالث عشر قبل الميلاد، مدينة فانقية تسمى مساليا. وفي الكتاب نفسه يؤكّد G. Lebon تواجد الفانقيّين (ما لم يكن استعمارهم) في مصبّ نهر الأردن (خليج البندقية)، حيث صرّح : « وأيضاً بفضل قوافل تجوب جرمانيا استطاع الفانقيّون عند مصبّ الأردن استلام العنبر الملتقط على ضفاف بحر البلط، حيث لم تذهب سفنهم قط لذلك البحر ..

أما بالنسبة لنا، فقد دندنا -في أحد كتبنا-¹ على أنّ الفانقيّين قدموا بحر البلط (جنوب إسكانيا، شمال ألمانيا وروسيا الحالية). لقد كان الأجايون والإغريق والثوراويون قروناً عديدة قبل غزو القبائل الهلانية (ذات لسان هندي-أروبي) لبلاد الإغريق عروبيين (سوريين-فانقيّين ورافديّين ومصريّين)². وبهذا الصدد يقرّ G. Lebon³ بأنّ : « أهمّ مراكز التفوذ التجارية أو المستعمرات للصيّدائيّين كانت تلك الموجودة في كلّ من : قبرس وقرتا وقيليقيا وفروس وتازس، إلخ. فقد أبجروا سفناً في البحر الأسود إلى غاية بلاد الكلش⁴ ... وبهذا العهد أيضاً يلحق تأسيس طيبة في بيوتيا من طرف الفانقيّ قادم ..

لقد رأينا في كتاب سابق⁵ أنّه مثل اللانوب (الذي يصبّ في البحر الأسود) فإنّ نهر بولغا (يصبّ في بحر قصوين) يرتبط بطريق علم للمهاجرين العروبيين، طريق العنبر بالنسبة للتجار المصريّين-السوريّين-الفانقيّين، بل لقد

1. في كتابنا "العرب أسلاف الجاليّين" ٢.

2. انظر إلى كتابنا "العرب في أوروبا قبل العهد المسيحيّ".

3. في كتابه "أولى الحضارات".

4. أورد المؤلف أقوال سطرابو في "استوصافه للأرض".

5. في كتابنا "العرب أسلاف الجاليّين" ٢.

ذكرنا بعض أسماء الأماكن من أصل عروبيّ مرصوفة على طول هذا النهر من بحر قصوين حتى المناطق المجاورة لبحر البلط.

ومع طرق القصدير والعنبر نلاحظ خلال الألفية الثانية قبل العهد المسيحيّ أنّ موجات هجرات من بلاد الرافدين وسورية أو مصر عموماً، وفانقيا خصوصاً استعمرت مناطق كثيرة من أوروبا وآسيا (من البحر الأسود ومن بحر قصوين إلى المحيط الأطلسي، ومن البحر الأبيض المتوسط إلى بحر البلط) وهكذا ارتبطت طرق العنبر بطرق القصدير.

كما أنّ الضفاف الآسيوية لبحر أجا استقبلت هي الأخرى زيارات السفن الفانقية. انطلاقاً من جزيرة ورد -التي تفتح بحر أجا- التضاريس المتقطعة للسواحل والخلجان العديدة التي تتيح رسواً آمناً للمراكب من العواصف العاتية السائدة، قد سمحت للفانقيين بفتح مراكز نفوذ تجارية على طول الساحل الآسيوي وصولاً إلى ثورا، المدينة التي تحدّد مدخل مضيق بوغاز. ووجدوا هنالك أهالٍ استقبلوهم بحفاوة وتحققوا من أخوتهم في العرق، يتكلمون اللغة نفسها ويعبدون الآلهة ذاتها، ويمارسون الثقافة عينها.

ولقد كانت آسيا الصغرى عقوداً بعد الظهور الملحوظ للفانقيين بشرق البحر الأبيض المتوسط، مسرح الأحداث الكبرى التي لو ما المؤرخون المصريون لظلت مدفونة في ثنايا التاريخ.. وحسب أروادوت، لقد أخضع الفرعون سحو-رع (من الأسرة الخامسة)، الذي بدأ حكمه سنة سبعة عشر وسبعمائة والفين (2717) قبل الميلاد¹، آسيا الصغرى، وفي كل منطقة محتلة نصب أعمدة تحمل كتابات تحوي اسمه واسم وطنه وتفاصيل القوى التي اضطرّ إلى استخدامها لإخضاعها.

ومنها مرّ سحو-رع إلى أوروبا أين أخضع الإسكوتيين والأطراق. يؤكد ديودور الصقلّي الحقائق التي نقلها أروادوت ويصرّح بأنّ سحو-رع بعد فراغه من

1. هذا التاريخ يراه M. Bunsen (أورده Ph. Le Bas)، حسب الرجوع إلى المباني المصرية.

إخضاع آسیا والجزء الأكبر من الأرخبیل الجنوبيّ لبحر آجا تحت سلطته، نفذ إلى بلاد الأطراق (طراقیا) ودخل أروبا.

حينما قرّر الفرعون سحو-رع الرجوع إلى مصر كان لابد من أن يعهد بسلطته، وأن یكل آسیا الصغرى لمستشاریه ومقطيعه الفانقیین. واقتصر على أن يفرض كما على سائر البلدان المقطعة إتاوة سنویة، أبدى الفانقیون قبولها والترحيب بها، باعتبار الثراء الطبیعی لهذا البلد وخصوبة أرضه. وبهذا تحولت مراكز التفوذ الفانقیة على بحر آجا بالتدریج إلى مستعمرات سكانية، وأصبحت بعدها مدنا بحریة مزدهرة. ودُعمت هذه المستعمرات بأهال فلاحین محلیین من داخل البلاد، الذین عُنوا أولاً بالأسواق الفانقیة، ونال منهم سحر المدن، فانتھوا إلى المدنیة.

الفصل الثالث

الموطن الأول لمتكلمي اللغات العروبية

1. المهـد الأول للتـاطقـين بالعربية

بعد أن كانت محل أخذ ورد، حظيت الأطروحة المتعلقة بالأصل العربي الجنوبي للعرب من قبل جميع العرب بالترحيب، وتبناها أغلبية الكتاب الأوروبيين. أما الأطروحة الثانية والتي لم تنل الترحيب إلا من نفر قليل من الكتاب فهي المتعلقة بالأصل الإفريقي للعرب (في القرن الإفريقي). في حين أن الأطروحة الثالثة تفترض الأصل الشمالي (أعلى بلاد الرافدين أساسا) مدعومة بكتاب يعدون على الأصابع. أما بالنسبة لنا فإتنا نذب عن الطرح الشمالي، وبصورة أدق : ذلك الذي يحدد المهـد الأولي للعرب، أو بالأحرى المتكلمين بلغات عروبية، نحو مناطق شمال بلاد الرافدين والقوقص. وغير ما حجة ترفع لصالح هذا الطرح.

1.1. الأدلة اللغوية والعلمية

(أ) - هنالك ظاهرة ينبغي التنويه بها : لقد قادنا بحثنا من أجل تحرير موضوع كتاب سابق "إيريا وبربريا" إلى التعرف على موطن الإير الأول ألفيات كثر قبل العهد المسيحي. في مناطق جنوب القوقص، بين البحر الأسود وبحر قصوين. وكانت إحدى هذه المناطق تحمل اسم إيريا . في شمال أرمانيا.

ويرى¹ B. Hrozný في هذا الاسم -إيريا- عاملا يشفع لصالح فكرة هجرة أهال بشرية انطلاقا من هذا الموطن الأصلي نحو شمال إفريقيا : . فيما يبدو، لقد هاجر الحاميتون أولا انطلاقا من جنوب بلاد القوقص، وبعدها تلاهم

1. مصدر سبق ذكره.

الساميون، منتشرين في آسيا الغربية من جهة، وشمال إفريقيا من أخرى ... والإير هم ممثلو الحاميين، يتكلمون لغة ذات مكونات حامية ملحوظة. ويرتبط هذا الاسم (إيريا) بالإير القوقسيين

ومن جهته كتب A. Garrigou¹ : . إذا كان الإير، الذين قدموا من جنوب القوقص مع أفواج آسيوية أخرى، قد أعطوا أسماءهم لإيسبانيا، فهذا يعني أن هذه القبائل الليجوية (الإسكوان، الإوسك، البابرقة، الويسك) اعتبرت من قبل المؤلفين القدامى كإيرية، مما يدلنا على أن من بين جميع هؤلاء المهاجرين الآسيويين، كان الإير الأقوى وقد أقر مؤلفون قدامى آخرون أمثال، فلين وبرون وسطرابو وسلوست بهذه الظواهر التاريخية واللسانية.

(ب)- صرح G. Lebon في كتابه "حضارة العرب" أن : . لقد برهنت لنا اللسانيات أنه في عهد جد عتيق²، كانت جميع هذه المناطق الواسعة، التي تنحصر بين القوقص وجنوب جزيرة العرب مأهولة بشعوب ذات لغة واحدة، إن لم يكونوا من عرق واحد..

(ج)- لقد سمح لنا موضوع عالجنه في آخر كتبنا مسوم بـ "الرحلة المجهولة للغة قديمة : البربرية-من الإمالين إلى الأرضوان" بالتعرف على الأصل الإيري (أو البربري) من تسميات الأماكن والأنهار والجبال والشعوب، ليس في جنوب القوقص فقط بل وفي شمال هذه السلسلة الجبلية، ما بين البحر الأسود وبحر قصوين. كما يتستى لنا ذلك من المعنيين المزدوجين لأصل كلمة واحدة (من الأصل الفانقي والإيري أو الإيري-البربري).

(د)- لقد أكد كثير من المؤلفين القرابة اللسانية بين الإيرية "الأروبية" والبربرية من جهة، وبين البربرية ولغات القوقص الجنوبية من جهة أخرى.

1. في كتابنا "الإير. إيريا".

2. قبل العهد الإبراهيمي.

هـ- الكتاب القدامى قاطبة يحدّدون موقع كلدا الأولى في شمال بلاد الرافدين، في أرمينيا وفي البحر الأسود (المناطق الساحلية) مع الأكراذ أو الكلد. وهو ما يفسّر لنا تسمية بلاد بابل بكلدا (كلدا الثانية) : تطابقاً مع أطروحتنا بخصوص الوطن الأصلي للمتكلمين بلغات عروبية، وهم أهل سكنوا المناطق الشماليّة ثمّ هاجروا نحو الجنوب، محاذاة لأودية التهرين (دجلة والفرات)، إلى غاية مصبهما، عند الخليج العربيّ. ويُلَمّح لهذه الهجرات من خلال تواجد العائلة الطارحية¹ في أور، في أسفل بلاد الرافدين، حيث أسلاف وجد إبراهيم -عليه السلام- لم يغادروا أعلى بلاد الرافدين. وهو ما يوضّح أيضاً أنّ اللغة البابليّة منحدره من اللغة الأكاديّة.

الحاصل أنّ أطروحات المؤلفين التي حدّدت أصل العرب والمصريين والإير- البربر وشعوب أخرى ناطقة بلغات عروبية في اليمن أو في القرن الإفريقيّ، تحتاج إلى مراجعة، إلّا إذا ما وافقنا -اعتراضاً لكل منطق- أنّ اللغات الباسكية والقوقصية مصدرها اليمن أو الحبشة.

2.1. الأدلة التاريخية والحضارية

أ- إذا ما تقبلنا مصطلح اللسانين الذين يتكلمون عن الجذع المشترك للغات "السامية-الحامية"، فلا مناص من الإحالة على سرد تاريخي مقتضب، يرتقي عهده إلى ما بعد الطوفان. يخبرنا "الكتاب المقدس" ("العهد القديم") أنّ نوحاً -عليه السلام- وأبناءه الثلاثة : سام وحام ويافت وأقاربهم سكنوا بعد الطوفان في منطقة حدّدت تقليداً في الأنحاء القوقصية الجنوبية (أرمينيا وشرق تركيا اليوم)، في شمال بلاد الرافدين، وتكلموا لغة واحدة :

﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ (سورة يونس- الآية : 19).

[وكانت الأرض كلها لساناً واحداً ولغة واحدة] (سفر التكوين).

1. طارح هو والد إبراهيم (حسب "الكتاب المقدس").

- فإذا ما علمنا أن عهد الطوفان يحدّد تقريبا حوالي عشر ألفيات ونيف من الستين قبل بداية العهد المسيحي،

- إذا ما سلف علمنا في كتاب سابق¹، أن أولى هجرات الشرق نحو الغرب بدأت متقدمة للألفية الخامسة قبل الميلاد، نحو وادي النيل وشمال إفريقيا،

- إذا ما استذكرنا أن المصريين والبربر تكلموا لغات عربية-حامية على منوال العرب الجنوبيين والأحباش

يمكننا القول إذاً أن تقسيم الجذع العربي المشترك إلى فرعين -أحدهما عروبي-حامي، والآخر عروبي-سامي- كان في هذا العهد، أي نحو الألفية السادسة قبل الميلاد. أو سابقا لها.

(ب) - في هذه الحقبة²، وكانت بلاد الرافدين مهد إحدى أولى حضاراتها : وهي مرحلة عهد العبيد، تميّز بتشديد العابد والرقورات وصناعة الفخار الذي يطلّى. وتسمح لنا الفخاريات المقدمة في كتاب³ B. Hrozy من خلال مجموعة صور الفخار المطلّى التي تنتمي لعهد العبيد، بملاحظة التماثل البين مع فخاريات بلاد بربريا (في بلاد الجزائر الحالية)، من حيث الشكل كما الرخارف الهندسية المرسومة، وهو ما يساير التزامن المفترض لانطلاق موجات الهجرات الإيبيرية (الإيبيرية-البربرية) من آسيا نحو إفريقيا.

(ج) - وحسب بلاطون في مؤلفه "القوانين" ذكره سطرابو في "استوصافه للأرض، الجزء الثالث عشر" - فإنه يجلس أنه بعد فيضانات كبيرة وكوارث قد كان على البشر سلوك ثلاثة أشكال من المجتمعات جد متباينة :

1. في كتابنا "إيبيريا وبربريا".

2. يبدو أن مرحلة العبيد، التي تشهد عليها الطبقات الأثرية XII-XVII أورك، بدأت نحو القرون الأولى للألفية الرابعة، أو في القرون الأخيرة للألفية الخامسة قبل الميلاد (حسب B. Hrozy) وقد أرجع مؤلفون آخرون بدايته لنهاية الألفية السادسة.

3. مصدر سبق ذكره.

- مجتمع أول، بسيط ومتوحش، يتكوّن من بشر يطردهم الخوف من الماء الذي لا يزال يغطي السهول ليستعصموا بأعلى القمم،

- مجتمع ثان، انتصب على سفوح الجبال الأولى، راح يطمئن شيئاً فشيئاً لمشاهدته بداية جفاف السهول،

- مجتمع ثالث، أقام في السهول ذاتها.

يمكن لهذا الفرض أن يسقط بصورة ملائمة على الإيبر وجبلي القوقص الآخر، الذين هم سكان هذه السلسلة الجبلية، وهم سكان جدّ قدامى بهذه الأقاليم المنيعّة والطمئنة (بالتسبة للمجتمع الأول)، وكذا يصلح إسقاطه على أهل آخرين مجانسين (بالتسبة لشكلي المجتمع الآخرين) ناطقين بلغات عروبية.

(د) - تحقق¹ B. Hrozny من أن أهل حاميين وساميين (عروبيين، حسب اصطلاحنا) أقاموا في المناطق الجنوبية للقوقص تقع بين البحر الأسود وبحر قسوين، أي المناطق الحالية لأذربيجان، وجرج (كرج) وأرمانيا، إلى غاية الجزء الشرقي من الأناضول، الحدود بالبحر الأسود.

وإذا ما تكلم لنا المؤلفون القدامى عن استقرار الفرس والأرمان بإيسبانيا (إيبيريا) في هذا العهد بجوار الإيبر، فالكلام هنا غير متعلق بالفرس والأرمان الذين نعرفهم اليوم وهم يتكلمون لغات هندية-أروبية، ولكن بأهل عروبيين، يسكنون مناطق قسوين والقوقص، ويتكلمون لغات عروبية. وعلى كل حال، فإن استعمال هؤلاء "الفرس والأرمان" اللغات "السامية" أشار له المؤلفون، وقد وصفت هذه الشعوب من طرف هؤلاء المؤلفين أنفسهم بنعت "الساميين". وقد عرف الفرس والأرمان بعدها بهذه الألقاب، وهم يتكلمون لغات هندية-أروبية ولم يظهروا عدا بعد القرن السابع قبل العهد المسيحي، بعد توغل قبائل ذات لغات هندية-أروبية في كل هذه المناطق.

1. مصدر سبق ذكره.

هـ- إن تشابه حضارة بلاد الرافدين والحضارة المصرية (عدد كبير من المؤلفين وافقوا على أن الحضارة الأولى هي إرهاب الثانية)، وتماثل ديانات وشعائر بلاد الرافدين وآسيا الغربية مع الآخر المصرية¹، الاستعارات المعجمية المصرية البيئية من البابلية : كل هذه الظواهر ترفع لصالح قدوم موجات هجرات من بلاد الرافدين والأناضول، إلخ، إلى مصر، سواء عن طريق الشمال (الطريق الذي يسلك ساحل البحر الأبيض المتوسط)، أو عن طريق الجنوب (عابرا اليمن ووادي التيل)، بتفوق العنصر العروبي-الحامي².

و- لقد قطن -في عهد سحيق- الفانقيون والإير (أو الإير-البربر)، شعبان جذ متقاربين لغة وتاريخا، المنطقة نفسها (تنحصر ما بين القوقص والأناضول وشمال سورية وأعلى بلاد الرافدين) واستعمروا بالتواطؤ المناطق ذاتها في آسيا الغربية وفي وادي السند، في الشرق، كما تواجدوا قرونا كثيرة بعدها في الغرب (بربريا وإيريا وجاليا، إلخ). مما يعني أن الفانقيين هاجروا نحو الجنوب (شرق وجنوب شبه الجزيرة العربية) قبل استقرارهم النهائي في بلاد كنعان، في حين يقيم الإير-البربر شطر إفريقيا (بعضهم عن طريق الجنوب عابرا اليمن والقرن الإفريقي ثم وادي التيل، وبعضهم عن طريق ساحل البحر الأبيض المتوسط، مروراً بسيناء، ودلتا النيل).

ز- يخبرنا التاريخ أن مهد أو شعاع الحضارات الخطيرة كان دائما -خصوصا في القدم- منطقة مكثفة بنهر أو أكثر، كحال بلاد الرافدين (ما بين التهرين) أو وادي التيل، مكتفين بذكر هاتين الحضارتين الأهم إن لم نقل الوحيدتين، متقدمتين للألفية الثالثة قبل العهد المسيحي.

1. B. Hrozný، مصدر سبق ذكره.

2. ترتقي الرواية المصرية بأصل المصريين إلى بلاد بون (بنيت) -التي يحددها المؤلفون في اليمن أو الحبشة- ويصرحون بأن هذه المنطقة مقدسة. كتب ديويور الصقلي أن : «المصريون القادمون أصلاهم من جنوب البلاد العربية، وقدموا مصر عبر الحبشة والسودان».

التبرير هاهنا يسير : دون الماء، هذا الأساس الحيوي، لا وجود لأرض خصبة ولا لازمتها الزراعة. ودونما ماء جار وسهل الورود، لا أثر لحصول زراعي (حبوب وخضر وفواكه) ولا أثر للقطعان (غنم وبقر وماعز وإبل، ...) التي تمدّ بالحليب ومستخلصاته، واللحم، والجلود ومشتقات حيوانية أخرى. وجميع هذه المواد الغنائية ضرورية من أجل نظام غنائي متوازن للإنسان والأنعام، ضروري للأعمال المجهدة كبناء العمارات (بناء الأهرامات والسدود، ...)، والفلاح أو الجندي.

في غياب الماء لا تشييد للبيوت ولا الحواجز ولا القصور ولا المقامات اللينة والجنائزية أو غيرها. لولا الماء لما وجدت الغابات ولا غرست الأشجار التي تمون بالخشب لصنع السفن، والتعدين أو أشغال المناجم، ولما وجدت الفخاريات ولا الفخار الفتي، ولما عرفت صناعة التسيج ولا الدباغة. ولوما الأنهار لما كان نقل مواد البناء الثقيلة ولا الأحجار هائلة الحجم، إلخ. إن مزايا الماء كثيرة ومختلفة معروفة. وجملة القول أنه لا تقوم للحضارة قائمة دون الماء.

وأقرب التماذج تمثيلاً لهذه الحالة تقدمه حضارة خطيرة، وهي الحضارة المصرية مع النيل الذي أخصب صحراء، وأنجب حضارة وادي النيل من منطقة البحيرات الكبرى (أو غندا-السودان) وصولاً عند البحر الأبيض المتوسط.

وعلى طرف التقويض، فجنوب شبه الجزيرة العربية متمثلاً في اليمن وحضرموت -اللتين أخبرنا أنهما كانتا في سالف الزمان مشجرتين وبهما غابات غناء (حسب إثعوفرست)- لا يملك أنهاراً كبيرة بوسعها أن تلد حضارة كبيرة. ومع ذلك، فالحضارة العربية الجنوبية عرفت الوجود، ولا يمكن إلا أن يكون تكوينها يرقى إلى منبع آخر، ينحدر من منطقة أنهار كبيرة، مثل وادي الرافدين. لقد كانت الحضارة العربية الجنوبية -بالتالي- حضارة مزرعة مطعمة، سليله حضارة أخرى، هي حضارة بلاد ما بين النهرين.

إن الحضارة العربية الجنوبية نسيج وحدها، ذلك الذي يتلافى مجاري المياه، بإقامة السدود الكثيرة والحواجز التي يسعها تخزين ماء المطر، في هذه

المناطق التي تشهد تهاطلا هائلا، وبالتالي حيازتها نهائيا في أحواض الري من أجل الحاجة الزراعية وحاجة الإنسان. كما يلاحظ ميلاد ممالك قوية وحضارات إقليمية في شمال شبه الجزيرة العربية -مثل مملكة ثدمر، في نهاية الألفية الثانية، والتبطينية بداية من القرن السادس قبل الميلاد- بفعل تمركزها الخطير على الطرق التجارية، وخاصة بفعل وفرة مياه الينابيع.

وفي جميع بلدان العالم العروبي كانت -كما تتواجد اليوم- مناطق سكنية أهلة بالحضر، محاذية للمناطق الصحراوية : في شمال إفريقيا ومصر والحبشة ووسط وجنوب شبه الجزيرة العربية وسورية وفانقيا والعراق كما في فارس وأفغانستان أو الهند.

ما يعني، أننا من يوم لآخر، يمكننا الانتقال من منطقة ذات طابع رعوي إلى منطقة مكرسة للفلاحة، أو العكس، في الجيل نفسه، فالبدوي يمكن أن يصبح حضريا، أو أن يتحول الحضري إلى بدوي، وهكذا، بسهولة تكيف كبرى أو تمثل، من حالة لأخرى.

وهذا ما يتفسر بالظواهر الوراثة للعرب الذين كانوا بدوا كما حضرا على حد السواء، واتخذوا لهم قوتا التمور والحليب في الصحراء، أو جميع أنواع المأكول والفاكهة اللينة بالطبقة الرفهة في المدن. وغور مورد ماء في الصحراء كفيل بجعل الأعراب يهاجرون إلى تجمع سكاني، كما قد يؤدي انبثاق ظروف غير ملائمة (حروب وفيضانات وأسباب اقتصادية-اجتماعية) إلى مور الحضار إلى حالة البداوة، تحت الخيم أو تحت دثار التجوم.

ويمدنا "العهد القديم" بمثال النبي إبراهيم -عليه السلام- الذي ولد في أور¹، بكلدا، وهو ابن أحد وجهاء بلاد بابل، فلأسباب عقدية معروفة، هاجر وأصبح بدوياً، وظل على ذلك الحال حتى وافته المنية -عليه السلام-.

١. أور، في اللغة الأرمية-البابلية تعني "الدينونة". نقف على هذا الاسم في أور سلام. وتعني أيضا "التور" (أورو في الكلدية والفانقية).

جميع هذه التفسيرات التاريخية والحضارية، تسنح لنا المضي قدما بفكرة تموقع المهد الأول للعرب الأوائل -أو بالأحرى المتكلمين بلغات عروبية- الذي كان على الأرجح نحو أعلى بلاد الرافدين والمناطق القوقصية. وليس اليمن، الذي يقدم على أنه مهد العرب إلا مناوبة : فبعد قرون كثيرة من التحضر، هاجر جزء من سكانه أصلهم من الشمال، متوزعين على هجرات آخر. وكانت هذه هي نقطة جديدة لانطلاق حركات التجمعات البشرية نحو الغرب، شطر إفريقيا ووادي النيل أساسا. واستدل المؤلفون من هذا الفائض السكاني المتدفق نحو المناطق المجاورة قدوما من البلاد العربية السعيدة، أن اليمن هو مصدر الهجرات العروبية، أي أن جنوب شبه الجزيرة العربية هو مهد العرب.

هذه المسألة التي تجاهلها هؤلاء المؤلفون ذاتهم، بأنه قبل الألفية الخامسة، كان أصل هجرات العرب يختلف عما هو عليه ... : فقد كانت لموجات الهجرات هذه نقطة انبثاق أخرى، مصدر آخر يقع في ناحية خصيبة، مكتنفة بأنهار، ألا وهي بلاد الرافدين¹.

1. يرافع محمد بهجت القبيسي. في كتابه "ملاح في فقه اللهجات العربيات" لصالح الطرح الشمالي (الأصل الشمالي للعرب) ويقدم شفعا لهذا حججا عدة :

أ/ كون القرابة العجمية تراوح نسبة :

- 75% بين العربية الوسطى، التي يسميها "العدنانية" والأرمية

- 94% بين العربية الوسطى والكنعانية

وفقط 65% بين السبئية (العربية الجنوبية) والعربية الوسطى، هذه الحقيقة اللسانية، كما كتب، ترافع لصالح أصل شمالي للعرب بصفة عامة -بني قريش بالخصوص.

ب/ تسمية الأشهر القمرية، المستعملة في الحساب الهجري، تسمية فضائية-مناخية ذات علاقة بالسنة الشمسية، لا علاقة لها بمحيط أقاليم العربية الوسطى : من مجموع اثني عشر شهرا، ثمانية ذات دلالة متعلقة بالفصول، واضحة ومتمايزة من سورية، بينما أربعة هي أسماء ذات طابع ديني.

ج/ اسم العلم "محمد" كان قليل الاستعمال في الحجاز -خمسة أشخاص فحسب تسفوا بهذا اللقب (من بني قريش)- في حين أنه تظهر في الخطوط الأوقريتية -راس شمرة- في فانقيا.

صرح محمد محفال، في كتابه "مدخل لدراسة اللغة الأرمية" -ذكره محمد بهجت قبيسي- أنه منذ العهود الغابرة، تنقلت القبائل العربية من منابع دجلة والفرات نحو جبال إسكروس والأطلس ...

وأضاف المؤلف أن الدراسات الحديثة تبين أن ساكني شبه الجزيرة العربية استخدموا الجمل، وذلك منذ الألفية الثالثة قبل العهد المسيحي. مما أتاح هجرات كبيرة وتنقلات بعيدة.

كثير من المؤلفين يقدرون أن حضارة بلاد الرافدين لم تسبق فقط زمنياً حضارة وادي النيل، ولكن كانت هي المولدة لها. وهذا الطرح يتوافق مع رصدنا الزمني لموجات الهجرات العروبية، التي وصلت انطلاقاً من آسيا الغربية (القوقص وما بين التهرين) إلى مناطق الهلال الخصيب وعلى سواحل البحر الأبيض المتوسط الشرقية وسيناء ثم مرت لإفريقيا (دلتا النيل)، من جهة، ومن جهة أخرى وصلت هذه الهجرات إلى وسط وجنوب شبه الجزيرة العربية، ثم من هنالك عبرت نحو إفريقيا مجتازة البحر الأحمر.

وكما كانت حضارة بلاد الرافدين نموذجاً أو مولداً للحضارة المصرية، فقد كانت أيضاً مصدر الحضارة العربية الجنوبية في اليمن. فنحن نقف على معالم اشتراك كثيرة علاوة على القرابة اللغوية بين اللغتين (الأكادية والعربية الجنوبية)، في كلا البلدين وفي مجالات متعددة كالفن المعماري والزراعة والرّي وفن الملاحة، إلخ، كما في الشعائر الدينية (مجموع الآلهة وعبادات جد متقاربة إن لم نقل متطابقة)، وكذا الأعراف والحياة الاجتماعية. كما شهد العديد من المؤلفين على وجود أواصر حضارية بين البلدان الثلاثة (بلاد الرافدين ومصر واليمن).

والحاصل أن أطروحات المؤلفين الذين يجعلون أصلاً لعرب الجزيرة وسكان بلاد الرافدين والإير-البربر والمصريين ولشعوب أخرى ناطقة بلغات عروبية، اليمن أو قرن إفريقيا، ليست مستساغة إلا إذا لم نقبل كون الحضارتين المصرية والعربية الجنوبية ظهرتا متأخرتين عن حضارة بلاد الرافدين، وأنها منبثقتان عنها، وإذا قدرنا، على العكس، أن الحضارة اليمنية تقدمت وقدمت مثالا لحضارة ما بين التهرين، لأن الحضارتين تتقاطعان نقاطاً كثيرة مشتركة¹.

1. حسب E. Dhorme، في مصدر سبق ذكره، الهجاء السماري لبلاد الرافدين، يمثل إرهاباً للتهجيات السامية الجنوبية في العدد وطبيعة حروفه الصامتة التي تتوافق مع الصوامت العربية.

فضلا عن هذا

- إذا علمنا أن الإيبر الذين انحدروا من مناطق قوقصية هم أساسا جبليون (جميع تسميات الشعوب القوقصية والمتقاربة معها لها علاقة دلالية بالجبيل) - وقد رأينا هذا في كتاب سابق¹،

- إذا ما طبقنا طرح بلاطون المتعلق بالسكنى الفضائية للجماعات البشرية أو الأهالي بعد التوازل "الطبيعية"،

تأتى لنا أن شعوب القوقص -التي يشكل الإيبر جزءا منها-، مكونة من عناصر بشرية سكنت هذه المناطق الجبلية منذ زمن سحيق يرقى إلى ما بعد الطوفان. يبدو أن هؤلاء الأهالي الأجنيين في الأعالي لم يغادروا (بالتسبة للبعض منهم) هذه السلسلة الجبلية إلا ليهاجروا نحو نواح آخر، بتفضيل تأسلي يسجل لصالح المناطق المرتفعة (التلال والجبال والهضاب العليا)، في إفريقيا بخاصة فيما يتعلق بأولئك الذين سيصبحون فيما بعد بربرا. وأيضا، مطابقة لهذا الطرح، يشير جميع المؤلفين إلى أن اللغة البربرية لغة جذ قديمة. وفي كتاب سابق²، بينا أن البربرية (على غرار الفانقية)، كانت لغة عروبية قديمة.

3.1 أدلة تتوافق مع معاني آيات قرآنية

1.3.1. العرب (الحضر) سبقوا الأعراب (البدو)

- في سورة الحجرات، تتكلم الآية الثالثة عشر عن خلق الله، بعد الذكر والأنثى (الرجل والمرأة)، لشعوب وقبائل. وتقديم كلمتي الذكر والشعب عن كلمتي أنثى وقبائل، على الترتيب وضع ذو دلالة، وهي أن الشعوب (المكونة من حضر) قد سبقت القبائل (المكونة من بدو) -تماما كما سبق خلق الذكر الأنثى-، وكلمة شعوب جمع مفردة شعب، وقبائل جمع قبيلة.³

1. في كتابنا "الرحلة المجهولة للغة قديمة، البربرية".

2. المصدر نفسه.

3. يترجم قاموس Belot الشعب (جمعه شعوب) بـ "tribu, peuple" وشعب (جمعه شعاب من جذر واحد) بـ "طريق في الجبال". "grande tribu"، "مسلك ماء في الأرض"، في حين أن قبيلة (جمعها قبائل) لها معنى "tribu" (عند الشعوب البدو)، أما صحيح البخاري (الجزء الثاني، الصفحة 153)،

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾

- في الآية الثمانين (80) من سورة النحل، ورد ما يلي :

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن يَتْرُوكُمْ سُكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ يُوتَا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾

إن الترتيب في الجملة، الذي يشير إلى المساكن (الصلبة) قبل البيوت المتنقلة (خيم، أكواخ، إلخ.) يفهمنا بأن الحضر ساكني المراكز والقرى أو القصبات سبقوا البدو (الرحل).

- أي كثير (منه الآية التاسعة بعد المائة -109- من سورة يوسف، أو الآية الثالثة والعشرون -23- من سورة الزخرف) يذكر أن الأنبياء إنما بعثوا إلى المدن وسكانها فحسب : فنوح -عليه السلام- أول الرسل في عهد الطوفان، كما جميع أبنائه وأقاربه وعائلاتهم كانوا حضرًا. وليس إلا بعدها تواجد البدو، كنتيجة للهجرات (لبعض منها) نحو مناطق قاحلة.

1.3.2. التسلسل الزمني لأهالي ما بعد قوم نوح حسب نصوص القرآن

إن توالي موجات الهجرات العروبية، في مجملها تتفق مع النص القرآني :

أ/ فحسب نص القرآن (الآية التاسعة والستون -69- من سورة الأعراف)، يأتي قوم عاد، الذين يلقبون نسبة لأبيهم "عاد" زمنيا مباشرة بعد قوم نوح (نوح-عليه السلام- وأبنائه بعد الطوفان) :

﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً﴾

بصدد تفسير هذه الآية ذاتها، يدل مصطلح شعوب على مفهوم نسبة (أو أصل) بعيدة، على عكس مصطلح قبائل، ذي العلاقة بقرب وطيدة.

وكان نبيهم هود -عليه السلام-. ولم يشر إلى اسم هذه القبيلة "عاد" إلا في القرآن، وجل المصادر تومئ إلى أن هذه التسمية عربية : فقد أخبر ابن عباس-رضي الله عنهما- بأن عاد هو أول من تكلم العربية، في حين أن هناك بعض الشهادات تجعل من يعرب¹ أول المتكلمين بالعربية. انتمى بنو عاد، الذين كانوا وثنيين، إلى شعب العمالقة، وسموا نظرا إلى عظم قوامهم وقوة أبدانهم. ولقد أشار "الكتاب المقدس" ("صموئيل الثاني") إلى قوم عملاق، تحت اسم رفع أو رفاعم، قوم ظهوروا متقدمين الأهالي الكنعانيين، (في "الرواية المجمعة للكتاب المقدس"). وفي سياق آخر "التثنية"، هناك إشارة في بلاد موآب، من شعب كبير، كثر وذو قامات فارعة، للأناقم (أو العناقم) وهو الاسم ذاته للعمالقة² يأتي بعد إقلاب وإبدال الميم إلى نون أو لام : وفق القواعد العربية-الفانقية).

وجعل بعض، كمحمد بن إسحاق، هود ابنا لشالح أو صالح، ابن أرفخشذ، ابن سام، وابن عم أبي عاد، وعنده آخرون ابنا لعوص ابن أرم/ عرم ابن سام، وأخيرا، قدمه آخرون كحفيد الحفيد (من الجيل الرابع) لعوص ابن أرم/ عرم. وكانت مساكن عاد شمال حضرموت، غرب عمان³. وحسب ابن عباس -رضي الله عنهما- فقد عبدوا الأوثان : صمود والهتار. وبعد إصرار هؤلاء القوم على وثنيته، أهلكوا بريح صرصر عاتية :

﴿وَأَمَّا عَادُ فَاهْلَكُوهَا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ (سورة الحاقة- الآية السادسة : 6)

ب/ حسب القرآن، يأتي التموديون، الذين يلقبون نسبة إلى سلفهم ثمود، زمنيا مباشرة بعد قوم عاد :

﴿وَاذْكُرْنَا إِذْ جَعَلْنَا خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأْنَا فِي الْأَرْضِ﴾ (سورة الأعراف- الآية : 74)

1. يعرب هو، ابن قحطان، ابن عابر.

2. Amalécites هو رواية ثانية للعمالقة (كما هو مبين في "الكتاب المقدس" في نسخته العربية).

3. لقد اكتشف في شمال حضرموت أوان رخامية، مع محطوطات بخط مسماري، في إحدى المدن البائدة.

ونبيهم هو صالح - عليه السلام -. ويذهب بعض المؤلفين إلى جعل ثمود ابناً لعامر، ابن أرم/ عرم، ابن سام، في حين يشير آخرون إلى أنه ابن عاد، ابن عوص، ابن أرم/ عرم.

كانت سكنى قوم ثمود بين الحجاز وسورية، في جنوب شرقيّ مدين، نحو خليج العقبة. وألحقهم بعض المؤلفين كجزء من العمالة، الذين هاجروا من غرب الفرات، ووصفهم آخرون، بانتسابهم للعمالة، بأنهم طردوا من مصر، في حكم أحمرس الأول (من السلالة الملكية الثامنة عشر)، في القرن السادس عشر قبل الميلاد، حيث كانوا مهرة في نحت الصخور. وقد عوقب ثمود على وثنيّتهم بالرجفة¹.

﴿فَاَخَذَهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ (سورة الأعراف- الآية ، 78).

ويقوم أهالي حضرموت شاهدا على أن التموديين كانوا مستعمرين انحدروا من عاد. فقد أورد عبد الوهاب التّجار في كتابه "قصص الأنبياء" نقلا عن جورج زيدان بك أنه ذكر أن الأنباط الذين كتبوا (ونحتوا على الصخر) بالأرمية، متحذرين من التموديين. ولقد روى ابن سعد (صاحب الطبقات) رواية عربية تجعل من شعب عاد الأسطوريّ شعبا أرميا، فبعد عاد أطلق اسم الأرميين على قوم ثمود، وبعد هؤلاء لقب جميع أبناء أرم (أو إرم) بالأرميين (أرمان) : وهم الأنباط.²

وحسب³ Ph. Lippens : ، يصف اسم "التموديين" بوجه غير دقيق بعض القبائل في شمال الجزيرة العربية، شعب ثمود ... نجد آثاره (في المنحوتات أو الكتابات النقوشية) على الأقل حتى اليمن : فلقد اكتشفت حوالي تسع آلاف منحوتة ثمودية خلال الحملة (العلمية)، منحوتات على مقربة من الآبار أو على

1. عبّر في الآية الخامسة من سورة الحاقة، بصلد الكلام عن عقوبة قوم ثمود كلمة طاغية "صاعقة أو قصف جذ قوي".

2. توفيق فهد، في كتابه : "الكهانة العربية".

3. في كتابه، "رحلة استكشافية في البلاد العربية الوسطى".

طول خطوط السير المورودة أكثر، مشكلة من رسومات حيوانات متوحشة أو داجنة، وأناس مرفوعي الأذرع (متعبدين)، تذرعا للآلهة، ومناحات على الوتى، ودعوات موجهة للأرباب (بالعافية، وبالمنتجع المبهج، وبوفرة القطعان، وبالغنائم في الإغارات، وبالراعي الخصيبة ...). وقد نقشت هذه المنحوتات بالكتابة العربية الجنوبية..

هكذا، إذا استقرأنا معاني النص القرآني وشراحه، للاحظنا أن موجات هجرات انطلقت من بلاد الرافدين (موطن نوح -عليه السلام- وأولاده)¹ ووصلت جنوب شبه الجزيرة العربية (حضر موت) أين استقرت في عهد جد قديم (مباشرة بعد عهد نوح وأولاده وأحفاده)، كما أن هناك أهال عروبين (في عهد يلي مباشرة عهد قوم عاد)، هاجروا من بلاد الرافدين نحو الغرب، بين سورية، والبلاد العربية الصحيرية والحجاز. كما أن القرآن (قد ذكرنا هذا) جعل قوم عاد، من شعب العمالقة بعد الطوفان، ووصفهم بـ"خلفاء قوم نوح"، وهو ما يثبت القرابة القومية والثقافية لهاتين الفئتين.

فضلا عن هذا، فإن اسم والد شالح، أرفخشذ، ابن سام، نجده عند العمالقة : فقد أشار عبد العزيز سالم، في كتابه "تاريخ الدولة العربية"، : سلف بني عملاق (أو العمالقة) هو الذي يسمى "عملاق بن أرفخشذ" : إنهم هؤلاء العمالقة من سكن أولا للمدينة المنورة ..

وفي هذا المدرج، ألحقت الرواية تأسيس هذه المدينة (المدينة المنورة، في شمال مكة المكرمة وليس بعيدا عن البلاد العربية الصحيرية) بيثرب² بن أرم/ عرم، ابن سام، أي ابن عم عملاق بن أرفخشذ بن سام.

1. يبدو أن نص القرآن -في رأينا- (الآية السادسة من سورة الأنعام) جليا. بإشارته «وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم». لا ينبغي أن يكون الكلام ها هنا متعلقا إلا بالنهرين (الرافدين) أو أي منطقة أخرى مروية بمجاري مياه. تنص تنمة الآية كما يلي : «فاهلكناهم بجنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين». هذه الآية تتوازي مع ما قاله نوح لقومه «ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا» (الآية 12 ، من سورة نوح).

2. يثرب، هو الاسم القديم للمدينة.

ولا يخالف أصل اسم صالح هذه القراءة -بالأخذ¹ في الحسبان التحويل الصوتي المحرف، حين الانتقال من اللغة العربية إلى اللاتينية أو اليونانية- يمكن أن يكتب صالح (مع تناوب مألوف بين : س - ش - ص) من الجذر ص. ل. ح- الذي معانيه على التوالي : "أمين، نزيه، شريف". وهذا اللقب العربي لا يزال مستعملاً بتواتر إلى اليوم. واسم صالح بن أرفخشذ، متطابق مع اسم النبي -عليه السلام- المرسل إلى قوم ثمود، الذين أخبر عنهم القرآن (سورة الأعراف- الآية : 74) "خلفاء من بعد عاد".

ونص "الكتاب المقدس" لا يتعارض مع طرح الهجرة هذا، لأن "العهد القديم" قص أن واحداً من أبناء عابر (أحفاد أحفاد سام) وبالضبط قحطان (المسمى يقطان في "الكتاب المقدس") هو الاسم الذي كان يلقب به القحطانيون نسبة إلى سلفهم وهم من أول سكان مكة المكرمة وافدين من اليمن، مما يعني أن المنحدرين عن سام (في الجيل الثالث) هاجروا من بلاد ما بين النهرين إلى اليمن، وبعد استعمارهم الجزء الجنوبي من شبه الجزيرة العربية، حولوا واحداً من فروعهم نحو البلاد العربية الوسطى (الحجاز) أين استقر هذا الفرع.

وها هنا يمكن ملاحظة التناظر بين هجرة عابر (مع عائلته أو قبيلته) وهجرة ابن أحفاده إبراهيم -عليه السلام- (سنة أجيال بعدها لهذا النبي، كما أوردها كما "العهد القديم" -"سفر التكوين")، وهي هجرات مصدرها بلاد الرافدين.

4.1. تاويلات

إن قوماً يسكنون منطقة جدّ محدّدة، حيث لا يهاجر أفرادهم، ولا اتصال لهم بالعالم الخارجي يحافظون -نظرياً- بصورة أبدية على لغتهم. وعلى طرف النقيض، إذا تضاعفت العلاقات مع الآخر، فإن هؤلاء القوم ينعطفون شيئاً

1. هذا الاسم الذي يذكره المؤلفون، بحروف عبرانية هو ش. ل. ح. ، مما يتوافق مع الاسم العربي. تقابل النسخة العربية للكتاب المقدس Shélach بشالغ.

فشيئا نحو التغير، الاجتماعي كما اللغوي. ما دام العرب - المتكلمون باللغة العربية المشتركة - قد أقاموا في مناطقهم الأصلية، فاللغة لم تتنوع. ونظرا لبررات نسوق ذكرها في مدرج العنوان الموالي، قد هاجر هؤلاء الأهالي نحو آفاق آخر وتعرضوا حتما لتغيرات نالت بنية مجتمعاتهم : ولهذا تصدعت اللغة العربية المشتركة، وتجرأت إلى لغات كثيرة.

ينبغي أن يعود العصر الذي تجرأت فيه اللغة العربية إلى حقبة ما بعد نوح - عليه السلام -، وهو ما لا يتيحنا إلا أن نحس، محاولين استغلال ما أمكن جميع المؤشرات والمعلومات التي بجوزتنا.

ومن بين هذه المؤشرات نجد : العلميات والمفردات (أنبياء، شيوخ، أهال، إلخ) بسبب ديمومة اللغة العربية.

1.4.1. علميات ومفردات

لقد رأينا أعلى السياق أن قوم عاد، خلفاء قوم نوح (حسب نصوص القرآن)، ينتسبون إلى شعب العمالقة، الذي يلقب باسم سلفه عملاق بن أرفخشذ :

أ/ الاسم "عملاق"، الجمع منه عمالقة، والذي من بين دلالاته "شخص ضخم وقوي"، جذره ع. م. ل. ق.، الذي له معنى "خفف، قلل" (مشيرين إلى بعض من كمية الماء) أو "امتزج وتختثر"،

ب/ الشطر الأول من اسم أرفخشذ يمكن قراءته بوجوه مختلفة :

1- أرفق من الجذر رفق، أي "أيد، ساعد شخصا، وكان له عوناً" ومع الاسمين رفق أي "عطف وحلم"، ورفقة جمع أرفاق أي "مصاحبين ومجتمع وجماعة من الناس يسافرون معا" والصفة رفق أي "ما يتدفق بيسر (الماء)، سهل (قضية)".

2- أرفخ أو أرفح (مع إبدال الحاء خاء والحاء حاء) مع أرفح، من الجذر ر.ف.ح. وهناك كتابة أخرى لـ : ر. ف. ح. هي رفا، حسب معجم J. B. Belot، وهو جنر من بين معانيه "أرسى (سفينة) على الساحل"، ومع الاسمين رفاء أي "سلم وونام ووافق". ومرفأ أي "ميناء، مرسى" وصيغة الفعل أرفأ التي تعني "دنا من، والتجأ إلى ..."،

- أما الشطر الثاني شدّ أو شدّ فيمكن كتابته بصورتين :

1- مع الجذر شدّ : ش. د. د. اي : "ثبت، قوى (شجاعته، عزمه)" كما يعني "قوى شخصا(الله)" وشدّ إلى "اتجه إلى"، ومع الاسم شدّة أي "قوة، بأس، حزم" والصفة شديد، تعني "قاس، قوي، صلب" كما تعني "غليظ، كثيف"،

2- ومع الجذر شدّ : ش. ذ. ذ. يعني "معزول، مقطوع عن الآخرين (إنسان)" أو "غير مطرد، مخالف للقياس (اسم، فعل)" ومع الصفة شاذّ يعني "وحيد، معزول، غير مطرد"،

ج/ وإذا ما أخذنا في الحسبان الترجمات المختلفة لتسميات عملاق وأرفخشذ، فإننا نلمس بين الكلمتين دلالات مشتركة (كلية أو جزئية).

1- "قوي، صلب، كبير" (لصورة العملاق).

2- "غادر، هاجر" : "التخفيف" -معنى الجذر ع. م. ل. ق.- يمكن أن يعتبر كجزء (من ماء أو أهل) يذهب إلى مكان آخر "أخرج من المجموع" يعني "مفصولا عن الآخرين"،

3- "امتزج وتختثر" -معنى الجذر ع. م. ل. ق.- هي نظيرة "غليظ، كثيف" من الجذر شدد (شدّ)،

كما أن هناك معانٍ آخر لها علاقة بالسفر والهجرة (براً وبخاصة بحراً)، بصفة حازمة وجازمة.

د/ اسم ثمود له الجذر ث. م. د. الذي يعني "استحضر غليير ماء" مع الاسم ثمّد "غليير ماء ينضب صيفاً".

هـ/ الاسم عاد من الجذر ع. و. د. بمعنى "أب، رجع إلى (مكان)؛ كرز، ردد (فعلاً)". وفي هذا المعنى الأخير ينبغي فهم هذا الاسم، مسقطاً على الكفار

الذين هم قوم عاد : وقد استعمل هذا الجذر بهذا المعنى في الآية الواحدة والثلاثين (31) من سورة المعارج، "العادون" :

﴿... فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾.

2.4.1. استقراء

تسمح لنا قراءة هذه الدلالات باستنتاج ما يلي :

- بدأت موجات الهجرات من المهد المفترض للتاطقين بالعربية نحو فضاءات آخر انطلاقاً من جيل أرفخشذ، حفيد نوح -عليه السلام-،
- لمجتمعات جديدة، مشاهد ولغات جديدة : حدث انقسام الجذع المشترك للغات كثيرة في عهد أرفخشذ وابنه عملاق. وهو أوان اختفاء اللغة الأم بما هي عليه، وأوان مسخها أو تحويلها إلى لغات عروبية أخرى : وهو معنى الجذر ع. م. ل. ق. "امتزج وتختل" (يعود على لغة فقدت نقاءها ووضوحها) أو "خفف" (لصورة نهر فقد تدفقه ونشاطه وصفاءه وانقسم إلى جداول ماء تغدو شينا فشينا أقل غزارة)،
- كما تمت الهجرات أيضاً عن طريق البر كما عن طريق البحر، ويستنتج منه أن بعض الأهالي المهاجرين عبروا مضيق هرموز، من فارس إلى حضرموت، منطقة مجاورة للأقاليم البحرية لعمان، أو عبروا بحر عمان من وادي السند نحو الجزيرة العربية الجنوبية،
- وتذكرنا الآية الموردة أعلى السياق بأن قوم عاد (الذين نبينهم وأخوهم هو هود -عليه السلام-) هم خلفاء قوم نوح. سكن هؤلاء (أي قوم نوح) في الناحية الموجودة بين الأناضول والقوقص وأعلى بلاد الرافدين. تخبرنا الآية الواحدة والعشرين (21) من سورة الأحقاف أن النبي هود -عليه السلام- أئذ قوم في الأحقاف -منطقة صحراوية في جنوب الجزيرة العربية، في شمال صنعاء (اليمن)- مما يستنتج منه أن أهالي عاد هؤلاء جاؤوا إلى جنوب شبه الجزيرة العربية على إثر هجرات تعدت مدتها بالقرون لا بالعهديات، وهي هجرات

انحدرت حتما من الشمال، من الهد الأول لـ"العرب"، لأن قوم عاد تحذروا مباشرة عن أحفاد نوح -عليه السلام-.

- تلتقي دلالة اسم ثمود باسم عملاق (معنى ذي علاقة بكمية الماء الهزيلة)، مما يعزز من طرح المؤلفين الذين قدروا أن ثمود هم فرع من العمالقة، من جهة، ويدفع لاستنتاج أن هؤلاء التموديين أنفسهم غادروا موطنهم الأصلي، البلد الذي كان فيه الماء متوفرا بسخاء، نحو أنحاء أجلب، من جهة أخرى.

يلزم عن كل هذا، أنه انطلاقا من أنحاء شمالية (مجاورة للبحر الأسود وأعلى بلاد الرافدين) وإلى غاية المناطق الجنوبية لشبه الجزيرة العربية، مرت موجات الهجرات ضرورة بجميع الأراضي المحصورة بين أقصى العرضين هذين، وهي موجات خلفت فروعا من أهاليها في كل المحطات التي علمها خط السير هذا، وحتى أبعد من منحائها هذا، على الفارق نحو البلدان المجاورة (مصر وفارس والهند ...). وهو ما يفسر انتشار حضور العمالقة (أو أhal يحملون تسميات آخر : التموديون والمعينيون والقانقيون والقحطانيون والتلونيون، إلخ.) في جميع شبه الجزيرة العربية.

وتكلم هؤلاء الأهالي الكثر، حسب استقرارهم في مناطق منفصلة وبعيدة نوعا ما عن بعضها بعضا، لغات عروبية تقترب نوعا ما أكثر من اللغة- الأم تبعا لتضاريس ومناخ، إلخ. البلد المضيف ونوع المجتمع الذي اختاروا.

2. عوامل الهجرة من أعلى بلاد الرافدين

والمناطق المجاورة إلى آفاق آخر

عموما، كل هجرة تفترض من موقعيها التخلي عن مناطق منفرة (بور الأرض، وشح الماء، وتصخر وقحط الأقاليم، وظروف معيشة ضنكة، إلخ) وشدة الزحاح إلى مناطق مضيافة. ولا بد لأن يغادر سكان بلد خصيب

ومضيف حال بلاد الرافدين وطنهم طلبا للمغامرة من اقتضاء أسباب ملحة¹ :

- عوامل تكاثرية واجتماعية : لقد أفضت نسبة المواليد العالية إلى فائض سكاني، مرفوق بتزاحم العائلات على التفوق في المدينة والإقليم. "فالعشيرة" الأقوى أو الأقدر يمكن أن تستدرج لإقصاء الأضعف من المجتمع وتحكم عليها بالهجرة، وهو شكل آخر من التفي أو الطرد،
- عوامل صحية : فقد يحدث من وقت لآخر أن ترد أوبئة أجمية في بلاد الرافدين (بخاصة في سهول المستنقعات)، مثل تلك التي أصابت في عهد نبوندا، آخر ملوك بابل (القرن السادس قبل الميلاد) وكذا أوبئة الطاعون،
- عوامل مناخية (أو طبيعية، بصفة عامة) : قد يكون تغير المناخ، وأمطار غزيرة مؤنية إلى فيضانات، سببا في مغادرة أهال نحو أراض أخرى. كما أن هناك نوع ثان من الكوارث، كالزلازل المتكررة، وحرائق الغابات، إلخ،
- عوامل سياسية : فحينما تستحوذ ممالك بلاد الرافدين على بلد أو منطقة، فإن ملوكها يتبعون الأهالي المهزومين ناقلينهم إلى مناطق أخرى، ويحلون مكانهم جماعات بشرية قدمت من مناطق مختلفة. وقد اعتادت الملكة الآشورية هذا السلوك،
- عوامل تجارية : لقد عُرفت مناطق الهند، ومناطق شرق وغرب جنوب شبه الجزيرة العربية منذ أمد سحيق، بوجود مواد مطلوبة لممارسة طقوس العبادة، أو لاستخدامها في الطبخ (بخور ونباتات عطرية وصبر وخشب الصندل والصنمغ العربي وجوز الطيب والقرفة، إلخ.) على أرضها، كما اشتهرت أيضا هذه البلدان بثرانها المعدني (ذهب وأحجار كريمة في ظفر وعمان واليمن والهند، والفيروزج في سينا، إلخ.) وكذا بما تزخر به من مستخرجات بحرية (لؤلؤ البحرين والمرجان والإسفنج، إلخ.)،

1. لقد حدثت هجرة أهال من بلاد خصيبة، اليمن، نحو مناطق شبه صحراوية : الغساسنة في شمال شبه الجزيرة العربية (حوران)، واللخميين على الحدود الشرقية لبلاد الرافدين، على سبيل المثال.

- عوامل عشائرية : كتلك التي نقف عليها في القديم، إذ يكون النبي نوح -عليه السلام- (أو أحد أولاده) قد أمر بعضا من سلالته بالهجرة نحو نواح آخر لإعمار الأرض (بعد الطوفان)¹، أو التماسا لأقوات جديدة أو ميلاد شعوب جدد : ونحن نتذكر أن عابر (واحد من أحفاد نوح -عليه السلام- من الجيل الثالث) هاجر وعبر الفرات (كما يدل اسمه) وأتاح لأسرته الاستقرار في اليمن مع واحد من أولاده، وهو قحطان (يقطان حسب "الكتاب المقدس")، وهو سلف القحطانيين².

وكذلك للعوامل نفسها. بعدها بكثير، الملك الفانقي الذي ألزم أبناءه (قادم وإخوانه) بأن يذهبوا ويؤسسوا مدنا في بلاد الإغريق وفي بلاد الأتراك وإيريا. فأسس قادم طيبة (إقليم بيوتيا) قبل مغادرة بلاد الإغريق نحو المناطق الأذرية (إيريا).

- عوامل دينية : وهذه العوامل قد تكون جوهرية. فبوسع عقوبة إلهية أن تسلط نفيا وهجرة على أهل، في عهد ما بعد نوح، نحو أراض صحراوية وغير ذي زرع، عقوبة على وثنيتهم وكفرهم. في حين أنهم كانوا يعيشون في رخاء وأمن، ويتمتعون "ببساتين مدهامة غناء، وينعمون بكل أنواع الفواكه"³. ويمكننا ملاحظة المفارقة الكامنة، في أي كثير، بين التار والغيث، وبين الجثة والسعر، وبين الظل والحرور، إلخ.

زيادة على هذا، فقد شرع القرآن (سورة النساء- الآية : 97) للأفراد والعوائل أو الأهالي -في حال جور الحاكم، واستبداده أو إكراه المؤمنين على

1. جبل الجودي (الاسم العربي لأرارات) . ليس بعيدا عن أعلى بلاد الرافدين، وبالتأكيد هو الجبل الذي رسا عليه فلك نوح -عليه السلام-، حسب ابن حوقل في "تصوير الأرض" (الصفحة : 224).

2. عابر، هو اسم من الجذر ع. ب. ر. الذي يعني "مر، اجتاز نهرا"، في حين تعني الكلمة عبر "شاطئ، حافة، ضفة".

3. لقد بينت بوضوح الآيتين السادسة عشر والسابعة عشر من سورة سبا هذه العقوبة، التي طالت أهالي سبا : « فاعرضوا فارسلنا عليهم سيل الغرم وبذلناهم بجثثهم جثتين ذواتي أكلي حفظ وأثل وشيء من سدر قليل {16} ذلك جزيناهم بما كفروا وهل تجازي إلا الكفور {17} ».

الارتداد عن عقيدتهم أو تعطيل عبادتهم (التوحيدية) - أن يهاجروا إلى مناطق آخر مضيافة. وكانت هذه الحال مع النبي إبراهيم - عليه السلام -، وهو مدني في الأصل وأصبح وظل بدويًا بعدها. وإبراهيم ذاته - عليه السلام - الذي نعت في "الكتاب المقدس" ("سفر التكوين") بالعبري أي البدوي הַלְבִּי לְאַבְרָם توافقًا مع ترجمة السبعين، التي تورد لنا إبراهيم العبري "إبراهيم البدوي". وهنا يسعنا أن نوكد معنى اسم عابر (أبي قحطان) وهو "بدوي"¹.

3. أولى الهجرات العروبية وتسلسلها الزمني

خلال الحقبة الممتدة ما بين الألفية الخامسة والثالثة قبل الميلاد، تقاسم عالمان عربيان مجموع البلدان الأهلة بالتاطقين بلغات عروبية :

- بالتسبة للأهالي متكلمي لغات عروبية-حامية : القوقص وأعلى بلاد الرافدين والأناضول وفانقيا وجزء من بلاد فارس والهند واليمن والحبشة ومصر وبلاد البربر،

- بالتسبة للأهالي الذين استعملوا لغات عروبية-سامية : بلاد بابل (أو بلاد الرافدين السفلى في الجنوب)، وفارس وغرب الهند وسورية والجزيرة العربية الصحراوية (الوسطى)، وكذا المناطق الشمالية لمصر (الدلتا).

جميع هذه المناطق استعمرها المتكلمون بلغات عروبية الذين غادروا موطنهم الأول -ليس ضمن موجة واحدة، بطبيعة الحال، ولكن في موجات هجرات عديدة تتدرج على مذ القرون، كثيرة نوعا ما من جهة العدد البشري تبعا للعصور والتقلبات الاجتماعية-السياسية، والأحوال الاقتصادية أو الدينية لكل بلاد أو منطقة-.

إذا كانت المخطوطات المنقوشة أو الكتاب القدامى لا يكادون يستعملون كثيرا مصطلح "عربي" لوصف الأهالي من أرومة واحدة، المسمين باختلاف

1. حسب G. Dhorme (في مجلة "الكتاب المقدس" - سنة 1909)، عابر לַבִּי ينعت "الذي يأتي من ما وراء (النهر) الفرات". وهو ببساطة المعنى الذي يكتسبه الجذر ع. ب. ر. في العربية.

الكلد-البابليين، والأشوريين، والكنعانيين-الفانقيين والعموريين والمعينيين والسبتيين، إلخ..، فما ذلك إلا لأنهم يقصدون أساسا العرب الحضريين، مدنيين لهم حضارة، وقد انتحل اسم هؤلاء المذكورين أخيرا من اسم مكان أو بلد إقامتهم، أو بالإشارة إلى اسم سلفهم.

لم تصبح هذه الفئات القومية عربا (أي بدوا أو أعرابا) إلا حين عبورهم "النهر" (أي الفرات) ليمروا إلى داخل الصحراء العربية ("بلاد الأعراب")، إما إلى صحراء سورية أو العراق، وإما إلى صحراء البلاد العربية الوسطى أو فلسطين، حيث استقروا مستعيزين عن مجتمعهم الزراعي بأخر رعوي. وهو التفسير ذاته لكلمة أعرابي.

ولا أفضل تمثيلا من النموذج الذي يقدمه المصريون، حيث أطلقوا تسمية حكام الهكسوس أو "الملوك الرعاة" على إحدى موجات الهجرات الوافدة لبلادهم، قداما من صحراء سورية.

وقد استخدم مصطلح الهكسوس لأول مرة من طرف مانيطون : وهو ترجمة للكلمة المصرية حتا نا سو "الملوك البدو". وقد كان هؤلاء أسياد الدلتا نحو ثلاثين وسبعمائة ألف (1730) قبل الميلاد. وطردوا من مصر نحو ثمانين وخمسمائة ألف (1580) قبل الميلاد. وتعود بداية انتشار هؤلاء الرعاة في البلاد إلى القرن التاسع عشر، وقد دخلوا ضمن موجات متتابعة. وقد وصفهم بعض المؤلفين بعرب قدموا من الشرق، وبقوا في الحكم مائة وواحد وخمسين سنة قبل أن يحاربهم الملوك الطيبيون. وذبحوا وأتبعوا من مصر، وانقلبوا نحو سورية وبلاد كنعان، حيث أسسوا قرية يابوس (المسماة فيما بعد أور سلام).

يعتقد سليم حسن في كتابه "مصر القديمة" أن الهكسوس انحدروا عن أهال مختلفين من سورية وبلاد الرافدين، بتفوق العنصر العربي (عموريين وكنعانيين وأرميين ...). وقد قدم جورج زيلان في كتابه "تاريخ العرب قبل الإسلام" حججا كثيرة لغوية وغير لغوية تشفع لعروبته، وقال بأنهم

أرميون. وهو ما يؤكده شارويم بذكر نصوص لعلماء الآثار (ومنهم درايتون)، الذين استقرأوا أشكال الرسومات على القطع الأثرية القديمة. من أن عدد موجات الهجرات هذه كان مهماً.

يقدر مؤلفون آخرون، اعتماداً على الوثائق المصرية القديمة التي تشهد بأن الهكسوس، الذين أدخلوا الفرس والعربية إلى مصر كما أدخلوا صناعة القلز والحديد وطوروا الزراعة، ليسوا بدوا : يحتوي اسمهم على كلمة "سوس" أو "ساس"، وهي كلمة تعني "فرس" في الكنعانية أو المصرية، في حين أن الجذر "ساس" في العربية يعني "احتفى. اعتنى (بفرس)". كما يعني أيضاً "حكم (شعباً)". وتسمية "هكسوس" هذه تترجم إلى "الملوك الفرسان".

وحسب شارويم وسليم حسن وأحمد كمال، الذين نقلوا المخطوطات الأثرية والوثائق المصرية، سمحت تدفقات الهجرات هذه للغة السورية من أن تتأصل وتزدهر في مصر (في وسط وأسفل مصر). وتشير المخطوطات الشمالية المصرية إلى أن مهاجري مناطق الهلال الخصيب تبنوا تقاليد وعبادات المصريين؛ فقد حصل تمازج قومي وتبادلات ثقافية بين البلدين.

كتب المطران دابس في كتابه "تاريخ سورية" أن : : لم تتبرم القبائل العربية في سورية من سلطة الهكسوس قط، بفعل اشتراك اللغة والدم من جهة، والثراء الذي حث على التجارة بين سورية ومصر من جهة أخرى، كما أن أهال كثر هاجروا إلى مصر، وبخاصة زمن الجلب والمجاعة..

وصرح¹ G. Lebon بأن : : يحتمل أنهم عمالقة انضموا إلى بدو سوريين، اجتاحتهم مصر ألفي (2000) سنة قبل الميلاد، بلقب الملوك الرعاة، حيث بسطوا نفوذهم خلال قرون كثيرة .. بهذا الوعي، يتوافق هذا المؤلف مع المصري مانيطون، الذي أشرنا إليه أعلى السياق.

1. في كتابه "حضارة العرب".

تثبت استشهادات المؤلفين -القلمى والمعاصرين- المختلفة هذه، حيال الهكسوس، الذين كان قدومهم مصر في بداية الألفية الثالثة (أو نهاية الألفية الثانية) قبل الميلاد، أن موجات الهجرات القادمة من الشرق (مناطق الهلال الخصيب) لم تنقطع طيلة جميع هذه الألفيات : فهجرة الهكسوس كانت تسلسلا منطقيًا لتدفق الهجرات، التي انطلقت من بلاد الرافدين ومن سورية ألفت كثيرًا فيما مضى من جهة، ومن جهة أخرى هذه الأفواج البشرية المتنقلة كانت مكونة أساسًا من رعاة-بدو، "أعراب"، بخاصة زمن "المجاعة والقحط"¹. كما نسجل أيضًا، مدى وقع التبادلات الثقافية والدينية بين أهليين متقاربين قوميًا ولغويًا.

موازاة للمصطلح "عربي"، من الجذر : ع. ر. ب. -الذي قلّمنا دلالتة- يمكن إيجاد مرادفه المركّب من الأصوات ذاتها، وهو للمصطلح "عبري"، من الجذر ع. ب. ر.، الذي معناه "يعبر ويجتاز (نهرًا)". وبهذا الصند، أشار "العهد القديم" مرة واحدة ("سفر التكوين") إلى إبراهيم بوصفه عبري، أي مهاجر قدم من بلاد الرافدين واستقرّ بكنعان، بعد عبوره الفرات (قد رأينا ذلك في العنوان المدرج سابقًا). يبيّن لنا "الكتاب المقدس"، في جميع الصفحات المكرّسة لذكر إبراهيم -عليه السلام-، أن ابن العرب هنا (بابلي) كان "بدويًا لا ينفك يغيّر المقام، مصطحبًا قطعانه"، على عكس ابن أخيه لوط -عليه السلام-، الذي سكن المدينة.

كتب سليم حسن : حسب رسائل تل العمارنة، كان العبيرو (العبانيون) الذين دخلوا مصر -بكثافة- جزءًا من اجتياحات الهكسوس. وقد هاجرت عائلة يعقوب -عليه السلام- (بنو إسرائيل) التي كانت حليفة لهؤلاء العبيرو في فلسطين وسورية، بعد أن استولى الملوك الهكسوس على الحكم في مصر، نحو

1. يشير القرآن (الآية السادسة عشر من سورة يوسف)، إلى القحط الذي حلّ بالشرق الأدنى، في عهد النبي يوسف -عليه السلام- ابن يعقوب ابن إسحاق ابن إبراهيم، كان الأمين الكبير لمصر : قدم إخوة يوسف -عليه السلام- وكنا أفواج أخرى كثيرة، من فلسطين، في قوافل (الآية : 82) ليميروا من حبّ وادي النيل.

مصر كسائر موجات الهجرات العروبية. وقد تطوّرت هذه العائلة (بنو إسرائيل) وتضاعفت، وأصبح اسم العبرانيين بعدها يخلط معها... .

كما أن اسم عابر هو كتابة ثانية لمصطلح عبري. وكان سام سلف عابر (في الجيل الثالث)، وهذا الأخير سلف إبراهيم -عليه السلام-. وحسب تسميته، كان عابر بدوياً، قدم من ما وراء الفرات (بلاد الرافدين) -عكس ابنه فالج ويقطان، اللذين أصبحا حضرا. قحطان-، اسم سلف القحطانيين، اسم ذو علاقة بالجفاف (جفاف بلاد) أو احتباس الغيث (قحط)، لقب أثير عند البدو كما يعني أيضا الجذر ق. ح. ط. "ضرب شخصا بقوة".

يتبدى بالتالي أن عابر، بعد اجتيازه النهر (أو البحر) هاجر نحو اليمن أين استقر ابنه قحطان، مؤسس القحطانيين. ويحمل أخوه (الابن الآخر لعابر)، فالج، اسما عرفه الكتاب المقدس، إذ كانت الأرض في زمنه مقسمة. وهو معنى الجذر العربي ف. ل. ج. : "التشجير إلى جزأين والتقسيم"، كما أن لهذا الجذر دلالة أخرى : "الذي يحرق الأرض، الذي نصره الله"، وهي دلالة تتوافق مع بداية تحضر هؤلاء البدو، الذين راحوا يفلحون الأرض، كقحطان واليمنيين - أين كانت المناطق غنية وخصيبة-.

بالإشارة إلى الترادف الملحوظ بين الجذرين ع. ر. ب. و ع. ب. ر. ("عربي" و"عبري"، على الترتيب)، نستخلص أن اسم عابر يمكن أن يتحول إقلا، إلى عارب أو عرب¹. وإذا كانت شواهد كثيرة تورد يعرب كأول متكلم بالعربية (يعرب هو الشكل العربي الجنوبي لاسم عرب²، كما توضّحه الأسماء اليمنية المبدوءة بالحرف يو أو يا)، فيوسعنا استنتاج أن اللغة العربية (العربية الجنوبية) -نسب قريب ولكن مختلف عن الأكادية-البابلية- ظهرت في جنوب شبه الجزيرة العربية خلال جيل قحطان، بن عابر.

1. كنا بالتسبة للاسم يقطان (قحطان)، الذي تحول إلى قحطان (حروف مشتركة ق و ك، ح، ط).

2. حسب Z.S. Harris في كتابه "قواعد اللغة الفانقية"، عرب. لقب فانقي.

والقمن بالتنويه، أن هناك علاقات وتبادلات بين اللغة العربية الجنوبية (لغة عربية-حامية) واللغة العربية الوسطى، لأن أهل بدو استقروا في اليمن فصاروا حضرا، في حين عاشت قبائل مصاهرة لعائلات حضرية من البلاد العربية السعيدة ككرعاة. وهكذا سكنت قبيلة خولان اليمنية التضاريس المرتفعة في جنوب الحجاز (البلاد العربية الوسطى)؛ وأقامت القبيلة القحطانية لبني جرهم في مكة المكرمة، زمن إسماعيل -عليه السلام-، وهي ذاتها التي منها اتخذ نجل إبراهيم زوجا.

حسب عبد العزيز سالم¹ :تورد الرواية أن أول قاطني الحجاز (منطقة تضم مدينتي مكة المكرمة والمدينة المنورة) هم العمالقة، وكان شيخهم هو سُميداع بن هوبر بن لاوي، نحو سنة ستمائة وألفين (2600) قبل الميلاد ، وقريبا من زماننا، في عهد محمد -صلى الله عليه وسلم- كان "أنصار" الرسول محمد -صلى الله عليه وسلم- من أهالي المدينة وهم من أصل عربي جنوبي، ومن بينهم أفراد قبيلتي الأوس والخزرج.

لقد أدّى تجاور مناطق وسط الجزيرة العربية لمناطق جنوبها، وبخاصة التبادلات الاجتماعية-الاقتصادية والأسرية، إلى أن اللغتين العروبيتين (العربية الوسطى والعربية الجنوبية -على الرغم من انتمائها إلى فرعين لغويين مختلفين حسب تصنيف مؤلفين كثر-)²، غير متباعدتين جدا لسانيا، بصفة خاصة. عموما جميع هذه اللغات العروبية تتشابه ويدرك خاصة المسافرون والتجار والملاحون هاتين اللغتين، نوعا ما حسب العصور والتواحي. وقد وضع بجلاء³ E. Dhorme الصلة التحويلية والعجمية القريبة بين العربية الفصحى والبابلية في عهد حمو-ربي.

1. مصدر سبق ذكره.

2. حسب Ph. Hitti . بيدان، المشار اليه في "الكتاب المقدس"، كان مركزا سكنيا وتجاريا ههما للسبئيين في شمال شبه الجزيرة العربية، يبدو أن مملكة سبأ، في ذروتها تحكمت في طرق الشمال، عبر الحجاز إلى غاية بوابات البحر الأبيض المتوسط، وطنت على طول هذا المحور مستعمرات سكانية..

3. مصدر سبق ذكره.

1.3. الهجرات العروبية

من مشهد تدفق هجرات أهال ناطقين بلغات عربية-حامية من مناطق بلاد الرافدين العليا والقوقصية، وهو التدفق حسب المؤلفين¹ الذي تحرك في حقبة تنحصر بين الألفية السادسة والخامسة، نحو شمال إفريقيا (بربريا) وأروبا الغربية (إيبيريا)، يمكن استنتاج أن الجذع المشترك للغات العروبية انشق إلى فرعين : الفرع العروبي-الحامي بلغاته المختلفة (كالأكادية واللغات القوقصية التي منها الإيبيرية، والمصرية والفانقية والحبشية والعربية-الجنوبية ...)، والفرع العروبي-السامي (كالبابلية أو الكلدية والأرمية والعربية الوسطى ...). انطلاقاً من هذا يمكننا رسم جدول عام بموجات الهجرات العروبية وحقبها، وهي التابعة من أعلى بلاد الرافدين والقوقص.

1.1.3 الحقبة الأولى

1/ نحو الغرب والجنوب الغربي

خلال مدة تمتد على ألفيات كثيرة، اندفع سكان بلاد الرافدين والهلال الخصيب (العراق وسورية اليوم) نحو الصحراء المجاورة لأوطانهم. فاستقروا في صحاري العراق، وسورية، وصحراء البلاد العربية الصحيرية وشمال الحجاز، وانتشروا على كافة شبه جزيرة سيناء، وبوابة مصر. وأصبحوا بالتالي بدوا أي أعرابا.

وقد أُلجأت الضرورة، هؤلاء العرب البدو -على مرّ القرون- لأن يتأقلموا مؤسسين مجتمعات أبوية، منقسمين إلى شعوب وقبائل، لكل واحدة من هذه العشائر، إقليم محدد. وقابلية الاستقرار في هذه المناطق الصحراوية تعود أولاً لأن هذه القبائل لم تقطع البتة الوشيجة التي تربطها مع مجانسيها في الشمال وتصلها بالإخوان الذين ظلوا حضراء، ثم كنتيجة لتضامن عائلات القبيلة

1. انظر كتابنا "إيبيريا وبربريا".

نفسها فيما بينها والقبائل من الشعب ذاته، ونهاية وبخاصة تواجد مواقع الماء (ينابيع وآبار) وإنشاء واحات، كانت جزرا مدهامة في خضم بحر من الرمال. هذه الواحات التي هي ضيعات حقيقية في قلب الصحراء، كانت معلم الاجتماع للبدو ومرفأ فعلياً بعد رحلات الانتجاع الطويلة. وتؤمن للبدو التمور، غذاءهم الأساس، كما تسمح لهم بالتلاقي وتبادل أخبار عائلاتهم القريبة والبعيدة، وعقد أسواق ومهرجانات تجارية أو شعرية، والتنام اجتماعات ذات طابع ديني عقائدي - في عهد الأشهر الحرم خصوصاً - قاطعين بذلك "رتابة" المجتمع الرعوي كل سنة ببضعة أيام.

طبيعي أن لا يسعف شظف العيش في الصحراء الأضعف؛ فبالتالي تختفي بعض القبائل إما تحت طائلة أثر الاصطفاء الطبيعي وإما بالاندماج في قبائل آخر أشد قوة، أو بالهجرة إلى فضاءات أرحم، نحو وادي التيل أو جنوب شبه الجزيرة العربية.

ب/ نحو الجنوب

مراوحة للمدة نفسها، نزلت بعض العائلات جهة الجنوب (المناطق الساحلية للخليج العربي)، ونحو الساحل الهندي أو السواحل الشرقية لشبه الجزيرة العربية (البحرين أو عمان الحالية) - إما عن طريق البر بمحاذاة الساحل، أو عن طريق البحر - وصولاً إلى جنوب شبه الجزيرة العربية (حضرموت واليمن) أين تتوافر الظروف الملائمة لدعتها، وبخاصة منها الماء الوفير (هواطل مهادرة).

كان هؤلاء المهاجرون على عكس إخوانهم الذين اندفعوا نحو الصحراء، قد تحضروا في مناطق جنوب شبه الجزيرة العربية وأنشأوا حضارة بالاسم نفسه. وربطوا صلات من جميع الأنواع مع المهاجرين الذين كانوا مستقرين في الأقاليم الساحلية للهند، وبخاصة في مجال التجارة. وأصابوا

رخاء هناك، بفضل زراعة مزدهرة وتبادلات تجارية ثمينة ومربحة مع البلدان الجارة مما وراء البحر.

ج/ نحو الشرق والجنوب الشرقي

موازة لموجات الهجرات الحاذية لساحل شبه الجزيرة العربية انحدارا نحو الجنوب، هناك أهال مهاجرون آخرون كانوا يسلكون الساحل الشمالي للخليج العربي-الفارسي وصولا إلى المناطق التي شكّلت فيما بعد بلاد فارس. وعبر بعض من هؤلاء الأهالي بيسر مضيق هرموز (إذ يفصل الساحل العربي عن الفارسي اثنا عشر كيلومتر فحسب) ليلتقوا بإخوانهم الذين يسلكون الطريق البري في الجنوب (جهة عمان). وآخرون يواصلون هجراتهم نحو الجنوب وصولا إلى بلاد السند : واستعمروا الهند الغربية، وأيضا في أقصى الجنوب، سلسلة الجزر على عرض البحر من الساحل الغربي للهند (أرخبيل الدّيبَة "المالديف" وأرخبيل الكالديف وجزر خوريا موريا، إلخ).

وهكذا استمرت اللغة العربية الجنوبية في جميع جزر المحيط الهندي هذه، بعد مجيء الإسلام (في المهرة وسقطرى بالخصوص، حسب Ph. Hitti).

وقد كانت هناك مستعمرات عربية عدّة في السند (باكستان الحالية) ومراكز نفوذ تجاري على طول الساحل الغربي للهند، يشرف عليها تجار عرب يموتون السفن اليمنية بالتوابل والبخور والتسيج والسيوف وموادّ هندية ثمينة آخر. ومثلها كانت في الغرب¹ التبادلات التجارية التي سنذكرها خلال الحقبة الموالية، بين اليمنيين وأقاربهم وأصهارهم القيمين في الحبشة.

1. نلاحظ التطابق التاريخي والسياسي، بصرف النظر عن العلاقات التجارية المذكورة، بين اليمن والحبشة من جهة، واليمن وبلاد فارس، من جهة أخرى. وجّه اليمن مستعمرات سكّانية نحو الحبشة، الفتيات كثيرة قبل العهد المسيحي، في حين أنّ الأحباش غزوا اليمن، في القرن السادس للميلاد. ووصلت موجات الهجرات العروبية إلى بلاد فارس، الفتيات كثيرة قبل الميلاد، في حين أنّ الفرس (نوي لغة هندية-أوروبية) ادخلوا اليمن ضمن الفلك الإيراني، وعوضوا الأحباش.

وفي الشرق استقرت موجات الهجرات القادمة من بلاد الرافدين في وادي قارون وقرخة، وفي هذه المنطقة الأخيرة، أشهر المدن هي سوسة (في إيران اليوم). وقد أدخل ملك أكاد، سرجون هذه المنطقة في حوزة مملكة أكاد في التصف الأول من الألفية الثالثة قبل الميلاد، أين تتواجد جبال إسكروس. وقد امتدت مملكة أكاد شرقا حتى ضفاف بحر قصوين (آسيا الوسطى). ونذكر أنه في هذا العصر وخلال أكثر من ألفي سنة كان الفرس الذين يتكلمون لغة هندية-أوروبية غائبين عن مشهد التاريخ، وليس إلا بعدها في القرن السابع قبل الميلاد ظهورهم في هذه المنطقة.

إذا ما عاينا خريطة استوصافية لآسيا الغربية، لاحظنا أن المناطق الساحلية الجنوبية للبحر الأسود مجاورة للمناطق الشمالية لبلاد الرافدين. لقد رأينا في بداية هذا الكتاب، أن موجات الهجرات العروبية انطلقت بعضها من القوقص، منطقة مفصلية بين البحر الأسود وبلاد الرافدين من جهة، وبين البحر الأسود وبحر قصوين من جهة أخرى. كما بيتنا أيضا في سياق أعلاه، من أعمار الأناضول وساحل البحر الأسود في الألفية الثالثة قبل العهد المسيحي.

2.1.3. الحقبة الثانية

تميزت هذه الحقبة بموجات هجرات غادرت محطات الحقبة الأولى نحو آفاق آخر، نحو أراضي ملاذ أكثر ترحيبا. وقد سمح الوفود المكثف للمهاجرين الجدد في المواقع المستعمرة بإتباع القادمين الأول في حال كونهم أقل نفيرا وأضعف قوة، وإلا تعايش الجميع بسلام. وفي حالة العكس، يتابعون هجراتهم أبعد ما لم يجدوا أرض استضافة ملائمة. وينبغي مراعاة أن موجات هجرات هذه الحقبة الثانية وجدت في أماكن وجهتها أو خلال الطريق عربا مثل أولئك المهاجرين مما سهل استقرارهم إلى جانب الوافدين الأوائل. وبعد مرحلة طويلة نوعا ما في الزمان، شجعهم هذا على متابعة هجراتهم نحو المناطق المجاورة، وهي مناطق تبعد دائما شيئا فشيئا. وبعض القبائل التي

استقرت في هذه الأماكن تكون قد امتدحت أمام أقاربها وأصهارها الماكثين في المحطات الأولى ظروف المعيشة الأحسن على أراضيها الجديدة، وكذا الرقي الإيجابي لحالتهم الاجتماعية.

أ/ نحو الجنوب ووادي التيل

من بين المهاجرين الذين استقروا شمال الحجاز، هاجرت بعض القبائل نحو الغرب (البحر الأحمر)، وأمام هذا الحاجز انحدروا نحو الجنوب مقتفين الطريق الساحلي. عبرت بعض الجماعات البشرية البحر الأحمر من أماكن غير بعيدة من الساحل المصري وبلغوا وادي التيل. وقد توطن الوافدون الأوائل في جزر البحر الأحمر -وهي جزر تستطيل بين السواحل الآسيوية والإفريقية- وبعدها في إيريثريا والسودان؛ في حين استقر الآخرون على طول وادي التيل إلى غاية البحر الأبيض المتوسط.

ونهاية تابع آخرون تقدمهم نحو الجنوب، محاذة للشريط الساحلي قرب اليمن الحالي. ولم يستطع حضر البلاد العربية السعيدة تقبل رؤية مشهد موجات البدو تتدفق على أرضهم، وتسلب محاصيلهم وتنهك حدائقهم، وهم يكتسحون البلاد بقطعان أغنامهم وماعزهم وإبلهم. وبالتالي حرم وطا هذه المنطقة على البدو، باعتبارهم جماعة بشرية هائلة. وهذا الأمر لا ينطبق بطبيعة الحال على الأعراب الذين تربطهم صلات أسرية مع الحضر الذين يقاسمونهم السلف نفسه. ولم يبق أمام هذه القبائل حتى لا تبعد إلا أن تعبر البحر الأحمر من مضيق باب المندب.

ب/ نحو الغرب وشرق إفريقيا

أصبح اليمن بعد حقبة الهجرة الأولى، دولة منظمة وأهلة بقوة. بحيث لم يجد المهاجرون الجدد مكانا يستقرون به، أو رفضوا وطردتهم الأهالي المحليون، فما من خيار بحوزتهم سوى الإبحار لوافاة الساحل الإفريقي القريب، ساحل يفتح ذراعيه مرحبا ومستقبلا. وهكذا عبروا باب المندب -الذي يبلغ عرضه حاليا سبعة عشر ونصف كيلومتر-، ومن بغداد كهذا يمكن إحصاء الساحل

الإفريقيّ مُميزاً، وانطلاقاً من الساحل العربيّ. اجتاز البدو بجراتهم ونكهة المغامرة، ممتطين إرادة الحياة القويّة، بسهولة هذا الامتداد من الماء الأجاج، مرفوقين بعوائلهم وقطعانهم، على متن قوارب صغار.

وسنرى فيما يستقبل من الفصول. الكرّس للملاحة عند العرب، أن لا سلطان لخوف البحر عليهم. البحر بالتسبة لهم صحراء ثانية، بالصفة نفسها، غير أن الرمل يستبدل بالماء.

وهكذا رسوا على الساحل الشرقيّ لإفريقيا، في الحبشة، أين استقروا. وتفرّقوا في الصنومال والحبشة والسودان الحاليين، أين وجدوا الصحراء نفسها وظروف المعيشة عينها التي في "بلاد الأعراب"، الجزيرة العربية. وفضلت جماعات بشرية أخرى أكثر إقداماً مواصلة هجرتها نزولاً مع النيل، أين التقوا عرباً آخرين، قدموا مباشرة من الحجاز (عن طريق البحر).

توزعت كلّ هذه الجماعات البشرية على طول وادي النيل، حتى الدلتا على البحر الأبيض المتوسط أين تواجد إخوان من العرق من "الجيل" الأوّل، قدموا مباشرة من سورية أو من بلاد الرافدين، أو من أبعد من ذلك.

إن طريق الشمال هذه، تحديداً من القوقص -عبر القطر ما بين التهرين- من تبعها، على مرّ قرون كثيرة فيما خلا، المهاجرون الآسيويّون الذين أهّلوا شمال إفريقيا (بربريا)، وأروبا الغربية (إيبيريا) وهم مهاجرون يتكلّمون لغات عروبية-حامية. إن طريق الشمال هذه، تحديداً من شمال شبه الجزيرة العربية هي من سيسلكها، ألفيات من بعد، معتنقو الدين الحنيف، الذين هم المسلمون، تقصّداً لبلوغ المغرب وإسبانيا، عبر مصر.

3.1.3. الحقبة الثالثة

إذا ما تكلمنا عن الحقبة فيما يتعلّق بموجات الهجرات العروبية، فمناط كلامنا حيّز زمني لا يحسب بالأجيال وإنما بالألفيات : تمتدّ الحقبان، الأولى

والثانية على ألفيات مديدة، أي حتى نهاية الألفية الرابعة أو بداية الألفية الثالثة، فيما يسبق العهد المسيحي. وقد صرح Ph. Hitti أن : « لقد تتابعت الهجرات، الواحدة عقب الأخرى، دونما انقطاع (حيث دامت بعضها، مستمرة إلى غاية ألف سنة) ¹ . وحسب أطروحته، لقد تدفّق فائض الجنوب البشري نحو الشمال.

وبداية من الألفية الثالثة قبل العهد المسيحي، صفا الأفق أكثر، فالؤلفون الذين تحدثوا عن هذه الحقبة أغزر تعاطيا والكتابات أكثر ثقة وقلّ الجدل حولها -بخاصة حينما دغمت بمنقوشات أثرية (أكادية ومصرية بدرجة أولى) -.

وبعد الحقبة الأولى التي شهدت توجه التنقلات الكثيف لأهال نحو الجنوب انطلاقا من بلاد الرافدين، فاليمين هي من سيصير نقطة انطلاق أساسية جديدة لازدراع الجماعات البشرية، وهذا الطور نحو اتجاهات آخر، هي الغرب والشمال بشكل رئيسي.

في بداية الألفية الثالثة قبل الميلاد شغلت موجات هجرات منحدر -فيما يبدو- من المناطق الساحلية لجنوب الجزيرة العربية²، موطننا يمتد من سيناء إلى غاية شمال سورية، شاملا فلسطين ولبنان الحاليتين، الكيان الإقليمي الذي سمي ببلاد كنعان أو فانيقيا. وفي هذه الحقبة يلاحظ قيام الممالك الكبرى، مثل الملكة الأكادية، في مناطق بلاد الرافدين والمناطق المحيطة بها، وهي الملكة التي يصفها المؤلفون بمملكة "منافسة" لملكة مصر. وقد حدّد المؤرخون، تاريخ أول سلالة ملكية للملكة المصرية، نحو خمسة آلاف سنة (5000) قبل الميلاد³. إنها هذه الملكة التيلية، من سيتلو ممالك وادي النيل (مملكة الشمال ومملكة الجنوب)، وهي ممالك تأكّد وجودها خلال الألفية السادسة.

1. في كتابه "تاريخ العرب".

2. حسب أروادوت، ينحدر الكنعانيون (الفانقيون) من أصول البلاد العربية السعيدة، ولغتهم هي فرع من اللغة العربية الجنوبية.

3. لقد أشر إلى تواجد الملكة السومرية، في بلاد الرافدين السفلى، بداية حوالى أربعة آلاف سنة (4000) قبل الميلاد. وقد احتوتها فيما بعد الملكة الأكادية.

وهكذا، في بداية هذه الألفية الثالثة ظهرت مملكة (أو إمارات) فانقيا. في هذا العصر، كانت الحضارة الفانقية متألقة، مما يفترض أن الفانقيين كانوا موجودين في البلاد التي تحمل اسمهم، سابقا لهذا العهد. أو أن هؤلاء الفانقيين أنفسهم الذين لم يكونوا أهال أصليين في كنعان، جلبوا حضارتهم من منطقة أخرى كانوا أقاموا بها أولا.

قد قدم مؤلفون آخرون فرضية مصدر استوصافي-أرضي آخر غير العربي الجنوبي، للفانقيين، معتبرة أنهم ينحدرون من السواحل الشرقية لشبه الجزيرة العربية، بالتحديد من أقاليم البحرين وعمان (الخليج العربي). لا تتعارض هذه الفرضية أبدا مع الأولى، التي ينافح عنها أروادوت ومؤلفون كثر آخرون، قدامى ومحدثون، وهي الفرضية التي ترد أصل الفانقيين إلى البلاد العربية السعيدة. وما ذلك إلا لبررات عدة :

- حينما تحدثت أروادوت عن البلاد العربية السعيدة، هذه المنطقة، في تفسيره القديم لها، لا تتحدد فقط باليمن الحالي، ولكن تشمل كل الساحل الغربي للخليج العربي (أو الفارسي)، من الكويت جهة الشمال، إلى غاية رأس الحد جهة الجنوب (عمان) مرورا بالبحرين.

- لقد مرت موجات الهجرات التي توزعت، من مناطق بلاد الرافدين إلى غاية أقصى جنوب شبه الجزيرة العربية، المكتنفة بالمحيط الهندي، أثناء تنقلها، ضرورة بالساحل الشرقي لشبه الجزيرة العربية، إما عن طريق البر أو البحر. وقد استقر أهال مهاجرون كثر على جميع نقاط هذا الساحل، في حين واصلت جماعات بشرية أخرى تقدمها نحو الجنوب.

كون الفانقيين قدموا من اليمن ثم هاجروا من هناك إلى الشمال الشرقي لشبه الجزيرة العربية، أو كون هؤلاء الفانقيين عينهم قدموا اليمن بعد استقرارهم في البحرين، عمان،، كل هذا لا ينتقص بحال مهاراتهم التجارية أو الملاحية، ولا يغير من وظائفهم كبحارة-تجار. فيمكن أن نجد إثر الاكتشافات

الأثرية التي حرت في المناطق الساحلية الغربية للخليج، أسماء مدن ظهرت مجددا في كنعان، بعد قدوم الفانقيين إلى مناطق البحر الأبيض المتوسط¹.

- يتكلم الفانقيون والعرب الجنوبيون لغات انحدرت من فرع واحد، هو الفرع العروبي-الحامي : فهم بالتالي انحدروا أصلا من موجات هجرات واحدة، على غرار مصري وادي النيل أو إير-بربر الغرب.

- كون هؤلاء البخارة-التجار كانوا يسمون قبل قدومهم كنعان معينين²، مجانين³، دلمونيين، ثموديين، عمالقة أو أسماء آخر، فمن المؤكد أن الذين سيلقبون فانقيين بعدها، حازوا حضارة متألقة وهم قادمون مباشرة من مناطق جنوبية أو شرقية (الشرق والشمال الشرقي) لشبه الجزيرة العربية، أو من المنطقتين معا.

- أورد كتاب كثيرون (واحد منهم⁴ D. Kosambi) وجود علاقات تجارية بين وادي السند من جهة وبلاد الرافدين وجزيرة البحرين (السماة تلمون في كتابات بلاد الرافدين) من جهة أخرى. مما يعني أن التجارة مورست على ساحلي الخليج العربي (شرقا وغربا)، لا اقتصارا على طريق البر ولكن عن طريق البحر أيضا. ووحدهم بخارة-تجار مثل الفانقيين (أو الكنعانيين)، كان بمقدرتهم إجراء هذه العمليات التجارية على ضفتي الخليج⁵.

يظهر لنا إذا، أن البخارة-التجار للبلاد العربية السعيدة، الذين كانوا إلى جانب هذا فلاحين، وسيطروا على مقاليد التجارة في البحر الأحمر والمحيط الهندي، بخاصة مع الهند وشرق إفريقيا وحتى الصين، كانوا يرغبون في

1. يخبرنا سطرابو أن جزيرتين من خليج فارس، صور وارواد، حازتا معابد فانقية. سكانها من أصول واحدة مع نظرائهم المتوسطيين.

2. للعينيون أو المعانيون. حسب بعض المؤلفين والبقايا الأثرية، كانوا حضورا في البلاد العربية الوسطى والشمالية الغربية، قبل استقرارهم بكثير في الجنوب (حيث بنات الملكة العينية في منتصف الألفية الثانية).

3. شكلت البعثة الأثرية لـ CNRS (باريس) بدقة صورة جزء من ماض جد قديم لبلاد مجان وتكلمت عن تبادلات كانت موجودة بين مناطق الخليج وساحل شبه الجزيرة الهندية.

4. في كتابه "ثقافة وحضارة الهند القديمة".

5. لقد حدسنا أعلى السياق مع دراسة الاسمين ارفخشذ، وعملاق. ان العمالقة -الذين شكل احد فروعهم الفانقيين- قد وصلوا المناطق الساحلية للخليج العربي (موطن قوم عاد) عبر البحر.

استغلال ثراء بحر الشمال، الواقع على الجهة الأخرى من البحر الأحمر : يقصد من هذا الأراضي الشرقية للبحر الأبيض المتوسط، المجاورة لمصر، أراض ليس لها سفن. فقرروا إرسال أحد فرووعهم، وهم الذين سيصبحون فائقا مستقبلا، إلى البحر الأبيض المتوسط ليضمّنوا إشرافهم على هذا البحر من وجهة تجارية (في مرحلة أولى). وهكذا نجد مهاجرين، بحارة-تجارا وعائلاتهم في كنعان (فانقيا)، لهم مؤهلات إخوانهم نفسها من جنوب أو شرق شبه الجزيرة العربية : الملاحه والتجارة. ونلمح في هذه الحقبة، في العالم العروبي، بحارة-تجار آخرين غير أولئك يمنيّ الجنوب أو فانقيّ الشمال.

مما يدلّ على أنّ كلا هذين الأهلين، اللذين يتكلمان لغتين متجاورتين، لغات عروبية-حامية، قد ورثا من رصيد مشترك، فنّ الملاحه مشفوعا بتجارة مربحة. كما فعل العرب الجنوبيّون -يلقبون بفانقيّ بحار الجنوب بالالتفات إلى قرابتهم الملاحية والتجارية التي يتقاسمونّها مع الكنعانيّين- الذين عرفوا الطرق البحرية والتظام الموسميّ واستطاعوا أن يطوفوا حول شبه الجزيرة العربية عن طريق البحر (من الخليج العربيّ إلى خليج العقبة)، سنرى فيما يستقبل أنّ هؤلاء الفانقيّين أنفسهم طافوا حول إفريقيا عن طريق البحر ووصلوا إلى غاية بحر البلط بسفنهم، عبر المحيط الأطلسي وجزر القصدير البيريتانية¹. وتحكّم البحارة-التجار الفانقيّون عمليّا في العلاقات التجارية في جميع بلدان حوض البحر الأبيض المتوسط خلال الألفية الثانية قبل الميلاد.

2.3. المعنى الأصلي للمصطلح فانقيّ

بالأخذ بكلّ ما سبق، بوسعنا الآن عقد مباحثة حول المعنى الأصليّ للمصطلح القوميّ "فانقيّ"، وهو الموضوع الذي اختلف حوله الكتاب.

1. انظر أحد كتبنا السابقة "العرب، أسلاف الجاليين؟"

نحن، نتذكر أن فانق، ملك فانقيا هو اسم سلف الفانقيين. وحسب سلسلة نسب نوح -عليه السلام- كما يشار إليها في "الكتاب المقدس" ("سفر التكوين")، كان لعابر -حيث يعني الاسم هذا (عابر) "الذي يجتاز نهرا" (الفرات تحديدا)- ولدان : فالج وقحطان. ولقد رأينا في أعلى السياق، أن الابن الثاني، قحطان هاجر نحو اليمن وأصبح سلف العرب الجنوبيين أو اليمنيين أي القحطانيين، الذين هاجر جزء منهم من جديد ليستقروا في منطقة الحجاز (وسط الجزيرة العربية).

وبالتسبة للابن الأول لعابر، يخبرنا "العهد القديم"، أن زمن فالج "قسمت الأرض": وهو معنى هذا الاسم، ويترجم الجذر ف. ل. ج. "الشطر إلى اثنين وتقسيم شيء ما، حَزَتْ (الأرض)، ومع اسم الفاعل فالج "الذي يقسم". والجذر ف. ل. ق. نظير ف. ل. ج. مع تناوب بين القاف والجيم، يحتفظ بالمعنى نفسه.

وفيما يبدو لنا، هذا الجذر (فلج. أو فلق) هو أصل المصطلح القومي "فانقي"، ولهذا مبرراته :

1- التسمية "فانقس" هي الاسم الهلاني مرفوق بالأحقة "س"، وأصله فانق أو فانك.

2- بإبدال حروف اللام والتون، نحصل على اسم فالك (حيث يعتبر الاسم فالج أحد كتاباتها).

3- إذا كان قحطان (يقطان المذكور في "الكتاب المقدس") هو اسم سلف القحطانيين، فإخوه فالك (فالج) هو سلف الفالكتين (فانكيو الإغريق Φοινίξ, ιχος)، أي الفانقيين (مع تناوب بين حرفي الكاف والقاف).

4- حسب "العهد القديم"، في زمانه قسّمت الأرض، : تحيل هذه الإشارة حقيقة إلى "تقسيم"، جزء من شبه الجزيرة العربية بين القحطانيين¹ من جهة، والفانقيين الذين استعمروا المناطق الساحلية الغربية من الخليج العربي قبل أن يستقروا في البحر الأبيض المتوسط (بلاد كنعان)، من جهة أخرى.

1. امتدت إقطاعية البلاد العربية الجنوبية -أو مستعمراتها- إلى غاية الحجاز وحضرموت.

التقسيم المشار إليه أعلى السياق هو تفسير لهجرات مختلفة وقعت في حقب متعددة، نحو الأقاليم التي استقرَ فيها أولئك الذين سيصبحون قحطانيين، أو نحو أراضٍ آخر سيستعمرها الفانقيون¹. وعلى أي حال فهذا التقسيم الفضائي ليس منهجياً، لأن البلدان موطن كل هذه الأهالي لم تكن منعزلة عن بعض؛ فلقد كان بينها تبادل علاقات وانصهار جميعها بعضها في بعض؛

5- إن القرابة بين اللغة العربية الجنوبية والفانقية (الكنعانية) طبيعية، لأنهما بنتان من فرع لساني واحد، مثلما أن فالج وقحطان أخوان وابنان من أب واحد.

6- فضلاً عن هذا، إذا اعتبرنا جذرا مجاورا ف. ل. ك. بتناوب بين الكاف والقاف، هذا الجذر مرتبط من جهة بالكواكب وعلم الفلك، ومن جهة أخرى بالملاحة والبحر، تباعا مع المصطلحات فلك "كرة سماوية، كوكب، علم الفلك" و"فلك" أي سفينة، مركب.

جميع هذه المعاني تتناسب مع إحدى الوظيفتين الأساسيتين للفانقيين، ألا وهي الملاحة. في الواقع (حسب عبارة عمر "الوذني")، هؤلاء الملاحون العظام للبحر الأبيض المتوسط القديم، ومكتشفو كل الأراضي، وأسلاف الملاحين الإغريق، لم يستطيعوا الوصول إلى المحيط الأطلسي، بحر البلط، إلخ. إلا بتحكمهم في مفتاح ملاحة أعالي البحار، الذي هو علم الفلك. فحينما نفتقد إِبصار السواحل، فالفيصل للملاحة الفلكية (فنهارة بالشمس وليلا بالقمر والنجوم والكواكب). وهو ما يتيح للسفينة بلوغ وجهتها،

1. الاستعمار القديم (مثل استعمار الفانقيين في أوروبا أو في شمال إفريقيا)، هو قبل كل شيء حركة أهال، حدثت بصفة مسالمة وبموافقة سكان البلد المضيف. لقد كانت نتيجة الاستعمار الفانقي في بربريا الانصهار، في جميع الميادين، الانصهار الذي أفضى ليلاد الليبيين-الفانقيين. ينبغي الفصل بين هذا الاستعمار "la colonisation (pacifique)" والغل والاستغلال "la colonisation (violente)"، والتسلطية "le colonialisme" وهو الطرح الذي استقر مكرسوه في أراضٍ أجنبية عنوة، باستعباد الأهالي المحليين (من أجل الاستزادة في الموضوع، انظر كتابنا "إيريا وبربريا"، صفحتي: 104 و105).

7- يقدر كثير من المؤلفين أن مصطلح "فانقي" ذو أصل إفريقي وترجمته أحمر أو أرجواني. ولقد تكلمنا في كتاب سابق¹، عن جوهر اللغة العربية في اليونانية الفصحى، مبينين أن كلمات كثيرة من معجم لغة الضاد انتقلت إلى اللغة اليونانية الفصحى. وقد تكون كلمة فانقي أو Phoiniks واحدة من الكلمات اللاتني انتقلن.

نظرا لشهرة الفانقيين بصناعة الأرجوان، ذهب الهلانيون إلى إطلاق الاسم الأول -Phoinikos- على اللون الأحمر، في لغتهم وليس العكس. ولأن الفانقيين- العروبيين الأوائل الذين "تعرف" عليهم الهلانيون حين غزوا شبه الجزيرة الإفريقية- اهتموا بزراعة التخليل، في إفريقيا كما في كنعان، على غرار عروبيين شبه الجزيرة العربية، فقد ذهب الدوريون ذوو لغات هندية-أوروبية إلى إطلاق هذا الاسم -Phoinikos- على التخلية، لا العكس².

8- كما أن المصطلح القومي قحطاني (النحدر من قحطان، ابن عابر) لاقى قبولا من المؤلفين، العرب منهم وغير العرب، فالمصطلح فانقي القومي أو فالقي (مشتق من فالق أو فالج بن عابر) قد يكون اعتبر أيضا كاسم أصل لهؤلاء الأهالي، وليس ككنية أطلقها الدوريون-الهلانيون.

3.3. التسلسل الزمني المفترض لموجات الهجرات هذه

حسب الكتاب³، كان شمال إفريقيا قبل مجيء البيض، مأهولا بأهال سود. وقد حل أهالي البحر الأبيض المتوسط البهق محل الأهالي ذوي البشرة الداكنة في الصحراء، بعد أن شغلوا المناطق الساحلية. وقد كانت المنحوتات والرسم الصخرية لشمال إفريقيا وأروبا الغربية (شبه الجزيرة الإيبيرية وجزء كبير من فرنسا الحالية)⁴ عملا أساسا لشعوب زنوج، صنعة سبقت الألفية الخامسة قبل العهد المسيحي. وكان البربر انحدروا من الشرق، من الجزء الشرقي لحوض البحر

1. "تاريخ الاستعمار العروبي في بلاد الإغريق القديمة".

2. كلمة نخلة تقابلها phoinix في اليونانية (مجانسة "أرجوان").

3. انظر كتابنا "إيبيريا وبربريا".

4. إيبيريا القديمة حسب القوال سطرابو، تصل إلى غاية نهر الوردان.

الأبيض المتوسط ، (كما ضبط¹ Ch. A. Julien)، على غرار الإبير. تصنف لغتهم (الإبيرية-البربرية) ضمن المجموعة العروبية-الحامية، على نحو المصرية.

وإذا ما اعتبرنا أن اللغة البربرية هي جارة اللغة المصرية، فهي أيضا قريبة اللغة العربية الجنوبية. وجميع هذه اللغات، كما الأكادية واللغات القوقصية تضمن في فرع اللغات العروبية-الحامية.

وهكذا ترسم الخطوط العريضة لاستعمار الشعوب ذات لغات عروبية-حامية، من القوقص وأعلى بلاد الرافدين نحو اليمن ووادي النيل وإيريا-بربريا.

يكون إذا هذا الاستعمار السكاني، في شكله الأساسي، قد وصل إلى شمال إفريقيا، نحو الألفية الخامسة، وفي وادي النيل سابقا للألفية السادسة (طريق الشمال) وفي جنوب شبه الجزيرة العربية في الحقبة نفسها، قليلا قبل انطلاق موجات هجرات جديدة من اليمن نحو الحبشة والجزء الجنوبي لوادي النيل (طريق الجنوب)، وهو ما يتطابق مع التقدم الفضائي-الرماني لتدفق الهجرة من الشرق إلى الغرب ومن الجنوب نحو الشمال.

يؤيد رصدنا الرماني هذا محمد عزة دروزة (وعلماء مصر القديمة آخرون)، حيث أشار في كتابه² : ، يصرح المؤلفون، اعتمادا على المخطوطات المنقوشة بالخط المقدس القديم، أنه في مصر (في الشمال كما الجنوب) قد وجدت، قبل الملكة الموحدة الأولى -التي يرقى تأسيسها إلى خمسة آلاف سنة قبل الميلاد، بالنسبة لبعضهم، وثلاثة آلاف وخمسمائة لبعضهم الآخر- عدة إمارات أو ممالك صغيرة. وقد اجتمعت هذه الأخيرة تباعا في مملكتين (مملكة الجنوب ومملكة الشمال) ثم توحدت ضمن مملكة واحدة، بعد القدوم المكثف لموجات هجرات عروبية قادمة من شبه الجزيرة العربية. ومن المنطقي القول بأن هذا (توحيد المملكتين في واحدة) حصل بعد قرون عديدة. وهو ما يرتقي بموجات

1. في كتابه "تاريخ شمال إفريقيا".

2. مصدر سبق ذكره.

الهجرات العروبية إلى ستين أو خمس وأربعين قرنا (حسب بعض الأطروحات) قبل العهد المسيحي.

أثبت محمد عزة دروزة، نقلا عن عالم مصر القديمة Breasted أن الهجرات السامية في مصر، التي يعود تواجدها إلى أصل تأسيس الإمارات، ثم تأسيس الملكتين، فواحدة موحدة في النهاية، حدثت في ماض بعيد من الصعوبة بمكان تحديده. ثم تابع محمد عزة دروزة مصرحا أن موجات الهجرات العروبية طوّعت البلاد بتقسيمها حسب شعوبها وقبائلها. وأما الأهالي المحليين، فقد أذعنوا، وانصهروا بعد أمد طويل في الأهالي المصريين الجدد.

ويقدر عالم مصر القديمة سليم حسن¹ أن مينا انحدر من هؤلاء الأهالي الجدد، وقد يكون ملك المملكة الجنوبية، ثم بعد أن ورث عن أمه مملكة الشمال أصبح أول ملك للمملكة الموحدة لمصر.

وفيما يخص موجات الهجرات ذات لغات عروبية-سامية، تم انطلاق الاستعمارات نحو بلاد فارس والهند، أو نحو وسط شبه الجزيرة العربية وشمال وادي النيل، فعليا في الفترة نفسها، أي سابقا للألفية السادسة قبل الميلاد.

يبدو أن مصر استقبلت مهاجرين يستخدمون لغات عروبية-سامية، بأقل عدد من أولئك الذين يستخدمون لغات عروبية-حامية (وهو الحال نفسه الذي ستعرفه بربريا) لأن المصرية (لغة من هذا الفرع الأخير) هي التي سيتكلمها ساكنو وادي النيل. وهو أمر منطقي، لأن الرواية المصرية تزعم -كما أشرنا أعلى السياق- أنه بالنسبة للمصريين، كانت اليمن (بلاد يتكلم سكانها لغة عروبية-حامية) منطقة مقدسة وأنهم ينحدرون منها (حسب ديودور الصقلي، تنحدر اللغة المصرية من لغة حمير العربية الجنوبية).

إن هذه اللغة هي من يضمن الاستعلاء، عالة على حساب لغة عروبية-سامية، في مصر، وفق منطق الغلبة للأكثر، حيث النتيجة هي التفوق الاقتصادي والهيمنة السياسية واللغوية.

1. في كتابه "مصر القديمة".

4. جملة القول

يقع الوطن الأولي للمتكلمين بلغات عروبية في أعلى بلاد الرافدين وفي المناطق القوقصية. باكرا قبل الألفية السادسة قبل الميلاد، بدأت انطلاقة موجات الهجرات الكبيرة من هذه المناطق، وأساسا نحو الشرق (بلاد فارس والهند الغربية وآسيا الوسطى)، نحو الجنوب (شبه الجزيرة العربية، انطلاقا من بلاد ما بين النهرين حتى المناطق الساحلية للخليج العربي-الفارسي وللمحيط الهندي وللبحر الأحمر)، نحو الغرب (الأناضول والمناطق الساحلية للبحر الأسود وشرقي البحر الأبيض المتوسط إلى غاية دلتا النيل).

يبدو أنه في هذه الحقبة، بدأت اللغات العروبية، كل واحدة على حدة، يثبتن فرديتهن : فلقد وصل الناطقون بلغات عروبية-حامية إلى ضفاف المحيط الأطلسي (بربريا وإيبيريا) في حين ظل جزء منهم في جنوب القوقص (كرج وأذربيجان الحاليتين)، وفي أعلى بلاد الرافدين وفي شمال بلاد القوقص (بلاد الشاشاون وإنجوشيا وأدوغستان الحاليين)، وأما المتكلمون بلغات عروبية-سامية، فقد استعمروا جميع باقي شبه الجزيرة العربية (وتضمن أسفل بلاد الرافدين أو بلاد بابل) -باستثناء اليمن، التي شغلها "عروبيون-حاميون"- وكذا البلدان المجاورة.

وهكذا سكن شبه الجزيرة العربية، مجموعتان بشريتان تنتمي كل واحدة منهما إلى فرع لغوي مختلف (حسب تصنيف المؤلفين الأوروبيين) : أعلى بلاد الرافدين والبلاد العربية الجنوبية لتكلمي لغات عروبية-حامية، متكلمين تباعا الأكادية والعربية الجنوبية، في حين أن الجزء الباقي من "جزيرة العرب" آل إلى حصنة المتكلمين بلغات عروبية-سامية، متكلمي العربية الوسطى (التي يطلق عليها غير ما تسمية : المضريّة، المعينية، العادية، الحجازية ...) في البلاد العربية الصخرية وفي البلاد العربية الصحراوية، أو البابلية في بلاد بابل في أسفل بلاد الرافدين.

كما تكون اللغة-الأم أو العربية المشتركة قد تطوّرت وتحوّلت، إثر هذه الهجرات، مولدة لغات عروبية كثيرة، التي تباينت هي الأخرى، تبعا للتموقع الاستوصافي-الأرضي للمواطن التي استعمرها المهاجرون وصروف الزهر والمحيط والاحتكاك بلغات آخر لأهل دخلاء، وتغيّر المجتمع، إلخ.

والقمين بالملاحظة، هو حقيقة أنّ الناطقين بلغات عروبية لم يصبحوا عربا (أو لم يسمّوا أعرابا) إلا بعد مرورهم من حالة الحضر إلى حالة البدو.

يتطابق الجذران عرب وعبر، بشكل ملحوظ : حيث يعني الفعل عبر "اجتاز، قطع (نهرًا)"، والاسم عبر له معنى "حافة، حرف، ضفة نهر"، في حين أنّ عبارة تعني "القارب الذي به يجتاز النهر أو الشرم". والكلمة عبور تعني "فعل الاجتياز" ويوصف المار والمسافر بعابر. جميع هذه الأسماء تعني على غرار الجذر عرب، فعل حركة ومور وترحال.

وضمن هذا السياق، يلحق اللغويون العرب كابن قتيبة في "أدب الكاتب" (القرن الثالث للهجرة) وابن جني في "الخصائص" (القرن الرابع للهجرة) وابن فارس في "الصاحبي في فقه اللغة" (القرن الرابع للهجرة)¹ بمعنى الكلمة الأصلي نفسه، الاشتقاق نفسه، تناوب الحروف الصامتة في جذر ما. وهي الحالة التي يمكن إسقاطها على الحروف الصامتة ع. ر. ب. و. ع. ب. ر. على التوالي في الكلمتين "عربي" و "عبري".

وبالتسبة لمختصّي فقه اللغة "السامي"، الكلمتان "عربي" و "عبري" هما كلمتان عربيتان كنعانيتان، تعنيان "بدوي أو أعرابي". ويشير² I. Wolfensohn أن مصطلحي : عربي وعبري هما شيء واحد : وقد طرأ تناوب بين المقطعين.

وقد سمي شبه الجزيرة العربية، بخاصة الجزء الواقع في جنوب الفرات "جزيرة العرب" أو البلاد العربية، أي "بلاد البدو"، نظرا إلى الجزء الكبير من هذه المنطقة المتكون من أقاليم صحراوية. ويمكننا ملاحظة تطابق هذا الاسم

1. اللساني "الصاحب بن عباد".

2. في كتابه "اللغات السامية".

الأخير مع تسمية نظيره الإفريقي، نميديا (أي بربريا)، التي عرفها المؤلفون كبلاد مأهولة من طرف البدو.

وهكذا، اقتضت الأقدار، أن يضطر المتكلمون بلغات عروبية. الذين كانوا حضرا في الأصل ومؤسسي حضارة كبيرة، حضارة بلاد الرافدين، للهجرة (بعض منهم) نحو مناطق صحراوية أين كان ينبغي أن يتكيفوا مع المحيط المحلي : وأصبحوا بالتالي أعرابا-رعاة. وفي سياق كلامه عن هؤلاء، صرح¹ Ph. Hitti :
يمثل البدو في أحسن صورة التنوع البشري الأمثل تكيفا مع وسطه.

والأمر الأهم الجدير بالتنويه ها هنا، في منحى موضوعنا، بخصوص المرور من حالة المدنية إلى حالة البداوة، هو أن وضعية الانعزال، انعزال الحياة في الصحراء -في حوجلة- سمحت بالحفاظ على اللغات العروبية في أحسن صور نقائها، بمنأى عن كل تبديل أو تأثير لغوي "دخيل"، على مذ ألفيات كثيرة، أحسن بكثير من أي ظروف استوصافية-أرضية واجتماعية أخرى.

المقارنة، بالتسبة إلى أصالة اللغة، يمكن إجراؤها مع اللغة البربرية التي بقيت، في وجه أعاصير ومد وجزر التاريخ، وظلت قارة الأركان وثابتة. فملاذ هذه اللغة الأخيرة، أساسا، داخل الأقاليم المعزولة والمطوقة والصحراوية أو الجبلية أتاح الحفاظ عليها ودوامها.

1. مصدر سبق ذكره.

الفصل الرابع

التجارة والملاحة

يبدو أن أول من ابتنى فلكا في الكون، هو نوح -عليه السلام- ببناء سفينته التي جرت على مياه الطوفان لعدة أسابيع. وحملت السفينة بداخلها النبي نوح -عليه السلام- (أو "الشيخ" حسب "سفر التكوين")، وعائلته وأزواجه من البهائم (من كل زوجين اثنين).

لقد أنجبت شبه الجزيرة العربية، المسماة بـ "جزيرة العرب" منذ أقدم الأزمنة، من أجل الخروج من حصارها الفضائي شبه الكامل (فهي محاطة بأربعة أبحر) ملاحين وبحارة، يبحرون على مجرى الأنهار مجتازين مناطقها : دجلة والفرات في بلاد الرافدين، وأنهار سورية، وفانقيا وآسيا الصغرى. وعبر الطرق التهرية أساسا نقلت الحجارة الثقيلة ذات الحجم من أجل تشييد البنايات الدينية والجنائزية (الأهرامات على سبيل المثال)، والقصور الملكية والسدود، إلخ.

لقد كانت المواد النفيسة -كالنباتات العطرية والبخور والتوابل والذهب والعاج، إلخ، التي حققت نجاحا وشهرة ومجدا للممالك القديمة- توجه، إلى الموانئ والمحطات البرية عبر الطرق البحرية. ثم إتھا هذه الطرق الرطبة من دل على عدة مستعمرات سكّانية، انطلاقا من جميع المناطق العروبية، نحو آسيا الوسطى وإفريقيا وأروبا الغربية والشمالية (النيل، الدانوب، البولغا، السند ...).

وأعطت بلاد الرافدين بجدارة المال في عبور المسطحات المائية الصغيرة المالحة أو العذبة، بفضل توافر الصقاصف (أرمانيا وأعلى بلاد الرافدين) والقصب (في مستنقعات بلاد بابل)، وهي النباتات التي أسهمت في صناعة المراكب الخفيفة. كما قد عثر على بقايا مراكب مصنوعة من جلد الحيوانات ومدسورة بالألياف

القنباريّة¹. ولقد اشتهرت غابات الأناضول وفانقيا واليمن والهند بما تجود به من الأخشاب التي تستخدم في بناء السفن : فقد اشتهر شجر أرز جبال لبنان (في فانقيا) في ضبط ألواح السفن الشراعية.

لقد سمح قرب الأراضي الجزرية، وضيق عرض الأنهار، للإنسان، في مرحلة أولى، بأن يالف العنصر السائل، وأن يتدرّب على التوجيه وعلى الترشيح عبر الجزر الصغيرة والصخور، في الليل كما النهار. كما أن تنقل البلو في الفضاءات الصحراوية الشاسعة أورث العرب ألف الطرق الليلية، مهتلين بالتجوم والكواكب.

لقد أعطت أولى الهجرات العروبية، عن طريق البحر، تلك التي عبرت مضيق هرموز (المسافة التي تفصل سواحل فارس عن ضفاف شبه الجزيرة هي اثنا عشر كيلومتر فقط) أو تلك التي عبرت البحر الأحمر (بين ساحل الحجاز والساحل المصري، مثلاً) الفرصة لهؤلاء البحارة الأوائل أن يؤكّدوا معرفتهم بالبحر والمراكب. ثم قاموا بأولى الإبحارات بما يحتمل هذا الاسم من معنى، أبعد وأمعن في الغامرة شيئاً فشيئاً. ولقد كان حافز العرب في هذه الرحلات مزدوجاً : فمن جهة تأمين نقاط رسو لموجات الهجرات العروبية في ما وراء البحار، للأسباب البشرية والحضارية التي كتنا ذكرناها في سياق سالف، ومن جهة أخرى، لأغراض أبلغ أهمية ونفعية أكثر : هي التجارة.

لقد استرعى اهتمام العرب ما يعتري بعض الأقاليم الثرية والمؤونة بشكل دائم، من مشقة بلوغها أو بعد الوصول عن طريق البر، أو سلوك طرق غير مأمونة شيئاً ما، مع احتمال الغارات، هجومات مسلحة من طرف المنافسين الكامنين أو ببساطة قطاع الطرق، لتجار سهلي العطب. فضلاً عن هذا فسفينة

1. التسر هو خيط القنبار، يستخدم للربط بين ألواح السفينة (جلفطة). حسب رواية لروايات المراكب النخيرة مع الفرات مستلجرة وجميعها من الجلد، ذاك أنهم فصلوا الأضلاع بصقل الصقاصف الذي ينمو في أرمينيا، أعلى بلاد آشور، ويمتلونها طوقاً بالجلد المهيأ، بشكل يجعله القعر. هذه المراكب مستلجرة كالترس، ويثنونها من الباطن بالقصب. ويوسع كل واحدة من هذه المراكب أن تحمل حماراً أو علفاً، حسب حجم المركب.

واحدة محملة بالسلع تحوي شحنة معادلة لعشرات من حيوانات العتالة (بخاصة الإبل)، بطاقم أقل عدد، قياسا إلى تعزيز بشري أكثر عدد بكثير بالنسبة للقوافل. مما أتاح تقليص التفقات، وبالتالي تحقيق ربح أوفر.

كل هذه الاعتبارات المادية والمالية جعلت من ممارسة الملاحة في الخليج العربي والمحيط الهندي والبحر الأحمر ثم في البحر الأبيض المتوسط تتطور وتكتسي أهمية، فلقد احتكر العرب مقاليد العلاقات التجارية البحرية في العالم القديم (آسيا وإفريقيا) ثم في شمال وغرب أوروبا على طيلة ألفيات كثيرة.

يقدر حسن صالح شهاب¹ كتابا ما يلي : « باعتبار أن سواحل الهند وفارس كانت جذ قريبة من تلك العربية (مضيق هرموز) وإمكان عبوره بمراكب ذات وسائل بدائية، فمن الراجح أن العرب هم من قام بهذا الربط حينما كان العربي قادرا على بناء مركب صيد..»

تماما مثلما تبدو البدو عبر الصحراء وتوجهوا اهتداء بالكواكب². فقد كان العرب ملاحين ابتعدوا في المياه المجاورة لشبه الجزيرة العربية، في مرحلة أولى (بوساطة الملاحة الفلكية وبيت الإبرة المجانية³ والحساب القياسي التقديري والمعارف الدقيقة للرياح السائدة تبعا لكل فصل -بخاصة في وقت الرياح الموسمية-). وبعد ذلك أخذوا يردون بحارا أقل إلغا : فقد عرف البخارة العرب الصين، في الشرق، و جلبوا منها الحرير والخزف الصيني، والشاي، إلخ. كما عرفوا المناطق دون-الاستوائية في الغرب، في إفريقيا ... لم تغفل الحضارة العربية أن تدبج في سجل رصيدها فن الملاحة.

1. في كتابه "فن الملاحة عند العرب".

2. لقد سقى العرب للتجوم اسم حيوانات وأشياء الغوها.

3 حسب أبحاثنا حول هذه التسمية استخلصنا أنه انطلقت من بلاد مجان، في شرق شبه الجزيرة العربية هجرات عديدة نحو آسيا الصغرى ثم بلاد الإغريق حيث استقرت فيها وأسست المدينتين السفنتين مجان في الأناضول ومدينة مجان (Magnésie أو Magnès) بشمال بلاد الإغريق. فالحجرة الخاصة المستعملة لجذب الحديد المسماة magnésic ومنها اشتقت الصفة magnétique، هي في الحقيقة مرتبطة باسم مجان وصفتها مجانية بدلا من "مغناطيسية". انظر كتابنا المعنون "الاستعمار العروبي في بلاد الإغريق القديمة".

1. في البحر الأحمر والمحيط الهندي

لقد أشرنا في فصل موجات الهجرات، إلى مرور العرب نحو إفريقيا عن طريق البحر، عبر مضيق باب المندب. كما أشرنا إلى قرب بلاد فارس والسند (وادي السند) والهند (بحر عمان) وكذا سلسلة الجزر في عرض البحر من الساحل الغربي (جزر الفال-الكالديف-والذبية-المالديف-، إلخ)، وهو ما جعل العرب يصلون إلى هذه المناطق، أو منها يقدمون -ليس فقط براً ولكن بحراً أيضاً-. فقد كانت هناك عدة مستعمرات عروبية في بلاد فارس والسند (باكستان الحالية)، ومراكز نفوذ تجارية موزعة على طول الساحل الغربي للهند، يتحكم في مقاليدها عرب (فتموين التجار العرب بالتوابل والبخور ... مشهور وإليه أشار المؤلفون).

لقد أشار Guillaing نقلاً عن R. B Serjeant¹ أن ، في ماضٍ غابر، كان العرب تجاراً بحارة، بخاصة في الشرق (المحيط الهندي). وكان لهم على جميع ساحل السند مستعمرات عروبية قوية سماها الهنود عربيتا، وقد أكد نير-راق، قائد بحرية إسكندر الكبير تواجدها. لقد تواجد العرب على سبيل المثال في منطقة ساحلية تسمى جدروسيا (وهي بالوشستان الحالية) بين كربيلاً ومصب نهر السند.

كتب عالم استوصاف الأرض والرحالة الدانماركي Karsten Nyborg، الذي زار الجزيرة العربية في القرن الثاني عشر للهجرة (الثامن عشر للميلاد) : ، لقد كان العرب الذين شغلوا جميع المناطق الساحلية لمملكة فارس، من مصب الفرات حتى مصب نهر السند تقريباً، يتكلمون العربية ولهم عادات عربية .. وأضاف مصرحاً : . لا نستطيع بدقة تحديد عصر تأسيس هذه المستعمرات في فارس، غير أنه يمكن القول أنها تأسست في عهد أول ملوك فارس. هناك تشابه كبير بين عادات مقتاتي السمك القدامى، وعادات العرب.

1. في كتابه، "الساحل العربي الجنوبي".

فهم يصطادون اللؤلؤ، ويأكلون التمور والأسماك، ويقدمون السمك كطعام لأنعامهم....¹.

وحسب أروادوت، لم يملك الفرس زمن قورش قوات بحرية، فقد اعتمدوا على الفانقيين وسفنتهم في المعارك البحرية التي خاضوها مع الإغريق. وكان الفرس بخاصة ملاك أراضٍ وفلاحين ورعاة.

وقد تغنى الشعر الجاهلي (مع ساعدة بن جوبة الهذلي وطرفة بن العبد على سبيل المثال) بالبحر وجزره ولؤلؤه ومرجانه، وعقد مقابلة بين الإبل، سفينة الصحراء، التي يحاكي مسيرها المائج التمايل والترنج والمراكب البحرية.² وقد كان بعض العرب قبل العهد الإسلامي بخارة وصيادي لؤلؤ في الصيف وفي الحين نفسه بذوا في الشتاء والربيع.³

وقد تكلم المؤلفون القدامى أيضا عن الملاحة التي مورست في البحر الأحمر وفي الخليج العربي (الفارسي)، في عهد متقدم خلال الألفية الثالثة قبل الميلاد. وهكذا كتب أروادوت⁴ أن ، سحو-رع هو أول من أبحر على رأس أسطول مكون من سفن طويلة. انطلقت من خليج فارس، وأخضع الشعوب القاطنة بسواحل بحر إيريثريا (بحر عمان).. وأكد ذلك ديودور الصقلي قائلا: ، جهز سحو-رع للقيام بحملة على بحر إيريثريا (بحر عمان) أسطولاً مكوناً من ثلاثمائة سفينة، وكان أول مصري ابتنى سفناً طوالاً. وقد استولى هذا الأسطول على جميع الجزر الموجودة في هذه التواحي. واحتل البلدان الواقعة على سواحل البحر إلى غاية الهند..

1. إلى يومنا هذا، لا يزال أهالي الجنوب والشرق العرب يستهلكون فقط السمك (مقتاتو السمك) ويطعمونه أنعامهم، مما يفترض نزعا تقليدياً للبخارة-الصيادين.

2. يعتبر الجذران : ن. و. ت. نات "ترنج في الشية" و ن. و. س. / ناس "تارجج، هرز محركا، حرك" ومشتقاتهما، بشكل جيد عن هذه الحركات الطبيعية. وهما الجذران العربيان اللذان أعطيا الكلمات اليونانية naūs (الذي يصف "زورقا" أو "مركبا") و nautikós ("بحرية") و nautēs ("بحار، ملاح").

طالع بهذا الصدد كتابنا "تاريخ الاستعمار العروبي في بلاد الإغريق القديمة".

3. H.R.P. Dickinson في كتابه "عرب الصحراء".

4. في كتابه "تواريخ".

وتحيلنا شهادات المؤلفين القدامى هذه على التاريخ المشترك بين المصريين والفانقيين، في عهد الفرعون سحو-رع، وهو عصر أرخه M. M. Bunsen و Volney :
حسب البناءات المصرية، إلى النصف الثاني من القرن الثامن والعشرين قبل عصرنا.¹
حسب E. Cavaignac² منذ الألفية الثالثة مـورس إبحار السواحل بين مصر وجبيل (في بلاد كنعان) .. والمؤلف نفسه في الصفحة 215 من كتابه، لا يقصر الملاحه الفانقية على الساحلة فقط، قائلاً أن الفانقيين عرفوا ملاحه أعالي البحار لأنهم وصلوا عن طريق البحر إلى غاية الهند. وقد أشار مؤلفون آخرون، أنه منذ الألفية الثالثة، عُرف إبحار السواحل الذي مـورس من جبيل نحو مصر، بوساطة سفن جبيلية.

كل ما ذكره هؤلاء المؤلفون يسمح لنا بالقول أن السفن الطويلة التي استعملها مصريو سحو-رع. كانت سفن أعالي بحار فانقية، إذ أنه في هذا العهد كانت جبيل إحدى مدن كنعان، إقطاعية الملكة المصرية. فضلاً عن هذا كتب E. Cavaignac في الكتاب نفسه جملةً بيّنة تعزز -الآن- فرضيتنا :
. يبدو أن ظاهرة توسع الحروف الهجائية³ حتى عند سبثي جنوب الجزيرة العربية وحتى في الهند، تشير إلى أن الأسفار الكبيرة للفانقيين عن طريق البحر ليست استثنائية مطلقاً..

وبهذا الصدد، قد أخذ في الحسبان نصّ الأشعار العمريّة، الذي يجعل الفانقيين ك : . الملاحين الكبار للبحر الأبيض المتوسط القديم، مكتشفي جميع الأراضي، أجداد البخارة الإغريق..

قد تكلمنا في سياق سابق أعلاه عن بخارة-تجار عربيين، استقر بعضهم في المناطق الغربية للخليج (البحرين، عمان)، وبعضهم الآخر في المناطق الجنوبية

1. انظر "أسبا الصغرى من القدم الأعصر" ل Ph. Le Bas.

2. في كتابه "العالم المتوسطي إلى غاية القرن الرابع قبل الميلاد".

3. يتعلق الأمر بالهجاء الفانقي.

لشبه الجزيرة العربيه، بحاره اقاموا علاقات تجاريه مستمره مع وادي السند والسواحل الغربيه لشبه الجزيرة الهنديه، سابقا للألفيه الثالثه قبل الميلاد. هم هؤلاء البحاره-التجار انفسهم (أو ورثتهم) الذين نجدهم في شرقي البحر الأبيض المتوسط في بداية الألفيه الثالثه، باسم الفانقيين.

2. في البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي

كان الفانقيون، عرب الشمال (فلسطين ولبنان وسوريه الساحليه، اليوم) بحاره عتاد، سادوا جميع البحر الأبيض المتوسط. في الألفيه الثالثه قبل العهد المسيحي سطع نجم الحضاره الفانقيه في اسمى تألقه، وكانت البحريه أحد هذه التجوّم السواطع. في هذا العصر (انطلاقا من بداية الألفيه الثالثه) أسس الفانقيون موانئ عتده، صور وجبيل وصيدا وعكا وبافا وغرّه، ومارسوا التجاره البحريه، وفتحوا مراكز نفوذ تجاريه على جميع سواحل البحر الأبيض المتوسط. في القرن الرابع عشر قبل العهد للمسيحي، أسس الفانقيون، على الساحل الجنوبي مدينه أتيكا، (قرب مدينه تونس الحاليه) وبونا (عتابه الحاليه في الجزائر) التي شيلت سنة خمسين ومائتين وألف (1250) قبل الميلاد، تمثلان مركزها الأخطر في إفريقيا. في سنة أربع عشرة وثمانمائه (814) قبل الميلاد بنيت القرية الحليئه (قرطاجنه) وأصبحت بعدها عاصمه العالم الليبي- الفانقي (القرطاجتي).

كما انفتحت مراكز النفوذ التجاريه أيضا في الشمال مرفوقه بمستعمرات سكانيه، خلال الألفيه الثانيه قبل الميلاد في بحر أجا وقبرس، وبعدها بقليل في مالطا. كما استعمر الفانقيون، دائما خلال هذه الحقبه، صقليا وجنوب إيطاليا ثم سردينيا وقرسيكا. ونحو القرن الرابع عشر قبل الميلاد استقروا في جنوب فرنسا الحاليه. وأسسوا مساليا (مرساليا). لقد استعمرت شبه الجزيرة الإبريه كلها من طرف الفانقيين، حيث وجدوا هنالك أهال إخوانا، الإبر-الليبيين¹ (أو الإبر-البربر). وقد بنيت قانس من طرف الصوريين، في القرن الثاني عشر على

1. انظر كتابنا "إبريا وبربريا".

آخر تقدير ... وقد انتهى اتحاد الأهالي الفانقيين والأهالي "المحليين" بعد قرون طوال من الحياة المشتركة، بميلاد الإبير- الفانقيين.

لقد سمح تأسيس قانس عند مصب "الوادي الكبير" (نهر يصب في المحيط) للفانقيين بالتعرف على السواحل الأطلسية : وهكذا من عبور مضيق قانس أو "أعمدة عركنيل" (الذي أصبح فيما بعد يعرف بمضيق جبل طارق)، وخرجوا إلى المحيط الأطلسي. وعلى السواحل الأطلسية، أسسوا مدناً ساحلية (ستوبعل في البرتغال الحالية وسلا في المغرب الأقصى، على سبيل المثال). ثم بلغوا بيريتانيا لجلب القصدير من جزر القصدير.

كما وصل الفانقيون كذلك إلى إفريقيا الإستوائية، من أجل جلب القصدير والذهب ومواد ثمينة أخرى. وقد نثي هذا الطريق البحري في المحيط الأطلسي بأخر بري، عبر الصحراء¹. ويحكي أروادوت، في القرن الخامس قبل الميلاد، كيف أن أهالي "القرية الحديثة" (القرطاجيين)، -ورثة تجارة وملاحة إخوانهم الآسيانيين وهم الفانقيين- كانوا يقايضون السلع مقابل الذهب، في بلاد تقع بعيدة في الجنوب عن أعمدة عركنيل. وبلاد إستغل هي إحدى هذه البلدان، على طريق مناجم الذهب.

تكلم E. F. Gautier² عن مناجم القصدير : ، كانت مستغلة منذ زمن سحيق في بلد البانين ، ويقدر أن أهالي "القرية الحديثة" ، هم من خرج بحثاً عن هذا القصدير في مصب التيجر، وهم كذلك من جلب القصدير من جزر القصدير (في الأرخبيل البيريتاني).

فضلاً عن هذا، يروي أروادوت (الكتاب الرابع) الرحلة التي قام بها الملاحون الفانقيون حول إفريقيا. انطلقوا من البحر الأحمر، واسترجعوا مصر عابرين أعمدة عركنيل. فارتقوا إذا في الساحل الموريتاني مبحرين ضد

1. انظر كتابنا "إبيريا وبربريا" ..

2. في كتابه "إفريقيا السمراء الغربية".

الرياح والتيارات. ودليل هذا السقر هي المعاينة التي تنبذ عن الاختلاق، من أنهم مرّوا عبر رأس الرّجاء الصّالح، وكانت الشمس عن أيّمانهم. ودام هذا الطّواف الملاحى ثلاث سنين.

وقبل الكلام عن الفانقيين وحدهم في إفريقيّا، يجدر من باب الإنصاف الكلام عن الليبيين-الفانقيين. ولقد كتنا ذكرنا في الفصل المنصرم، القرابة اللّسانية والتاريخيّة الوطيّدة بين الفانقيين والإيبر-البربر في آسيا. حينما بلغ الفانقيون بربريا، خلال الألفيّة الثّانية قبل الميلاد بسفنهم التي تجوب أعالي البحار، استقبلوا بحفاوة من طرف الليبيين، الذين اعتبروهم إخوانا في العرق والتّحافة. وانطلاقاً من هذه الحقبة ارتبط قدّر هذين القومين ببعض. وهكذا سمّى المؤلّفون، متحرّزين الصّواب، أهالي شمال إفريقيّا بـ"الليبيين-الفانقيين".

لقد تحوّل البربر (أو الإيبر-البربر)، وهم جبليّون في الأصل -بعض جماعات منهم- فوّز قدومهم إلى إفريقيّا إلى بدو، ومؤسّسي واحات في الصحراء ومدنيّين وصيادين ... أو بحارة. ويتجلّى في هذا التّشاط الأخير بصورة أمثل تشابههم مع إخوانهم الفانقيين. وقد أسّس هكذا عندهم معجم بحريّ بلسان بربري (علم الأسماك والصّيد وأسماء قطع المراكب، وبعض المصطلحات الفنّيّة المتعلّقة ببناء السّفن أو بالملاحة)¹.

من اللّوكد أن بعض ربابنة ومعاللة السّفن وبخارتها البربر قد أبجروا على متن مراكب فانقيّة. وما من دليل يشفع لدينا لهذا، غير الوطن الجُزريّ لبعض الأهالي البربر (في جزر أكناري، ...) أو التسمية البربريّة لبحر إسارقاس²، في المحيط الأطلسي.

ومن جهة أخرى، فتسمية الأماكن الساحليّة للمناطق الأطلسيّة هي بربريّة للغاية. فصحيح، انطلاقاً من واقع القرابة المتينة بين اللّغات الفانقيّة والبربريّة، أنه من الصّعوبة بمكان القول بأسبقيّة بربريّة أسماء الأماكن من

1. Ed. Laoust. تكلم عن هذا العجم البحريّ (في كتابه " البربر صيادو سوسه ").

2. انظر كتابنا "الرحلة الجهولة للغة قديمة، البربريّة".

فانقيتها أو العكس : فعلى سبيل المثال، فمدينة مجادور التي اشتقت تسميتها من الاسم " منجلد " الفانقي أو من الاسم البربري "أماجدال"؟¹.

إن التسمية "الليبيون-الفانقيون" تعكس بجلاء الخاصة التطورية للمجتمع الشمالي-الإفريقي : فالمجتمع البدائي تحول بدلالة الوطن والمحيط والنشاطات الخاصة لكل جماعة بشرية. بعض الليبيين (الإير-البربر)، وهم أهل يرتبطون باليابسة وبأعمالها، أصبحوا فانقين بحارة-تجاراً حتى الثخاع. والعكس متاح . فبعض الفانقين تحولوا إلى جبلين وفلاحين أو بدو-رعاة.

كما أن اللغة البربرية (التي إحدى لهجاتها البونية) تطورت، وترجمت فيما بعد جميع المظاهر الجديدة للمجتمع الإفريقي، وأثري معجمها بمصطلحات جديدة.

3. في البحر الأسود ونهر الدانوب

حسب أروادوت، أهلت بلاد الكلش، التي هي إقليم قوقصي بجنود سحو-رع. وهنا راح بحارة السفينة "رقوة" حسب الأسطورة يبحثون عن الجزيرة الذهبية. وقد رأينا أعلى السياق، أيضاً، أن سكان هذا البلد (في جزء كبير منهم، على أي حال) في المناطق الساحلية للبحر الأسود كانوا عروبيين.

فضلاً عن هذا، نلاحظ أن الأساطير والخرافات القديمة تعزو لعائلة واحدة الأميرة الفانقية غروبا، من جهة، ومن جهة أخرى، آياتا، ملك بلاد الكلش، (وهي بلاد على ضفاف البحر الأسود، في القوقص) : وبا-صفاء، أخت آياتا التي كانت زوجة ميناو، ملك قرتا وابن غروبا. ويشهد سطرابو من جهته بأن المصريين، والأحباش والكلش ينتمون للعرق نفسه.

وتعيد أسطورة بحارة السفينة "رقوة"، في الطريق نحو بلاد الكلش بإشراف ياسون طلباً للجزيرة الذهبية، إلى التاكرا، الثراء الخرافي لإيريا، وهي

1. يعني هذا الاسم "سور، مكان محصن". نجد هذا الجذر في الاسم العربي جدر وجدار (بتناوب بين الراء واللام) مع معنى "جدار، سور".

بلاد مجاورة لبلاد الكلش. كما أن الإبير غادروا إقليم القوقص هذا نحو شمال إفريقيا وأروبا الغربية، كان الكلش كذلك عروبين، من "عرق" المصريين والأحباش ذاته، ومن "عرق" واحد أيضا مع الفانقيين، الذين استعمروا بلاد الإغريق، حيث كان ياسون مثالا، من بين آخر كثر¹.

وقد ذكر المؤرخ Charax في نقل لـ Ph. le Bas إقراره، بأن أسطول ياسون تكوّن من عدد هائل من السفن. على غرار السفن المصرية لسحورع، يحتمل على الأرجح أن السفن المكوّنة لأسطول بخّارة "رقوة" كانت سفنًا فانقية، يقودها فانقيون. وقد أرخ لحملة بخّارة "رقوة" بحوالي أربع وستين ومائتين وألف (1264)، أي قبل الاحتلال التوريّ لبلاد الإغريق بكثير، وهو الاجتياح الذي عزا المؤلفون بنيته انطلاقًا من القرن الثاني عشر قبل الميلاد. علاوة على هذا، فنحن نعلم أن القبائل التورية المتكلمة بلغات هندية-أروبية، حين دخولها شبه الجزيرة الإغريقية، لم يكن لها باع في البحرية، ولا تتقف البحر حتى، بل لا كلمات في معجمها تشعّف في وصفه.

ولا يناقضنا² G. Lebon حين يقرّ بأن الصيّدوين أرسلوا مراكب في البحر الأسود، إلى غاية بلاد الكلش. كما أن³ E. Cavaignac و⁴ A. Jardé يُخبراننا -عرضًا- أن الفانقيين عرفوا البحر الأسود. وقد رأينا فعلاً أن الساحل الجنوبيّ للبحر الأسود (بحر بنطس) كان مأهولاً بعروبين، ولكن وصلت أيضًا استعمارات سورية-فانقية إلى بلاد الأطراق وإلى المناطق الشماليّة للبحر الأسود، وهو ما ثبتته تسمية الأماكن ودراسات علم طبائع الإنسان⁵.

1. انظر كتابنا "تاريخ الاستعمار العروبيّ في بلاد الإغريق القديمة من خلال علم الأساطير وتسمية الأماكن والعلميات والكلم".

2. في كتابه "أولى الحضارات".

3. مصدر سبق ذكره.

4. في كتابه "تشكّل الشعب الإغريقي".

5. انظر كتابنا "العرب في أروبا قبل العهد المسيحي".

وحيثما نتكلم عن الساحل الشمالي للبحر الأسود، فنحن نتكلم بالتالي عن مصبات الدانوب وعن النهر في حد ذاته، وهو يصب في البحر الأسود، بعد قطعه جزءاً مهماً من أوروبا (من جرمانيا إلى أوكرانيا مروراً بالبلقان).

الدانوب : هذا النهر سمي إستر، من اسم الآلهة السوروية-الفانقية عشتار، إشتار، أو إستر. وفيما بعد سمي الرومان هذا النهر بالدانوب في مجراه العلوي، وهو ما حفظ له اسمه الأولي إستر، لمجراه السفلي فقط.

واسم هذا النهر، دوناو بالألمانية (دانوب بالفرنسية) مكون من جزئين¹ :

- الجزء الأول يمثله دونا أو دانو، وهو المصطلح الفانقي (أو العربي) دولا أو دالو، مع تناوب بين اللام والتون للجذر د. ل. ل / دل بمعنى "بين، علم شيئاً لشخص" والاسم منه دال "مرشد".

- الجزء الثاني "ب" وهي الصيغة للرحمة للاسم بعل، حينما يقع في آخر الاسم المركب مثل : صفوان-با، الاسم الفانقي. وهذا الاسم حسب² Z.S. Harris، هو ترجمة للتسمية الفانقية صفوان بعل، ويكتب عادةً صفوان-با، أو صفوانسبا³. ويخبرنا مؤلف آخر هو⁴ A. Van der Branden أن اللام يمكن أن يحذف من آخر الكلمة، ويذكر مثلاً لاسم علم : ح. ن. ب. ع.ل. الذي أصبح ح. ن. ب. بمعنى "نعمة بعل" يشتهر في أوروبا باسم حثا بعل Annibal (H).

1. في كتابنا "العرب، أسلاف الجاليين"، أوردنا مختلف كتابات الدانوب : دوناي بالتشيكية ودونا

بالجرية ودوناب، Dunav بالسربية والبولغارية. في اليونانية يكتب Δαγύβιος.

2. مصدر سبق ذكره.

3. اسم تفضيت به ملكة نميديا، ولدت بقرطاجنة (235-203 قبل الميلاد)، زوجة صفاقص ثم مس-ن-عيسى، ملك نميديا.

4. مصدر سبق ذكره.

كما حدد أن التسمية دانوب تعني "دليل بعل"، وهي الدلالة التي تتطابق تمامًا مع مسيرته، هادٍ بالنسبة للمهاجرين العروبيين، وهو كذلك طريق العنبر بالنسبة للتجار الفانقيين¹.

الاسم دانوب، المزدجي باسم آلهة، مكون من بعل يستأسن باسم الدانوب القديم، ألا وهو "إستر"، إحدى رفيقات بعل. الآلهة بعل (بل أو بال)، توافقًا مع وظيفته "رب المطر والماء والينابيع المعدنية الحارة" أعطى تسميته، ليس فقط لمسطحات الماء العذب (بحيرة بالاطون، بحيرة بالية) والأنهار (دانوب، دورا بالطينة) وينابيع المياه المعدنية الحارة (بولبيك، بالفنيوس، إلخ)، ولكن أيضًا لفضاءات ذات ماء أحاج (البلط الكبير، والبلط الصغير في إسكانيا وبحر البلط)².

مدن كثيرة في الدانمارك وألمانيا الشمالية وحتى في بيريتانيا العظمى، لها أسماء تنتهي بـ"بو" (by). نقارن هذه اللاحقة بـ"ب" في كلمة دانوب، أي الصيغة المرحمة للاسم بعل (أو بال) : Visby (عاصمة بلد الجُد) هي مثال، من بين آخر كثير. ومكافؤه في السويد (بلاد في إسكانيا) "بو" (bö) يوجد في مدينة ماري³ في منطقة الفرات الوسطى. وتجدر الإشارة إلى أن مصطلح "بو" (by) في اللغة الدانماركية والسويدية أو في الإنجليزية القديمة (bo) يعني "بلدة، مدينة، قرية"، وفي الإيسلاندية يعني "بو" (bu) "منزل". وهو ما يتوافق مع تعريف "بعل" الذي قدمه G. Ryckmans⁴ : . . . بغول (مفرده بعل) كانت أيضًا آلهة محلية، تحمي البيوت (العائلات والشعوب)، وكانت تسمى بـ "بعول المنزل" . . .

1. هذا النهر، حسب الروايات، له كسواعد أساسية، منحدرًا من جبل هامس (البلقان) صابًا في مجراه السفلي، الأطلس والأوراس والتبسنس. . . نلتقي هذه الأسماء الثلاثة في المغرب متسمية بها سلسلة جبلية، الأطلس (في شمال إفريقيا)، الكتلة الجبلية للأوراس وجبل تبسة (في الجزائر) : تسميات معروفة أيضًا في وادي الدانوب كما في شمال إفريقيا، من أصل عروبي.

2. البحر الأسود. أسماء العرب بحر بنتس (أو بلطس)، وهي تسمية مجردة من اللاحقة نعطينا بحر البنط أو البلط، وبالتأكيد هذا الاسم بنط (بنت) أعطت تسميته اليونانية للبحر الأسود، حيث تعني الكلمة اليونانية بنت فيه "بحر". هذا الاسم بنط أو بلط يمكن مقابله ببحر البلط (في شمال أوروبا). بلط كان اسم إستر، بعلة أو بلتس، رفيقة بعل. عند الإغريق، Baaltis أو Beltis.

3. قد تكون ماريبو هي ترجمة لـ "ماري السيد" أو "مدينة ماري"، ماري باعتباره اسم مدينة الفرات الأوسط، مما يستنتج عنه أنها تأسست على الأرجح من مستعمرات عروبية من بلاد الرافدين أو سوريا فانقيا.

4. مصدر سبق ذكره.

4. في بحر قصوين ونهر البولغا

إذا ما عاينا خريطة استوصاف الأرض لآسيا الغربية، فيمكننا أن نلاحظ أن المناطق القوقصية مماسة للبحر الأسود (من الغرب) كما بحر قصوين (من الشرق). كما أن شمال فارس محاط ببحر قصوين، الذي لا تبعد ضفافه كثيراً عن جبال حلروس. نظير أعلى قمة في القوقص. يمكن فهم هذه التسمية، حسب اللغة الفانقية كـ "الرأس الأبيض" ويجزء إلى حلب أو ترخيم لكلمة لبن، الذي يعني "أبيض" و روز أو روس، الذي يعني "رأس، قمة، هامة، رعن" (كلمة تدخل في تأليف أسماء كثيرة لموانئ ومدن وجبال، أسسها أو أسماها الفانقيون).

وتقرب تسمية الجبال هذه من تسمية الشعب الألبني، وهو شعب سكن ألبانيا، منطقة مجاورة لإيريا القوقصية أو من تسمية جبل في فانقيا (جبل لبنان). لقد رأينا كذلك أن ساكني المناطق القوقصية الجنوبية التي تحد بحر قصوين، بالتحديد في إيريا (في أذربيجان الحالية)، كانوا عروبيين (مصريين، وسوريين-فانقيين ورافديين وأسلاف الإير-البربر الغربيين، إلخ).

بمعرفة الميزات الملاحية للفانقيين وحسبهم الحاد للتجارة والكسب، يستساغ منطقاً أنهم (وحدهم أو برفقة نظرائهم)، بعد أن استعمروا المناطق الساحلية الغربية والجنوبية من بحر قصوين، حلفوا باستثمار جميع ضفاف هذا البحر المغلق. رأساً من أجل عوامل تجارية واقتصادية، ثم من أجل تأسيس مستعمرات سكانية هنالك. يصب نهر البولغا في شمال بحر قصوين، وهو نهر ينبع من هضبة بالداي، غير بعيد عن بحر البلط.

لقد استعمرت المناطق الشمالية لبحر قصوين من طرف الفانقيين، ونهر البولغا، الذي سنتكلم عن معنى أصله العروبي، استخدموه كمعبر نهري لنقل العنبر الذي كان يجمع في المناطق البلطية إلى غاية بلاد الرافدين، ومن هناك نحو شرق البحر الأبيض المتوسط أو إلى نواح آخر للتجارة الفانقية¹. والواقع أن

1. انظر كتابنا "العرب، أسلاف الحاليين؟".

الفانقيين قدموا إلى بلاد البلط عبر البحر (إما قبل أو بعد استوطانهم في وادي البولغا). ويؤكد¹ L. Siret ذلك بقوله : « ينبغي ضرورة الاعتراف لهذا الشعب ذي الملاحين العتاة والمتاجرين المستبسلين، الذي بمجرد وطنه إيسبانيا ونفاذه إلى المحيط الأطلسي، كان عليه استكشاف واستغلال جميع سواحل المحيط، ونفذ إلى عمق بحر البلط، ليس فقط من أجل تجارة العنبر بل والمعادن وملح شمال ألمانيا..

البولغا، هذا التهرينعت في اليونانية بالاسم رع (را أو غا)

- ليس الجزء الأول من هذا الاسم بول سوى كتابة لـ بعل، وهي تسمية الآلهة السورية-الفانقية. ونجد هذا الاسم للآلهة في تسميات كثيرة للأماكن، في أروبا، بولبيك، وبولبيك في فرنسا، بحيرة بولبا (في مجدونيا)، بالون (اسم قمم عديدة في فرنسا وألمانيا)²،

- الجزء الثاني غا الذي يمكن أن بخلط ب را (غا) أو رع، آلهة الشمس عند المصريين. ولقد قوبل بعل عند الإغريق بأبي اللون الشمسي يدعى باسم "بعل-حمون". هكذا احتل اسم بولغا مظاهر آلهة الشمس السوري-الفانقي بعل كما مظاهر الآلهة المصري رع. هذه التسمية التي تحيل على وجود تلاحم ديني إفريقي-آسيوي (مصر-سوريا وبلاد الرافدين)، على طول مجرى هذا النهر، يمكن أن تكون الترجمة التاريخية لموجات هجرات انحدرت من هذه البلدان، نحو شمال أروبا، "بارتقاء" وادي البولغا.

تماما مثل التانوب، يدل البولغا (الذي يعرف كـ "الرب-الشمس") على مسلك "دليل" للمهاجرين العربيين، وطريق العنبر بالتسبة للتجار المصريين-السوريين-الفانقيين. وفي خلد هؤلاء المهاجرين والتجار، ارتبط التهران بروابط دينية وقرابة عائلية، ربما لأنهما يفضيان إلى الاتجاه نفسه، شمال أروبا وألمانيا،

1. في "مقالات حول أخبار تاريخ إيسبانيا".-المجلة الأثرية (باريس).

2. حسب موسوعة "Grande Encyclopédie"، يعني بالون (بالكلية Belleac'h أو Bellec'h) مكانا لعبادة بال (بعل)، شعيرة تمارس بخاصة على قمم الجبال والروابي.

"بلد العنبر"، نحو البلط، بحر الرّب¹. وفعلًا تسميتهما ترافعان لصالح هذا الوعي لأن "شمس" (البولغا) وإستر (الكانوب) كانتا اختين، بتتاسين، آلهة القمر.

على طول نهر البولغا، وحتى خارج حوض هذا النهر، نجد تسميات أماكن مكونة من العنصر بول أو بال، وهو دليل إضافي يرينا أن الكلمة بول لم تُقصرَ على نهر البولغا². وقد تكون تسميات الأماكن هذه أخذت من طرف مراكز استعمار عروبي، من بحر قصوين إلى غاية بحر البلط.

يمكننا أن نجد، انطلاقًا من بحر قصوين ومدينة إسترخان³، صُعودًا نحو الشمال، مواضع أسماءها يدخل في بنائها المقطع بعل (بول أو بال)، بمختلف أحواله الصوتية التحويلية (الكتابية) : بوليسكي وبولغوقرت وباليغقوبو وبولسك (في شمال سارتوف) وبالشوف، إلخ ... حتى بالغبي (في شمال موسكو) وبولخوف (في جنوب بحيرة اللأذقة) ... وبحر البلط.

1. انظر كتابنا "العرب أسلاف الجالين"⁵.

2. عند صقالبة روسيا، بولس هو اسم آلهة الأنعام والماشية، وكنا بصفة لعم آلهة الثراء والخصب. هذه الصفات

نقلت بعدها إلى St Vlas (بالس للقنس). لورد تلك J. Cazeneuve في كتابه "علم الأساطير عبر العالم".

3. تقع هذه المدينة قرب مصب البولغا، مسماة بلقب مؤلف من إستر رفيقة بعل.

الفصل الخامس

الألسن العروبيّة لآسيا

1. لسان فانقيا

اللغة الفانقيّة هي اللغة المتكلّم بها والكتوبة في فانقيا (بلاد كنعان). كون الحضارة الفانقيّة انتشرت، منذ الألفية الثانية قبل الميلاد، على جميع حوض البحر الأبيض المتوسط إلى غاية أوروبا البلقانيّة، وحتى الشماليّة¹، يفترض أنّ اللغة تطوّرت بالتوازي مع الرقي المادي والمنهجي المعرفي والفني لهذه الحضارة، فبفضل الاستعمار الفانقي في جميع هذه المناطق أسيحت هذه اللغة وتثبيتت، وبخاصّة في جزء آسيا المطلّ على البحر الأبيض المتوسط.

وقد كتب C. Virolleaud² بهذا الخصوص : « تحمل أشعار رأس-شمرة³، التي وُجِدت قطعاً مجزأة، جميعها علامة قدّم غابر، حتّى ولو أنّ ألواح الطين التي نُقشت عليها مؤرّخة بالقرن الرابع عشر. ما من شك أنّ فانقيا أنجبت وقبل حرب ثورا، شعراء عثّر على أعمالهم، ليس في صور أو صيداء، حاضرتي كنعان هاتين، ولكن في رُوم مدينة في أعلى سورّيّة، أسستها صيداء أو صور وأهملت منذ ثلاث آلاف سنة.. »

تجعل موسوعة "Grand Larousse Encyclopédique" تاريخ مخطوطات فانقيا بداية من الألفية الثالثة (شيد معبد "ملك القرية" في صور، نحو خمسين وسبعمائة والفين -2750- قبل الميلاد)، وأشارت إلى أنّ : « مخطوطات التصوص المكتوبة بالخط شبه المقدّس القديم لجبيل، العلّمة بين تاريخي

1. موضوع ناولناد في كتابينا : -"العرب في أوروبا قبل العهد المسيحي".

- "العرب، أسلاف الجاليين؟".

2. في كتابه "أساطير بابل وكنعان".

3. هي مدينة أوقريت القليمة، على الساحل الفانقي (قرب الميناء السوريّ الحالي للأنفية).

مائة وألفين (2100) وستمئة وألف (1600) قبل الميلاد، تحفظ على الأحجار أو القلتر، وثائق بكتابة غير مألوفة، حيث كثير من رموزها تستدعي تذكر الخط المقدس القديم المصري ورموز أخرى بحروف الهجاء الفانقي. كما أنه بحوزتنا اليوم أيضا سلسلة من الوثائق الأصلية ما قبل الفانقية، تتدرج بين القرن التاسع عشر والرابع عشر قبل الميلاد، موجودة أساسا في فلسطين. كما يمكن الالتقاء بالفانقية القديمة، حتى القرن التاسع قبل الميلاد ..

لقد تواجدت إذا، قبل قدوم واستقرار إبراهيم -عليه السلام- في كنعان بكثير لغة فصحي وإقليمية، هي الفانقية. ويشير لنا اللسانيون أنه إلى جانب اللغة الفانقية، كانت اللغة الموآبية والأوقرينية والعبرية من الفرع الكنعاني. وفيما يخص الموآبية المتكلم بها في بلاد موآب، فليست إلا صورة طبق الأصل للغة الفانقية -أو الأكادية- كلهن جد قريبات من بعضهن، أما الأقرينية فلا تكون إلا لغة المخطوطات الموجودة برأس شمرة (أوقريت) -تماما مثل الكلتية- الإبرية في إيسبانيا، المشكلة من مادة نقشية-. أما اللغة العبرية، فاعتمادا على تعريفنا لهذه الكلمة¹، ليست شيئا من جهة اللغة غير مرادف للفانقية (الفانقية القديمة).

لقد ظلت الفانقية لغة الشعب في فانيا (وضمنها فلسطين، التي كانت آنذاك منطقة فانقية). ولاحقا أصبح الفانقيون-الكنعانيون، تحت وطأة اللغة الرسمية الأرمية (بداية من عهد فارس) ناطقين بالأرمية، وظل الحال كذلك حتى مقدم الإسلام، في القرن السابع من العهد المسيحي (القرن الأول للهجرة).

ويجمع كل المؤلفين على الشهادة لصالح القرابة الوطيدة بين اللغة الفانقية والأرمية. يعترف E. Cavaignac² بأن : «الأرميون تبتوا بيسر شديد الكتابة الفانقية، المجتابة من أجل لغة قريبة جدا من لغتهم»، وعن بعض

1. انظر كتابنا "العرب محركو الديانات الحنيفية الثلاث" والباب الثاني من مؤلفنا هذا (الفصل الأول).

2. مصدر سبق ذكره.

التقاط، يقول¹ Dupont-Sommer : « إن الأرمية تشدها أواصر أوطد بالعربية، والأمر ليس بخارق، كون الثلاث لغات عروبية تنحدر كلها من لغة-أم واحدة، هي العربية المشتركة.

فالانتقال من لغة لأخرى في فانقيا-سورية قد يكون أمراً ميسوراً ، ما دامت الفروقات بين اللغتين لا تعدو أن تكون تفاوتاً في نطق بعض الكلم أو في جزء صغير منه، كما يلاحظ اليوم بين اللغة الفلسطينية والسورية، أو بين المغربية والعراقية، مثلاً.

2. لغات آسيا الصغرى

يبدو أن أقدم سكان آسيا الصغرى، ثلاثة آلاف سنة قبل العهد المسيحي، كانوا من قومية سامية، حسب² Ph. le Bas. لقد التحق بهؤلاء الأهالي الأوانل، أهال إسكوتيون، في وقت مبكر، على جهة الشمال، وعلى جهة الشرق، فانقيون وسوريون، امتزجوا بسابقيهم من القومية ذاتها. وإلى هذا الفرع الثاني ينتمي القبادكيون والقيليقيون والفنفوليون والبوصيداويون والبالفالجيون وأيضاً على الأرجح السليميون واليلويون، وهم أقدم سكان لوقيا. ونهاية كان للعرق الهندي-الأروبي هو الآخر ممثله في الأطراق والفالجيين³.

وسنعابن مع Ph Le Bas و سطرابو وأورادوت وعمر... مختلف هؤلاء الأهالي.

1.2 الأهالي الساميون للتعرف بهم

- القبادكيون : الأصل السامي للقبادكيين يبرزه اسم السورين البيض، وهو الاسم الذي أعطي لهم في القدم لتمييزهم عن أهالي ما وراء جبل الأمان، الذين كانوا يتميزون بلون أسمر. ويحدد سطرابو حدود القبادكيين المتكلمين بلغة واحدة، في الجنوب عند خليج عيسو وفي الشمال عند البحر الأسود بين سينوبا وساحل التيبارن، ومن الشرق يفصل المجرى العلوي للفرات قبادكيا

1. في كتابه "الأرميون".

2. في كتابه "آسيا الصغرى منذ القدم الأعصر".

3. Ph. Le Bas في مصدر له سبق ذكره.

عن أرمانيا. ومن الغرب تتحدّد الحدود بنهر العالي. وكانت قبّادكّيا أقصى جزء شرقيّ لآسيا الصغرى.

- القطاويّون : شكّل هؤلاء شعباً قائماً بذاته، في الاعتقاد القديم، ولكن ولأنّه كانت لهم لهجة وطبائع القبّادكّيين نفسها، فإنّنا نسلّم بانتمائهم على غرارهم للعرق السّاميّ.

- القلقيليّون : وقد أخذوا هذا الاسم -الذي أخذوه لاحقاً- عن فانقي، قلقيل ابن اجا-نور (حسب الرواية) حيث يمكن أن نحس منه أنّه في اعتقاد الإغريق، ينتمي هذا الشعب للسّلالة السّوريّة أو الفانقيّة.

- الفنفلويّون : في العهد الذي كان فيه سطرابو يؤلف، تعلّق الفنفلويّون أكثر بالقلقيليّين حيث لم يُناقش أصلهم.

- السّليميّون : عُرِف اللّوقيّون بشعب السّليميّين نفسه... والحالة هذه، يُعلّمنا خرتنيل (نقل عنه عازب) أنّ السّليميّين الذين كانوا جزءاً من جيش أخشايّر شاه، تكلموا اللّغة الفانقيّة، فينبغي استخلاص أنّهم كانوا من أصل فانقيّ إنّما.

- الأريم : هم الآخرون ولا ريب أهاّل فانقيّون، هؤلاء الأريم الذين عنهم تكلم عمر اللّوزيّ... وحتى، اسم هذا الشعب في حدّ ذاته يوشى بعلاقة صارخة مع اسم أرم¹، بما لا يسمح بمجال للشكّ في أصلهم. يخبرنا سطرابو، بأنّ هناك مؤلفون يقصّون بالأريم السّوريّين الذين تلقّبهم اليوم بالأرمنيّين.

- البافالجيّون : جزء مهمّ من البافالجيّين، ينتمي للعرق السّاميّ، كما يخبرنا سطرابو.

هذا الرّصد -الفضائيّ- للأهالي "السّاميّة" الأولى لآسيا الصّغرى -الذي يأتي عن مؤلّفين قدامى، وعُضْنَهُ كاتب محدث هو Ph. Le Bas- يعقد

1. يمكن ملاحظة الجذر لرم (أو عرم) مشترك لدى الأرمنيّين والأرمان والأريم، حيث اسم سلفهم ينبغي أن يكون لرم. هل الأريم هم الشعب نفسه كالأرمان الأوّل بكتابة مختلفة للاسم، حسب الكتب والعصور؟

إدراكنا حول أنه عملياً جميع المناطق الساحلية في جنوب البحر الأسود كانت مؤهولة بعروبيين لأنّ الحثيين والأرمان (ذوي لغات هندية-أروبية) لم يكونوا قد وجدوا بعد في هذه المناطق. وقد نعت بعض المؤلفين هؤلاء الأهالي بالآسيانيين، وآخرون وصفوهم بأهالي ما قبل الحثيين. وتلي الملكة الأكادية أو تضمّ قبّادكيا وتمتدّ شرقاً حتى ضفاف بحر قصوين.

كان قلقيليّو موسيا أو اللوسيون، حسب عمر بن معان، ينتمون إلى قلقيليّ جبل طورس. بعض المؤلفين أمكّوا -تلافياً لكلّ ريب- أنّ اللوسيين واللونيين والقرباويين خرجوا من أصل مشترك، وأنّ اسم لود يلحق بأهال أرميين. ويشهد سطرابو أنّ لونيا كانت تسمّى في الأصل بلاد معان وجزء من هذه المنطقة موسيا. وأسماء اللوسيين والعانيين تنعت الشعب نفسه. فمن الصواب المؤكّد، يقول Ph. Le Bas¹ أنّ : «علماء اعتمدوا على شخصيات لا يرقى إليها الشك، ألحقوا اللونيين بالأصل السامي القح».

لقد وجدت في الألفية الثانية قبل الميلاد مملكة تسمّى المعينية، وصلت حتى جنوب شبه الجزيرة العربية، ذكرها سطرابو وديودور الصقليّ وفلين. قد تكلمنا عنها في الباب الأوّل (الفصل الثاني).

وهكذا إنّ، كان أهالي آسيا الصغرى الأوائل من "عرق" عروبيّ، أي فائقين وسوريين أو قوقصيين في الأساس. وبعدها في عهد حرب ثورا (القرن الثالث عشر قبل الميلاد) أو بعد هذا التاريخ، استقرّ في الأناضول عناصر يفترض أنهم من عرق هنديّ-أروبيّ، مثلهم اللوسيون، والعانيون-اللونيون والقرباويون، وهم أهال راينا أنهم كانوا على الأرجح فائقين أو سوريين. كما أنّ هناك "الفرجة" والفالجيين (الذين أشار إليهم بعض الكتاب كأهال هنود-أروبيين)، ومن أجلهم ينعقد موضوع للمناقشة.

1. مصدر سبق ذكره.

2.2 الأهالي الذين لا يعترف بساميتهم بعض المؤلفين

- الفارجيون : يروي أروادوت أن الفارجيين تلقبوا باسم البرجة βριγες أو الفرجة Φρύγες. وفيما يبدو، كان هذا الاسم متردداً في المناطق التي شغلتها الأهالي الهندية-الأروبية على القارة القديمة. أكد أيوب، ملك موريتانيا، وأحد أعلم مؤرخي عصر أوقسط، أن الكلمة βριγα كان لها معنى "الرجل الحر" عند اللوذيين. ويقرب الكتاب الأروبيون هذه الكلمة من الآخر التي لها معنى مقابل عند الألمان وكما عند آري الهند (شعب البرجو)¹.

أما بالنسبة إلينا، فنحن نوقع العلاقة بين الكلمة برجة والكلمة العربية بُرج، التي تعني "قلعة، حصن"، والبرجي هو للدافع عن الحصن في إقليم حدودي في وجه إغارات الجيوش الأجنبية. وبتوسيع الدلالة، يمكن أن يحتل معنى الرجل الحر²، بمعنى أنهم وحدهم رجال يتأبون الاحتلال ويرغبون في البقاء أحراراً، يدفعون عن بلادهم الغزاة. وبرجي، من الجذر نفسه ب. ر. ج. الذي للبرجة.

- الفالجيون : تتفق جميع المصادر التاريخية أو الشعرية المرتبطة بالفالجيين، على تقديمهم "كأمة كثيرة العدد، ذات خطورة"، حسب سطرابو.

لقد كان شعباً بخاراً يتزغ إلى الهجرات، وفي الإلياذة صورهم لنا عمر (اللوزي) كرماحين مهرة، قدموا من مدينة الحارسة الخصيبة لنجدة بر-زيم. يخبرنا سطرابو أن الفالجيين سموا هكذا، لأنهم كانوا يهيمنون على وجوههم في كل وادٍ، مثلما اللقالق، وهكذا يستدعى معنى الكلمة الأصلي πελαργός الذي يعني "القلق"³.

1. Ph. Le Bas. في مصدر له سبق ذكره.

2. هذا التاويل على قدر مستساغ أكثر مما هو عليه في لغة اللوذيين، شعب "من أصل سامي صرف".

3. Ph. Le Bas. في مصدر له سبق ذكره.

هذا الاسم من جنور وصوت متطابق مع بلأرج بالعربية¹ (التارحة المغربية)، وكنا مع المعنى نفسه، أي لقلق. تنقسم هذه الكلمة إلى جزأين: الأول بل أو بن، أي "ابن ل....، من عائلة، من قبيلة ..."، والقسم الثاني عَرَج أو أَعْرَج صفة للجذر ع. ر. ج. بمعنى "ظَلَع، اختلَّ، صار أعرجاً"، إشارة إلى هذه الطيور من فصيلة الـقَلَقِيَّات، ذات المشية المترنحة المضطربة². ووصف سطرابو لهذا الشعب بأنه "أمة كثيرة العدد، ذات خطورة"، وأنه "شعب بحار ينزع أيما نزع للهجرات"، يجعلهم ينتمون بجدارة للفانقيين، في عهد تضاعفت فيه المستعمرات الفانقية عبر كل العالم المعروف، في عهد احتكر فيه الفانقيون العلاقات التجارية في جميع البحر الأبيض المتوسط.

وبخصوص الفالجيّين يصرّح³ G. Glotz: "نحو ثلاث آلاف سنة (3000) تلتفت موجة غزاة -وصفها اليونانيون القدامى باسم "فالجيّون"، ولم يكونوا بالتأكيد آريين- انتشروا على الأرخبيل الجنوبي لبحر أجا، ووسط بلد الإغريق وجنوبه (بلوبتاس)....". وقد نقل Ph. Le Bas عن الدكتور Cramer أنه قام بمقارنة بين الأهلين الفارحيّين والفالجيّين: "لغة البرجة المأخوذة من بلاد الأطراق أو مجنونيا، كانت ما يمكن أن يسمى بلهجة الفالجيّين القديمة، ولكن بعد ذلك تكون قد امتزجت باللّهجات الآسيوية للتكلم بها في عصر أقدم في آسيا الصغرى، بحيث نتجت لغة فجّة، غامضة بالنسبة لإغريق عهد زنا-فن وبلاطون..".

يؤكد⁴ A. Jardé أقوال الدكتور Cramer وطرحنا المتعلق بالبرجة والفالجيّين: "الأهالي الأوائل الذين لوحظ وجودهم (على الرغم من ظهورهم المتأخر في نهاية عصر الحجر المصقول) تكلموا لغات غير هندية-أوروبية. ولقد

1. بخاصة في اللهجة الإفريقية الشمالية. كلمة يمكن أن تكون من أصل فانقي.

2. الحكمة الألمانية، بخصوص هذا الموضوع، أكثر بلاغة: هو، مثلما لقلق ولا يدري على أي قائمة يقف.. الكتابة واللهجة البونية تستعيض غالباً عن الحرف الصائت "لف" بالحرف الحلقى "عين"، وهو ما يفسر التطق العربي الغربي لهذه الكلمة.

3. في كتابه "التاريخ الإغريقي".

4. مصدر سبق ذكره.

استبقت تسمية الأماكن الآثار : فاسم "لارسة" الذي نجده متكرراً في بلاد الإغريق الأروبية، يبدو أنه ينتمي إلى هذه اللغات البائدة، وأنه يصف القلعة، المدينة المحصنة، وسمي هؤلاء الأهالي متقدمي الهلانيين، من طرف القدامى بالفالجيّين، من لغات غير هلانية

جميع ما أورده المؤلفون وأيضاً معنى الأصل العروبي للمصطلح "فانقي" الذي عرضناه أعلى السياق (الفصل الثالث، مدرج العنوان 2.3) يرحص لنا التسليم بأن الفالجيّين "غير آريين، ملاحين كبار" ليسوا سوى الفانقيّين.

حقيقة، هم هؤلاء الأهالي من استعمر الأرخبيل الجنوبي لبحر أجا وكل شبه الجزيرة الهلانية، إلى غاية المناطق المجاورة (مجدونيا، إيريا ...)، انطلاقاً من بداية الألفية الثالثة، وهو العهد الذي تلى استقرار الفانقيّين في شرق البحر الأبيض المتوسط (كنعان وآسيا الصغرى). وقد تواجدوا في إغريقيا قبل الهلانيين ذوي لغات هندية-أروبية بكثير.

جميع هذه المعطيات تنضم إلى القراءة التي أجريناها على الاسم فالج (أو فانق) الذي رأينا أنه اسم سلف الفانقيّين.

- فالق، الذي يعطينا الاسم القومي "فالقيون" أي "فانقيون"، بتناوب بين اللام والتون،

- فالج (حسب الكتابة اليونانية لنسخة السبعين)، الذي منه اشتق الاسم القومي فالجيون، هم الذين عاشوا على جهتي ضفاف بحر أجا (بلاد الإغريق وآسيا الصغرى).

تماماً مثل الكلمة ب. ل. ر. ج. التي تعني في العربية اللقلق، تعني الكلمة ("لارسة") الحارسة في العربية أي "المحروسة جيداً، المنبعة، من الجذر ح. ر. س. الذي يعني "عسّ ودافع". وهذه الكلمة لها تماماً المعنى ذاته، الذي أعطاه المؤلف

الذي ذكرناه للتو، ويتعلق بالعنى "القلعة، المدينة المحصنة". وما من حاجة مع هذا الوضوح للمقابلة الدلالية بين الحارسة والبرجة.

3.2 الأهالي البنطسية الجنوبية والأقوام الإسكوتية الشمالية

لقد بيتنا في كتاب سابق¹ أن أهالي الأناضول الكثر لهم تسميات من أصل إيري (إيري-بربري) أو فانقي-إيري، وهم أهال بنطسيون جيران وأقارب لأهال القوقص² :

- البوسر: أهال جبليون من قبادكيا، يعتبرون كإسكوتيين ،
- القبليون أو الأمازول (الألازون) : جبليون انحدروا من سليمي عمر اللودي،
- الكردوق أو الكرد، يسمون أيضا الكلد : أهال جبليون، تموقعوا بين التيبارن من جهة الغرب والإمقران من جهة الشرق؛
- الإمقران : أهال جبليون من جنوب-شرق البحر الأسود (بحر بنطس) حتى مناطق غرب القوقص ،
- الطيونيون أو البوطيونيون : أهال جبليون من الساحل البنطسي الجنوبي، نحو مصبات نهر العالي³، ينتمون إلى القومية الأرمانية-الجرجية،
- التيبارن : أهال جبليون من الساحل البنطسي الجنوبي، يقترب اسمهم من تسمية الشعب "الإير".

- الإسكوتيون، الإسكة، الإسكوت (أو الإسكولت حسب أروادوت) : هم أهال توزعوا في المناطق البنطسية، والحوض السفلي للدانوب، وحوضي البورويستان والتانيس وكذلك في جزء كبير من آسيا الصغرى. من بداية الألفية الثالثة

1. "الرحلة المجهولة للغة قديمة، البربرية".

2. الاسم "إيري" هو مرادف "بربري". لقد رأينا في كتاب آخر "إيريا وبربريا" أن أهال قوقص، الإير، أصبحوا بربرا حينما توطنوا شمال إفريقيا.

3. يعلم هذا النهر الحد الشرقي لآسيا الصغرى، يصب في البحر الأسود وينبع من الجبال العليا لغامي، بين سواس وأرضرم.

حتى القرن الثالث عشر قبل الميلاد، كان الإسكوتيون أقوياء. سنة اثنين وثلاثين ومائتين وألف (1232) هزمهم نينوى ملك آشور.

وقد لا يكون اسم سلاحهم -رماح تعلوها نضال عريضة- إلا مفهوم الكلمة البربرية إسك (الاسم الذي منه اشتقت تسميتهم القومية)، الذي يعني "حد، قرن، قمة جبل" كما يعني "أداة حادة، مدبب" (أو كل سلاح هجومي، بتوسيع الدلالة).

هذه الإشارة الوحيدة لأهالي البحر الأسود، في الشمال كما في الجنوب تكشف لنا عن وجود أهالٍ فائقين وأيضاً إير-قوقصيين، وهم أهالٍ لغاتهم الخاصة جد متقاربة فيما بينها، إن لم نقل متطابقة في الأصل (أي قبل انطلاق هؤلاء الأهالي في هجراتهم الكبيرة نحو ما وراء الجبال أو نحو قارات أخرى). كما أن البلاد بين القوقص وارمانيا، في آسيا الصغرى من الشمال الشرقي، كانت تسمى فائقياً¹.

كل هذا يفسر استخدام اللغة الفانقية والإيرانية-قوقصية في آسيا الصغرى، أكثر من ثلاثة آلاف سنة قبل العهد المسيحي، لأن هؤلاء السكان كانوا من "عرق" عروبي، كما كانت تسمية الأماكن² عروبية، وكذا الثقافة، إلخ.

لقد حوِّظ على اللغة الفانقية بعد غزو إسكندر المقدوني ولم ترحها اليونانية عند الأناضولين. وحتى القرن الأول من العهد المسيحي، حسب سطرابو، كانت الفانقية لا تزال تتكلم في آسيا الصغرى..

1. يؤكد R. Weill كاتباً ، ، قريبا (آسيا الصغرى الجنوبية الغربية) وبلاد الكلش (البحر الأسود، بين القوقص وارمانيا، في آسيا الصغرى الشمالية الشرقية) كانت تسمى أيضاً فائقياً ، إذا لقد غطت فائقياً آسيا الصغرى في زواياها الأربع وكذا الجزر..

2. اسم مدينة بابل، موجود في اسم المدينة الشهورة عليون، تسمية ثانية لنورا. أسماء أخرى كجبل إيدا في بلاد نورا وجبل فائق في قريبا وجبل دنلدة في لوفيا وجبل قادم في فرجيا وجبل الأمن في فيلقيليا.

3. السنُّ بلاد الرافدين

1.3 الأكادية

حسب موسوعة "Grand Larousse Encyclopédique"، الأكادية هي أقدم اللغات السامية التي تشكل بمفردها الفرع الشرقي. لقد تكلم بها في العصور القديمة ساميو بلاد الرافدين، وامتد استعمالها إلى جميع الأماكن، حيث يبسط الآشوريون والبابليون نفوذهم وتأثيرهم. ولقد كانت على مدِّ قرونٍ كثيرة في الشرق الأدنى، بما فيه مصر، اللغة العالمية للعلاقات السياسية الخارجية والتبادلات الثقافية. ويثبت ذلك بمصادر مكتوبة برموز مسمارية منذ أربعمائة وألفين -2400- تقريباً (العصر الذي جرد فيه الساميون السومريين من الهيمنة السياسية). وما من شك أنها تكلمت قبل هذا، بل وقبل الاهتداء إلى إبداع الكتابة (نحو أربعمائة وثلاث آلاف -3400- سنة). في بداية تقاليد كتابتها، وخلال قرنين، شكّلت الأكادية كيانا لغوياً متجانساً (الأكادية القديمة) ثم تشعبت إلى لهجتين كبيرتين: البابلية والآشورية.

لقد انتهت اللغة الأرمية، باعتبارها لغة متكلمة، بالإزاحة التامة للأكادية، نحو نهاية القرن السادس قبل الميلاد. غير أن الأكادية ظلت منتعشة كلغة علمية ودينية حتى العهد المسيحي.

2.3 الآشورية

هي فرع من الأكادية، لم تستخدم فقط في بلاد آشور (الجزء الشمالي لبلاد الرافدين الذي يتخطى المنطقة المحصورة بين دجلة والفرات) ولكن أيضاً في الشرق القديم، حيث أصبحت بدايةً من القرن الثامن عشر، لغة السياسة الخارجية. وكثير من المؤلفين يلبسونها بالأكادية.

وكما كان الخط المقتبس القديم المصري مستعملاً في بلاد الرافدين، كانت الكتابة المسمارية في مصر. وقد أشار علماء الآثار إلى تعايش اللغتين هنا

وهناك. وهذا يعني التأثير القومي والسياسي والحضاري الذي تحوّل الدولة الآشورية في جميع هذه المناطق.

3.3 البابلية

لقد شَفَرَ قانون حمو-ربي (ملك بلاد بابل ومعاصر النبي إبراهيم - عليه السلام-) وثرجم. أشار E. Dhorme في كتابه¹ إلى القرابة التحوّلية بين العربية الفصحى والبابلية، وتشابههما المعجمي، فكُتِبَ : «كون المعرفة، العميقة دائماً، باللغتين البابلية والآشورية، اللتين تمثلان أقدم مصادر اللغات السامية، قدّ جليت كأوضح ما يكون، فهذا يعني أنّ العربية الفصحى لم تُؤلف قواعدها اصطلاحاً وتجنّساً، كما افترض Renan، ولكنها ورثت نظاماً استوى نسقه في عهد أولى السلالات الملكية البابلية، وهو ما تثبته بشكل خاصّ لغة قانون حمو-ربي، الذي نعلّمه في نهاية القرن التاسع عشر قبل عصرنا. لقد كتبت البابلية بخط مسماري، وهو الخط الذي لا يُمثل الحروف الصامتة فحسب، ولكن يُجلى أيضاً الصائت من الحروف..»

4.3 الأرمية

هي لغة سامية قريبة التسبب بالفانقية مع بعض الفوارق التي تستدعيها اللغة العربية. الأرمية بالدرجة الأولى هي لهجة قبائل البدو، لُمِحَ لها في القرن الرابع عشر قبل العهد المسيحي في رسالة "تلّ العمارنة"، في نصّ آشوري ملقبة باسم اخلامو، على ثخوم واديّ دجلة والفرات.

وتنقسم حقبة الأرمية المشتركة، انطلاقاً من القرن التاسع قبل الميلاد، إلى عهود كثيرة :

- الأرمية العتيقة : وهي أساساً لغة مخطوطات القرن التاسع والثامن قبل الميلاد، وقد حرّرت هذه المخطوطات بحروف الهجاء الفانقية،

1. في كتابه "العربية الفصحى ولغة حمو-ربي".

- الأرمية القليمة : في القرن الثامن قبل الميلاد، انتشرت الأرمية بفضل الفتوحات الآشورية والبابلية، وأزاحت الأكادية (حالة مكانها) كلغة للسياسة الخارجية. وقد جعل احتلال بابل من طرف قورش سنة تسع وثلاثين وخمسمائة (539) وتأسيس مملكة فارس، من الثيل حتى السند، من الأرمية اللغة الرسمية للتواوين. وممتنا للتبادلات التجارية والسياسية والثقافية، لقد نُضِيت الأرمية على اللهجات المحلية : هي الأرمية الملكية¹.

لقد عُثر على عدد لا بأس به من المصادر الأرمية لعصر السلالة الملكية لبني أخ-مينا في جميع ولايات مملكة فارس (من الهند حتى مصر). حين فتح إسكندر الشرق، خلفت اللغة اليونانية الأخرى الأرمية كلغة رسمية. هذه الأخيرة وجلت نفسها دون من يكلوها فتشتت إلى لهجات كثيرة.

4. لغات القوقص والإيرانية-البربرية

حسب A.Byhan² : ، ليس القوقصيون إلا شعبة من جنس قومي من آسيا الصغرى وسورية. يبدو أن اللغات القوقصية لها بعض التقارب مع اللغة الباسكية وكنا مع الأرمانية. وبالمقابل، فقد تكلم في آسيا الصغرى قبل عصرنا لغات مختلفة، كانت قريبة من جهة معجمها واشكالها (صرفها ونحوها) للغات القوقصية ... وحينما هاجرت جماعات من أهالي آسيا الصغرى إلى بلدان البحر الأبيض المتوسط، انجذبت قبائل قوقصية ، وهو ما يثبت وجود أسماء كتلك الألبانيون والإير، إلخ في الغرب..

حسب الموسوعة "La Grande Encyclopédie" ، قد يكون ربما الأهالي الجرجيون والساميون أول من سكن الأراضي الأرمانية في عهد ما بعد الرباعي كما أنه يبدو أن المصادر التاريخية الأقدم، المخطوطات السمارية، التي اكتشفها كل من Schultz و Layard وآخرين في لوان وأرضرم وبالو، تبرهن هي الأخرى على ذلك..

1. في موسوعة "Grand Larousse Encyclopédique".

2. في كتابه "الحضارة القوقصية".

لقد أظهرت اكتشافات حديثة التواجد الرجعي لعوارض مصنوعة من القلّز أو الفضة، يعتقد فرضاً أنها من أصل قوقصي، في أماكن كثيرة من وادي الفرات، وسط عتاد ذي سمة رافدية شمالية، في حين أن لقيّة الخزف الكريم الرافدي في جنوب القوقص كما في شماله، توحى بأن العلاقات المؤكدة لم تكن محصورة، ولكن تقوم مقام تبادلات حقيقية. على أي حال هناك دلائل كثيرة تسمح بافتراض قيام الأواصر بين أعلى بلاد الرافدين والقوقص بدور حاسم في تاريخ التبادلات والفكر في الألفية الرابعة والثالثة ... على خلاف وادي دجلة، يقع وادي الفرات في مفصل بين العالمين، أحدهما مرتبط بالأناضول والقوقص، وثانيهما بسورية وبلاد الرافدين¹.

تصور المصادر البابلية الجزء من البلاد، الواقع شمال سهل سوسة، بالشريط الحدودي المأهول بالجبلين، الذين يتواجد معهم أهالي السهل السومريون-الساميون، في علاقة دائبة. من الجنوب إلى الشمال يتواجد الغيلاميون والقصنيون واللؤلؤتن (اللؤلوبي) والجديون. وجميعهم ينتمون للكتلة الاجتماعية نفسها، ويتكلمون لغات متقاربة².

جميع ما أورد المؤلفون وما أشرنا إليه في الفصل الثالث بصدد المهد الأول للتاطقين باللغة العربية، يؤكد قرابة اللغات القوقصية مع لغات آسيا الصغرى، من جهة، وقرابة هذه اللغات القوقصية عيناها (ومن بينها الإيرية-الآسيوية) مع الباسكية (لغة إيريه-أروبية)، واللغات العروبية-الحامية، من جهة أخرى.

فضلاً عن هذا، نستذكر أن اللغة الفانقية (أو الكنعانية) القريبة جداً من الإيرية-البربرية، تُصنّف منطقياً ضمن خانة اللغات العروبية-الحامية³.

1. في "أعمال ملتقى دولي نظمه المعهد الفرنسي للدراسات الأناضولية لإستنبول"، التسلسل الزمني لبلدان القوقص والفرات في الألفية الرابعة والثالثة، أعدته C. Marro et H. Hauptmann.

2. مصدر سبق ذكره لـ R. Girshmann.

3. حسب "الكتاب المقدس" ("سفر التكوين")، تسمى أبناء حام مصريين (اسم سلف المصريين)، وكوش (اسم سلف الأحباش)، وكنعان (اسم سلف الكنعانيين-الفانقيين) وفوط.

وبالتالي لها قرابة مع اللغات القوقصية، كما رأينا أن أهالي عروبيين سكنوا آسيا الصغرى، بخاصة سورين-فانقيين، حيث كانت اللغة الفانقية مألوفة في هذه المناطق الأناضولية، مما يضاعف من قرابة هذه الأخيرة (الفانقية) مع اللغات القوقصية.

في كتاب سابق¹، أفضت بنا دراسة تسمية الشعوب إلى معاينة الأصل العروبي بخاصة البربري المتعلق بأسماء الشعوب مثل القصين واللوتن والجدين ... هؤلاء الشعوب الذين يقال أنهم يتكلمون لغات متقاربة، أولاً فيما بينها، ثم إنها متقاربة مع اللغات القوقصية. ويعترف B. Hrozny² بأن :
، العيلامية الأولى، بلا ريب لغة قوقصية جد قديمة..

حينما نتكلم عن اللغات القوقصية، فمناطق الكلام لا يقتصر على لغات تكلمن في جنوب القوقص، ولكن أيضاً يتعلق بلغات تكلمت في شماله، ترتبط بالأرومة اللغوية نفسها. لهذا أوردت موسوعة "Grand Larousse Encyclopédique" : اللغات من المجموعة الشمالية والأخرى الجنوبية، تكلمها أهالي من عرق أبيض، من حضارات جد متباينة، معزولة غالباً بعضها عن بعض، ولكن بينها قرابة محتملة. والمجموعتان تربطهما قرابة أكيدة مع اللغة الباسكية..

هناك ظاهرة لسانية أخرى (نوع الكتابة) ترفع، منضافة، لصالح تصنيف اللغات القوقصية ضمن الأرومة اللغوية العروبية. بهذا الصدد ذكر de Brotonne³ نقلاً عن A. Garrigou أن : اللغة الجرجية (الإيرانية القديمة) تكتب من اليمين إلى الشمال مثل العبرية والعربية والفارسية والأرمانية، وهي الصنف التي تختص بها اللغة السامية القديمة..

1. في كتابنا "الرحلة الجهولة للغة قديمة، البربرية".

2. مصدر سبق ذكره.

3. في كتابه "تاريخ نسبة وهجرات الشعوب".

5. لغات فارس والهند

1.5 في فارس

سابقًا، للألفية الثانية قبل العهد المسيحي، كان العرب -أو بالأحرى التاطقون باللغات العروبية- حُضورًا في آسيا، شرق بلاد الرافدين. كما أتاح العروبيون انبثاق حضارات في أودية الأنهار الكبرى (أحواض الدجلة والفرات والتيل)، فقد استعمروا أودية القارون والقرخة : وفي المنطقة الأخيرة هذه، توجد مدينة سوسة، التي أصبحت قرونا كثيرة بعدها عاصمة السلالة الملكية لبني أخ-مينا. احتل ملك أكاد، سرجون، هذه المنطقة في التصف الأول من الألفية الثالثة قبل العهد المسيحي. امتلكت مملكة أكاد إلى غاية الضفاف الشرقية لبحر قصوين.

ألفا سنة بعدها ظهرت في هذه النواحي القبائل الهندية-الإيرانية، التي خلفت مملكة بابل : سنة تسع وثلاثين وخمسمائة (539) قبل الميلاد، فتح قورش الثاني بابل. وقد مثل الفرس أقلية أخضعت جميع أهالي بلاد الرافدين وكذا نظائرهم في آسيا الغربية. وقد جعل تأسيس مملكة فارس، الموروثة عن المملكة الأشورية-البابلية. من الأرمية اللغة الرسمية للنواوين¹.

أما اللغة الإيرانية -لغة هندية-أروبية- فلم يُسَعِّها لا الرمن ولا الجهد تعويض لغة الأهالي المهزومين. ظلت الأرمية لغة الاتصال في نطاق الشعب، كما في المجال الرسمي، في حين كانت الثقود تُصكُّ بكتابة محفورة بالأرمية. ينبغي أن اللغة الأرمية الملكية لم تقو على البقاء بعد زوال مملكة بني أخ-مينا ما لم تُغضد بدعم منها.

لم تظهر اللغة الإيرانية بصفة رسمية إلا مع اللغة الفارسية (لغة من المجموعة الغربية الإيرانية الوسطى)، وهي اللغة التي أثبتت في عهد الراسكيين

1. حسب A. Dupont-Sommer . احتلت القبائل الأرمية بين القرنين التاسع والسابع قبل الميلاد، بخاصة السهوب الواقعة شرقي دجلة (أي الناطق القوقسية)، في كتابه "الأرميون".

بدلالة بعض المصادر والتقود، بداية من القرن الأول قبل الميلاد (حيث اشتقت كتابة هذه التصوص من الكتابة الأرمية)، ثم مع اللغة الفارسية الوسطى، التي أصبحت اللغة الرسمية للملكة الساسانية (ما بين ست وعشرين ومائتين واثنين وخمسين وستمئة (226-652) من العهد المسيحي).

وهكذا، رغم ميلاد مملكة فارس، في القرن السادس قبل الميلاد، استعملت جميع مناطق بلاد الرافدين والمناطق الإيرانية باطراب، بالترجة الأولى الأكادية فقريبته الأرمية. وهو ما يثبت -عند الاقتضاء- أن الجزء الأعظم من هؤلاء الأهالي تكلموا وكتبوا امتيازًا بلغة عروبية¹.

يبدو بالتالي، أن اللغات الهندية-الأوروبية لم تبلغ حينها بعد درجة من التطور والرقى، بشكل يجعلها تفرز لغات لامثال الحضارة، خلال الألفية الثانية، اللغة الأدبية الأقدم، السامسكريتية، لم تظهر إلا في بداية الألفية الأولى قبل العهد المسيحي (يعتقد بعض المؤلفين أن تحرير "رق-البداء" أقدم نص لنصوص البداء تم بين خمسمئة وألف ومائتين وألف (1200-1500) قبل الميلاد في بلاد الأنهار الخمسة -البنجاب-) ². ولم تعرف "البستاء" (آداب إيرانية) الميلاد، إلا قرونا كثيرة بعدها.

كل هذا يخولنا التصريح بأن القبائل ذات اللغات الهندية-الأوروبية لم تفلح في فرض لغاتها في بلدان آسيا وأروبا إلا في عهد متأخر، فاللغة الأدبية في بلاد الإغريق لم تر الثور إلا في القرن الخامس قبل الميلاد على يد اللغة اليونانية المشتركة (koinè). وبهذا الصدد يُخبرنا ³ A. Meillet، لقد تألفت اللغة المشتركة على كل حال، حين تأسست مملكة أثينا، نحو خمس وسبعين وأربعمئة (475) قبل الميلاد ... وهي لغة حضارة أثينا التي نشرت في الخارج..

1. على غرار ما حدث ببلاد الإغريق قرونا قبلها، أخضع فوج من القبائل الهندية-الأوروبية البلاد، فارضين-تدريجيا- لسانهم على المحليين، التاطقين بلغات عروبية.

2. D. Kosambi في كتابه "ثقافة وحضارة الهند القديمة".

3. في كتابه "لغة عن تاريخ اللغة اليونانية".

2.5 في الهند

1.2.5 في وادي السند

لم يشته وادي السند عن الحالة السابقة، فقد شهد، في هذه التاحية وفي غربي حوض السند، وفي بالوشستان الحالي وجنوبي أفغانستان -الناطق الحدودية بين فارس والهند، التي تنضم إلى باكستان الحديثة- تأسيس مستعمرات عروبية-.

لقد تطورت الحضارة ما قبل الهندية لوادي السند توازيًا مع الحضارتين الكبيرتين السومرية-البابلية والمصرية، وقد ظهرت هاتان الحضارتان حوالي ألفية من قبل تقريبًا، في أحواض الفرات ودجلة والتيل. يمكن تحديد تاريخ هذه الحضارة الجديدة المكتشفة، بمساعدة الاختام ما قبل الهندية التي عثر عليها في منطقة بابل أو بلاد عيلام، الصادرة عن طبقات أثرية لعهد سرجون أو ما قبل سرجون (أي ما بين أربع مائة وألفين ومائة وألفين -2400-2100- قبل الميلاد)¹.

معتمداً على الاختام ما قبل الهندية، يخبرنا B. Hrozny : . يسمح بكشف علاقات تجارية، وجدت بين بلاد أهالي ما قبل الهنود وبلاد سومر-أكاد ... وقد أقامت القوافل الأكادية والأشورية المتاجرة، من وادي السند إلى البحر الأبيض المتوسط وإلى بحر أجا حتى غاية شمال إفريقيا .. لقد تأثرت الحضارة ما قبل الهندية، معاصرة عهد أكاد والحقب الموالية له، بشكل بالغ بالحضارة الأكادية..

يُردف المؤلف نفسه : . يمكن افتراض أن الأهالي ما قبل الهنود، قدموا إلى البلاد الهندية بعد أن غادروا شمال سورية وبلاد الرافدين، وقد تعلموا فن البناء بالآجر في هذه البلدان الخاضعة لتأثير الحضارة البابلية.. يوضح B. Hrozny انطلاقاً من تماثيل وأشياء عثر عليها في وادي السند، أن الجنس البشري نفسه،

1. B. Hrozny مصدر سبق ذكره.

والثقافة ذاتها، كتلك في بلاد الرافدين : «تمثال مصنوع من حجر دهني (الطلق)، يمثل رجلاً بلحية قصيرة، حالق الشارب، على التحو السومري، مرتدياً ثوباً محلي بزخارف نفليّة، مبدياً لنا نموذج سكّان الهند في هذه الحقبة المعنة في القدم ... علبة مستلزمات الرينة جد مميّزة، في ثلاث قطع، هي بالضبط نظيرة مستلزمات أخرى واردة من أور في بلاد بابل.. ويلخص هذا المؤلف : «ويبدو احتمالاً ضئيلاً أن الحضارة هذه (ما قبل الهندية) قد تكون خاصّة الشعب السمسكريتي الهندي-الأروبي : يفترض بوجه عام أن هذا الشعب فعلاً قدم الهند بين خمسمائة وألف ومائتين وألف (1200-1500) قبل الميلاد، وهو ما يعني أنه ظهر حوالي تسعة قرون انتشار أهالي ما قبل الهنود في الهند..»

يؤكد¹ D. Kosambi، العلاقات التجارية بين وادي السند من جهة وبلاد الرافدين وجزيرة البحرين من جهة أخرى، حيث يُصرّح : «في المنازل ذات الطوابق المتعددة في عربّا ومناوجو-دارو (مدن ذات عمران معقد، وتخطيط دقيق)² كانت هناك هراء، أوسع من أن تكون أملاكاً خاصّة ... كل هذا يشهد على تجارة ذات بال، قد تكون امتدت إلى ما وراء المحيط ... لقد بينت تنقيبات بلاد الرافدين أن المدن التي رأت الثور (بفضل هذا البحث) قد تاجرت مع نظيراتها في السند ... المستودع الكبير الذي كان يستعمل التبادلات بين وادي السند والعراق، هو جزيرة البحرين في خليج فارس : وهو تلمون، في الأسطورة الرافدية. كتابات مسمارية على ألواح الطين، تجعل من البحرين بلد تجارة، وتخبر أن هذه الأسواق كانت بين أيادي طبقة تجار. يبدو أن الاسم ملوحة ينعت، عند الرافديين، منطقة السند. وبداية من خمسين وسبعمئة وألف (1750) قبل الميلاد، نفقد كل إشارة للملحة، ممّا يعني أن العلاقات التجارية قد انقطعت، بعلّة الكابسين على الأرجح. وقد كان هناك مركز تجاري آخر مجان أو مخّان، الذي لا يمكن تحديده بدقة بين الهند والبحرين..»

1. مصدر سبق ذكره.

2. هذا المعمار، هذه المنازل ذات الطوابق العدة، تذكر حتماً بمشهد المعمار اليمني.

وفي وادي السند كتب¹ G. Courtillier : بلاد أكثر عرضة للتأثيرات الأجنبية، فقد كشفت التنقيبات في مناوجو-دارو وفي عربا² عن وجود ثلاث مدن تراكب، الأقدم منهن ترقى إلى نهاية الألفية الرابعة. وكان التجهيز يستخدم أحجاراً مصقولة والتحاس، والذهب والفضة والخزف المطلي كان معروفاً، ويستدعي الفخار الكريم ذو الرسوم المتناظرة، الأسود، على خلفية حمراء، المقارنة مع تنقيبات بالوشستان، والسيسستان أو سوسة. حوالي ألف من ألواح الكلس، بكتابة تصويرية ورسوماتها الحيوانية؛ الدرباني والفيلة، والتمور على سبيل المثال، تصف في مجملها حضارة محلية وتبادلات اجتماعية مع كندا الأولى.، حقاً، لقد كان ثخا الحيوانات الأشوريون ذاعي الصيت، وقد تكون مدرستهم وصلت حتى الهند.

لقد وصلت موجات الهجرات العروبية هناك، دونما شك، عن طريق البر (انطلاقاً من بلاد الرافدين) كما البحر انطلاقاً من بحر عمان وشط العرب (الخليج العربي-الفارسي). لا ينفصل السند (مصببات السند) عن شبه الجزيرة العربية (السواحل العمانية) إلا بعرض ضئيل (نوعاً ما) من بحر عمان، إذ قبالة إيران يتواجد مضيق هرموز.

ينبغي أنه من هاتين النقطتين حصل العبور، إما تبعاً نحو الساحل الهندي وساحل ما يسمى لاحقاً بإيران، أو في الاتجاه المعاكس، نحو شبه الجزيرة العربية. ونستذكر بهذا الصدد أن قائد حملة إسكندر البحرية، يسمى نير-راق، قد أشار إلى أهالي عرب -أسماءهم عربيتا- في الأقاليم البحرية لبلاد السند (الباكستان الحالية).

1. في كتابه "الحضارات القديمة للهند".

2. تقع عربا في الفنجاب، على ضفاف الراوي، ساعدة نهر السند، ومناوجو-دارو، سبعمانه كيلومتر إلى الجنوب الغربي، على ضفة نهر السند.

بالأخذ في الحسبان الشواهد الأثرية في الهند، والعلاقات التجارية التي أجراها التجار العرب مع التواحي الداخلية للهند -علاقات وصلت إلى غاية الصين-، فإن قيام مستعمرات عروبية في بالوشستان وبلاد الأنهار الخمسة (البنجاب) وحتى في أفغانستان، يبدو أمراً منطقياً¹.

2.2.5 بالوشستان

تتكوّن في معظمها من صحراء. وتتوافر بالوشستان على ظروف المعيشة نفسها الموجودة في المناطق الوسطى والشرقية لشبه الجزيرة العربية، ويمثل البدو الرعاة القاعدة الأساسية لأهلها. هذا الموطن هو جدروسيا القديمة، التي عبرها إسكندر، حين قفل من الهند مما يثبت أنها كانت طريق عبور عتيق.

توجد في بالوشستان اللغة البراهمية التي استمرت بين ظهراي لغات إيرانية، في الجبال التي تطوّق من الغرب وادي السند. وتجلي الكتابة البراهمية، التي لا تزال مشتقاتها مستعملة إلى يومنا في الهند كلها، حروف الكتابة الفانقية لمخطوطة مشا (خمسين وثمانمائة -850- قبل الميلاد). وقد انتشرت مع التجارة البحرية من بابل إلى مرفئ الهند.

أدخلت الكتابة القورشية، المشتقة من الكتابة الأرمية، الهند في ما يبدو، عندما كان الشمال الغربي مقسماً إلى ولايات فارسية، إذ أن الأرمية كانت اللغة الرسمية للمملكة. وقد حفظ التوجه من اليمين إلى اليسار أثر أصلها السامي².

3.2.5 أفغانستان

تتموضع هذه البلاد على إحدى أكبر طرق العالم، طريق عبرتها في الأزمنة الغابرة باطراد جيوش غازية، كما زارها إسكندر الثالث، لقد كان وادي حلماند (منطقة كندهار) مئجها نحو إيران، بالغاً سيستان، تسمح لنا هذه المنطقة بمعاينة فخار كريم مطابق لذلك الموجود في سوسة، صبتو صناعة بالوشستان.

1. في نهاية القرن السادس قبل الميلاد، امتدت مملكة فارس من بحر قصوين إلى خليج فارس، ومن ضفاف نهر السند إلى النيل. وقد ناوبت مملكة بابل في آسيا.

2. G. Courtilier في كتابه "الحضارات القديمة للهند".

4.2.5 بلاد الأنهار الخمسة (البنجاب)

في البنجاب، بلد البقل، تعيش قبائل رعوية. كتب¹ de la Vallée Poussin متكلماً عن هؤلاء الأهالي : ، من المؤكد أن البنجاب غزاه أهال بيض، قدموا من إيران، ولجوا الهند إما عن طريق الشمال الغربي (بلاد بلخ-كابول) أو عن طريق أفغانستان-بالوشستان.. في سياق لاحق صرح المؤلف نفسه : ، كون الأهل الحاليين للبنجاب يمثلون العرق التقى للآريين ذوي آداب "البذاء"، احتمال غير وارد، إذ أن الشمال الغربي كان مفتوحاً على كل الغزوات مذ الفيات كثيرة. كون الجط الذين تحمل قبيلة منهم الاسم "عربي"، هم من سلالات هندية-إيرانية أصيلة كلام لا يصدق..

هكذا نجد الاسم القومي هذا، وهو "عربي" في البنجاب، الذي نصادفه في السند (واسمه "عربيتا"). وتؤكد، دون شك، دراسة تسمية الأماكن لهذه المناطق، الأصل العروبي لهؤلاء الأهالي. ويمكن ذكر بعض من هذه الأسماء في هذا المقام.

- كنداهاار : مدينة في جنوب أفغانستان، يمكن تقسيم اسمها إلى جزئين : كنده، تسمية شعب عربي في شبه الجزيرة العربية، ولهذا الاسم أيضاً معنى "قسم من جبل" (في العربية)، والجزء الثاني "هار" (أو هر) يعني صخراً، جبلاً في اللغة الفانقية،

- شنداجار : مدينة في البنجاب، ليست تسميتها إلا تحويلاً صوتياً ووجها من وجوه نطق كنداهاار،

- سملة : اسم مدينة في البنجاب، نظير اسم سملة الفانقي، أم ضوء-نوسا، وابنة قادم وحرمانية، كانت سملة هذه آلهة الأرض والنياميس، أصلها من بلاد الأطراق.

1. في كتابه "الهنود الأروبيون والهنود الإيرانيون".

6. جملة القول

عراقه الألسن العروبية حقيقة تاريخية مؤكدة. ففي الألفية الثالثة، تكلمت لغات عروبية واستخدمت داخل وخارج شبه الجزيرة العربية، في المناطق المجاورة لأعلى بلاد الرافدين وكذا للقوقص : الأكادية في المملكة الآشورية-البابلية والفانقية أو الكنعانية في الهلال الخصيب والأناضول (توازيًا وغالبًا في تنافس مع الأكادية) كما استخدمت فيما بعد في المملكة الاستعمارية الفانقية، التي امتدت حتى أوروبا الغربية، إلخ.

في الألفية الأولى قبل الميلاد، خلفتها الأرمية التي أصبحت "بما يدعو للغرابة" اللغة الرسمية لمملكة فارس، كما أصبحت، ولكن هذا الطور بتلقائية في بداية العهد المسيحي، اللسان الديني للعقيدة الجديدة، المسيحية.

لقد بيتنا مع أشعار رأس-شجرة وقانون حمو-ربي أن اللغات العروبية بلغت أوجها الحضاري-بلا ريب- قبل أن تبدأ اللغات الهندية-الأوروبية بكثير، مع "رقّ البداء" ثم "البستاء" إفران أدب معرفي ومقدس.

توافقًا مع ما سلف وبالالتفات إلى الحضور "التاريخي" للغات العروبية قبل ظهور اللغات الهندية-الأوروبية، يمكن ذكر مثال نموذجي للاستعارة التي قامت بها لغة هندية-أوروبية (السامسكريتية) من العربية، ويتعلق الأمر بالكلمة dyauh أو dévah التي أعطت Zeus في اليونانية ومنها اشتقت الأسماء "إله أو آلهة" في لغات أوروبية كثيرة.

يقدر¹ A. Meillet أن الاسم الهندي-الأروبي لـ "إله" déiwo، الذي يعني حرفيًا "لامع"، ليس هو الاسم اليوناني-لأن θεός (إله)، يعزى أصله غموض، وليس له أي قدر مشترك مع الاسم القديم déiwo القديم. Zeus، وهو الاسم الموجود في dyauh لـ "البداء"، هو الاسم القديم للسماء المضيئة، ولم يصبح الآلهة الهلانية الكبيرة، إلا بفقد خاصته الطبيعية

1. في كتابه "لمحة حول تاريخ في اللغة اليونانية".

في الحقيقة، يتفسر اسم Zeus، بجلاء بمعنى أصل عربي : في الواقع، يمكن قراءة Zeus مثل ضوء أو ضياء، وهو اسم يعني "نور، لمعان" ويرتبط تمامًا مع اسم Zeús اليوناني (إذا ما حذفنا الألف اليونانية S / س). فضلاً عن هذا فقواعد اللغة اليونانية (الماخوذة من كتاب¹ "Grammaire grecque" أي الإعراب اليوناني)، في تصريف الكلم، تشير إلى تصريف كلمة صعبة (بجذر منفصل) : وهي كلمة Zeús (في الاسمية) وهي التي تصبح Zeú مقابلة ضوء (في التداء) وDia مقابلة ضياء (في المفعولية) وDiós (في المضاف إليه) وDií (في المضاف). وبعض هذه التصاريف هي نقل حرفي للكلمة العربية التي أشرنا إليها.

هذا التشابه اللغوي بين اللغات الهندية-الأوروبية واللغات العروبية (المسماة من طرف بعض المؤلفين لغات حامية-سامية) يتوافر، ولا يمكن إلا أن يؤكد حقيقة أنه قبل اجتياح الهند والمناطق القوقصية (على سبيل المثال) من طرف قبائل ذات لغات هندية-أوروبية، كان هناك أهل عروبيون محليون في جميع هذه المناطق، ولغات هؤلاء الأهالي طبعت بصماتها -إن كثيراً أو يسيراً- على اللغات الهندية-الأوروبية المعنية. يؤكد² A. Meillet تواجد أهل محليين -قبل اجتياح القبائل ذات لغات هندية-أوروبية-، ويستنتج التأثير اللساني للأهالي المحليين بقوله : « المناطق حيث فرضت لغة كل واحدة من الجماعات البشرية ذات لغات هندية-أوروبية نفسها، لم تخسر بذلك أهلها القدامى، وكثير من الأفراد بالتالي غيروا لغتهم ».

يمكننا إيراد مثال آخر نموذجي "للاستعارة"، وهذا يخص اسم شعب : يتعلق النموذج ببرجة الهند (البرجو)، الذي وصفه المؤلفون بالشعب الآري، أي شعب ذي لغة هندية-أوروبية. وقد رأينا أعلى السياق (في بداية الفصل)، أن

1. "دروس في اللغة اليونانية" J. Allard et E. Feuillâtre.

2. في كتابه "مدخل لدراسة تقابلية للغات الهندية-الأوروبية".

الفارّجيين أو البرجة، الذين اشتق اسمهم من الكلمة العربية "برج" (التي تعني "قلعة، حصن")، هم أهل من قومية عروبية (من عرق سامي حسب المؤلفين).

صرّح الدكتور Cramer، المذكور أعلى السياق، وهو من قام بمقاربة قومية بين الفارّجيين والفالجيّين، أن : لغة البرجة، لغة فجّة مبهمّة لدى إغريق عهد زنا-فن وبلاطون، في حين أن G. Glotz يقرّ أن : الفالجيّين ليسوا بالتأكيد آريّين، ومن جهته يشهد A. Jardé أن الفالجيّين ليسوا ذوو لغة هندية-أروبية، أما أروادوت فيجمع كلّ الشعوب الذين في اسمهم الجذر ب. ر. ج. (أو ب. ر. ق.) أي البرجة، البرقة، البرقتر، البارقة، البرجة-الجند، البرجنط، إلخ. وصرّح : في تسمياتهم، ذوات الصيغ التي يبدو أنها مختلفة، ... جذر مشترك يدلّ بطريقة مؤكدة على أصل مشترك..

وفي هذا المدرج يخبرنا¹ D. Kosambi : إنه لأمر مدهش أن نجد الاسم برجو (من أصل واحد للاسم فرجة) في نصوص "رق-البداء" ... لقد اندمج البرجو متأخرين في المجتمع البراهماني، ولكنهم ارتقوا بسرعة..

من كلّ ما أورد المؤلفون (دون استيعاب القائمة المقام)، يمكن أن نقول أن برجو أو برجة الهند، هم شعب من لغة غير هندية-أروبية، ينتسب لبرجة الأناضول، منطقة انطلاق هجراتهم -دون شك- نحو شبه القارة الهندية، عبر بلاد الرافدين².

هكذا، كما يمكن مصادفة اسم قوميّ هو "عربيّ" في الفنجاب، وآخر "عربيّ" في السند، كما نجد اسماً قومياً في الهند وهو "برجو" نظير السابقين.

يقدر B. Hrozny، وهو لسانيّ حاذق ومترجم كتابات عديدة لآسيا الغربية وكنا لقرتا (الخطية "ب")، في كتابه³، صفحة 75، أن : إن القرابة على الرغم من

1. مصدر سبق ذكره.

2. يمكن أن نلتقي تسمية شعب من جذر البرجة نفسه، وهو البارقة (وقد استشهدنا لذلك بأروادوت) هؤلاء الأهالي سكنوا المناطق المجاورة للبحر الأسود، التي تمتد من أرمينيا إلى غابة نهر العالي.

3. مصدر سبق ذكره.

بعدها، محتملة بين اللغات الحامية-السامية واللغات الهندية-الأوروبية، مما يشجب تلمسنا للوطن الأصلي للأهالي الحامية-السامية في نقطة جد بعيدة عن الوطن الأصلي-نسبياً- للهنود-الأوروبيين، وهو الواقع على الأرجح في شمال البحر الأسود، والقوقص وبحر قصوين، وبهذه اللابسات، كل اللؤشرات تبعث على افتراض أن الحاميين، هم الآخرون نفذوا إلى إفريقيا، قدوماً تقريباً من جهة آسيا هذه..

هذا الاستشهاد يستدعي منا ملاحظات عدة :

- يتوافق B. Hrozny مع طرحنا الذي يجعل مهد الشعوب الناطقة بالعربية (الذي أسماهم حاميين-ساميين) -أي موطنهم الأصل- بجوار الوطن المفترض للهنود الأوروبيين. مما يعني أن العرب قد تموقع جزء منهم، خارج بلاد الرافدين في : مناطق البحر الأسود والقوقص وفي بحر قصوين، وبالتالي فقد بلغوا كما رأينا وحددنا، حتى مصب الدانوب والبولغا.

- بالأخذ في الحسبان التسلسل الزمني لهجرات القبائل ذات لغات هندية-أوروبية نحو الهند وآسيا الغربية وأروبا، نلاحظ أن بعض الهجرات تمت (باعتبار معلم نزولها الأخير) ابتداءً من النصف الثاني للألفية الثانية مما قبل العهد المسيحي، في حين أن الجزء الأعظم من هذه الهجرات كان خلال الألفية الأولى (في نصفها الأول). ينبغي، من باب أولى، الكلام عن الاجتياحات بدل الهجرات، لأن جميعها كانت نتيجة غزوات عنيفة، حققتها قبائل شرسة وقليلة التحضر.

والأرقام التي نسوقها، محل قبول من طرف أغلبية المؤلفين، وهي بوجه تقريبي :

• بعد خمس وسبعين وسبعمائة وألف (1775) قبل الميلاد، في آسيا الصغرى، مع الجثيين¹،

• بين خمسمائة وألف ومائتين وألف (1200-1500) قبل الميلاد، في الهند،

1. بتحفظ من مؤلفين عدة، الذين يقدرون أن الحتية ليست لغة هندية-أوروبية (من بينهم A. Meillet).

- بداية من القرن الثاني عشر قبل الميلاد ، في بلاد الإغريق، مع الهلانيين،
- في القرن السابع، قبل الميلاد، في إيران، مع المداية والفرس،
- في القرن السادس قبل الميلاد، في إيطاليا مع الرومان ... ،
- ... حتى آخر غزوات الجرمان، في أوروبا الغربية، في القرن الخامس من العهد المسيحي،

• في القرن السادس للميلاد، في أوروبا الشرقية والوسطى مع الصقالبة،

أيا كانت الأسباب، يُقدّر المؤلفون أن ميلاد لغات هندية-أروبية ليس قبل القرن السادس عشر قبل الميلاد. يصرّح¹ A. Meillet بأنه : ، في الوقت الذي ظهرت فيه اللغات الهندية-الأروبية في التاريخ، في أزمنة مختلفة، بين القرن السادس عشر أو الخامس عشر قبل الميلاد، والقرن السادس عشر أو السابع عشر للميلاد، لم تشعر الأمم التي كانت تستخدم هذه اللغات، أنهم من حيث الجوهر لهنّ كلام واحد ولكن محوّل بتباين..

بطبيعة الحال، كانت هناك مهاجرات قبائل ذات لغات هندية-أروبية، بصورة مسالة، على مدى قرون، ولكن دونما أهمية من جهة العدد، وهو ما سهل اندماجها في مجتمع بلد الاستضافة. وامثالها الأوضاع كان نوعاً ما سريعاً، ولم تؤثر لغاتهم الخاصة الهندية-الأروبية على لغة البلد المضيف.

وهكذا، قد سمح لنا هذا الفصل بتوكيد قدم اللغات العروبية وأسبقيتها بالنسبة لعائلات لغوية أخرى. كما ساعدنا على إقرار علاقات قريبة بشكل أفضل، بين التاريخ واللسانيات، والتكامل بين المجالين.

1. في كتابه "لغة حول تاريخ في اللغة اليونانية".

البابُ الثاني

ديانات الأنبياء ولسانهم

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾

(سورة النّخان - الآية : 58)

الفصل الأول

الأنبياء ولسانهم

1. إبراهيم وإسماعيل وإسحاق (عليهم السلام)

1.1 الأنبياء

1.1.1. الرسول إبراهيم -عليه السلام-

أ/ حسب "الكتاب المقدس" ("سفر التكوين")

غادر إبراهيم رفقة أبيه وزوجه ساري وابن أخيه لوط، كلنا¹ أين ولد، ليلتحق ببلاد كنعان. وحين وصوله هنا البلد، بتى أبرام في بتئيل منبجا للرب. واثّر مجاعة، توجه أبرام إلى مصر ليقيم بها زمناً، ثم أبّ بعدها إلى بلاد الكنعانيين، وعقّرت ساري زوجه أن تلد له ولداً. وكانت لها خادمة مصرية وهبته إياها زوجة، تسمى هاجر، بعد أن أقام إبراهيم عشر سنوات في بلاد كنعان قرب حبرون² ... ولدت له هاجر ولداً أسماه إسماعيل.

وحين بلغ إسماعيل ثلاث عشر سنوات ختن، وكان حينها عمر أبيه تسعا وتسعين سنة. وحين ولد إسحاق بن سارة، كان عمر إبراهيم مائة سنة. فأقام إبراهيم احتفالاً بهيجاً لما بلغ إسحاق الفطام. وقد رأت سارة الغلام الذي ولدت هاجر المصرية لإبراهيم يضحك، وأتبعته وابنها، فخرجت وابنها وقطننت صحراء فاران³، وزوجت هاجر ابنها امرأة مصرية.

1. لور، مدينة تقع على الضفة الغربية للفرات، في جنوب بابل.

2. هي مدينة الخليل اليوم (في فلسطين)، من اسم اعطي لإبراهيم، هو "خليل الرحمن".

3. يجعل "الكتاب المقدس" صحراء فاران في سيناء.

ب/ حسب القرآن

يسمى والد إبراهيم -عليه السلام- آزر، وقد قال بعض المفسرين أن هذا الاسم يعوض اسم "آب" ويرى آخرون أنه لقب يعني "قوي، منتصر، وزير".

كان قوم إبراهيم -عليه السلام- في كِلدا (او بلاد بابل) يعبدون ملوكهم وفي الوقت ذاته أصنامهم :

قال تعالى : ﴿ الْمَرْثَى إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِيضِهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (سورة البقرة - الآية : 258).

وبعد أن دعا قومه -دون جدوى- لترك الوثنية، عمد إبراهيم -عليه السلام- لتهشيم أصنامهم، ليبرهن لهم، أنها هي جمادات بناها البشر ولا حول لها. وهو ما جعلهم يحكمون عليه بالحرق. ولكن الله سبحانه جعل النار عليه برزاً وسلاماً، وأنجاه من ثبور محقق :

قال تعالى : ﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ. قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾ (سورة الأنبياء - الأيتان : 68 - 69).

وكانت زوجته ساره¹ وابن أخيه لوط -عليه السلام- فقط من آمن برسالته من بين قومه. وقد بين القرآن أن إبراهيم رافق هاجر وابنه إسماعيل، الذي كان لا يزال رضيعاً حتى الوادي "المجذوب"، قرب البيت المحرم :

قال تعالى : ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ يَتِّكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ (سورة إبراهيم - الآية : 37) ، أي مكة المكرمة (بالحجاز).

1. صرح الطبري (مصدر سبق ذكره) أن سارة كانت ابنة عم إبراهيم، ابن حاران الأكبر، ملك حاران (أعلى بلاد الرافدين). كانت أخت ساره، مالكة، زوجة ناحور أخى إبراهيم.

ج/ حسب الرواية

حسب رواية الإمام البخاري (عن ابن عباس -رضي الله عنهما-) : ... ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل وهي ترضعه حتى وضعها عند نوحه فوق زمزم في أعلى البيت وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء ... فإذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه -أو قال : بجناحه- حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكنا وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعدما تغرف ... فشربت وأرضعت ولدها ... فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم -أو : أهل بيت جرهم- مقبلين من طريق (كلاء) ... فنزلوا ... وشب الغلام وتعلم العربية منهم ... زوجه امرأة منهم ...

عن الأزرقى¹ (عن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-، صهر وابن عم الرسول -صلى الله عليه وسلم-)، كان إبراهيم أول رسول أمر الناس بالحج إلى مكة المكرمة ولقنهم شعائرها.

2.1.1 إسماعيل -عليه السلام-

أ/ حسب "الكتاب المقدس" ("سفر التكوين")

ولد إسماعيل لإبراهيم من زوجه وخادمتها هاجر، المصرية. وفي سن الثالث عشرة تختن هو وأبوه في الوقت ذاته، أي سنة قبل ميلاد أخيه إسحاق، ابن ساره، وحين وفاة إبراهيم، دفنه ابناه إسحاق وإسماعيل في كهف مكفيلة في حبرون.

كان لإسماعيل اثنا عشر ابناً، يسكنون من خويلة إلى شور¹، قبالة مصر، باتجاه بلاد آشور، وتزوجت ابنته محلة، عيسو أخا يعقوب وابن إسحاق أخى إسماعيل.

1. في كتابه "أخبار مكة الشرفة".

ب/ حسب القرآن

كان إبراهيم -عليه السلام- يقوم من وقت لآخر بزيارة لولده إسماعيل في مكة. وفي واحدة من هذه المناسبات أمر إبراهيم وولده إسماعيل -عليهما السلام- ببناء الكعبة "بيت لعبادة الله وإقامة وتعظيم شعائره سبحانه" (سورة البقرة، من الآية 125 إلى 128، سورة آل عمران، الآيتان : 96/97).

ج/ حسب الرواية

يخبرنا عبد الوهاب التجار¹ أن صحراء فاران (التي ترعرع فيها إسماعيل -عليه السلام-)، حسب "سفر التكوين" تنعت أحد أكبر الجبال المحيطة بمكة، وبهذا الاسم يسميه الكتاب اليهود، تمامًا مثل خويلة² التي هي تحويل صوتي لخولان اسم قبيلة يمنية سكنت التضاريس المرتفعة في جنوب الحجاز.

حسب عبد العزيز سالم³ : تذكر الرواية أن أول ساكني الحجاز (منطقة تضم مدينتي مكة المشرفة والمدينة المنورة) هم العمالقة، الذين كان شيخهم سميداع بن هوبر بن لاوي نحو ستمائة وألفين (2600) قبل الميلاد. وكان خلفاؤهم هم بنو جرهم (القحطانيون)، في زمن إسماعيل -عليه السلام-. وكان قاطنو اليمن هم أول من حج مكة المكرمة..

كان إسماعيل -عليه السلام- أول قنم على الكعبة، وقد دفن هنالك قرب أمه. ثم خلفه ابنه نابت، وبعده جده (جد نابت)، الذي هو صهر إسماعيل -عليه السلام- : وهو مضاض بن عمرو الجرهمي. وغدت مكة المكرمة مدينة مزدهرة، يحكمها ملك، واتخذ منها اليمنيون منزلاً. ثم ارتد أهالي مكة عن الديانة الحنيفية ليعبدوا الأصنام.

1. في كتابه "قصص الأنبياء".

2. في اللغة الكنعانية، يستبدل حرف الخاء (خ) بحرف الحاء (ح)، ذاك أن الكنعانيين لا ينفقون الصوت خاء (مثل اح-رم. اسم ملك فائق لـ اخ-رم).

3. في كتابه "تاريخ الدولة العربية".

د/ هل كانت أم إسماعیل - علیه السلام - مصریة ؟

السؤال جلیب بالطرح، لأن قراءة "العهد القديم" -الذي ینصّ نصّ منه أن هاجر من أصل مصريّ- ("سفر التكوين") یتیح لنا معاينة أن تسمية الأماكن المذكورة لیست دائماً محدّدة فی مجال استوصاف الأرض استوصافياً بلغة :

- فی الفصل الخامس والعشرين، ضمن عنوان "ذریة إسماعیل"، نقرأ أن «سكن اولاد إسماعیل من خویلة إلى شور، قبالة مصر، باتجاه بلاد آشور». حقيقة تقع خویلة قبالة مصر، ولكن على الضفة الأخرى للبحر الأحمر وتتموضع فی جنوب الحجاز،

- فی الفصل الواحد والعشرين، بخصوص هاجر فی الصحراء، یخبرنا "الكتاب المقدس" بأن أم إسماعیل - علیه السلام - طردت من طرف سارة، زوجة إبراهیم - علیه السلام - ، ذهبت رفقة ابنها، ثاها فی صحراء بنر سبعة¹ أين بصّرت بحبّ ماء ... كبر الغلام وسكن صحراء فاران، وزوّجته أمّه امرأة من بلاد مصر. لقد صرح النص القرآنی بالفعل بأن هاجر وابنها -الذي كان لا یزال رضیعاً ولم یكن عمره أربع عشرة سنة (14)- بعد مغادرتهما لکنعان بلغا صحراء مکة (الحجاز)، أين يقع نبع زمزم الشهیر. ویخبرنا عبد الوهاب التّجّار أن صحراء فاران تنعت أحد الجبال الحیطة بمكة. كما تخبرنا الرواية أن إسماعیل - علیه السلام - قد تزوّج هناك فی المنطقة التي فیها جاوز التّطاق، بامرأة حجازیة من قبيلة بني جرهم ولیس بمصریة.

من حقنا إذا التّحقّظ حیاال الأصل المصريّ لأم إسماعیل - علیه السلام - (وهو الأصل الذي یقرّه "سفر التكوين"). حتی ولو كان أهالی مصر وأهالی شبه الجزيرة العربیة أقارب قومياً بشكل لا غبار علیه. یبدو إذن بالتّظر إلى الغموض الذي یعتری الأماكن والمواضع والذي یورده "الكتاب المقدس"، أن

1. فی فلسطین.

هاجر قد تكون تحدّرت من باب أولى، إمّا من كنعان أو سيناء، أو من منطقة أخرى من شبه الجزيرة العربية.¹

3.1.1 إسحاق - عليه السلام-

أ/ حسب "الكتاب المقدس" ("سفر التكوين")

أنجبت سارة لإبراهيم ولدًا على الكبر : كان عمرها تسعين سنة، وعمر بعلها مائة سنة. أرسل والد إسحاق خادمه الوفي، إلى بلاد الرافدين "أرضه وعشيرته" تجاه عائلة أخيه ناحور، ليطلب منه تزويج أحد بنات إخوته لابنه. كانت المخطوبة المسماة رفيقة ابنة بتونيل ابن مالكة وناحور، والداها يقطنان حاران (فدان أرم) في بلاد الرافدين. وقد أنجبت رفيقة ولدين توأمين : عيسو ويعقوب.

إثر مجاعة في بلاد الجنوب التي يقطنها، رحل إسحاق، وسكن جرار بلاد الفلسطينيين، ثم بئر سبعة، وقد دفن إسحاق في حبرون.

ب/ حسب القرآن

يُدرج إسحاق ضمن الأنبياء -عليهم جميعا السلام-.

ج/ حسب الرواية

روى الأزرقى² أنه على غرار جميع الأنبياء، بعد إبراهيم -عليهم السلام-، وفد إسحاق -عليه السلام- (رفقة أمه سارة) إلى مكة للحج.

2.1. لسانهم

تكلم الرسول إبراهيم -عليه السلام- المولود بمدينة أور اللغة البابلية، لغته الأصلية. وقد شُفّرت لغة عصره وبلاده، وترجم قانون حمو-ر-بي

1. قد تكون أم إسماعيل -عليه السلام- لقبت نسبة لبلدها الأصلي، هجر، منطقة تقع نحو وسط شبه الجزيرة العربية.

2. مصدر سبق ذكره.

(ملك بابل ومعاصره). يشدد¹ E. Dhorme على التقارب التحويلي بين العربية الفصحى والبابلية، وكذا تشابههما المعجمي. وقد ذكرنا ذلك في الباب الأول (الفصل الخامس-الدرج 3.3).

حسب "الكتاب المقدس"، غادر إبراهيم حاران، في أعلى بلاد الرافدين، إلى كنعان وعمره حينها خمس وسبعون سنة، وسكن كنعان، حوالي أربع وعشرين سنة (إذا ما أخذنا في الحسبان إقامته الوجيزة بمصر)، وتكلم بالتالي الكلدية أو البابلية (لغة بلاد الرافدين السفلى)، والأرمية -أو الآشورية- (لغة بلاد الرافدين العليا)، والكنعانية أو الفانقية.

ولكن، باعتبار أن الكتاب قاطبة، معتمدين على شهادة المخطوطات، يقدرون أن تحديد ظهور الأرمية (القديمة أو المشتركة) بداية من القرن التاسع قبل الميلاد، فينبغي أولاً الكلام عن الأكادية (أو الآشورية). على أي حال، جميع هذه اللغات جد متجاورة، والمرور بتغيير للقر من لغة لأخرى، كل ذلك لا يطرح أي إشكال بعد بضعة أسابيع من التأقلم والمراس. نستطيع اكتشاف ذلك بالتحديد في إحدى الكلمات التي تركب الاسم "إبراهيم"، وهي "إبر" أو "بر"، التي تعني "ابن" في الأكادية والأرمية كما الفانقية.

تكلم جميع أبناء -إبراهيم- بالتالي الفانقية، لغة بلاد كنعان، إذ أنهم هناك ولدوا ونشأوا. وبالتأكيد كانوا يفهمون اللغة الأرمية (أو الأكادية) لأنها لغة أمهاتهم، بداية من يعقوب -عليه السلام- (إسرائيل) بن ربيعة "الأرمية"². وحتى إسماعيل -عليه السلام-، ينبغي أنه تكلم الفانقية، لأن أمه هاجر، أمضت عشرة سنين (حسب "العهد القديم")، في بيت إبراهيم بكنعان. وبعد استقرارهم في صحراء مكة، تبنت إسماعيل -عليه السلام- قبيلة من المنطقة، وتكلم بطبيعة الحال لغة الحجاز (الحجازية أو اللغة العربية الوسطى).

1. مصدر سبق ذكره.

2. ربكة، هي كتابة الاسم ربيعة بتناوب بين الباء والفاء.

2. يعقوب ويوسف وموسى وهارون -عليهم السّلام-

1.2. الأنبياء

1.1.2 يعقوب ويوسف -عليهما السّلام-

أ/ حسب "الكتاب المقدس" ("سفر التكوين")

تزوَّج يعقوب، ابن إسحاق، على غرار أبيه من عند خاله، لدى "الأرميين".
ومن رخل¹، إحدى زوجاته، وابنة خاله، لبن، رزق ولدًا (من بين أولاده) سميّ يوسف. وبعد حوادث عديدة ومعروفة لدى الجميع، أصبح يوسف ذراع فرعون الأيمن وقد دعا الملك الفرعونُ أبا يوسف وعائلته لياتوا ويستقرّوا في بلاد مصر. وقد بلغ عدد الأشخاص الذين قدموا مع يعقوب (إسرائيل) إلى مصر سبعين نفرًا.

ب/ حسب القرآن

يوسف، هو اسم سورة قرآنيّة تحوي إحدى عشرة ومائة آية.

ج/ حسب الرواية

يؤرّخ الكتاب (ومن بينهم عبد الوهاب التّجار) قدوم يوسف إلى مصر، في عهد الأسرة الملكيّة السادسة عشر (مع أبابا الأول كملك)، حوالي سنة ستمائة وألف (1600) قبل الميلاد، وجعلوا دخول يعقوب -عليه السّلام- وبني إسرائيل سبعا وعشرين سنة بعدها.

2.1.2 الرّسول موسى -عليه السّلام-

أ/ حسب "الكتاب المقدس" ("سفر الخروج")

باستقرارهم في مصر، أخصب أبناء إسرائيل وتضاعفوا، وأصبحوا شيئا فشيئا أقوى. تربّع على عرش مصر ملك لم يعرف يوسف -عليه السّلام- قط.

1. يعطينا النصّ العبرانيّ الاسم نفسه ر.ح. ل. 777، مترجم في "الكتاب المقدس" بـ"ابنة النعجة" ("سفر التكوين").

وقد كان المصريون يُمقتون بني إسرائيل، ووضعوهم في سخرة قاسية. ولم يقنع الفرعون بتحقيق بني إسرائيل، بل أمعن بأن أمر جميع شعبه قائلاً : «كل صبي يولد للبرانيين اطرحوه في النهر». ("سفر الخروج"). وبعد هذا الأمر بزمن يسير، ولد في بيت لاوي مولود، نبذته أمه على حاشية النهر، وهي التي لم تستطع إخفاءه، ولا استكانت بتسليمه للمصريين. وهناك، اكتشفت ابنة فرعون الرضيع وسط البوص، فتبنته وأسمته موسى.

ب/ حسب القرآن

يقص القرآن نبذ أم موسى -عليه السلام- لابنها في اليم، بأمر من الله (سورة طه، الآيتان : 38 / 39)، ويقص تبني العائلة الملكية له، وإرضاع أمه له (سورة القصص، الآية : 7). وهذه القصة يتوافق معها "سفر الخروج"، مع وجود فارق، وهو أنه في القرآن، لم يُشر إن كانت بنت فرعون أو غيرها من التقط موسى -عليه السلام-، وإنما ذكر لفظ "آل فرعون" (فالتقطه آل فرعون).

ج/ حسب الرواية

حسب الأزرقى، قدم موسى -عليه السلام- مكة على جمل أصهب قاصداً الحج، وطاف بالكعبة.

3.1.2 هارون -عليه السلام-

الأخ الأكبر لموسى -عليه السلام- ووزيره، يسمّى "هارون". يجعل المؤلفون، في معظمهم اضطهاد بني إسرائيل وميلاد موسى -عليه السلام- خلال ملك رع-مسيس الثاني (بين واحد وثلاثمائة ألف وخمسة وثلاثين وماتين ألف -1301-1235- قبل الميلاد)، ويشيرون أنه في عهد مينا-فتح، ابن وخليفة هذا الأخير (من الأسرة الملكية التاسعة عشر)، بُعث موسى وهارون، وفي ملكه حدث الخروج.

2.2. لسانهم

تكلّمت عائلة يعقوب -عليه السلام- (إسرائيل) -في مجموعها سبعون- قبل مغادرتها كنعان لتلتحق بيوسف في مصر، اللغة الفانقيّة، ولقد رأينا أعلى السّياق أنّ أبناء وأحفاد إبراهيم -عليه السلام- تكلّموا الكنعانيّة (أو الفانقيّة)، لغتهم الأموميّة.

حينما استقر آل إسرائيل في مصر -دامت إقامته هنالك حوالي أربعمئة سنة- واصل أفراد الكلام بالفانقيّة، حتى لا يفقدوا الاتصال الطبيعيّ والثّقافيّ مع مجانسيهم الوثنيّين من بلاد كنعان؛ إذ قد وَعَدَ الرَّبُّ إبراهيمَ مَنَحَ عَقِبِهِ أَرْضَ كَنْعَانَ. كقاطنين لبلاد مصر، تكلّم بنو إسرائيل لغة البلاد من أجل العلاقات اليوميّة مع المصريّين، وحتى لا يبدون غرباء، في البلد المضيف. وهذا هو الحال مع جميع المهاجرين الذين يتعلّمون لغة البلاد المضيّفة، من أجل اندماجهم الثّقافيّ أو بالأحرى الاجتماعيّ، ويحافظون على لغتهم الأصليّة التي يتكلّمونها فيما بينهم أو داخل العائلة.

وعلى كلّ حال، فقد كانت التبادلات بجميع أنواعها، كثيرة ومتواصلة بين مصر من جهة، وكنعان وبلاد الرافدين من أخرى. فضلاً عن أنّ اللّغتين، المصريّة والفانقيّة اللّتين تنتسبان لفرغ اللّغات العربيّة-الحاميّة نفسه، كانتا جدّ متقاربتين من بعضهما. وحينما خرج بنو إسرائيل من مصر (نحو مائتين وألف -1200- قبل الميلاد)، تحت إمرة موسى -عليه السلام-، نزلت عليه في سيناء التوراة، الكتاب الموحى. وقد ضاعت نسخته الأصليّة بغيدها، بحيثُ تُجهل اللّغة التي بها أوحى ونزل.

في حين أنّه حسب القرآن، حنّد أنّ الله سبحانه، وجّه رسالته بلغة نبيّه المكلف بتبليغ قومه، وهو مفهوم الآية الرابعة من سورة إبراهيم :

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ﴾.

كان بنو إسرائيل الذين هم كنعانيون (فانقيون) ويتكلمون اللغة الكنعانية - قبل دخولهم مصر، وعددهم سبعين نفراً، وبعد خروجهم من مصر بلغوا مئات آلاف كثيرة تعناداً، حسب "الكتاب المقدس" - لا يفهمون رسولهم موسى - عليه السلام -، إلا بلسانهم، أي اللغة الفانقية.

الشهادة غير المباشرة لكتاب كثر، تشفع لصالح طرحنا، الذي فصلناه في كتاب سابق بعنوان "العرب، محرّكو البيانات الحنيفية الثلاث، اليهودية والمسيحية والإسلام" :

- لقد عُثر، قرب ضريح أخ-رم، ملك فانقيا (مطابق لاسم ملك صور، معاصر داوود وسليمان -عليهما السلام-)، على أوانٍ مصرية مصنوعة من أحجار بيضاء شفافة، تحمل اسم رع-مسيس الثاني، وأدوات الفخار الكريم المكانوية، عليها كتابة هجائية، وهو ما يرتقي بهذا الضريح إلى القرن الثالث عشر.

يمكن أن نستخلص بالاعتماد على التصّ الهجائيّ هذا، أنّ الكتابة "الحديثة" للفانقية، كانت مستعملة خلال هذا القرن الثالث عشر قبل الميلاد. يتعلّق الأمر بالطبع بالفانقية القديمة، التي كان هجاؤها يتألف من اثنتين وعشرين حرفاً، متأخرة عن الخطّ شبه المقدس القديم لنصوص جبيل.

- كتبت موسوعة "Grand Larousse Encyclopédique" في الإحالة المكرّسة للعبرية (اللغة) : ، لم يظهر اسمها ذاته إلا متأخراً، في القرن الثاني من عصرنا، في المشنة. ينعت كتاب "العهد القديم" العبرية بمصطلحات "لغة كنعان" (أشعيا) أو "لغة يهودية" (الملوك، عزرا، نحميا). تمثل العبرية¹ تطوّر الكلام الخارج عند أهالي كنعان قبل مجيء بني إسرائيل. قد يكون بنو طارح (عائلة إبراهيم القادمة من حاران)، استخدموا لهجة أرمية، التي هجروها لصالح لغة البلد. ويفسر هذه السيّورة، المستوى الرّاقى لحضارة مضيّفيهم، والقرباية الكبيرة بين اللغة الأرمية والكنعانية.

1. لقد حلّطنا أعلى السّياق أنّ مصطلح "عبري" ليس قومياً.

نص E. Renan (في كتابه "مقتطفات من دراسات تاريخ ديني") بأن :
 «الخلفية المسبقة للغرب بأن لا يعترفوا بالكنعانيين كإخوان لهم ... عكس الشهادة
 المؤكدة للكلام، ويقتلر شرحاً في الإحالة (هو نفسه أو ناشره J.Gaulmier) أن ،
 اللغة الفانقية كانت عبرية شبة خالصة».

- يصرح¹ R. Weill بهذا الصدد : « منذ منتصف القرن التاسع عشر، ومن السّابع
 إلى الخامس قبل العهد المسيحي، تتوافر لدينا مخطوطات كثيرة نسبياً (من
 مائة إلى مائتين)، على بناءات صغيرة، واختام ملكية، إلخ، بالعبرية-الفانقية
 (بهذا نحدد اللغة والكتابة)».

**الشهادة المباشرة والملموسة (التصب التذكاري الموجود بمتحف
 Louvre في مدينة باريس) تؤكد طرحنا وترسمه :**

- تخبرنا موسوعة "Grand Larousse Encyclopédique" بخصوص التصب
 التذكاري من حجر البزلت لمشا ملك موآب، المؤرخ له بسنة اثنتين وأربعين
 وثمانمائة (842) قبل الميلاد-، عثر عليه قرب آثار ديبون عام ثمانية وستين
 وثمانمائة وألف (1868) (الموافق لخمس وثمانين ومائتين وألف 1285-
 للهجرة) الذي يوجد حالياً بمتحف Louvre، بأنه التصب مكتوب بحروف
 فانقية، وينص بلغة موآبية على انتصار مشا على يورم (ملك) إسرائيل.

- تصرّح موسوعة "Grand Larousse Encyclopédique" بخصوص مشا
 النيبوني، أن هذا التصب نفسه (نصب الملك مشا) مكتوب باللغة العبرية محدّدة
 بأن «اللغة التي تبديها مخطوطة مشا، تتميز قليلاً عن عبرية "الكتاب للقدس"».

- في حين أنه ولا واحدة من الإشارتين (الختلفتين) المأخوذة من الموسوعة
 "Grand Larousse Encyclopédique" ذاتها تظهر في متحف Louvre ، فنصب
 ملك موآب، مشا، الذي عايناه في هذا المتحف، الموجود في القاعة D (Levant
 المشرق) يحمل النصّ التالي : « نصب مشا ملك موآب، الذي يخلد انتصاره على

1. في كتابه "فانقيا وآسيا القربية".

ملوك إسرائيل من سلالة عمري. نصب من البزلت. -عصر الحديد (نحو ثمانمائة -800 قبل الميلاد)- ديبان. مخطوطة باللغة الفانقية، نسخت وختمت قبل تجزئتها. القطع الأساسية جلبها Ch. Clermont-Ganneau سنة ثلاث وسبعين وثمانمائة وألف (1873) ..

وقد لاحظنا أن حروف هذا النصب، هي تلك التي للأبجدية الفانقية القديمة (سابقة للقرن التاسع قبل الميلاد) : النص كتب بلغة فانقية وليس بلغة عبرية.

يؤكد كاتب آخر هو¹ Dupont-Sommer جزمنا المتعلق باللغة الفانقية، لغة بني إسرائيل، مصرحاً بطريقة واضحة لا غبار عليها : . نستذكر أنه في فلسطين، هجر المحتلون العبر لغتهم الأولى مهما كانت هذه اللغة -بلا ريب قد كانت متقاربة على الأرجح مع الأرمية- بعد الغزو ليتبتوا لغة كنعان ذاتها، التي نسميها "العبرية" ..

يتبين لنا، إذا أن التسميات المضاعفة مثل "لغة يهودية، لغة كنعان، لغة تنتسب إلى الأرمية، العبرية، العبرية-الفانقية" ليست إلا أوصافاً للغة الفانقية وحدها.

3. عيسى -عليه السلام-

1.3 الرسول عيسى - عليه السلام-

1.1.3 حسب "الكتاب المقدس"

حبلت مريم، ابنة حبر من أحبار بني إسرائيل بوساطة من الروح القدس. وهكذا ولد عيسى بن مريم في يهوذا، في بيت لحم²، في عهد الملك أرواد ... وبعد موت يوحنا المعمدان³، بدأ عيسى دعوته، وكان له حواريون كثير ومعجزات ...

1. مصدر سبق ذكره.

2. في الحقيقة، ولد عيسى -عليه السلام- في الناصرة. يقدم E. Renan ميرزات تحويل مكان ميلاد عيسى -عليه السلام- من الناصرة إلى بيت لحم، في كتابه "حياة عيسى" ، ولد عيسى في الناصرة، مدينة صغيرة من الجليل في "إنجيل Matthieu 54, XII وإنجيل IV, 1 Marc وإنجيل Jean 45-46, I".

3. أي يحيى عليه السلام.

موت يوحنا المعمدان¹، بدأ عيسى دعوته، وكان له حواريون كثير ومعجزات ... وقد تأمر عليه الكهنة الرؤساء اليهود وكبراء الشعب، وتباحثوا عن سبيل صنده، بكيده وقتله. وهكذا أسلمه يهوذا الإسخريوطي بعد أن قبله إلى الحشد الذي أرسله الكهنة الرؤساء وكبراء القوم، وتولى عنه حواريوه.

وأسلم إلى فنس بلاط، الحاكم الروماني، ليصلبه. يحكي إنجيل بر-نبي (غير معترف به من طرف الكنيسة الرومانية) تجلي عيسى على جبل الريتون، عمره ثلاثون سنة : . كان يدعو، حينما اكتنفه ضوء ساطع بحضور ربة من ملائكة. فسلمه "الملك-الرأس" جبريل كتابًا، يحاكي لمعانه المرأة، استوعبه صدره، ففتح عيني البصيرة. ومن تلك اللحظة، انفصل عيسى عن أمه، ليقوم بمهمة التبوة، قرب بيت إسرائيل ..

2.1.3 حسب القرآن

يسمى -في القرآن- المسيح، أو عيسى -عليه السلام-، ومرات "ابن مريم".

ويحكي ميلاد عيسى -عليه السلام-، حين انتبذت أمه ملاذاً قريباً من نهر، تحت جذع نخلة، مثقلة بالتمر، على الرغم من أن الموسم شتاء (سورة مريم-الآيتان : 25-26). وفي القرآن الكريم يشبه ميلاد عيسى -عليه السلام- بخلق آدم - عليه السلام- (سورة آل عمران-الآية : 59) الذي خلق من تراب. وقد أشار القرآن الكريم إلى وحي الكتاب (الإنجيل) لعيسى بن مريم -عليه السلام- (سورة الحديد-الآية : 27). هذا الكتاب نقل لحواريي عيسى -عليه السلام- من أجل اقتضاء الهدى²، غير أنه حُرّف، ولم تحفظ نسخته الأصلية.

2.3 لسانه

أرمية "الكتاب المقدس"، وهي الأرمية الوحيدة، قبل العهد المسيحي، المعروفة في القديم، مع أنها ذات صلة وطيدة بالأرمية الملكية، فقد كانت لغة إقليمية، ألا وهي

1. اي يحيى عليه السلام.

2. كلمة إنجيل، من الكلمة اليونانية euaggellion، تعني "البشرى".

الأرمية الفلسطينية. في عهد المسيح -عليه السلام- كانت الأرمية في فلسطين، اللغة الوحيدة الجارية لدى الشعب ككل، وهي الأرمية التي تكلم عيسى بن مريم -عليه السلام- والحواريون، وبالأرمية تقرأ الأسفار المقدسة في البيع.

4. محمد -صلى الله عليه وسلم-

1.4 الرسول محمد -صلى الله عليه وسلم-

ولد محمد -صلى الله عليه وسلم- بمكة سنة سبعين وخمسمائة (570) للميلاد (عام الفيل) في قبيلة قريش، وكان شيوخ هذه القبيلة هم أهل وفادة البيت الحرام، الكعبة المشرفة، مركز حج جميع العرب الوثنيين في شبه الجزيرة العربية. وقد بنى من جديد الحرم إبراهيم وابنه إسماعيل -عليهما السلام- بتوجيهات من الملك جبرائيل (أو جبريل) "الروح الأمين" عليه السلام.

يرقى نسب محمد -صلى الله عليه وسلم- إلى عدنان، أحد المتحدثين عن إسماعيل، الابن البكر لإبراهيم.

في عمر الأربعين، بعد شباب ديدنه الاستقامة ومثالية السلوك، وفي إحدى عزلاته وتحتته، سمع صوتاً يقول له :

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (سورة العلق، الآية الأولى).

وكان ذلك بداية تنجيم الوحي على خاتم الأنبياء والمرسلين -صلى الله عليه وسلم- بوساطة الروح الأمين، جبريل -عليه السلام-، ويؤلف مجتمعاً القرآن العظيم.

وعلى منوال جده إبراهيم -عليه السلام-، تعرض الرسول محمد -صلى الله عليه وسلم- خلال دعوته (في مكة) إلى عداة قومه وبعض من قرابته، ثم معارضتهم الكلامية في البداية فالشرسة (العنيفة) بعدها. وقد هاجر -صلى الله عليه وسلم- إلى المدينة المنورة، أين اعترف به رسولاً جزء كبير من

المدنيين، وهناك واصل دعوته بالدين الحنيف، إلى غاية فتح مكة المظفر. وفي مدينة مولده، حطم أصنام العرب، وأرجع للكعبة دينها الأصلي، دين إبراهيم والأنبياء -عليهم السلام-.

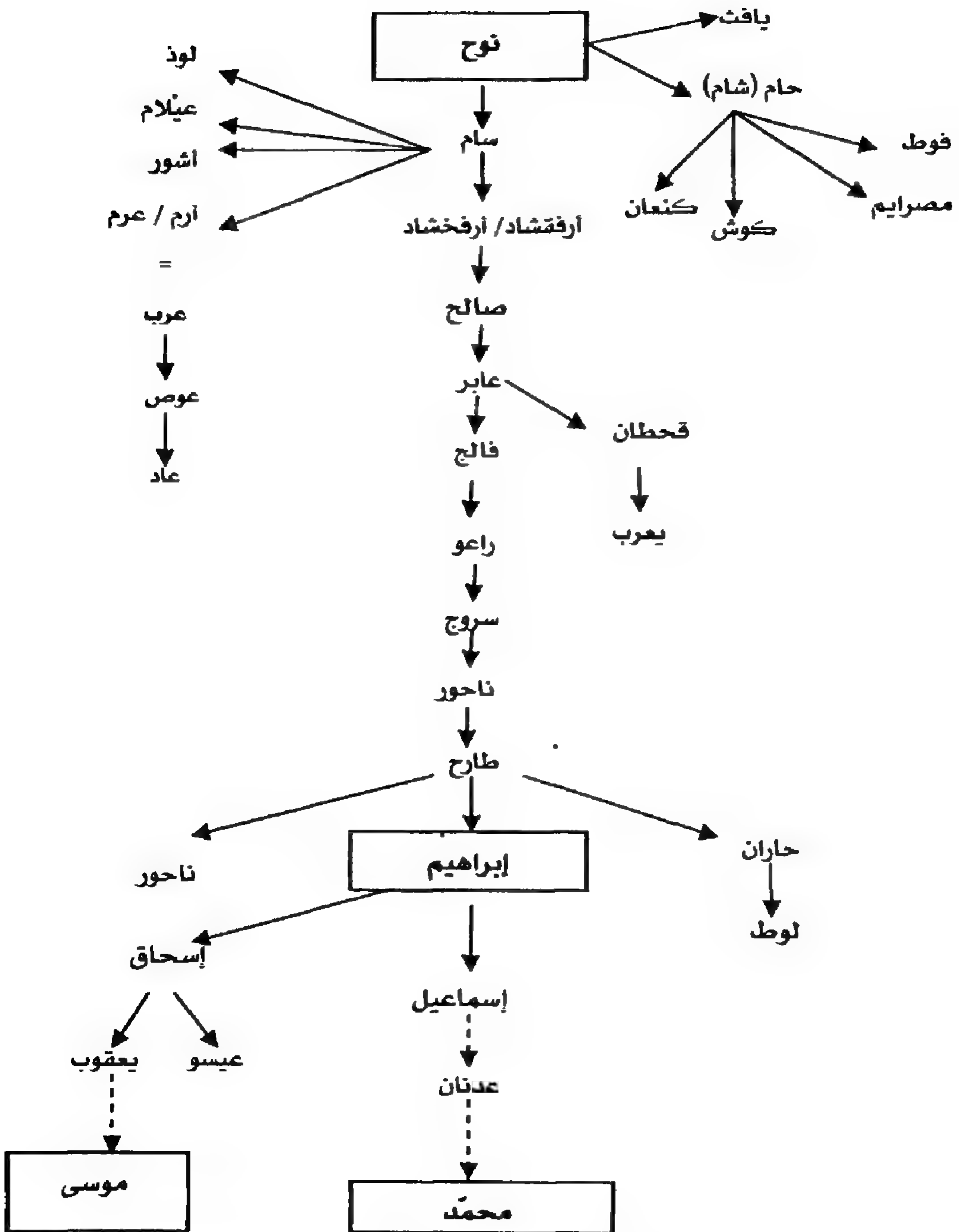
2.4 لسانه

لقد أوحى القرآن الكريم، إلى محمد -صلى الله عليه وسلم- بلسان عربي، وتعني كلمة قرآن من الجذر قرأ "تلاوة، تجويد، تعلم".

منذ أكثر من أربعة عشر قرناً، نُسخ القرآن بأمر من الخليفة عثمان -رضي الله عنه- وبقي دائماً مطابقاً للأصل، من غير تحريف أو إضافة أو نقصان. فالتصّ الأصلي متوافر إلى يومنا، ومكتوب بالعربية.

الملحق الأول

سلسلة نسب نوح وإبراهيم^١



١. على نوح وصالح وإبراهيم وإسماعيل ولوط وإسحاق ويعقوب وموسى ونبيتنا محمد الصلاة والسلام.

الفصل الثاني

تقريرات

1. التقرير التاريخي

حسب "الكتاب المقدس" ("سفر التكوين")، بعد الطوفان وإعادة إعمار الأرض من طرف عائلات أبناء نوح -عليه السلام-، كان جميع ساكني العمورة يتكلمون بلسان واحد، ولهم الكلمة نفسه..

وحسب الرواية الإسلامية، ظهر من جديد اللسان العربي بعد الطوفان، في عهد نوح -عليه السلام- وفي الحين ذاته، تضاعفت اللغات الأخر.

1.1. قبل إبراهيم -عليه السلام-

- إذا علمنا، أنه، حسب "العهد القديم" ("سفر التكوين") رست سفينة نوح على جبل أرارات (جبل الجودي) في شرقي الأناضول، كانت هذه المنطقة مجاورة لأعلى بلاد الرافدين، أين يقيم هناك أجداد إبراهيم، الذين يقطنون حاران (أو شاران).

- وإذا أخذنا في الحسبان جدول سلسلة التسب من نوح إلى إبراهيم المشار إليه في "الكتاب المقدس" (انظر الملحق رقم 1)، فإنه ينبغي أن أولاد سام، ابن نوح -عليه السلام-، قد غادروا مناطق الأناضول نحو أعلى بلاد الرافدين أو بلاد أبعد.

- وإذا أخذنا في الحسبان تسمية أبناء سام، التي نقف عليها في مناطق عديدة من آسيا الغربية، فيمكننا افتراض أن كل واحد من هؤلاء العقب، أعطى اسمه لناحية أو بلاد : وهكذا سكن أرم بلاد الأرميين (أرميا)، التي تقع في أعلى بلاد الرافدين (أشير إليها في نصوص "كتاب العهد القديم"، حسب الأسماء أرم-نهرين أوفدان-أرم)، استقر لوز في لوزيا (في آسيا الصغرى)، وقد منح آشور اسمه

لبلاذ أشور، وعيلام هو اسم سلف العيلاميين، الذين سكنوا في منطقة جبال إسكروس (في فارس الحالية)، المسماة عيلام.

لقد رأينا في الفصل الثالث من الباب الأول، بصدد أولى الهجرات، أنه:

- تواجد قوم عاد في بلاد كنعان والحجاز، ملقبين باسم العمالقة، وأيضا في المناطق الجنوبية والشرقية لشبه الجزيرة العربية (الأحقاف، حضرموت، عمان، ...). وقد وصف القرآن (سورة إبراهيم- الآية : 9) هؤلاء العمالقة، قوم عاد، خلفاء قوم نوح، وهو ما يثبت القرابة القومية والثقافية لهذين القومين.

كثير من المؤلفين يشيرون إلى سلف قوم عاد، على أنه ينسب إلى أرفخشذ، ابن سام، أو على أنه حفيد أرم، ابن سام،

- عابر، أحد أحفاد أرفخشذ، وهو "عابر" النهر (الفرات) -وعابر هي الترجمة لهذا الاسم، الذي كُنا تطرقنا إلى دلالاته مع الجذر ع. ب. ر. - ليصل إلى نواح مختلفة من شبه الجزيرة العربية : وأصبح ابنه قحطان -يقطان في "الكتاب المقدس" - سلف القحطانيين في الجنوب ، وأصبح أخود فالج (أو فانق)، ابن عابر، سلف الفانقيين.

- نلتقي طارح، والد إبراهيم وعائلته مقيمين في بلاد الرافدين السفلى (بابل)، في حين ظل ابنا أخيه ناحور وحاران ماكثين في أعلى بلاد الرافدين.

جميع ذرية نوح، من سام إلى إبراهيم يحملون أسماء تتفسر باللغة العربية، وهي أسماء تلقب بها متكلمو لغات عروبية.¹

2.1 في عهد إبراهيم -عليه السلام-

البلد الأصلي لإبراهيم هو كِلدا، ويسمى أيضا بابل ؛ وهو منطقة تنحصر في نطاق أوسع، في بلاد الرافدين، أي البلاد الواقعة بين دجلة والفرات. في

1. انظر كتابنا "العرب محركو الديانات الحنيفية الثلاث".

هذا العهد (بداية الألفية الثانية مما يسبق العهد المسيحي) كانت المملكة البابلية، التي عاصمتها بابل، هي الحاضرة في جميع هذه المناطق.

وفي الغرب، أنجب وادي النيل مملكة كبيرة وقوية، مملكة مصر، التي فرضت، قبل هذه الحقبة، إقطاعها على سورية وبلاد كنعان (أو فانيقيا).

حينما غادر إبراهيم أور، في كِلدا (أو أسفل بلاد الرافدين)، توجه شطر الشمال، نحو أعلى بلاد الرافدين -موطن أجداده- وهناك سكن، لردح من الزمن، في حاران (عند أخيه) برفقة زوجته ساره وابن أخيه لوط. ثم هاجر مجدداً، ولكن هذا الطور نحو الجنوب الغربي، عابراً النهر (الفرات)، وتوجه إلى بلاد الكنعانيين (أو الفانيقيين). على إثر مجاعة، أقام بمصر قبل أن يرجع إلى بلاد كنعان.

إذا كان "الكتاب المقدس" يحدثنا عن مجاعة عصفت بكنعان، فذلك إنما يفترض أن إبراهيم -عليه السلام- الذي هاجر نحو مصر بسبب هذه الآفة، ليس حالة لوحدته. فعائلات أخرى، وأهال آخرون كنعانيون، ينبغي أنهم هاجروا نحو وادي النيل طلباً للقمّة العيش -وذلك ما يلاحظ بالهيئة نفسها في عهد يوسف -عليه السلام- ابن يعقوب-، حيث قدم كنعانيون للتزوّد من الحبوب، للعلّة ذاتها، إلى مصر، كما تقصّ سورة يوسف. إذ كان يتحتم على الملكة المصرية -التي تعتبر فانيقيا تابعة لها- مد يد العون لجميع هؤلاء السكّان، سواء كانت أصولهم من البلاد-الأخ أو من مناطق خاضعة للمملكة.

جميع هذه المناطق، من بلاد الرافدين إلى مصر، شكّلت هيئة حضارية واحدة، بعبادات وعادات ولغات جدّ متقاربة، إن لم نقل متطابقة. على الرغم من أن جميع هذه البلدان لم تكن قطّ متحدة تحت لواء حكومة واحدة وملك واحد، والأقاليم-المفصلية بين الفرات وسيناء، تحت وطأة الصروف السياسية، أدارت الدولة (التارة) من الفلك الرافدي إلى الآخر المصري، أو من الفلك النيلي إلى الفلك البابلي أو الأشوري.

يطلق المؤلفون تسميات مختلفة على الأهالي "الساميين" لبلاد الرافدين أو الهلال الخصيب: فبعضهم يصفونهم بالكلد-البابليين في جنوب بلاد الرافدين وأكاديين أو اشوريين في شمال هذا الوادي، وآخرون ينعتونهم بالعموريين، في شمال سورية وفي بابل، وفي واحات تدمر وحتى في وادي الأردن (المناطق الشمالية) ، في حين أن الكنعانيين أو الفانقيين شغلوا جميع ساحل البحر الأبيض المتوسط إلى غاية الضفة الغربية للأردن، حيث تواجدهم حيراثا للعموريين. وفي الجنوب الغربي، بلغ الفانقيون الحدود المصرية (منطقة غرة) وفي الشمال إلى غاية قلقيليا (خليج عيسو). ولكن جميع الكتاب يجمعون على التصريح بأن كل هؤلاء الأهالي (الرافديون والبابليون والأكاديون والعموريون والفانقيون) هم ساميون (أي أنهم عروبيون، حسب اصطلاحنا).

تخبرنا موسوعة "Grand Larousse Encyclopédique" أن السلالة الملكية البابلية الأولى (التي يمثل فيها حمو-ربي الملك السادس) أسست مع العموريون (بالأكادية عمورو). في بداية الألفية الثانية، اختار هؤلاء بابل، على الفرات، كعاصمة لهم.

وفي العصر ذاته، كانت مملكة عروبية، الملكة المعينية، تشرف على جزء كبير من شبه الجزيرة العربية. تجاوزت أرضها من الشمال مع أراضي فانقيا (كنعان) وممالك بلاد الرافدين ومصر. وقد كان المعينيون بالخصوص تجاراً، وقد مورست تجارتهم بين شمال شبه الجزيرة العربية (من البحر الأبيض المتوسط إلى الفرات) والجنوب (البحر الأحمر).

وكان سكان هذه الملكة عمائر من العمالقة، كما هو حال قومي عاد وثمود. ولقد رأينا عمالقة استقروا في مناطق مختلفة من شبه الجزيرة العربية -في الفصل الثاني من الباب الأول- وبوسعنا توقع أن الجذع المشترك، أصله من بلاد الرافدين (بالتوافق مع طرحنا بخصوص المهد الأول للمتكلمين بلغات عروبية) قد أتاح استعمار، -بما يشمل من فروع-، مناطق عدة في

شبه الجزيرة العربية (البحرين، عمان، حضرموت، اليمن، الحجاز، كنعان) وحتى أبعد.

وحسب ما نقله عبد الوهاب التّجّار عن الدكتور حسن إبراهيم، قد كان لمعيني اليمن والبابليين العادات نفسها والعبادات ذاتها وأسماء الأشخاص والآلهة عينها، ويمارسون الفنّ المعماري نفسه. يروي لنا¹ A. Moret، أنه خلال الألفية الثالثة: «علم المصريون وجود الفانقيين-الكنعانيين، وأسموهم عموريين أو "عمو"، ولكن ليس فانقيين... فضلاً عن هذا، حسب² R. Weill: «يلحق الساحل الفانقيّ بساميين أقحاح، ينتمون إلى عموريي الشمال، واستقروا هنالك في عمق ما قبل التاريخ... وقد طوّرت عند هؤلاء القوم ثقافة تتقارب مع حضارة مجانسيهم في بلاد الرافدين ما قبل بابل.. ويضيف هذا المؤلف أنه، في الألفية الثانية، كانت كنعان التي تشمل الساحل والداخل (سورية المجوفة) بلاداً تقع جنوب عمورو (أعلى سورية).. في عهد ملك رع-مسيس الثاني (نحو خمسين ومائتين وألف -1250- قبل الميلاد)، أثناء احتلال مصر لكنعان وقبل "الخروج"، هناك مخطوط من ورق البردي، يشير إلى محطات كنعان، على الطرق المؤدية إلى رّتانو (أعلى سورية)، ويذكر مدن، غرة ويافا ومجدو وعكة وصور وصيداء وبيروت وحمة وقادس الكنعانية.

نلاحظ إذاً، أنه مهما تكن زاوية الرواية التي منها ننظر للفانقيين-الكنعانيين، فهناك رابط مباشر بين هؤلاء من جهة والعموريين والرافديين والأرميين أو المصريين من جهة أخرى، وهو جليّ تاريخياً أو حضارياً.

بزمن طويل قبل تواجد بني إسرائيل في فلسطين، عثر على الاسمين يعقوب ويوسف، كتسمية شعوب في كنعان نحو خمسمائة وألف (1500) بل تسعمائة وألف (1900). وانطلاقاً من تواجد يعقوب بن إسحاق في مصر حوالي ستمائة وألف (1600)، يبدو أن هذه الأسماء كانت متوافرة نسبياً في العالم

1. في كتابه "تاريخ الشرق".

2. مصدر سبق ذكره.

الكنعاني طيلة هذه الحقبة¹. يشير A. Moret² إلى أن يعقوب وإبراهيم، وهي أسماء كنعانية كانت توجد عند الهكسوس. في رسائل تل العمارنة، يبدو الاسم سمعون مثبتاً، ذكر ستي الأول ورع-مسيس الثاني اشارو، في الجليل، حيث عُلِمَ "الكتاب المقدس" قبيلة أشر³.

وحجة وجود هذه الأسماء "الواردة في الكتاب المقدس"، يعقوب ويوسف، ... ثلثتمس في العبد المصري لبنيان، على نهر الأردن، قبل ميلاد أولاد إبراهيم، أو على أقرب تقدير قبل "الخروج"، مما يبين، إذا اقتضت الحاجة، أن بني إسرائيل ليسوا إلا أفراد قبيلة صغيرة كنعانية : عند مغادرتهم كنعان للالتحاق بيوسف في مصر، كان تعدادهم سبعين، هذه القبيلة ذاتها كانت جزءاً من قبائل واهال آخر من بلاد كنعان.

في إحدى أشعار رأس-شمرة، خلق الآلهة إيل أبطالاً مؤسسي أول المدن التي تلقب باسمهم : من بينهم لبني⁴ بن طارح، وهذا الأخير والد إبراهيم الوارد في "الكتاب المقدس". وشيد مدينة أشدود (على الساحل الجنوبي بين يافا واسكالون) وأبرم حلفاً مع بدو سيناء في إقليم الناقب وقادس برنية، على طريق القوافل، بين "يم سوف"⁵ (أو "بحر القصب") والبحر الأبيض المتوسط⁶.

الاسم إبراهيم (مثل الأسماء المذكورة في "الكتاب المقدس" -التي أوردناها للتو- يعقوب، يوسف، سمعون، إلخ). ظهر في كنعان بداية من الألفية الثانية، على التصوص المسمارية (مكتوبا أبي-رمو). إبراهيم الموصوف بالأرمي والعموري والبابلي أو الفانقي، هو ابن العرب بالذات.

1. R. Weill مصدر سبق ذكره.

2. مصدر سبق ذكره.

3. A. Moret مصدر سبق ذكره.

4. مرادف لتسمية جبل لبنان، الذي يعني أيضاً "أبيض" أو "حليب" في الفانقية.

5. اسم البحر الأحمر، في الفانقية.

6. A. Moret مصدر سبق ذكره.

في هذه الحقبة، كانت أور، مكان ميلاد إبراهيم -عليه السلام- مدينة تابعة للمملكة البابلية. وكان جميع ساكني هذه المدينة مشركين، ويشير "الكتاب المقدس" إلى بناء برج بابل من طرف الوثنيين، قبل ميلاد الرسول إبراهيم -عليه السلام- بكثير. بابل التي لها تسمية أخرى باب-علون، لها معنى "باب نيل"، مع إيل التي تعني "رب" أو "آلهة" في لغات كنعان وبلاد الرافدين (بابل، آشور)، إلخ. وهي كتابة ثانية للكلمة الفانقية علا¹، التي تعني أيضا "رب"، وهي التي أعطت : باب-علا. باب-علون.

توافق نزول إبراهيم -عليه السلام- بمصر وحكم الهكسوس، الذين يفترض المؤلفون أصلهم العموري. هؤلاء -الملوك- الرعاة حكموا في مصر بين ثلاثين وسبعمائة وألف وثمانين وخمسمائة وألف (1580-1730) قبل الميلاد. وطيلة هذه الحقبة وقبلها (في الألفية الثالثة)، كانت سورية وبلاد كنعان تابعتين لمصر.

3.1 بعد إبراهيم -عليه السلام- ... إلى غاية مجيء الإسلام

أما يوسف -عليه السلام-، الذي دخل مصر نحو ستمائة وألف (1600) قبل الميلاد²، فلسوف يجد هذا البلد يحكم مقاليد الهكسوس. هؤلاء (الذين تعتبر الأسرة الملكية السادسة عشر جزءا منهم، حسب مانيتون)³، قبل أن يبسطوا نفوذهم على مصر، حكموا فلسطين وسورية. وفي عهد هؤلاء "الملوك-الرعاة" كانت التجارة والصناعة مزدهرتين، والمجتمع متمدنا. كتب سليم حسن⁴ : ، يُصنفُ الهكسوس من بين موجات الهجرات العربية التي تدفقت على مصر في بداية الألفية الثانية (كنعانيين، عموريين، أرميين)، أي نحو تسعمائة وألف (1900)، وحكموا مصر حينما كان عدد موجات الهجرات ذات بال..

1. لهذا الاسم أيضا معنى "عال، مرتفع" (في العربية، هو الجنر ع. ل. و. علا). نجده في مدينة بر-ريم الشهيرة، عليون (أو ثورا).

2. تاريخ مقدم يوسف -عليه السلام- إلى مصر يختلف حسب المؤلفين.

3. ذكره محمد عزت دروزة، مصدر سبق ذكره.

4. المصدر نفسه.

كان ملك مصر أحمس من الأسرة الملكية الثامنة عشرة، هو من حارب وطرده الهكسوس -كما تدلّ على ذلك منحوتات على جداريات ضريحي قائدين من قوَاد أحمس-. وهناك نصبٌ تذكارِيٌّ، في معبد الكارناك يحكي المعارك المنتصرة التي خاضها ستي الأول ضد القبائل البدوية التي عاشت بين مصر وكنعان. ولقد كبّد رع-مسيِس الثاني، ابن ستي الأول، المتحالفين السوريين خسائر فادحة في قادس. وبعد ذلك دخلت أقاليم فلسطين وشرقي الأردن وفانقيا في الفلك المصري. وبالتالي بسط نفوذ مصر حتى نهر العاصي¹.

في القرن التاسع قبل الميلاد، أصبح الآشوريون القوة الظاهرة في المنطقة. سنة ثمان وسبعين وثمانمائة (878)، وقعت بلاد الرافدين بأكملها تقريباً، حتى حدود بابل في قبضة ملك آشور. ثم بسط الآشوريون وصايتهم على فانقيا، جميع المدن الفانقية (صور، صيداء، جبيل، إلخ)، كانت تدفع إتاوات للملك سلمان-آزر الثالث. ولم يكتف الآشوريون بمجرد الوصاية على الساحل البحري، فراحوا يجتاحون المنطقة ويخضعون جميع بلاد كنعان في القرن الثامن. وفي اثنتين وعشرين وسبعمائة (722) قبل الميلاد احتل سرجون الثاني، ملك آشور، مملكة إسرائيل، التي أصبحت ولاية آشورية، أبعد سكّانها. في عشرين وسبعمائة (720) كان احتلال كل من فلسطين وسورية.

وسنة ست وستين وخمسمائة (566) قبل الميلاد، حطم نبو-خذ-نصر، ملك بابل مملكة يهوذا وطرده اليهود. وسنة تسع وثلاثين وخمسمائة (539) احتل قورش الثاني، ملك فارس، بلاد بابل وأخضع جميع هذه المناطق، إلى غاية فلسطين. وسنة خمس وعشرين وخمسمائة (525) أخضع ابنه قمبوس الثاني مصر، أين أصبح ملكاً. وانطلاقاً من سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة (334) يأتي عهد السيطرة الإغريقية-المجدونية مع إسكندر على جميع المنطقة. وسنة سبع وستين (67) قبل الميلاد، كان طور سيادة الرومان على المنطقة. وسنة سبع

1. محمد عزّت دروزة، مصدر سبق ذكره.

واربعين (47) عين يوليوس قيصر، سيدا على سورية، مكان المخابيين الرّعيم التبطني¹ عنت-فاطر الأول كملك على يهونيا. وسنة أربعين (40) قبل الميلاد عين أرواد الأول الكبير، ابن عنت-فاطر ملك يهونيا من طرف مجلس الشيوخ الروماني. لقد كان ابن هذا الأخير الوالي أرواد عنت-بعل، من أمر بقتل النبي يحيى (يوحنا) - عليه السلام - بن زكرياء، عليه السلام.

هكذا، ولد عيسى - عليه السلام - وكبر على حين احتلال كل المنطقة (من مصر إلى آسيا الصغرى) من طرف الرومان.

لقد كان مجيء الإسلام في القرن السابع إيذانا بأفول التسلطية الرومانية-الرومية، في جميع البلاد العروبية، وكذا نهاية مملكة فارس. فلقد مثل الإسلام ثورة دينية وسياسية واقتصادية وكذا اجتماعية، لا قصرًا على العروبيين، ولكن أيضًا استغراقًا لجميع البلدان المجاورة وما سواها من العالم. ولقد أتاح الإسلام فرصة وحدة الدين لجميع الأهالي ذوي لغات عروبية، الذين كانوا إما وثنيين في معظمهم، أو موخدين (أهل الكتاب). لقد تخلى العروبيون في أغليبتهم عن أديانهم المتفرقة (تعدد الآلهة) ليعتنقوا الإسلام. ولم تبق إلا أقلية ضعيفة، في وادي النيل أو شرقه (في آسيا)، ظلت مسيحية (أقباط، موارنة، يعقوبيين، ...) أو يهودية (ومنهم بنو إسرائيل).

كما سمح الإسلام بالتوحد السياسي لجميع الأهالي الحضر، وكل القبائل البدو، توحد جميع ممالك شمال وجنوب شبه الجزيرة العربية (ممالك الغساسنة والمناذرة وحمير ...) المستقلة أو التابعة للروم أو الفرس.

ونهاية، جسّد الإسلام الوحدة اللسانية، بصهر جميع اللغات العروبية في واحدة، ألا وهي لسان القرآن، كتاب الله العظيم.

1. التبطنية، هي تسمية ثانية للبلاد العربية الصغرى.

2. التقرير اللساني

تتوافق نصوص "الكتاب المقدس"، فيما يخص ظهور لغات كثيرة مع القرآن، فتجعله بعد الطوفان. يُزعم أنه أحصيت حينها ثمانون لغة، تتناسب تمامًا مع عدد الرجال الذين تبعوا نوحًا -عليه السلام- في الفلك (أو ذريته المباشرة). إذا كان "العهد القديم" يخبرنا أنه في زمن الطوفان كان في السفينة فقط ثلاثة رجال، أبناء نوح -عليه السلام-، دون احتساب أبيهم، فهذا يعني أنه علينا ارتقاب جبل ثانٍ على أقل تقدير، بعد أبناء نوح، حتى نحصى ثمانين رجلًا -أي أحفاد سام وحام ويافت-.

حسب الرواية التي ساقها ابن حوقل¹، لم يكن جبل الجودي ببعيد عن أعلى بلاد الرافدين، وعلى هذا الجبل وجدت قرية "الثمانين" أين استوت سفينة نوح -عليه السلام، حسب القرآن (سورة هود- الآية : 44) :

﴿وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾

وحسب ابن حوقل من الأرجح أن الرجال الذين رافقوا نوحًا -عليه السلام-، يبلغون ثمانين : وقد أسنوا هذه القرية، ولم يكن لهم بعدها عقبًا، وقد سميت القرية انتحالا من عددهم (ثمانون).

إن إشارة ابن عباس -رضي الله عنهما- الذي صرح بأن عاد، سلف قوم عاد، ومعاصر النبي هود -عليه السلام- كان أول من تكلم العربية، إشارة تتوافق مع سلسلة نسب أرم/ عرم التي قدمها عبد الوهاب التيجار²، فهو يُوردُ بصدد أرم : ، عاد هو حفيد أرم، ابن سام، أي معاصر ولد ابن عمه، عابر. لقد كان أحد أبناء عابر، بالضبط قحطان-يقطان في "العهد القديم" سلف القحطانيين أول قاطني مكة المكرمة، المتحذرين من اليمن. بوسعنا بالتالي

1. في كتابه "وصف الأرض"، ترجمة J.H. Kramers et G. Wiet.

2. مصدر سبق ذكره.

استخلاص أنه هو ذاته تكلم العربية¹. وبعد ذلك ابتعدت العربية الجنوبية، لغة القحطانيين شيئاً فشيئاً عن العربية المشتركة.

فضلاً عن هذا، يمكن مصادفة اسم جدّ عابر، أرفخشذ (ابن سام) عند العمالقة الذين اسم سلفهم هو عملاق بن أرفخشذ. لقد كان العمالقة هم أول من سكن المدينة². إذا ما استذكرنا أن العمالقة هم قوم عاد (وقد رأينا أن أحد مواطنهم كان في الحجاز)، وأن قوم عاد هؤلاء أنفسهم خلفاء قوم نوح -عليه السلام-، فبإمكاننا تقديم فرض -جدّ راجح- أن "عملاقنا" أرفخشذ هو ابن سام، ابن نوح. ويمكننا بالتالي توقع، أن أرفخشذ وبنيه، تكلموا بعد الطوفان، اللغة العربية وإلا فعلى الأقل لغة عروبية قريبة من اللغة المشتركة (أو اللغة-الأم).

وعن هذا الطرح الأول، يتأتى ضرورة الفرض الثاني، وهو أن صالح، ابن أرفخشذ -الذي تكلمنا عن أصله في الفصل الثالث من الباب الأول- يكون النبي صالح -عليه السلام-، وهو نبي بعث إلى ثمود. هؤلاء الثموديون، الذين قال عنهم القرآن ﴿خَلَفَاء مِنْ بَعْدِ قَوْمِ عَادٍ﴾ إلى هؤلاء الأهالي أنفسهم

- الذين وصفهم سكان حضرموت بالعاديين (قوم عاد).

- الذين أحقهم بعض المؤلفين (كما رأينا أعلى السياق) بالعمالقة.

وهكذا، نرى أنه ترسم أمام بصائرنا أوضح فأوضح، عبر أحفاد نوح -عليه السلام- وهجراتهم المختلفة، المعالم الكبرى لانفصال اللغة العربية المشتركة (الأم) إلى لغات كثيرة، كل واحدة منهن تتكلم في منطقة خاصة، تبعاً لموقع نزول كل واحد من هؤلاء الترية، وكل واحدة من هذه اللغات العروبية تختلف نوعاً ما بالتسبة للغة الأم، على امتداد الأجيال. ومن بين حلقات هذه السلسلة اللسانية، يمكن معاينة الأكادية (أو الآشورية) التي

1. العربية، التي تعني في هذا المقام لغة عروبية لم تتأ كثيراً عن اللغة العربية المشتركة (على غرار العربية الوسطى التي ستتكلّم في منطقة الحجاز عشية الوحي القرآني).

2. عبد العزيز سالم "تاريخ النولة العربية".

يمثلها حاران أخو إبراهيم -عليه السلام- من جهة ومن جهة أخرى، اللغة البابلية التي تكلمها طارح وابنه إبراهيم -عليه السلام- .

السرد التاريخي المقتضب للمناطق المنحصرة بين التيل والفرات، قبل عهد إبراهيم -عليه السلام-، يسمح لنا بملاحظة أن هذه البلدان كانت متجاورة فضائياً ومتقاربة ثقافياً وشعائرياً. كان بين اللغات نسب وطيء : أولاً لأنها تُلحق بالفرع نفسه، أو الجذع اللساني عينه، جذع اللغات العروبية ؛ ثم لأن التبادلات متفاوتة المستوى، وقرابة الأهالي أو القبائل القومية فيما بينها، كل ذلك سهل التواصل وارتقى بالتفاهم المتبادل وفهم مختلف اللهجات، وختاماً لأن كل حقبة من سيادة بلاد على أخرى أو شعب على آخر، تجعل لغة الأول (صاحب السيادة) سائدة لأنها تصبح لغة الدواوين والتجارة ... باختصار، لغة رسمية. هذا التفوق اللساني يُحقق دائماً على حساب لغة (أو لغات) البلد التابع، أو الشعب "الموالي".

في حين أن تشابه جميع هذه اللغات المتأخية فيما بينها سهل من مرور الأهالي بيسر نوعاً ما من لغة لأخرى. مثال تعدد اللغات هذا، يقدمه لنا إبراهيم -عليه السلام-، وهو مثال يمكن تعميمه على جميع أفراد عائلته (أو بيته) وإسقاطه على أقاليم كثر ومختلفين ذوي لغات عروبية، في جميع هذه البلدان.

وهكذا تكلم إبراهيم -عليه السلام-، خلال أسفاره وإقاماته المتعددة في مناطق مختلفة، البابلية (في أسفل بلاد الرافدين)، والأشورية (في أعلى بلاد الرافدين)، والكنعانية (في فانيقيا)، والمصرية (في مصر)، أو لغة الحجاز (منطقة مكة المكرمة) حينما التحق بابنه إسماعيل -عليه السلام-، وهي اللغة التي تُطلق عليها غير ما تسمية : الحجازية، العربية الوسطى، الثمودية، المعينية، العادية، ... ويمكننا المقابلة بين هذا الفهم الجمعي، وهذه اللهجة المضاعفة في اللغات العروبية حينها من جهة، وحالة اللهجات العربية المعاصرة من جهة أخرى : فإي مسافر ناطق بالعربية من المغرب الأقصى (على ضفاف

المحيط الأطلسي) بإمكانه أن يفهم ويفهم (يتخاطب) في مصر كما في سورية واليمن أو العراق (على ضفاف الخليج العربي)، مثلاً.

1.2. الفانقية أو الكنعانية، لسان التوراة

نزل وحي التوراة على النبي الرسول موسى -عليه السلام-، نحو مائتين وألف (1200) قبل الميلاد. يشكل مجموع الأسفار الخمسة الأولى، والأسفار التاريخية والأسفار الشعرية وأسفار الأنبياء، "العهد القديم"¹. استحوذ على الكتاب الأول (حتى نميزه عن التوراة البابلية، المكتوبة باللغة الأرمية، خلال إقامة اليهود في بلاد بابل، في نهاية القرن السادس قبل الميلاد، بعد تحطيم معبد أور سلام من طرف نبو-خذ-نصر ثم طردهم) الكنعانيون (الفانقيون) والفلسطينيون على إثر انتصارهم على بني إسرائيل، بعد خروجهم من الصحراء. ثم أعيد إلى النبي الملك، داوود -عليه السلام-، الذي وضعه في المعبد، وضاع الأصل (التسخة الأصلية) بعدها.

بالنظر إلى جميع الحُجج التاريخية واللسانية التي صغناها خلال متن هذا الكتاب، فمن البرر جداً الجزم بأن التوراة أوحيت لموسى -عليه السلام-، بالكنعانية (والله أعلم).

2.2. الأرمية لسان الإنجيل

يُجمع المؤلفون على أن إدخال اللغة الأرمية لفلسطين، كان بعد الاجتياح الآشوري لهذه المنطقة، في القرن الثامن قبل العهد المسيحي؛ وقد خلفت هذه اللغة الفانقية في فلسطين (منطقة من مناطق فانقيا) وأزاحت الأكادية كلغة للسياسة الخارجية.

سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة (722)، بعد احتلال فلسطين، نفى الآشوريون سكان هذه البلاد وحسب "العهد القديم" (الملوك الثاني)، لقد استُبدل هؤلاء بأهل آخرين، الذين اجتاحت مناطقهم سرجون (بابل، كوث،

1. أشار القرآن إلى وحي الزبور، على داوود -عليه السلام-، من الفعل زبر. "قطع، خط كتاباً" وزبر جمعه زبور أي "كتاب".

عوا، حماة، ...)، وهم أهل كانوا يتكلمون الأرمية. فضلاً عن هذا، كما قال¹ Dupont-Sommer : ، لقد فتح الغزو بالغانه، في نهاية القرن الثامن الحدود الوطنية بين مملكة إسرائيل والممالك الأرمية القديمة، باب انتشار اللغة الأرمية على مصراعيه..

غير أن الفانقية ظلت هي لغة الشعب في فلسطين، ثم أصبح الفلسطينيون الذين كانوا مزدوجي اللغة، بداية، مع مرور الزمن وتحت وطأة اللغة الرسمية، الأرمية (انطلاقاً من عهد فارس)، ناطقين باللغة الأرمية، وهذا حتى مجيء الإسلام، في القرن السابع من العهد المسيحي (القرن الأول للهجرة).

يتفق جميع المؤلفين على الاعتراف بالقرابة الوطيدة بين اللغة الفانقية والأرمية. ولقد رأينا ذلك في الباب الأول (الفصل الخامس). موازاة للقرابة اللسانية بين الأرمنين والفانقيين، هناك قرابة ثقافية ودينية، كما تدلي به مخطوطة التصب التذكاري لبر-حداد ملك دمشق (وهو بن حداد المذكور في "العهد القديم- الملوك الأول")، وهو التصب المكتشف قرب حلب، ويحمل صورة الآلهة الفانقية "ملك القرية" مع كتابة بالأرمية :، من ملك أرم إكراماً لربه "ملك القرية".

في عهد عيسى -عليه السلام-، كانت اللغة الأرمية، هي المستعملة عند الشعب الفلسطيني (بمختلف ملاتهم) كما في بيع اليهود. بهذا اللسان تكلم عيسى -عليه السلام- وحواريوه، لسان الوحي الإنجيلي.

كما أزاحت الأرمية اللغة الأكادية والفانقية (كل واحدة في عهد محدد)، فإن الأرمية قد استعيز عنها بمجيء الإسلام، باللسان العربي، لسان القرآن الكريم.

2.3 العربية، لسان القرآن

قد لا تكون على الأرجح اللغة التي استعملت في الحجاز (في وسط شبه الجزيرة العربية) في منتصف القرن السادس من العهد المسيحي، هي عربية القرآن، ولكن تلك العربية التي تقرب من لسانه أكثر. وضمن هذه المنطقة

1. مصدر سبق ذكره.

تشمل مكة المكرمة (المدينة التي بها ولد الرسول -صلى الله عليه وسلم-، والمركز الديني للمسلمين مع حرم الكعبة) وكذا المدينة المنورة (وهي المدينة التي تضم قبر الرسول -صلى الله عليه وسلم- الشريف). لقد أصبح اللسان العربي -بسبب نزول القرآن وحياً، ومجيء الإسلام- اللغة الرسمية والوحيدة للدين الإسلامي، ثم لسان العرب جميعهم -مهما كان معتقدهم - وإلى غاية اليوم-.

وهكذا بعد انتصار العرب المسلمين :

1/ في شمال شبه الجزيرة العربية (فلسطين، والهلل الخصب) على الرومان- الروم، عوّضت العربية الأرمية، في جميع هذه المناطق واعتنق الأهالي الإسلام ،

- عند التدمريين، عرب مسيحيين، عاصمتهم تدمر، في شرق حمص (سورية الحالية)، على الطريق التي تربط دمشق بوادي الفرات. هؤلاء الأهالي تكلموا الأرمية كما العربية ،

- عند الأنباط، عرب مسيحيين، عاصمتهم البطراء، في بلاد أدوم، أو البلاد العربية الصخرية (في الأردن الحالية). هؤلاء الأهالي تكلموا الأرمية كما العربية ،

- عند الغساسنة¹، المسيحيين القائلين بوحدة الطبيعة في المسيح (على المذهب اليعقوبي)، عاصمتهم جلق، قرب دمشق. وكانوا حلفاء مع الروم ضد الفرس ،

- عند المناذرة²، ذوي أديان مختلفة (مشركون، مجوس، صابئة، مسيحيون، يهود). عاصمتهم الحيرة، على ضفاف الفرات (في العراق الحالي). كان المناذرة المسيحيون على المذهب النسطوري. وهؤلاء الأهالي حلفاء فارس ضد روما ،

- عند النبطيين-الفلسطينيين، هم العرب الوثنيون أو اليهود أو المسيحيون الذين يتكلمون بخاصة الأرمية ،

1. من اصل يمني، هاجروا نحو الشمال إثر انحباس سد مأرب (نحو سنة عشرين ومائة 120 بعد الميلاد).

2. من اصل يمني، هاجروا نحو الشمال لنفس ظروف الغساسنة.

- عند السّوريّين، هم العرب الوثنيّون أو المسيحيّون (القائلون بوحدة الطّبيعة في المسيح، أو التابعون لمذهب الكنيسة الرّومانيّة)، عاصمتهم دمشق وتكلّموا بشكل رئيسيّ الأرميّة وبشكل أقلّ منها العربيّة¹.
ب/ في الأنحاء الأخرى للعالم العروبيّ

- عند اليمنيين (جنوب شبه الجزيرة العربيّة أو البلاد العربيّة السّعيدة)، يسمّون أيضًا بالجميريّين. هؤلاء الأهالي، الذين كانوا في جزء منهم وثنيّين وفي الآخر مسيحيّين أو يهود (خاصّة الحضر)، تكلّموا الجميريّة أو اللّغة العربيّة الجنوبيّة، التي لها قرابة وطيدة بالأكاديّة والحبشيّة والفانقيّة والمصريّة، التي جميعها لغات من الفرع العروبيّ-الحاميّ. لم تبق اليوم هذه اللّغة العربيّة-الجنوبيّة حيّة،

- عند المصريّين : هم أهال مسيحيّين (في جزء منهم) ، يدينون في معظمهم للكنيسة القبطيّة (موحدة الطّبيعة في المسيح)، يتكلّمون المصريّة. لم تبق هذه اللّغة المصريّة اليوم حيّة² ،

- عند البربر (شمال إفريقيا، من سورت الليبيّة إلى المحيط الأطلسي) : هؤلاء الأهالي بعضهم مشركّ وبعضهم يهود أو مسيحيّون، يدينون للكنيسة الدّوناتيّة. يتكلّمون اللّغة البربريّة، من لغات الفرع العروبيّ-الحاميّ، التي لها قرابة وطيدة باللّغة الفانقيّة والمصريّة القديمة. هي اللّغة القليمة الوحيدة التي لم تمح من المشهد اللّسانيّ المعاصر. فقد ظلّت متكلّمة دائمًا من طرف جزء من أهالي الغرب، إلى جانب اللّغة العربيّة.

- عند الإيبر (جنوب غرب أوروبا) : هؤلاء الأهالي، إخوان الأهالي البربر، مشركون في جزء منهم، وفي الآخر يهود أو مسيحيّون (إمّا تابعون للكنيسة

1. بقيت إلى أيّامنا بعض الأقوام المسيحيّة لا تزال تتكلّم الأرميّة (إلى جانب العربيّة)، في سوريّة، لو السّريانيّة (في بلاد الرّافدين).

2. لا تزال القبطيّة كلغة شعائريّة.

الرومانية أو الكنيسة الآرية). يتكلمون اللغة الإيريه-البربرية (المرتبطة
باللغات القوقصية)، من لغات الفرع العروبي-الحامي، ثم أصبحوا يتكلمون
العربية الصريحة بمجيء الإسلام.

في سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة وألف (1492) للميلاد (الموافق لست وتسعين
وثمانمائة -896- للهجرة) بسقوط غرناطة وطرد جزء من الإيسبان (الإير)
المسلمين، أصبحت إيسبانيا مسيحية (تدين للكنيسة الرومانية)، وصار
الإيسبان ناطقين باللاتينية (الإيسبانية، لغة استعملت بعد التضييع القسري
للعربية، أصبحت إحدى فروع اللغة الرومانية).

إذا كانت أغلب اللغات العروبية القديمة قد اندثرت اليوم، فثلاث أو
أربع منهن أهملن عند الأهالي، بعد مجيء الإسلام، وبقيت كلغات عقائدية في
الكنائس المسيحية الشرقية. أما بالنسبة للكنائس النصرانية الأخر (الرومانية
والرومية، إلخ) فهن يستعملن اللغة العربية كلغة مقدسة.

الفصل الثالث

الإسلام واللّسان العربيّ

أنزل القرآن على النبيّ الرّسول محمد -صلى الله عليه وسلم- بلسانٍ عربيّ، هو لسان الدّين الإسلاميّ : جميع المسلمين، سواءً كانوا عرباً أو عجماء، يجب عليهم أن ينطقوا بالعربيّة الشّهادة، وكذلك في صلواتهم اليوميّة يفعلون (بقراءة الفاتحة وما تيسر من القرآن)، أو في تلاوتهم للقرآن الكريم.

إذا كان الوحي القرآني قد بدأ قبل التعداد التاريخي الإسلامي، الذي يتصادف مع الهجرة النبويّة¹، فهذا لا يعني أن الوحي وقع شهادة ميلاد الإسلام، فهذا الدّين كان متواجداً أو معروفاً من قبل. فقد ذكر القرآن إبراهيم -عليه السلام- واصفاً إياه بأول المسلمين :

﴿وَبِذَلِكَ أَمَرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾. (سورة الأنعام- الآية : 163)

وحسب القرآن الكريم أيضاً، جميع الأنبياء الذين تتابعوا من إبراهيم -عليه السلام-، إلى محمد، خاتم الأنبياء والمرسلين -عليه أزكى الصلوة والتسليم-، دعوا إلى الإسلام، أي الإذعان والانصياع لله - سبحانه-.

حسب "العهد القديم" ("سفر التكوين")، ملكي-صادق، ملك لمدينة سالم (في السامرة) ، كان كاهناً لله العليّ مالك السماوات والأرض.. وفي السياق نفسه يعرف "العهد القديم" إبراهيم على أنّه : ، المدّعن للرّبّ العالي، ذلك أنّه لم يرفض مباركة ملكي-صادق، وأعطى لهذا الرّبّانيّ الكبير العشر من كلّ شيء، وهو ما

1. هجرة النبيّ -صلى الله عليه وسلم- إثر عداء قومه من مكّة الشّرفيّة، نحو المدينة النّوّرة : أرخ لهذا الانطلاق بسنة اثنتين وعشرين وستمئة للميلاد، أوّل سنة في التقويم الهجريّ.

يعني أنه التزم -ها هنا- بواحدة من أركان الإسلام الخمسة، ألا وهي الزكاة¹. وهو ما يتوافق مع ما ورد في القرآن الكريم (سورة آل عمران- الآية : 67):

﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

وحسب "الكتاب المقدس" أيضا، يذكر الإنجيل (لوقا ويوحنا)، عيسى الذي حتى حواريه قائلا : "السلام عليكم"، وهو تعبير يستعمله جميع المناصبين والمذعنين لله، كرسه الإسلام، وهو تحية أهل الجنة :

﴿... وَبَادُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ...﴾ (سورة الأعراف- الآية : 46).

وإذا أقررنا أن العربية هي لسان القرآن، الذي هو كتاب الإسلام، فهذه اللغة ليست لغة أول المسلمين، إبراهيم -عليه السلام-. فلغة بابل هي اللغة الأصلية، التي تكلم بها إبراهيم -عليه السلام-، والكنعانية لغته المختارة. أي أنه ينبغي اعتبار هاتين اللغتين الأخيرتين على غرار اللغة الأرمية، كالسنة أنبياء أو السنة كتب موحاة. وجميعهن لغات عروبية انبثقت من لغة-أم واحدة.

ويمكن تجسيدا تمثيل القرابة اللسانية والدينية والعرقية² بين هؤلاء الأنبياء، وفق وجهة موضوعنا، اعتمادا على آية من القرآن :

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ. فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (سورة الحديد- الآية : 26).

لقد بعث، محمد -صلى الله عليه وسلم-، آخر حلقة في عقد الأنبياء الممتد إلى نوح، ليتم ويكمل الوحي الإلهي، عقب الرسل إبراهيم وموسى وعيسى -عليهم السلام- أصحاب الرسالات الأصلية. بالتناظر يمكن القول أن

1. الزكاة، من الجذر ز. ك. ي. / زكى، يعني الفعل منه "نما، طهر" والاسم الزكاة "نقاء شيء، عشر، صلوة شرعية". إحدى الأركان الخمسة للإسلام : وهي قرى مادية يقصد بها وجه الله، تماما كما يتقرب بالصلاة "جسدا وروحا" لله.

2. كلمة "عرق" هاهنا مستعملة بالمعنى الذي حملها G. Lebon في كتابه "حضارة العرب" (الصفحة 22) ، يصف هذا المصطلح تجمعات أفراد على القدر نفسه من الليزات، تنتقل بوساطة الورثة ..

اللسان العربي -الذي تكلمه خاتم المرسلين -صلى الله عليه وسلم- هو اللسان الذي أتم وأكمل وعوض جميع اللغات العروبية التي تكلمها الرسل الذين سبقوه وأقوامهم بالتتابع. والمقابلة هذه بين ديانات التوحيد (الأصل) واللغات العروبية هي ما سنجره فيما يُستقبل.

1. دراسة تقابلية بين ديانات التوحيد (في الأصل) واللغات العروبية

قرونا قليلة (حوالي ستة قرون تقريبا) بعد دعوة إبراهيم -عليه السلام- الحنيفية، ظهرت الشريعة اليهودية، بتنزيل التوراة -باللسان الفانقي- على النبي- الرسول موسى -عليه السلام-، نحو مائتين وألف (1200) قبل الميلاد. اثنا عشرة قرنا بعد تنزيل هذا الكتاب -هدى ونورا- ولدت الشريعة المسيحية، بتنزيل الإنجيل -باللسان الأرمني- على النبي -الرسول عيسى- عليه السلام-. حوالي ستة قرون بعدها برع خاتم الشرائع مع القرآن الكريم -باللسان العربي- على النبي- الرسول محمد -صلى الله عليه وسلم-.

هكذا خلال حقبة تمتد على ألفين وخمسمائة سنة تقريبا، تداول أربعة أنبياء-مرسلين -وليسوا هم الأنبياء وحدهم¹ فحسب- مهمة إلهية، وأنزلت أربعة كتب سماوية، تباعا كل واحد على واحد من هؤلاء الأنبياء² :

- الصّحف الأولى (حسب تسمية القرآن)، نزلت بلسان قد يكون البابلي، اللغة ذاتها التي بها حرر قانون حمو-ربي. وقد نال من هذه اللغة الهجران فعفا رسمها ودرس،

1. قال تعالى : ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَيَعْقَى وَيُوسَى وَمُوسَى وَهَارُونَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ (سورة: النساء - الآية: 163). كما ذكر موسى-عليه السلام- في الآية للولاية لها : قال تعالى : ﴿وَرَسُولًا قَدْ قَضَيْنَاكَ مِنْ قَبْلُ فَتَمَثَّلْ لَمْ تَقْضِمْ عَلَىكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ (سورة: النساء - الآية: 164).

2. قال تعالى : ﴿لِكُلِّ جَمَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَاءَ﴾ (سورة: المائدة - الآية: 48).

- النص الثاني أو التوراة، التي ضاعت نسختها الأولى كما ضاعت الفانقية، اللسان الذي نفترض أنه كتب به ؛

- الكتاب الثالث، الإنجيل، الذي ضاعت نسخته الأصلية، تمامًا كما اندثرت الأرمية، اللسان الذي به نزل (أو حي) ؛

- الكتاب الرابع، وآخر كتاب، القرآن، الذي لا يزال نصه الأول بالعربية محافظاً عليه مطابقاً للأصل، وهو كما ذكرته الآية القرآنية، حيث نصت :

﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ (سورة البروج-الآيتان : 21-22).

1.1. نسخ آية في كتاب واحد = التطور اللغوي ضمن لغة واحدة

حسب القرآن الكريم :

﴿وَلَا يَبْدِلُ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ (سورة الأنعام-الآية : 34).

لا يمكن أن يبدل كلام الله أو يحرف. لأن الله الذي أرسل الرسل إلى أقوامهم، يستحيل في حقه أن ينزل كتباً تتناقض. بطبيعة الحال، الكتب التي أنزل، كل واحد منها على نبي، حدث نزولها في حقب محددة، وترتبط بسياق تاريخي وسياسي واقتصادي اجتماعي لكل عصر. وإذا كانت أشكال الكتب المنزلة تختلف فجواهرها واحد. فالاختلافات العميقة التي نجدها بين "الكتاب المقدس" والقرآن، الحجة الخالدة، يمكن عرؤها إلى تغيرات راجعة لتوالي الوحي،

﴿يَخْرُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعْدَهُ أَمْرَ الْكِتَابِ﴾ (سورة الزعد-الآية : 39)

أو إلى تحريفات أجزمتها يد البشر، أو ترجمات محرفة عن قصد أو بحسن نية.

وفي القرآن، يمكن الوقوف عند آيات تختلف مع أخرى، وبالتالي تلغيها بتعويضها. والتسخ يقره القرآن :

﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزِلُ﴾ (سورة النحل-الآية : 101).

وبصدد موضوع النسخ، دائما تنص آية أخرى :

﴿مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا، أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

(سورة البقرة- الآية ، 106)

وإذا ما اسقطنا على اللغات العروبية ما قلناه للتو بشأن الكتب المنزلة، فبوسعنا استنتاج، بالتوافق مع المؤلفين (لا سيما اللسانيين منهم)، أن اللغات العروبية تتشابه حقاً ، جذور الكلمات ثلاثية ، وهناك زمان (للأفعال) : الماضي والمضارع ، تصريف الأفعال متطابق وكذا الحال بالنسبة للضمائر، على غرار مصطلحات القرابة (النسب والمصاهرة) والأعداد وأعضاء الجسم البشري، جذ متماثلة، إن لم نقل (أو أحيانا) متطابقة.¹

تعود الاختلافات التي نقف عليها في اللغات العروبية -بالتنظر لكل واحدة على حدة- أساسا إلى تطور كل لغة، في زمن وحيز معينين، بدلالة المحيط الطبيعي والاجتماعي والأوضاع السياسية والرقى المادي والمنهجي المعرفي والفني وكذا التأثيرات اللسانية للغات آخر ثعائشها أو عايشتها هذه اللغة. كما أن بعض أوجه التطور في قبيلة أو عند أهل ما، في منطقة ما يمكن أن تفضي بتعاقب الدهور بلغة عروبية إلى تغيرات معجمية، بل وحتى تحريفات صرفية نحوية في هذه اللغة ذاتها.

2.1 نسخ الأحكام السابقة = تطور اللغات العروبية وكتاباتها الخاصة بها

إذا ما نسخت، في كتاب منزل، بعض الآيات (آية في القرآن وإصحاح ... في غيره) آيات أخرى، فيمكننا تعميم وتمديد هذا النسخ أو التبديل على مستوى البيانات الحنيفية المتتالية² ولغاتها الخاصة بها : شريعة جديدة -بالتحديد

1. Ph. Hitti في كتابه "تاريخ العرب".

2. فيما يخص النسخ والتبديل في القرآن (سورة البقرة- الآية : 106 / سورة التحل- الآية : 101)، يفسر بعض المؤلفين كلمة آية بالسطر من القرآن، في حين أشار الزمخشري إلى أنها ، يتعلق الأمر بنسخ (أو

المسيحية- تكمل و"تعصرون" اليهودية ، خاتم الشرائع والأديان (أو الدين الأصلي)، الإسلام¹، يهيمن على الشرائع السابقة.

وهو ما نصت عليه الآية الثامنة والأربعون (48) من سورة المائدة :
 ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾.

وإذا ما أسقطنا هذا النسخ، في مفهومه العام، على مستوى اللغة، فيمكننا أن نلاحظ تطوراً جلياً لوضعية الكتابة في اللغات العروبية : ففي الألفية الثالثة قبل العهد المسيحي، استعمل في كتابة اللغة الأكادية والمصرية، على الترتيب الخط المسماري والخط المقدس القديم.

لقد تطوّرت الكتابة من القرن الواحد والعشرين إلى القرن السادس عشر قبل الميلاد : فاستعمل في كتابة الفانقية، خط مركب، كثير من رموزه تذكرنا بالخط المقدس المصري القديم، ورموز أخرى بالهجاء الفانقي. انطلاقاً من منتصف الألفية الثانية قبل الميلاد حدث اختراع أحرف الهجاء الفانقية، بخط "الفانقية القديمة". وترتكز هذه الكتابة على تهجية تتألف من اثنين وعشرين حرفاً -نحو القرنين الخامس عشر والرابع عشر قبل الميلاد- في حين أنه في قرون كثيرة قبل ذلك، كان الخط شبه المقدس القديم لنصوص خبيل. وسيستعار نمط الكتابة هذا في شرقي آسيا كما في أوروبا الغربية. ويمكن مصادفة الفانقية القديمة حتى القرن التاسع قبل الميلاد ، وتلتها الفانقية الوسطى بين القرنين الثامن والخامس قبل الميلاد. وعوضتها الفانقية الحديثة من القرن الخامس قبل الميلاد، إلى بداية العهد المسيحي وما بعده.

ستكتب آنذاك الأرمينية العتيقة، المثلة أساساً في لغة مخطوطات القرنين التاسع والثامن قبل الميلاد، بالهجاء الفانقي. ثم انطلاقاً من القرن السابع، أتاح شكل الخط الأرمي، المشتق من الهجاء الفانقي، ظهور أنواع كتابة جديدة : الخط

تعويض) احكام باخرى.. اما الهاشمي التجاني (في كتابه "مذهب النسخ في التفسير وابعاده الاجتماعية") ففسر كلمة اية بـ"الوحي" وليس الشطر من نص القران.

1. قال تعالى : ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ سورة آل عمران - الآية 19.

المربع التدمري ("الذي تبنته اللغة العبرية")، والخط التبطي، والخط السرياني، والخط المندي. وفي القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد خُررت القصص الأرمية لكتاب عزرا، ونصف كتاب دانييل، بأرمية "العهد القديم" ("الكتاب المقدس").

علاوة عن هذا، لم تحفظ اللغة الفانقية كلغة عقائدية عند اليهود. فلغة عيسى -عليه السلام-، الأرمية هي المهيمنة لديهم : في عهد عيسى -عليه السلام-، يخبرنا¹ A. Dupont-Sommer : ، كانت تتم قراءة "الأسفار المقدسة" في البيع بالأرمية،².

بعد مجيء الإسلام، تبتى عرب الملة المسيحية، اللغة العربية كلغة دينية. في حين احتفظ بقية العرب (المسلمين) بلغة القرآن الكريم.

حسب المؤلفين (من بينهم أمين مدني)³، الخط المسمى بالسند، هو من شمال شبه الجزيرة العربية، ثم امتد إلى الجنوب، أين تطوّر. وكان أول من استعمل هذا الخط هم العينيون، وهم فرع من العمالقة -نحو خمسين وسبعمئة وثلاثة آلاف (3750) قبل الميلاد، خلال ملك نار-رم-سن. حسب المخطوطات المنقوشة البابلية-. ويمكن التقاء الخط اللحياني في وسط شبه الجزيرة العربية (منطقة الحجاز) بالأحرف الخاصة باللغة الحجازية، مثل الدال والطاء والضاد. والمخطوطات المنقوشة الأقدم التي يشبه أكثر خطها الكتابة العربية الكوفية (في الرّسم والأسلوب) هي مخطوطات نمارة المنقوشة (قرب دمشق)، تعود لملك الحيرة إمروء القيس (مابين ثمان وثمانين ومائتين وثمان وعشرين وثلاثمئة للميلاد -288-328-) بالخط التبطي.

1. مصدر سبق ذكره.

2. في القرن الثالث قبل العهد المسيحي، أمر الملك بطليم الثاني بتحضير النسخة اليونانية لـ "العهد القديم" : وهي نسخة السبعين، التي أقرت كنسخة رسمية من لدن كنيسة روما. والتص الأصلي باللاتينية (Vulgate) هو من عمل St Jérôme ، في القرن الرابع للعهد المسيحي، وهو نص يحيل إلى نسخة السبعين.

3. في كتابه "التاريخ العربي وبدايته".

بتوسّع دائرة الإسلام، لتشمل بلداناً كثيرة من غير الناطقين بالعربية، استخدم مسلمو هذه البلاد موازاةً لإعمال لغاتهم الأصلية، العربية كلسان مقدّس، وهو الذي ظلّ إلى يومنا هذا اللسان الوحيد للإسلام والمسلمين.

3.1 تناظر التسلسل الزمني بين الكتب السماوية للفرلة والسنتها الخاصة بها

1.3.1 التوراة والفانقية

في الألفية الثالثة قبل العهد المسيحي، كانت اللغة الفانقية (الكنعانية) لغة حضارة : تحمل أشعار رأس-شجرة (أوقريت)، التي عُثِرَ عليها مجزأة، جميع علامات قدم غابر.

حينما قدم الرسول إبراهيم -عليه السلام-، بلاد كنعان، في بداية الألفية الثانية ألف لغة البلاد، وهجرَ بالتاكيد لغته الأصلية، البابلية، ليتبني لغة البلد للضيف، وهي البلاد التي ستستحيل موطنًا لبنيه.

غادر إبراهيم، الذي تقلد مهمة نبوية، بلاد الرافدين السفلى، مكرهاً على التقى من طرف قومه الوثنيين. وواصل الدعوة لرسالته في بلاد كنعان. ويظهر لاحقاً، أنّ واحدةً من مهماته في بلاد كنعان هي إعداد أولاده ليصيروا أجداد أنبياء : إسماعيل -عليه السلام-، ابنه البكر، الذي لغته الأصلية¹ الحجازية القديمة، سينتدب ليكون بدوره نبياً وسلفاً للرسول -صلى الله عليه وسلم-، خاتم الأنبياء والمرسلين. إسحاق، الابن الأصغر لإبراهيم-عليهما السلام-، الذي لغته الأصلية الفانقية، سَيَتَدَبُّ أيضاً هو الآخر ليكون بدوره نبياً وسلف موسى -عليه السلام-، الرسول الذي سيتلقّى التوراة.

لقد وصّى، يعقوب -عليه السلام- وهو على فراش الموت، بنيه بأن يقتضوا صراط الحنفية، كما فعل أبوهم وأجدادهم، إبراهيم وإسماعيل وإسحاق، صراط الطاعة والانصياع لله سبحانه (سورة البقرة- الآية : 133).

1. ما لم تكن اللغة العربية لغة أمه، هاجر - وهو ما لا يقوم عليه دليل - فهي لغة طفولته ومحيطه. والشيء نفسه يقال عن إسحاق-عليه السلام-، مع اللغة الفانقية.

وهكذا أصبح يعقوب (إسرائيل) سلف بني إسرائيل. وقد تلقى الرسول موسى عليه السلام- الذي قاد بني إسرائيل عند خروجهم من مصر، التوراة¹ عند طور سيناء. وقد تلا هذا الوحي الذي حدث حوالي مائتين وألف (1200) سنة قبل الميلاد، اختراع حروف الهجاء وإعجامها من طرف الفانقيين (مما يحيلنا إلى منتصف الألفية الثانية، أو في أدنى تقدير إلى القرن الثالث عشر). مما يعني أن التوراة قد تكون كتبت بحروف هجائية، إذا ما وافقنا على أنها نزلت باللسان الفانقي على موسى.

2.3.1 الإنجيل والأرمية

حسب موسوعة "Grand Larousse Encyclopédique"، الأرمية هي لهجة القبائل البدو، بالدرجة الأولى، المشار إليها في القرن الرابع عشر قبل الميلاد، في تخوم وادي دجلة والفرات. من القرن التاسع إلى غاية وفاة إسكندر الثالث (في ثلاث وعشرين وثلاثمائة -323- قبل الميلاد)، تمثل حقبة الأرمية المشتركة. من ثلاث وعشرين وثلاثمائة (323) قبل الميلاد إلى غاية القرون الأولى من العهد المسيحي، تمثل حقبة الأرمية الفصحى.

ترتسم لنا بالتالي المعالم الكبرى للتطور اللساني للأرمية، التي صارت من مجرد لهجة بدوية، لغة السياسة الخارجية لجميع الشرق القديم، ثم ارتقت إلى مصاف اللغة الفصحى، قادرة على امتثال نص الوحي الإنجيلي ترجمة. وقد استعيز باللغة الأرمية، في فلسطين، عن اللغة الكنعانية، في نهاية القرن الثامن قبل الميلاد، بسبب الاحتلال الآشوري للمنطقة، وظلت هناك إلى غاية مجيء الإسلام. وقد انعتق الخط الأرمي، المشتق من الخط الهجائي الفانقي من هذا الأخير، بظهور أنواع للكتابة الأرمية البحتة، في القرن الرابع، قبل العهد المسيحي.

1. سيناء، هي منطقة (صحراوية) تقع بين وادي النيل وبلاد كنعان.

على غرار الفانقية، التي ارتقت على مرّ قرونٍ عديدة من الاستعمال المعرفي، والتي اتخذت كمتنٍ للتوراة، أصبحت الأرمية، بعد قرون كثيرة من التضج كلغة فصحي، حاملة الإنجيل.

3.3.1 القرآن الكريم والعربية

لقد تمّ وحي الكتاب الكريم في عهدٍ كانت فيه اللغة العربية الوسطى لغةً بلغت ذرى نهجيتها، اكتسبت زخرفة وثراء ملحوظين، وذلك في جزء كبير من شبه الجزيرة العربية.

وهكذا، في مرحلة تطورها الختامية وفي أوجها، ستصبح اللغة العربية الوسطى أو الحجازية شبه مماثلة للغة الوحي. ونقول "شبه"، إذ أن اللغة العربية الوسطى، وعلى نضجها وثرانها -بفضل جهود ناطقيها المتواصلة وإبداعاتهم الأدبية- إلا أن ذلك دون أن يخولها مضاهاة درجة لغة القرآن، تمامًا مثلما يُعجزنا موازنة كراسة تلميذٍ موهوبٍ بارع، بمُدونة لأستاذه، أو سيده.

هذا ما يعني أن اللغة العربية (أو اللغات العربية) للحجاز، خلال الفترات كثيرة صقلت وجلّبت جميع أوضاعها اللسانية (صرف ونحو، معجمة، صوتيات...)، وأثريت بفضل علاقتها باللغات العروبية الأخرى، انتهى الأمر بالاستعاضة عنها، بانصهارها في لسان القرآن.

لقد تزامن تطوّر اللغات العروبية في الحيز والزمن، بالتوازي مع تطوّر كتابة هذه اللغات. فقد أفسح الخط الأول السماري والخط المقدس القديم المكان ليتبواه الخط التمودي والخط السينائي، اللذان أفلا، ليأذنا بميلاد الكتابة الهجائية الفانقية ثم الأرمية. ويمثل آخر مرحلة لهذا التحول -من العقد إلى البسيط- الرّسم الختاميّ للحروف العربية التي عرفها نص القرآن، رسم، دائماً، معاصر وقارٌ منذ ما يقارب الألفيتين.

2. التواصل الديني وتغير اللغات

جميع اللغات العروبية تتشابه فيما بينها. مثلما يتكلم اللسانيون عن القرابة بين هذه اللغات : الأرمية والأكادية (البابلية، من ثم)، الأرمية والفانقية، الفانقية والأكادية، من جهة، ومن أخرى بين هذه اللغات الثلاث والعربية. وينطبق الأمر، بالتأكيد، على اللغات العروبية الأخرى (الجميرية أو العربية الجنوبية، الحبشية، المصرية، الإبرية-البربرية، إلخ). جميعهن يتقاربن فيما بينهن أو مع الثلاث المذكورات أنفًا.

كما أن الشرائع الحنيفية الثلاث، لها الأركان نفسها ولا تختلف بينها، إلا من حيث الشكل. في الأصل والمبدأ، تمثل الشرائع الثلاث (اليهودية والمسيحية والإسلام) طوابق ثلاثة لبيت واحد، هندسه مصمم واحد. وهو ما نص عليه القرآن (إن الدين عند الله الإسلام). مختلف الوحي المنزل (كتاب على كل رسول) هو تجسيد ظاهر لاستمرارية دينية، كل كتاب مكمل ومؤكد للذي سبقه.

أما بالتسبة لآخر كتاب وحي، القرآن فهو

﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ (الثالثة-الآية 48)،

على غرار العربية، لسان القرآن، الذي عوض الألسن العروبية الأخرى. وعلى هذه الحقيقة اللسانية يمكن إسقاط معنى الآية التي أشير إليها أعلى السياق

﴿مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نَسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ أَخْهَرًا﴾،

وهي الآية، التي يمكن أن تدل فيها كلمة "آية" في العربية على غير ما معنى، ومن معانيها "الوحي" (انظر الإحالة 1، لدرج العنوان 2.1 في الفصل نفسه)، كما تعني أيضًا "علامة، حجة، معجزة". يمكن أيضًا إدراج مفهوم "اللغة" في سياق الوحي، بمعنى "لغة الوحي".

بالتوازي مع هذا التواصل الديني، يمكن معاينة استمرارية فضائية : الرحلة التي تبعها إبراهيم -عليه السلام-، انطلاقاً من بلاد الرافدين (نقطة البدء)، وصولاً إلى مكة المكرمة (نقطة الوصول)، قد تكون ترجمة (وأحدة من بين الترجمات) للهجرات العروبية المتحدرة من بلاد ما بين النهرين (المهد المفترض للمتكلمين باللغات العروبية) نحو مناطق استعمار أخرى.

قد تخمّل محطات هذه الرحلة "المبرجة" على أنها مراحل "قراءة للوحي" المختلفة :

- 1/ بلاد الرافدين، موطن إبراهيم -عليه السلام-، النبي الذي عليه أنزلت الصحف ؛
 - 2/ بلاد كنعان، التي لغتها هي لسان التوراة ؛
 - 3/ مصر، بلاد ميلاد النبي موسى -عليه السلام- ؛
 - 4/ بلاد كنعان، مجنتا، مكان ميلاد أبناء إبراهيم -عليه السلام-، الذين سيصبحون أنبياء بعدها، إسماعيل وإسحاق -عليهما السلام-، ثم عيسى -عليه السلام- : وفي هذا البلد تلقى هذا الرسول رسالته¹ ؛
 - 5/ مكة المكرمة، أين أقامت هاجر وابنها إسماعيل -عليه السلام-، البلاد التي ولد بها النبي محمد -صلى الله عليه وسلم-، الذي عليه نزل القرآن بلسان عربي.
- لقد بيّنا في الفصل السابق (الفصل الثاني) أنّ أرفخشذ وعقبه (إلى غاية قحطان، ابن عابر) تكلموا العربية أو لغة عروبية قريبة كفاية من اللغة-الأم، وابتعدت لغتهم شيئاً فشيئاً على تعاقب الأجيال عن الأصل.
- فضلا عن هذا، إذا ما قبلنا أنّ اللغة-الأم، أعطت ميلاد اللغات العروبية، انطلاقاً من أحفاد نوح، فهذا يفترض أنّ أبناء نوح -عليه السلام-، أعملوا اللغة المشتركة (العربية). وإذا كان استدلالنا مستساغاً، فينبغي أن يوضع انطلاق موجات الهجرات العروبية، في حقبة أقدم، انطلاقاً من المناطق القوقصية والأناضولية والرافدية الشمالية، نحو ربوع الأرض.

1. تشمل بلاد كنعان (أو فانيقا) فلسطين.

3. العربية، هل هي محدّدة اللّغات العروبية،

على غرار الإسلام، الذي هو امتيازاً، الذين الوحيد الخالد ؟

على إثر انقسام اللّغة-الأم، إلى لغات كثيرة، يمكن أن نفترض أن اللّغة العربية، التي تكلمها أبناء نوح -عليه السلام- ظلت مستعملة عند أرفخشذ وأبنائه، وباستمرار حتى إبراهيم -عليه السلام-، الذي تكلم البابلية، وهو ما حدث بالطبع مع بعض التحويلات أو التحريفات اللسانية اليسيرة، بالنظر إلى الهجرات في منطقة أخرى (من المناطق الشماليّة نحو أسفل بلاد الرافدين) والقرون الطويلة إن لم نقل الفيات متهاوية.

بالتنظر إلى شهادة اللسانين الذين يقرّون أن اللغتين البابلية والعربية متقاربتين، وبالاتماد خاصة على دراسة E. Dhorme، حول التشابه الصرقي والتحوي والمعجمي بين اللّغة العربية ولغة قانون حمو-ربي، وما أوردناه بالنسبة لهذا التشابه، يمكن أن نترخّص أن نعت العربية الفصحى (أو العربية المشتركة) والبابلية بالمقاربة. وفي هذا السياق كتب¹ E. Dhorme : ، إذا كانت هناك حقيقة تحكم تاريخ اللّغات السامية في علاقاتها المتبادلة، فهي أن العربية بمعية اللّغات التي يصطلح على تسميتها السامية-الجنوبية، تتبدى لنا كمحافظ غريب للنظام المشترك لما يمكن تسميته السامية العتيقة، إن لم نقل البدائية.. ويضيف هذا المؤلف : ، تظهر التهجية السمارية كتباشر للهجاءات السامية-الجنوبية، في عدد وطبيعة حروفها الصامتة، السبعة والعشرين، التي تتوافق مع الحروف الصامتة العربية.. وبعد أن شرح هذا المؤلف كثيراً من العناصر البنوية المشتركة لهذه اللّغات، حوّل : ، هي الحجّة الصارخة للّغة العربية، في حفاظها على البنية العتيقة للهجات السامية..

1. مصدر سبق ذكره.

إذا كانت لغة الحجاز، التي يمكن اعتبارها كلغة جد قريية، إن لم نقل مطابقة للسان القرآن، قد حافظت على مدى قرون كثيرة على البصمة أو الطابع البابلي -الواحدة نسخة عن الأخرى¹-. فذلك هو الحجة على أن أهال ذوي اللغة البابلية (انحدروا من بلاد الرافدين السفلى)، قد هاجروا نحو وسط شبه الجزيرة العربية (منطقة الحجاز خاصة) -وكذا نحو مناطق أخرى (لقد بيّنا ذلك في الباب الأول، الفصل الثالث) -إما مباشرة (كمثال إسماعيل، ابن إبراهيم -عليهما السلام-، عن طريق البر شمالاً، عبر سورية وكنعان) أو غير مباشرة، عبر اليمن (كمثل قبيلة بني جرهم، زمن إسماعيل -عليه السلام-).

من الطبيعي، أن هذه اللغة البابلية، التي ازدرعت على بعد ألفي كيلومتر، قد تطورت بعد مدة تفوق الألفي سنة، لتصبح اللغة الحجازية أو العربية الوسطى. لقد تكلم هذه اللغة المتقدمة قبائل بدوية كثيرة أو أهال حضر كثر، الذين يكون كلامهم، ضرورة، مختلفاً (تبعا لحكم تطور كل لغة في الفضاء والزمن، ونوع المجتمع والوطن والمحيط، إلخ). ونقف على هذه اللغة المرقاة، في مصاف اللغة الأدبية، في المهرجانات والمنتديات الشعرية، التي كانت تعقد دورياً في بعض الأماكن، من شبه الجزيرة العربية، التي يشارك في فعالياتها جميع الأقوام -الحضر والبدو- وممثلوهم، الذين يلقون أشعاراً وقصصاً منثورة.

مما يعني أن هذه اللغة الأدبية كانت مشهورة، يفهمها ويثمنها جميع العرب. أي أن هذه اللتقيات الأدبية كانت تمثيلاً لعادة ترقى إلى أقدم الأزمنة (تعود الأشعار الفانقية لرأس-شمرة. إلى الألفية الثالثة قبل العهد المسيحي، فالقصاصون الفطاحلة -المسمون بأسماء تختلف تبعا للمناطق- كانوا حضورا في العالم العربي قبل الألفية الثانية، قبل عمر بن معان² بقرون كثيرة).

1. انظر كتاب E. Dhorme المشار إليه للتو.

2. شروط ثلاثة تلزم من اجل ميلاد القصاص،

- لغة على مستوى من الرقي، بحيث يخولها "نتاج" الشعر، أو نوعا ما موحدة في نطاق استوصافي - ارضي فضائي، بشكل يخول للأهالي فهمها (استيعابها).
- وجود آلات موسيقية تقليدية.

مما يعني، كذلك، أن هذا الأدب أتاح لعرب الحجاز والمناطق المجاورة لشبه الجزيرة العربية، بأن يألّفوا معجماً وقوالب لسانية للغة ذات مستوى رفيع نوعاً ما¹، وأعدّ جميع هؤلاء الأهالي -خلال أجيال كثيرة- للاستيعاب الحرفي للنص القرآني.

انزل الله سبحانه القرآن على رسوله محمد -صلى الله عليه وسلم- بلسان عربي خالص ومبين : وقد سمح هذا اللسان بتدارك التقائص اللسانية واللحن الذي علق خلال قرونٍ والتحريفات والتشويّهات المعجمية، والرطانات التي أقحمت على مرّ الدهور في اللغة العربية الوسطى.

ولا ننسى أن نذكر بأن التصوص الملقاة في المنتديات الأدبية كانت مكتوبة، وتلك التي تحوز قبول ووسام التقاد، تكافئ و"تنشر"². وقد تبعت هذه الكتابة، على غرار كتابات اللغات العروبية الأخرى، منحى قانون التطور الخطي. لقد حطّ القرآن، الذي أوحى إلى الرسول -صلى الله عليه وسلم- تلقيناً، فيما بعد، بوساطة آخر نمط للخط العربي، وهو الذي ظلّ مستعملاً في جميع البلدان الناطقة بالعربية، إلى يومنا هذا (بتغيرات ضئيلة) (انظر الملحق رقم 2).

يسعنا القول إذاً، بأن اللغة العربية كانت متكلمة من طرف أبناء نوح -عليه السلام-، بعد الطوفان. وقد تفرّعت إلى لغات عدة، كلّ واحدة منها مرتبطة بمنطقة أو بلاد، استعمرها كلّ واحد من أحفاد نوح -عليه السلام-. وإذا وافقنا

- تواجد تجمّعات سكانية أو مدن، مع تهيئة ساحة عمومية أو سوق.

لقد بينّا في كتاب سابق "العرب في أوروبا قبل العهد المسيحي" أن الشعر العمري، الذي يمثل إرث تراث عتيق، أصله من آسيا الصغرى (الأناضول)، منطقة يسكنها أساساً سوريون-فانقيون (عمر هو لوزي عاش في القرن التاسع قبل الميلاد). يجمع المؤلفون على الإقرار بأن الأدب "الإغريقي" ولد في يونيا، قروناً كثيرة قبل عمر.

1. كان عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- في خلافته، يحفّز الناس للاهتمام بالشعر الجاهلي، موعزاً لهم بأنه يفضي إلى فهم أوفق للكلمات والمصطلحات الموجودة في القرآن الكريم والحديث الشريف (ذكر ذلك محمد حميد الله في "معجم التبات").

2. في العهد الجاهلي (قبل الإسلام)، كانت التصوص للصطفاء كإفضل نتاج، تخط بهاء الذهب على صفائح نسيج ثمين، كلّ سنة، وتعلق بجدران الكعبة، ومن ذلك الفعل انتحلت تسمية العلفات.

أنّ البابلية هي شقيقة الحجازية أو العربية الوسطى، فهذا يستلزم أن البابلية انحدرت في عمود مباشر عن اللغة العربية التي تكلمها أبناء واحفاد سام (ابن نوح)، وهم أرفخشذ، صالح، عابر ... إلى غاية إبراهيم -عليه السلام-.

اللغة البابلية، كما أبرزنا، تطوّرت في الزمن والفضاء، وغدت مختلفة شيئاً ما، بالتأكيد عن اللغة-الأم. وبدورها، تطوّرت اللغة الحجازية في الزمن والفضاء، وهي التي يمكن اعتبارها منحدرّة في عمود مباشر عن البابلية، وغدت منفصلة، أيضاً، عن البابلية الإبراهيمية. من أين انبعث إذا قرب، إذا لم نقل تطابق، العربية الحجازية، خلال زمن الوحي القرآني مع لسان القرآن ؟

تفسيرات عدّة، يمكن أن تطرح للإجابة :

أ/ عندما قدمت هاجر مكة المكرمة (هي منطقة صحراوية، حينها، لا مساكن فيها ولا حقول)، كان ابنها إسماعيل -عليه السلام- رضيعاً. فترعرع ونشأ بين ظهرائي قبيلة بني جرهم، قبيلة متحدرة من اليمن، يتكلم أفرادها، بطبيعة الحال، العربية الجنوبية. من جهة أخرى لقد ذكرنا أعلى السياق (في الباب الأول) المؤلفين الذين يقرّون أن :

- أول من سكن الحجاز هم العمالقة، متحذرين من بلاد الرافدين، وانتشروا عبر جميع مناطق شبه الجزيرة العربية ،

- سكنت قبيلة يمنية التضاريس المرتفعة جنوب الحجاز ،

- أنه بعد أن دهم سيل العرم سدّ مارب (في اليمن)، غادرت قبائل عدّة الجنوب لتتوجّه نحو الشمال. ولهذا نجد قبيلتي الأوس والخزرج مقيمتين في المدينة المنورة، وهما قبيلتان ستقدّوان قروناً كثيرة بعدها، مضيفتي وعاضدتي الرسول محمد -صلى الله عليه وسلم- في هذه المدينة.

ب/ لقد كانت الأكادية (لغة أعلى بلاد الرافدين) والعربية الجنوبية جدّ متقاربتين. وتعود هذه القرابة اللسانية خاصة إلى حقيقة انحدار عابر، أبي قحطان، من بلاد الرافدين، في حين هاجر ابنه، إلى اليمن. وسيصبح هذا الأخير

سلف عرب جنوب شبه الجزيرة العربية، القحطانيّين. زيادة على هذا توطنّت موجات هجرات أخرى (منحدرة من بلاد الرافدين) كثيرة في اليمن.

ج/ تكلم إبراهيم والد إسماعيل -عليهما السلام-، البابليّة كما الكنعانيّة والمصريّة. يمكننا إذا أن نفترض أن أم ابنه، هاجر، تكلمت هذه اللغات، لأنها أقامت سنوات طويلاً في بيت إبراهيم -عليه السلام-. من المؤكّد أن إسماعيل، قد يكون سمع هذه اللغات العروبيّة خلال طفولته ومراهقته، إمّا تتكلمها أمّه أو أبوه، الذي كان يقدّم إلى زيارته بانتظام، أو قد يكون سمع حجاج الكعبة يتكلمونها.

إذا كان إسماعيل -عليه السلام-، قد ألف العربية الجنوبيّة القريبة من الأكاديّة -البابليّة في الأصل-، لغة أوصيائه فأصهاره (بني جرهم)، فهذا لا يمنع أن ابن إبراهيم -عليه السلام- قد عرف لغات عروبيّة أخرى، ومنهنّ العربية الوسطى، بالتأكيد، لأنها كانت لغة المنطقة، الحجاز، كما كان هو ذاته رافد الكعبة، "البيت العتيق المسخر لعبادة الله والمناسك".

لقد أصبحت مكّة المكرمة المركز الدينيّ المهمّ، ومقرّ حجّ جميع عرب شبه الجزيرة العربية¹، وبهذا، ملتقى لغات عروبيّة كثيرة، وصارت لغتها (في جزء منها) ترجمة، ونتيجة امتزاج جميع هذه اللهجات.

د/ لقد أرفق الأهالي المهاجرون من بلاد الرافدين، المتتابعين، على مرّ قرون، نحو مناطق شبه الجزيرة العربية (على سبيل المثال)، دائماً، بالطبع، بالهتهم، التي من بينها سين، آلهة القمر، التي وُجدت في اليمن، وفي حضرموت وفي سيناء (وهذه التسمية الأخيرة اشتقت، تحديداً من اسم الآلهة سين)، إلخ، إلى غاية بلاد الإغريق (كما أورده بوضوح بلاطون في كتابه "القوانين")². كان نيو-ناض، آخر ملوك بابل (بين تسع وخمسين وخمسمائة وتسع وثلاثين

1. كان سكان اليمن أول من حجّ مكّة المكرمة.

2. لقد عثر في دلس (جزيرة في بحر اجاء، في الأرخبيل الجنوبيّ، وموطن أبي اللون) على نصب من الرخام عليه إهداء باللغة الحضرموتية للآلهة سين.

وخمسمائة (539-559) قبل الميلاد)، ابن كاهنة آلهة القمر، ومريدًا متيمًا بهذه الشعيرة. كان معبد سين الكبير في أور (في بلاد بابل)، وهناك معبد آخر للقمر في حاران (أعلى بلاد الرافدين). وهذه هي الآلهة التي بُوِّنت مكانًا رفيغًا في قانون حمو-ربي (مجموع الآلهة البابلية).

عكف نبو-ناض، الذي تنازل عن الحكم لابنه بعل-آزر، على أمور الدين وإعادة تشييد المعابد. وقد تكون للزيارات المتكررة التي كانت تقوده لواجهة تيماء (شمال الحجاز) علاقة محتملة ببناء المعبد المقرب لسين، بل علاقة مؤكدة مع الدين. هذه الديانة، التي يخبرنا¹ E. Dhorme، كانت الوشيعة بين العرب والبابليين ... هنا الأدب الديني البابلي الذي تقوم عليه الدلائل إلى غاية أطراف العهد المسيحي..

هـ/ واحدة من حُجَج، وليست من أوهاما، تحوُّل اللغة العربية المشتركة، انطلاقًا من بلاد الرافدين وصولاً إلى الحجاز، مع موجات الهجرات، التي غادرت بلاد ما بين النهرين، هي أن اللغة العربية الحجازية، شقيقة البابلية، والقريبة من لسان القرآن، إن لم نقل مطابقة له، سِيَحْتَفِظُ بها في أنقى أحوالها، عند بدو الصحراء، هؤلاء الذين يعيشون، فغلًا، في حوجلة ويغتوون بلغة أسلافهم² بالغ الحظوة ودونما مترج. ونستذكر ما أورده E. Dhorme، حيال القرابة الصرفية والبنوية الموجودة بين العربية الفصحى والبابلية، وهو الاستشهاد المذكور أعلى السياق (الباب الأول-الفصل الخامس): ... العربية الفصحى لم تؤلف قواعدها اصطناعًا وتجتثما ... ولكثتها ورثت نظامًا استوى نسقه في عهد أولى السلالات الملكية البابلية، وهو ما تثبته بشكل خاص، لغة قانون حمو-ربي ... أي أن القياس العربي، قد ظل، عمليًا، قارًا، على مر هذه الألفيات، هو ما أتاح للغة العربية الوسطى بلوغ مستوى أدبيًا رفيغًا. هذا الصَّرف والتحوُّ القارُّ المؤكَّد خلال أكثر من خمسمائة ألفي (2500) سنة (من العهد الإبراهيمي إلى الحمدي)، هو

1. مصدر سبق ذكره.

2. لقد كان الحضر يحضون على لبث منذ عند البدو من أجل تحسين لغتهم، وتقويم لسانهم وإثراء معجمهم.

الحجة، ببرهانٍ تراجعي، على أن أشكال الهيئات الصرفية والأحوال التحويلية للغة العربية (أو اللغات العروبية) لم تتغير -أو تغيرت يسيراً- خلال قرونٍ كثيرة سابقة لتحرير قانون حمو-ربي.

هناك عامل آخر يشفع لصالح الحفاظ (أو البعث) لهذه اللغة، في صورة نقية، هو الالتئام الدوري للمنتديات الأدبية¹، وهو ما سمح للغة العربية الوسطى -أو لغة الحجاز- بأن تصفو وتثبت بصفة "رسمية"، تحت وطأة المجتمع المثقف ومستوى وصرامة الشعراء اللغوية.

وتوضح الآية الخامسة والخمسون (55) من سورة الزمر، مكانة اللسان العربي -مولد اللغات العروبية وفي الحين ذاته وريثها-، مرآة الإسلام، الذين المثالي المتفرد :

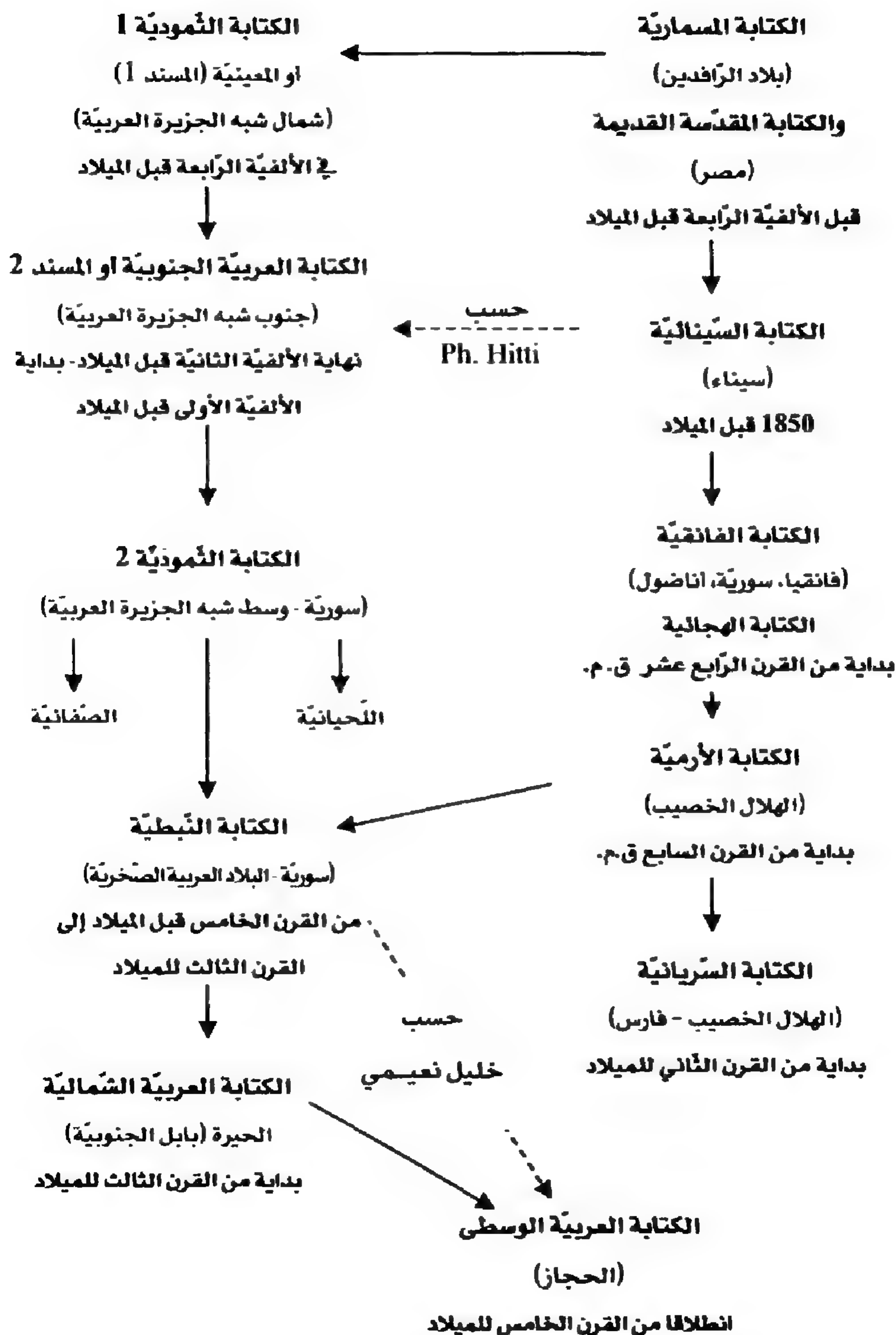
﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾

وهي الآية التي تتكلم عن القرآن "أحسن ما أنزل" في تعبير يمكن إسقاطه أيضاً على حامل الكتاب الكريم، أي العربية (أو لسان الإسلام) ، اللغة التي تبتاها المسلمون، بخاصة أولئك الذين يستخدمون لغات عروبية أخرى (وضمنها لغتا التوراة والإنجيل).

1. كتب G. Lebon في كتابه "حضارة العرب" ، ، لقد كانت ثقافة الشعر جذ متطورة لدى العرب الذين وطنوا، قروناً كثيرة قبل محمد-صلى الله عليه وسلم- منتديات أدبية توافيها جميع اسقاع البلاد العربية (مثل سوق عكاظ الشعري، قرب الطائف) ..

الملحق الثاني

تطور كتابة اللغات العربية بدلالة (الحيز) الفضاء والزمن



البابُ الثالث

قِرابَة اللُّغات العِروبيَّة فيما بينها
والْتِّوافِق بين اللِّغة العِربيَّة واللُّغات
الْهِنْدِيَّة-الأُرُوبيَّة

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾

(سورة الرعد- الآية : 37)

الفصل الأول

حول تصنيف اللّغات العروبيّة، واللّغات التي تدلي لها بقراية

تكلّما في مقدّمة كتابنا هذا، عن القسمة الضيّزى التي فرضها المؤلّفون الأوروبيّون، المتعلّقة باللّغات العروبيّة. كما تكلّما عن التصنيف غير المؤسّس للمؤلّفين العرب، المتعلّق بمتكلّمي اللّغات العروبيّة.

1. اللّغات العروبيّة التي يطلق عليها الكتاب الأوروبيّون تسمية لغات ساميّة أو حاميّة- ساميّة

لقد بيّنا في الفصول السابقة، القرابة اللسانية للّغات العروبيّة. كما اتّنا عرضنا في متن الباب الأوّل (الفصل الثالث) الفرضيّة التي جعلنا بمقتضاها، الجذع المشترك -أو لغة- الأم- الذي إليه تنتمي جميع اللّغات العروبيّة، تفرّع بعد ميلاد أبناء سام وحام، أي أحفاد نوح، وهو ما يفضي إلى القول بأنّ جميع هذه اللّغات تحمل كلّ منها لقباً واحداً من هؤلاء البنين (الكنعانيّة إشارة إلى كنعان، واللّوذيّة إشارة إلى لوز، المصريّة إشارة إلى مصر، الأشوريّة نسبة إلى آشور، الحبشيّة نسبة إلى كوش، الأرمنيّة/ العرمنيّة نسبة إلى أرم/ عرم، إلخ.).

حسب الأرقام التي قدّمها محمّد بهجت قبّيسي في كتابه المعنون بـ "ملاحح في فقه اللّهجات العربيّات"، نسبة القرابة المعجميّة بين اللّغة العربيّة والكنعانيّة (لغة "حاميّة") تبلغ 94 %، في حين أنّها 65 % و 60 %، على الترتيب بين العربيّة من جهة والعربيّة الجنوبيّة والأكاديّة من جهة أخرى (كلا هاتين اللّغتين "حاميتين") !

استخدمت تسمية لغات سامية أو أهال ساميون¹ من طرف المؤلفين لنعت كل اللغات أو الشعوب ذوي الأصل العربي، أو بوجه أصوب العروبي. لو لم يحدث الوحي القرآني بعد باللسان العربي، بوسعنا استيعاب إعمال أو استخدام مصطلح آخر غير "عربي" أو "عروبي" لنعت هؤلاء الأهالي أو هذه اللغات، أي إلى غاية القرون الأولى للعصر الوسيط (الأروبي). في حين أن المصطلح "سامي" أدخل إلى معجم الكتاب ثم في الكلم الجاري انطلاقاً من نهاية القرن الثامن عشر للميلاد (الموافق للقرن الثاني عشر الهجري) ؛ وبعد ذلك، استأنف المؤلفون العرب كما المسلمون -دونما تمحيص- استخدام المصطلح ذاته. وهذا على الرغم من المؤلفين القدامى، الذين لم يستخدموا هذه الكلمة، لغيابها أصلاً ! ألم يكن أروادوت وديودور الصقلي وسطرابو ... تكلموا عن لغات أو أهال عرب أو سوريين مثلاً، والحقوا نعتهم غالباً بمنطقة أو اسم سلف.

لغات مثل الإيطالية والفرنسية والرومانياوية والإسبانية تسمى لاتينية. إشارة إلى لغة-أم واحدة، ألا وهي اللاتينية. لغات مثل الإنجليزية والهولندية والألمانية والدانماركية والسويدية، ... تسمى جرمانية. إشارة إلى لغة-أم واحدة، ألا وهي الجرمانية. بالتماثل، ولعلّ الموضوعية العلمية، لم لا يُسمي المؤلفون قاطبة، وبخاصة، المختصين منهم في اللسانيات وفقه اللغة، اللغات العربية (أو العروبية) لغات مثل المصرية والحبشية والبربرية والبابلية والفانقية والأرمية ... إشارة إلى أصل واحد ووحيد ؟

- بالنظر إلى تقسيم الجذع المشترك إلى فروع عديدة. بداية من أحفاد نوح، الذين صار كل واحد منهم سلف أهال يتكلمون لغات عروبية. جميعهن بنات لغة-أم واحدة ،

- بالنظر إلى الحقائق الحضارية المشتركة المختلفة والتاريخ الفضائي والسياسي المتقاسم خلال قرون كثيرة، إن لم نقل ألفيات، وتبادلات الهجرات والامتزاجات

1. كتاب كثر يتجنبون الكلام عن لغات حامية أو أهال حاميين، ويقتصرون على التسمية الشاملة، على الترتيب، "سامية وساميون".

لأهال، الخاصة بمختلف المناطق الناطقة بلغات عروبية (مصر، فانقيا-سورية، بلاد الرافدين، البلاد العربية السعيدة، الأهم منهن)،

- بالنظر إلى كون جميع هذه اللغات تتقارب بينها -بدرجات متفاوتة- نحوًا وصرفًا ومعجمة -وعلى الرغم من هذا التصنيف ضمن فرعين لسانيين مختلفين (على الترتيب الأكادية والبابلية، الفانقية والأرمية، العربية الجنوبية والعربية الوسطى، إلخ.) ،

- بالنظر إلى القرابة العجمية الموجودة بين جميع هذه اللغات، وهي القرابة التي قد تكون أوطد بين لغتين مصتفتين في فرعين مختلفين ("السامية والحامية") من تلك الموجودة بين لغتين من فرع واحد ؛

- بالنظر إلى العناصر التمهيدية التي قدمناها في مقدّمتنا ؛

يمكننا استنتاج أن تصنيف اللغات "الحامية-السامية" إلى فرعين من طرف المؤلفين، لا يقوم على مقومات الموضوعية العلمية أو التاريخية ولا على مقومات النظام اللساني أو الفقهي اللغوي. ثم إنه يمكننا هجر هذا التقسيم إلى فرعين، لنحتفظ بمجموعة واحدة ؛ ألا وهي عائلة اللغات العروبية.

2. يقسم المؤلفون العرب متكلمي اللغة العربية إلى فئات ثلاث

هذه الفئات أو الأهالي كما يلي :

- العرب الأوائل، الذين يادوا : العرب البائدة ؛

- العرب أولو "دم نقي" : العرب العاربة ؛

- العرب المنحدرون من عرق آخر، وصاروا عربًا : المتعربة والمستعربة.

يقدر التسابون العرب (أو أكثرهم)، أن السكان الأصليين للبلاد العربية هم القحطانيون، الذين أقاموا أولاً (حسب هؤلاء المؤلفين) في جنوب شبه الجزيرة العربية، وتكلموا اللغة الجُميرِيَّة أو العربية الجنوبية. في حين أن العدنانيين،

المتحدرين عن النبي إسماعيل، ابن إبراهيم -عليهما السلام-، يعتبرون كاجانب استقروا وتعرّبوا في بلاد العرب.

تذكرنا هذه الأطروحات التي منها تفوح رائحة التفرقة العنصرية، فيما يخصّ عرب التركة الثانية، ببديعة لطيفة لـ¹ A. Meillet، فيما يخصّ الشاعر الغنائي لقمان. إذ قد كتب : « أول شاعر غنائي لقمان "الدوري"، الذي خلف شيئاً (أثراً) ما، هو أجنبي مهلأني من آسيا الصغرى ... هذا المتقدم، ولد في سردا (بلونيا) في القرن السابع قبل الميلاد، يوصف بالأجنبي : مقارنة بمن هو أجنبي ؟ الأهالي الأصليون في بلاد الإغريق وآسيا الصغرى ليسوا أجانب في بلدانهم ...²

إن تقسيم المتكلمين باللغة العربية إلى فئات ثلاث متميزة -وراثياً ولسانياً- لأمر ذاتي، ولا يعكس الحقيقة التاريخية واللسانية للأهالي الناطقة بلغات عروبية في شبه الجزيرة العربية. وهذا يعود للعوامل الموالي ذكرها :

1.2. قحطان وإبراهيم -عليه السلام- لهما جدّ واحد ...

لقد حددنا في الباب الأول، مع G. Lebon المعالم الاستوصافية الأرضية ولكن ليس اللسانية للبلاد العربية (أو شبه الجزيرة العربية). ضمن هذه الحدود تندرج سيناء وفانقيا وسورية وبلاد الرافدين، إلخ. أي أن جميع الأهالي السينائيين والفانقيين والأرميين والرافديين، إلخ، كانوا كلهم مؤلفين من عروبين يتكلمون لغات عروبية : جميع المؤلفين (أو جلهم) غير العرب يقرّون هذه الحقيقة.

فضلاً عن هذا، إذا كانت شبه الجزيرة العربية تنكفي عند الحدود الاستوصافية-الأرضية التي بيّنا فيما انصرم من سياق، فإن هناك أهالٍ ناطقين بلغات عروبية يسكنون خارج البلاد العربية بمعنى الكلمة أو خارج مناطق شبه الجزيرة العربية. في إحدى هذه المناطق "الخارجية" فضائياً -هذا ما رايناه في الفصل الثالث من الباب الأول- يتواجد الهد الأول للمتكلمين بلغات عروبية.

1. في كتابه "لمحة حول تاريخ في اللغة اليونانية".

2. انظر كتابنا "العرب في أوروبا قبل العهد المسيحي".

ولا نقول المهد الأول للعرب، لأن هذا المصطلح من جهة المبدأ ليس قومياً. لقد بيتنا في سياق أعلاه أن كلمة "عربي"، أصبحت مرادفة لـ "رجال". لم نسم الجزيرة العربية باسم بلاد العرب إلا حين استقبلت أهالي مهاجرين تفرقوا في هذه الفضاءات الشاسعة، وهذه التي كان من شأنها إيواء بدو رعاة "أعراب". حيث يعني اسم بلاد العرب "بلاد البدو".

نفترض، طبيعياً، أن هذا الرّعم -"القحطانيون هم العرب الأقحاح"- يرتكز في جزء منه على المسألة المرتبطة بالأصل اليمني للعرب. لم يدرج هؤلاء المؤلفون في الحساب أن اليمن لم يكن إلا واحدة من المحطات المختلفة لموجات الهجرات العروبية نحو آفاقٍ آخر، وليس أول نقطة انطلاقها.

يتوافق التعريف الذي أعطاه الرسول -صلى الله عليه وسلم- للعربي مع مفهوم اللغة كاولوية على القومية. كل من تكلم العربية فهو عربي.. وهو التعريف الذي يسقط بخاصة على مسلمي الجيل الأول (الحقبة التي عوّضت فيها اللغة العربية، لسان القرآن اللغات العروبية)، يمكن أن ينطبق على أهالي العصر الجاهلي، حينما لم يتلّ الهجران من اللغات العروبية بعد. وهكذا الفانثيون والآرميون والمصريون والبابليون... الذين كانوا ناطقين بلغات عروبية، هم عرب (أو لنقل أحسن، عروبيون). والمؤلفون المحدثون، مثل Ph. Hitti و G. Lebon -الذين ذكرناهم- لا يصدر عن غير هذا الكلام نفسه أي جميع هؤلاء الأهالي ينتمون إلى العروبة.

على العكس، هم كتاب عرب قدامى، تابعهم في هذا كتاب عرب معاصرون، من كرس هذا التمييز العرقي. ولا يخفى عليهم أن الرسول إبراهيم -عليه السلام- هو ابن العرب، منحدر من بلاد الرافدين، وأنه أول المسلمين. وأصبح ابنه إسماعيل جدّ عدنان، سلف العدنانيين، وفي الحين ذاته، سلف الرسول محمد -صلى الله عليه وسلم-. هكذا، سلّبت أطروحة المؤلفين العرب "عرباً من دم نقي" أطروحة ذات الإيعاز العصبي من كثير من الأنبياء صفة

العرب (من هود إلى عيسى، مروراً بصالح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق وشعيب ويوسف وموسى ويونس وداوود وزكرياء -عليهم جميعاً السلام-، ...) ، وهؤلاء المتقدم ذكرهم جميعاً تكلموا لغات عروبية، سليلات اللغة العربية.

وحسب سلسلة نسب إبراهيم -عليه السلام- الواردة في "العهد القديم" خمسة أجيال فحسب تفصله عن قحطان بن عابر، جد طارح المباشر، أبي إبراهيم. فهم جميعاً إذاً من "دم" واحد، مُسايرةً لاصطلاح النسابة العرب.

2.2 ... لألسن قحطان وإبراهيم -عليه السلام- جذع واحد

إذا كان الكتاب العرب يسمّون القحطانيّين باعتبارهم السكان الأصليين للجزيرة العربية، هؤلاء لم يتكلموا الحجازية أو العربية الوسطى، ولكن العربية الجنوبية، لغة جد قريبة من الأكادية. وهذه اللغة الأكادية هي لغة عابر، كما أنها كانت جد قريبة من البابلية (المشتقة من الأكادية). لغة إبراهيم -عليه السلام-.

من جهة أخرى، على الصعيد اللساني، اللغة العربية الجنوبية، والأرمينية والفانقية والبابلية، إلخ. وبخاصة العربية الوسطى، هنّ نسيبات قريبات للعربية المشتركة، ولكن بدرجة قرابة أقلّ بالنسبة لأول اللغات المذكورة آنفاً (حسب بعض المؤلفين من بينهم محمد بهجت القبيسي الذي ذكرناه أعلى السياق).

رأينا كذلك أنّ اللغة البابلية هي شقيقة الحجازية (أو العربية الوسطى). ممّا يستنتج منه أنّ جميع هذه اللغات هي لغات عروبية، فروع من الجذع اللساني نفسه.

3. لغة عروبية مجهولة، البربرية

اللغات العروبية جميعها تشابه واحداتها الآخر، بدرجات متفاوتة. بعض هذه اللغات تقاسم حقبة تاريخية مشتركة مع لغات أخرى، ممّا يوحد من قرابتها : على نحو العربية الجنوبية والحبشية أو المصرية من جهةٍ والفانقية والبربرية من جهةٍ أخرى.

يمكن اعتبار جميع هذه اللغات، اليوم، كلغات ميتة، لغات ما قبل اللغة العربية، أي أن جميع هذه اللغات ولدت إثر انقسام اللغة-الأم إلى فروع عديدة، وعوّضت بمجيء الإسلام بلسان القرآن.

من بين اللغات العروبية جميعها، واحدة فقط -إذ الاستثناء هو من يصوغ القاعدة- ظلت حية، وفيّة لنفسها، كما يبدو منذ آلاف السنين، ممارسةً إلى يومنا هذا في شمال إفريقيا، نعتي البربرية، وتسمى في الأصل الإبرية، من مجموعة اللغات القوقصية¹.

سمحت لنا دراسة تاريخ هذه اللغة القديمة² -التي يرجع استعمالها على الأرجح إلى حقبة ما بعد الطوفان، دونما توقف- بأن نعود إلى غاية نقطة انفصال اللغات العروبية عن بعضها، انطلاقاً من جذع مشترك، وأن نتعرف على عناصر كثيرة لصالح المهّد الفضائي الأول للتاطقين بلغات عروبية. بفضل هذه اللغة العمرة ألفيات كثيرة، نحوز شهادة حيةً للتطق والمعجم الذين ينبغي أنهما كانا رائجين في زمن كان فيه الجذع المشترك "انشطر"، وبدأت اللغات العروبية تنفصل وتتكاثر.

قبل أن تكمل هذه اللغة العتيقة رحلتها في شمال إفريقيا (بربريا) وفي أوروبا الغربية (إيريا) كانت متكلمة في آسيا الغربية، نتيجة لموجات هجرات الأهالي ذوي اللغة الإبرية (أو الإبرية-البربرية، إن شئنا) في المناطق الجبلية لإسكروس (في فارس الحالية)، وفي بلاد وادي السند أو في آسيا الصغرى (الأناضول).

هذه اللغة المخكية، التي لها شيء مدوّن يسير أو غير مرسومة آنذاك، لم نؤرثنا كتابات منقوشة أو مصادر "مادية"، ما استثنينا المخطوطات البونية لشمال إفريقيا. ممّا يعني أن تاريخها مجهول، إلا من طرف تسمية الأماكن والجبال (حالياً) وكذا تسمية الشعوب (الشعوب القديمة) التي أخبرتنا على آثار

1. انظر كتابنا "إيريا وبربريا".

2. انظر كتابنا "الرحلة المجهولة للغة قديمة، البربرية".

مرورها في آسيا. على كل حال، يعزو المؤلفون المسلمون بعض الكلمات من المعجم الإيري-البربري إلى أصل فارسي¹ : وعلى هذا النوال أشار فقيه اللغة عباد بن سليمان الصيمري -نقلاً عن سيد يعقوب بكر¹- للكلمة ادغاع، على أنها كلمة فارسية، تعني "حجر"، في حين أن هذه الكلمة ليست فارسية ولكن بربرية.

فضلاً عن هذا، على غرار كثير من كالم معجم اللغات العروبية المكتوبة (كالصرية، الأكادية، البابلية، الفانقية، الأرمية، العربية الجنوبية، إلخ.) التي تتواجد في اللغة العربية الوسطى، بتحويل أو عدمه، يمكن العثور على كلمات من معجم اللغة البربرية في اللغة العربية، في حالتها الأصلية، أو بصفة مختلفة شيئاً ما.

تتيح لنا اللغة البربرية المناسبة للعثور، خلال لغة ما قبل العربية، على آليات تكون بعض كلمات اللغات العروبية ومعاينة القرابة الصرفية والعجمية لمختلف هذه اللغات، بين بعضها.

4. المالطية

بالنسبة للمالطية، لغة مالطا، يصنفها بعض المؤلفين -صواباً- ضمن خانة اللغات العروبية المسماة "سامية". وهو ما يؤكد تاريخ هذا الأرخبيل المتوسطي. جزيرة مالطا، هذه، التي تقع على بعد خمسين ميلاً بحرياً من صقلية، غير بعيدة من السواحل التونسية، تواجدت على طريق الاستعمارات الفانقية في أوروبا (من الأرخبيل الجنوبي لبحر أجا إلى صقلية) وفي إفريقيا (تأسست أتيكا، نحو منتصف الألفية الثانية قبل العهد المسيحي)، وهي استعمارات خلفتها تلك القرطاجنية أو الليبية-الفانقية، خلال الألفية الأولى قبل الميلاد. لسانيون كثر يعدون احتمالاً كبيراً أن المالطية لغة فانقية، ويؤكدون كونها لغة عروبية.

إثر الاحتلال الفرنسي للأرخبيل المالطي في نهاية القرن الثامن عشر (الموافق للقرن الثاني عشر للهجرة)، والإلحاق السياسي من طرف المملكة

1. في كتابه "نصوص في فقه اللغة العربية".

البريتانية سنة أربعة عشر وثمانمائة وألف للميلاد (1814) (الموافق لتسع وعشرين ومائتين وألف -1229- للهجرة). تهجّن المعجم بكلمات فرنسية وأنجليزية. وبحصول مالطا على الاستقلال، غلت الإنجليزية لغتها الرسمية.

5. لغات غير مصتفة ضمن اللغات العروبية، ولكنها تدلي

بقراية -إن يسيرة أو وطيدة- لها

1.5 لغة نصف-عروبية، اليونانية الفصحى

جميع المؤلفين مُجمعون على التصريح بأن اللغة ما قبل الهلانية في بلاد الإغريق ليست من لغة هندية-أروبية. يقر¹ A. Meillet بأن واحدة من قواعد الحضارة الإغريقية، أي علم الأساطير، ليس فيها على الأغلب أي مرجعية هندية-أروبية.. كتب² A. Seveyns أنه، في تاريخ قديم، حوى المعجم حشدًا من الكلمات، التي لا يسعف في تفسيرها لا اللغة اليونانية ولا أي لغة هندية-أروبية أخرى معروفة، كلمات استعاروها (أي الإغريق) من أهال ما قبل الهلانيين، كانوا استقروا في هذه الأماكن، وأضاف بأن، أسماء الأعلام -الاستوصافية- الأرضية والبشرية- احتفظت بشكل أفضل من أسماء الجنس، في كل مكان بذكرات أبعد ماضٍ غير مدوّن... زعمه هذا بخصوص الأصل الآسيوي لتسمية الأماكن اليونانية ولغة اليونانية الأولى، يؤكده³ A. Meillet، ما تدل عليه أسماء الأعلام، هو أن اليونانية، التي هي لغة أهل من غزاة، أخذت مكان لغات مختلفة في بحر أجا، يحتمل أنها من أرومة واحدة مع بعض لغات أخرى، متكلمة في الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط..

1. في كتابه "لحة حول تاريخ اللغة اليونانية".

2. في كتابه "الإغريق والشرق الأدنى قبل عمر".

3. مصدر سبق ذكره.

لقد بيّنا في كتابنا المعنون بـ "العرب في أوروبا قبل العهد المسيحي-تاريخ التاريخ والحضارة الإغريقية-الرومانية"، أن علم الأساطير اليوناني هو علم أساطير مصري-فانقي-بابلي، وكذا المكانة التي احتلها في الألفيتين الثالثة والثانية قبل الميلاد، السوريون-الفانقيون في آسيا الصغرى وفي بحر أجا وفي بلاد الإغريق. كما المصريون والبابليون، إلخ في قرتا والحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط. وخلال الحقبة نفسها استعمر هؤلاء الإلهاني "الآسيائيون" والإفريقيون ذاتهم بلاد الإغريق القارية وحزر بحر أجا¹ وقد يلتقى الهلانيون² دور لغات هندية-أروبية، الذين أخضعوا بلاد الإغريق (وسكانها)، في هذه المناطق إلا بعد قرون عديدة، نحو نهاية الألفية الثانية.

في كتاب سابق³، بيّنا أيضا أهمية جوهر اللغة العربية في اليونانية الفصحى (المشركة)، وشرحنا الأصل العروبي لأسماء الفمحصفانيين والشعراء والفتانين والعلماء، الذين، في أغلبهم، انحدروا من يوبيا (آسيا الصغرى)؛ وأيضا تسميات رجال سياسة لبلاد الإغريق الكبرى (ملوك، ملكات، أمراء جيوش، حكام، ...). عدد كبير منهم ذوو أصل عروبي؛ ومن هؤلاء، ربما الأشهر، والذي كان المهندس الأول للعهد الذهبي للحصار الهلاني، وهو من يستحق اسمه المقدر أزلاً (اسم عروبي) برك-ثيل أي "بركة الآلهة".

بفعل الوفود المختلفة للاستعمارات العروبية، التي تدفقت صوب شبه الجزيرة الإغريقية، يمكن سماع لغات عروبية كثيرة. هنالك تكلم كل لغة منها ناطقوها الخاصون، البابلية، الآشورية، الفانقية، العربية الوسطى، المصرية ...

لقد أشرنا في سياق سابق إلى الأصل الأناضولي (اليوناني) للأدب الإغريقي، الحاضر في آسيا قرونا كثيرة قبل عمر بن معان. كما ذكرنا، ضمن هذا الفصل، لقمان، أول شاعر غنائي "دوري" لبلاد الإغريق، وهو يوناني. جميع

1. كان الهلانيون في الأصل قبيلة أبرادية (من منطقة يودان)، هلان، ابن دقة عليون، هو اسم سلمهم. وقد شرحنا معنى أصله العروبي في الكتاب المشار إليه في الإحالة المئوية

2. "الاستعمار العروبي في بلاد الإغريق القديم من خلال علم الأساطير وتسمية الأماكن والعلميات والعجم".

أهالي آسيا الصغرى هؤلاء، في غالبيتهم، من أصل سوري-فانقي (أو عروبي)، تكلموا الأكادية، الأرمية. إلخ، وبخاصة الفانقية. وهذه اللغة الأخيرة، ظلت متكلمة في الأناضول إلى غاية القرن الأول من العهد المسيحي، حسب سطرابو.

تستحيل دراسة العلميات الإغريقية وأيضا دراسة معجم اليونانية، لوما دوام اللسان العربي، من خلال لغاته العدة، اللواتي تشتهن إلى بعضهن أواصر قرابة متباينة نحويًا وصرفيًا ومعجميًا. ألفت سنة بعد مجيء العهد المسيحي، يسمح لنا معجم مَبْتَذَل للغة العربية بحلّ معضلات المعنى الأصلي لتسمية الأماكن والأشخاص والشعوب. إلخ. المستعملة في بلاد الإغريق منذ أكثر من ثلاث آلاف سنة.

لم تبصر اللغة الأدبية في بلاد الإغريق التور، إلا في القرن الخامس قبل الميلاد، مع إبداع اللغة المشتركة (Koinè) نحو خمس وسبعين وأربعمائة -475، حسب A. Meillet. وهذه اللغة المشتركة. يمكن اعتبارها المصدر الأولي لجميع اللغات الأوروبية الأخرى، بما فيها اللاتينية. وقد تأثرت هذه المقدمة أساسًا بالتاريخ والحضارة الإغريقية، تمامًا كما تأثرت اللغة اليونانية المشتركة (الفصحى) باللغات العروبية المتوسطة.

حتى بعد خمس وسبعين وأربعمائة (475)، ظلت لغة منطقة عتيقا مستعملة، وأيضا بعض الصيغ الصرفية والتحوية، كالثنى، من طرف كتاب مثل بلاطون وزنا-فن، كما يشهد بذلك A. Meillet في كتابه "مدخل إلى الدراسة التقابلية للغات الهندية-الأوروبية"، :حفظ على صيغة الثنى إلى غاية نهاية القرن الخامس في منطقة عتيقا، ولكن نحو عشرة وأربعمائة (410) قبل الميلاد، أخذ الإهمال ينالها في الكتابات، بالفعل استخدمه المؤلفون المولودون بين أربعين وأربعمائة وخمس وعشرين وأربعمائة (425-440) مثل بلاطون وزنا-فن، الذين يكتبون باللهجة العتيقاوية ويستعملونها أيضا، ولكن دون استمرار.

بداية من تسع وعشرين وثلاثمائة (329) -بعد داموسطان، الذي استعملها بانقطاع- يُفقد المثنى من المدونات العتيقاوية..

إثر اختراع الحروف الهجائية، من طرف الفانقيين، نحو منتصف الألفية الثانية قبل العهد المسيحي، تبتى نوع الكتابة هذا، أهال إغريق (واحتفظ به حتى بعد الاجتياح الدوري لبلاد الإغريق) مطابقاً للأصل. أي أن هؤلاء الأهالي الإغريق عروبينون في الأصل، تكلموا جميعهم لغات عروبية، ما يتيح التمكن من استخدام حروف صامتة خاصة بهذه اللغات، على وجه الخصوص الصناد -الذي يقابله الحرف سمي "اليوناني"، أو العين الذي يقابله الحرف أوميكرون "اليوناني"، وهي مقاطع صوتية غير مستعملة عند الهنود-الأوروبيين. الشيء عينه مع الضاد، يقابله حرف ضيتا "اليوناني"، الحرف الصامت الذي نجده في الكلمة العربية ضياء، التي كتابتها الصوتية في اليونانية هي Zeus - (مع اللاحقة "سين") - ("ضياء" في حالة التصب "للفعولية")، هذا المقطع الصوتي دارج في استعمال الناطقين بلغات عروبية لوحدهم.

وبعد ذلك، نال من المقاطع الصوتية الهجران، مع تصنع اللغة اليونانية المشتركة (Koinè)، وحلّ الهجاء العتيقاوي محلّ الهجاء الفانقي. الهجاء الإغريقي على قدم المساواة مع اللغة الجديدة، غير الاتجاه، ليقرأ من الشمال إلى اليمين، بدل ما كان عليه من عكس الاتجاه.

بناءً على استشهادات المؤلفين السابقة، وتاريخ شبه الجزيرة الإغريقية، قبل الغزو الدوري وبعده (حقيقة جسدتها الجزم المفحم لـ A. Meillet، حين صرح : « بعلّة حادث تاريخي، بدت اليونانية معزولة بين اللغات الهندية-الأروبية »)، وبناءً على دراسة تسميات الأماكن والآلهة والأشخاص والشعوب، إلخ،¹ وبناءً على زعم² L. de la Vallée-Poussin حيث كتب : ليست اللغة

1. انظر كتابنا "العرب في أوروبا قبل العهد المسيحي".

2. مصدر سبق ذكره.

اليونانية لغة هندية-أوروبية إلا في شطرها، بناءً على كل ما سبق توضيحه، يمكننا القول، من وجهتنا، أن اليونانية لغة نصف عربية.

2.5 الأخوية

حسب¹ A. Meillet، البلوبتاس (شبه جزيرة في جنوب بلاد الإغريق) ما قبل الدوري، الذي تقوم عليه كخلفية الملحة العمرية (الإلياذة)،، سكنها الأخويون. أقيمت مملكة أخوية كبيرة، الأولى، ربما، التي أسسها الإغريق، ومهما يكن، فهي أقصى نحو الجنوب الشرقي. لقد احتفظت منطقة أخايا للحافة الجنوبية لخليج قرينطة بالاسم، ولكن لم تحتفظ بلغة الأخويين القدامى. يتواجد اسم الأخويين، الذي أثبتته التصوص الحتية والمصرية، منذ القرن الرابع عشر، في مواقع مختلفة من العالم الهلاني، أين اختفت لهجات من النوع الأرقاوي-القبرسي، قرتا وجزيرة ورد ونقاط كثيرة على البحر الأسود، تجسد الوجود القديم للأخويين

في كتاب سابق، بعنوان "العرب في أوروبا قبل العهد المسيحي" (الصفحة 71 وما يليها)، ذكرنا شهادات أخرى منضافة لهذا الاستشهاد -الأنف-، مرتبطة بالأخويين، الذين أسمتهم التصوص المصرية الأكايواش، والتصوص الحتية الأخياوي، وأطلقت عليهم نصوص عمر اللوزي الأخايو ... كما قدرنا، أيضاً، أن هؤلاء الأهالي، أخاوي الإغريق وجزر بحر أجا، وقبرس وآسيا الصغرى، لا يمكن إلا أن يكونوا سوريين-فانقيين -وهو ما يتوافق مع ما ذهب إليه² A. Jardé، حيث ينسب أخاوي بلاد الإغريق، وأخاوي الجزر إلى أهالي آسيا الصغرى-، كما خلصنا، بعد دراسة معنى هذا الاسم الأصلي، إلى أن أخايا (منطقة)، سكنها الأخويون، قد تفهم على أنها "بلاد الإخوة". تتطابق هذه الترجمة باللغة العربية، (أخ، جمعه إخوة وأخاء)، مع ما كتبه A. Meillet بهذا الصدد : (، ليس مؤكداً

1. مصدر سبق ذكره.

2. "في كتابه "تكوين الشعب الإغريقي".

كون الأخايوى هنودًا-أروبيين، أولئك الذين سماهم عمر الأخايو) كما أنها تلحق الأصل البابلي الذي ارتآه¹ B. Hrozny، حيث يصرّح :، لا يمكن إقصاء فكرة تعلق الأمر بالكلمة البابلية-السامية المشهورة "أخا" أي إخوة.²

يخبرنا المؤلفون. بأن هذه اللغة الأخاوية القديمة، تكلمها أخاويو عمر (أي إغريق العهد المكنوي)³. يؤكّد A. Jardé و⁴ A. Meillet استعمال الأخاوية القديمة في اللغة العمرية. ⁵ A. Severyns، فهو يلخ على تأثير القصاصيين اليونانيون. خلفاء القصاصيين الأخاويين، في هذه اللغة العمرية، التي طغت عليها اليونانية.

في كتابينا ("العرب في أوروبا قبل العهد المسيحي" و"تاريخ الاستعمار العروبي في بلاد الإغريق القديمة")، بيتنا أن عمر يتلقّب باسم عروبي مألوف. وينحدر بدوره من قومية سورية-فانقية -على غرار لوذني عصره، مواطنيه - كما أن الأدب الإغريقي الذي ولد في آسيا الصغرى (يونيا)، كان أدبا ذا لغة (لغات) عربية أو عروبية. في زمن . لا يمكن أن يلاحظ عند إغريق القرن العاشر والتاسع. لا فتا ولا كتابة ولا أدبا ذا نوع معرفي .، حسب تعبير A. Meillet.

كما أن أقدم اللغات الشعرية لدى الإغريق. هي تلك التي كرسّت تأثيراً على الآخرين، وهي لغة عروبية. قد تكون الفانقية، بالنظر إلى ما قام به الفانقيون من دور، ليس حكراً على شبه الجزيرة الإغريقية (هجرات مهمة، تسمية أماكن، علم الأساطير، إلخ) ولكن أيضاً في جزر بحر أجا وقبرس، وكذا في آسيا الصغرى، بلدان تؤلف أهاليها بالدرجة الأولى من سوريين-فانقيين.

1. مصدر سبق ذكره.

2. على غرار المصريين والكلش وعروبيين آخرين ما بعد العهد الإبراهيمي. عرف الأخاويون الاختتان ومارسوه.

3. سمى عمر بن معان المكنويين الأخاويين (الحضارة الأخاوية أو المكنوية، حيث بلغت أوجها فيما بين أربعمئة وألف ومائتين وألف قبل الميلاد 1400-1200).

4. مصدران سبق ذكرهما.

5. مصدر سبق ذكره.

3.5 اللغات القوقصية

لقد رأينا في كتاب سابق "إيريا وبربريا"، أن إيريا وبربريا هما بلدان ينتسبان إلى قومية سكانية واحدة، وإلى تاريخ مشترك، مع قرابة لسانية وحضارية. إيريا الأوروبية هي الأخرى مرتبطة بإيريا القوقصية (آسيا). هذه الأخيرة لها اسم يرى فيه ¹ B. Hrozny : عامل لصالح هجرة عناصر بشرية، انطلاقاً من هذا الموطن الأصلي، نحو شمال إفريقيا..

يلحق ² A. Garrigou، الذي نبه على القرابة القائمة بين البربر والباسك، اللغة الباسكية الحالية بلغة : شعوب آسيا، جنوب القوقص المعروفين بالساميين، كما يؤكد مؤلفون آخرون القرابة اللسانية بين الإيرية الأوروبية والبربرية من جهة، وبين البربرية ولغات القوقص الجنوبية من جهة أخرى.

أما بالنسبة إلينا، فقد أتاحت لنا مباحثة موضوع متعلق بـ"رحلة مجهولة للغة قديمة، البربرية"، بتعزيز القرابة بين اللغات الإيرية-القوقصية واللغات الإيرية البربرية، بواسطة تسميات الأماكن والجبال والشعوب ... بهذه الحجة، فاللغات القوقصية -التي تنتمي إلى فرع لساني واحد مع البربرية- يمكن حملها محمل اللغات الأوروبية.

4.5 الجالية

طرح F. Lot في كتابه "جاليا"، بصدد اللغة أن : لم تترك الجالية مخطوطات عدا خمسين كلمة ونيفا أشار إليها المؤلفون الإغريق واللاتين. المخطوطات (عشرة ونيف) التي نحوزها بحروف إغريقية جميعها في منطقة ناربونيا، (الضعف بالحروف اللاتينية) بعض منها غامض، مما يريب في كلوتيتها (أصلها من الكلت) .. أما A. Grenier في كتابه "الجاليون"، فهو

1. مصدر سبق ذكره.

2. مصدر سبق ذكره.

متروك حيال تصنيف اللغة الجالية ضمن اللغات الهندية-الأوروبية، وقد كتب :
 . حاولنا تفسير ذلك (دراسة ما تبقى من اليسير) بالفرنسية والألمانية واليونانية
 واللاتينية والعبرية بخاصة ..

فعلاً، لقد تمكنا من ترجمة العديد من الكلمات الجالية، ليس بالعبرية -أو
 بالفانقية تحرياً للدقة- لغة قريبة جداً من العربية، ولكن بالعربية ذاتها. في
 كتابنا "العرب أسلاف الجاليين؟"، أعطينا المقابل العربي لحوالي النصف من عدد
 هذه الكلمات الجالية -تحديدًا الصوتي-، وترجمنا، دائماً بالاستعانة باللغة
 العربية، كثيراً من تسميات الأماكن والشعوب والأشخاص لجاليا ما قبل الرومان،
 بالخصوص اسم (أو صفة بالأصح) البطل الجالي الشهير برأس-مجد الرأس، الذي
 يرمز لمقاومة أهل جاليا المحليين للاحتلال الروماني ... وهو ما يرسخ العلاقات
 الأكيدة للقربية بين الجاليين والعروبين (لسانيًا وتاريخيًا وحضاريًا).

فرضية وجود لهجات جالية عديدة في جاليا (كما يؤكد C. Jullian
 في كتابه "Vercingétorix") طرح غير مستبعد، بالنظر إلى موجات الهجرات
 العديدة الواردة من مناطق مختلفة من شبه الجزيرة العربية، من آسيا
 الصغرى ومن وادي الدانوب (هذه الأخيرة هي منطقة عبور إحدى طرق
 العنبر)، قرونا كثيرة، قبل العهد المسيحي، والأخرى (الهجرات) المنحدرة من
 شمال إفريقيا (بربريا) ومن مناطق شمال جبال البرانس وجنوبها (إيبيريا).

تصل هذه البلاد، إيبيريا -حسب أقوال أروادوت (في القرن الخامس قبل
 الميلاد)- إلى غاية نهر الوردان، وتضم النصف الغربي لجاليا (من البرانس إلى
 شمال نهر جرعين) : تسمى هذه المنطقة (حيث النهر المذكور) إسكاتانيا، اسم
 من أصل إيبيري - بربري، ككثير من تسميات الأماكن والأنهار والجبال¹. يتفق
 جميع المؤلفين على أن الإسكاتانيين كانوا قرونا عديدة قبل العهد المسيحي، من
 سلالة إيبيرية ذات لغة إيبيرية، أي عروبين. كثير من الكلمات التي يقدمها

1. انظر كتابنا "الرحلة المجهولة للغة قديمة، البربرية، من الإمالين إلى الأرضوان".

القاموس Larousse على أنها من أصل جالي، هي في الحقيقة من أصل عروبي عموماً (مثل إبريق ودن وريس "ملك" وجانب، إلخ).¹ أو بخاصة إيبرية-بربرية (مثل سكّ و[شجرة] الرّان وأردواز، إلخ). ويشكل الجوهر العروبي-الجالي صورة حقيقية في تكوين اللغة الفرنسية.

أما التاربونيا²، منطقة -ولاية للرومان- تقع على طريق ممر كبير، بريّ كما نهرى. عن طريق وادي الوردان، الطريق الذي يبدأ من البحر الأبيض المتوسط (انطلاقاً من مدينة الفانقيين مسالية/ مرسالية وصولاً إلى مفترق طرق اتصال، من جهة، شمالاً، نحو مضيق كلت (طريق القصدير) ومن جهة أخرى، نحو جبال الحلب، باب جرمانيا (إحدى طرق العنبر).

وكنتيجة لمرزبة التموقع الإقليمي هذا، فقد توطنت هنالك مستعمرات عروبية-فانقية، بعدد أكبر مما هي عليه في المناطق الأخرى لجاليا، منذ الألفية الثانية قبل العهد المسيحي.

5.5 الفارسية

لقد رأينا في سياق أعلى، أنه بداية من القرن السادس قبل الميلاد، دامت اللغة الرسمية لمملكة فارس، الأرمية على قرونٍ مديدة. بمجيء الإسلام واعتناق أهالي فارس له، انغرست اللغة العربية وهجاؤها مجتداً في البلاد، من بحر قصوين إلى غاية الخليج العربي-الفارسي، ثم من هناك تدفقت نحو كل آسيا الوسطى... وفي أيامنا، والعهد على المؤلفين، ثلث المعجم المستعمل في اللغة الفارسية يتألف من كلمات عربية. حسب E. Renan في كتابه "تاريخ اللغات السامية"، الفارسية الحالية لها معجم، يتألف في معظمه خاصة فيما يتعلق باللغة الأدبية، من كلمات عربية.

1. انظر كتابنا "العرب، أسلاف الجاليين" 5.

2. عاصمتها ناربون لها اسم، حيث الكلمة الثانية منه "بون"، لها كتابة واحدة مثل البلد الأصل (حسب الرواية) للفانقيين، بون (ت) لو بنت (من حيث اشتق الاسم "بوني") الذي نجده في تسمية مدينة بونه، في إفريقيا (عناية الحالية، في الجزائر) أو في تسمية مدن أخرى لجاليا وأروبا.

لقد كانت الرّندية، لغة شمال فارس القديمة، قبل العهد المسيحي، لغة بلاد جرج ولغة إيران، بمعنى الكلمة، وأذربيجان. تشبه الكتابة الرّندية (من اليمين إلى الشمال) في الرسم الأرمية في بعض الحروف وعربية القرآن في أخرى ...¹

6.5 التركية

حسب E. Renan الذي ألف سنة خمس وخمسين وثمانمائة وألف (1855) (الموافق لسبعين ومائتين وألف -1270- للهجرة). كتابه "تاريخ اللغات السامية" ، تقدم اللغة التركية مثلاً صارخاً للتركيب اللساني : وعلى الرغم من حفاظها على القواعد النثارية، فقد فقدت تقريباً معجمها الخاص واستبدلته بعدد هائل من الكلمات المستعارة عن العربية والفارسية ... هي الظاهرة الوحيدة للغة تتألف من مزيج ثلاث أرومات : الهندية-الأوروبية والسامية، معجماً، والنثارية صرفاً ونحواً..

7.5 لغات شبه القارة الهندية

حسب A. Daniélou في كتابه "تاريخ الهند" ، اللغات الذراودية لها قرابة مع الجرجية ، أي مع اللغة الإيرانية-البربرية. حسب G. Gourtilier في كتابه "الحضارات في الهند القديمة" : ، لغة البشتاء (الرّندية) تتقارب مع اللغات القوقصية، بل هن الأخرى قريبات من البربرية (أو الإيرانية البربرية).

حسب E. Renan² ، تركز العربية في الهند اثراً مماثلاً، منذ فتح محمد الغزناوي (السنوات الأولى من القرن الحادي عشر)³، وخاصةً بوساطة الفارسية. يطلق الاسم "هندي" على لهجة من الهندوية، حيث يتوافر قسط كبير من الكلمات السامية. أما بالنسبة للهندوستانية (الوردو والدخني)، فتلاثة أرباع معجمها عربي وفارسي، أما نظام صرفها ونحوها، فعلى العكس، هندي، وغيرته الفارسية قليلاً. وأما خطها فهجاؤه منقول من العربية..

1. في كتاب "الرّند-البشتاء" لـ Anquetil Duperron.

2. مصدر سبق ذكره.

3. الموافق للقرن الخامس الهجري.

8.5 المالوية

لقد ضربت ماليزيا بسهمها في التأثير نفسه : بفعل الأفكار الهندية، فكونت لغة مزيجاً من السامسكريتية والجاوية وهي الكاوية؛ كما استقبلت الهجاء العربي مع الذين الإسلاميين وارتضت جزءاً من المعجم الممتزج، الذي حمله المسلمون معهم أينما حلوا¹.

9.5 السواحلية والولوف واللغات الإفريقية ما دون الصحراء

1.9.5 السواحلية

السواحلية هي اللغة المتكلم بها في جميع المناطق الساحلية الإفريقية الشرقية² (من أرخبيل القمر حتى خط الاستواء) : وهي لغة مختلطة من كلمات إفريقية (بخاصة لغة البانطو) ومن كلمات عربية. حسب أقوال المؤلفين، لغة البانطو، هي لغة ما قبل المصرية، فوقها نضنت اللغة العربية. السواحلية، التي تكتب بحروف عربية، هي اللغة الرسمية لكينيا وتانزانيا، وهي لغة إقليمية في أوغندا وفي الكونغو-كينشاسا.

2.9.5 الولوف

بالنظر إلى رحلة حثون البحرية، تجاه إفريقيا الاستوائية، ونظراً إلى الاستعمارات الفانقية السابقة في البلدان الساحلية، المرتبطة بطرق الملح والذهب وكذلك باعتبار القرابة بين اللغة الفانقية والمصرية، وبالتالي مع لغة ولوف إسنغل³، فمن المستساغ افتراض أن المستعمرات الفانقية، القائمة طيلة قرون كثيرة في هذه المناطق اختلطت بالأهالي المحليين مؤثرة في لهجاتهم، أو بتعبير أفضل بفرض لغتها على مرّ أجيال، بفعل قوة تجارتها وإشعاع حضارتها.

1. E. Renan، مصدر سبق ذكره.

2. السواحلية، كلمة عربية "محاذ للساحل، في تماس مع الشريط الساحلي".

3. حسب T. Obenga (في كتابه "إفريقيا في العهد القديم")، تمثل لغة الولوف وشيجة متينة (صرفية-نحوية ومعجمية) مع اللغة المصرية.

بل إن اسم هذه اللغة، الولوف، واسم الأهالي المتكلمين بها الولوف، يفهم في العربية بمعنى "برق لامع"، وليف وولوف أو بمعنى "حبيب" وليف وولف. هذا الاسم له معنى واحد مع برق، الذي يعني بالفعل "لعان، نور"، وهو الاسم الذي نجده في تسمية مدينة برقة¹، الليبية، موطن العائلة الشهيرة القرطاجنية لبني برقة (أملقر برقة وأبناؤه).

يقدر E. F. Gautier في كتابه "إفريقيا الغربية السمراء" بخصوص هذا الاستعمار الفانقي أنه . ثرينا إفريقيا الغربية السمراء في جميع بقاعها آثار التأثيرات المتوسطية الألفية، والتأثيرات هذه هي الوحيدة التي لها أن تجلي توزع الأهالي. هذه البلدان هي صنيعة "القرية الحديثة" (قرطاجنة) . ليس من قبيل الصدف، بالتأكيد، أن نرى حالياً في إستغل جالية قوية من سوريين ولبنانيين، ذات تأثير اقتصادي ومالي لا يستهان به.

3.9.5 لغات إفريقية أخرى ما دون الصحراء

حسب E. Renan² لا يحصر تواجد اللغة العربية أفق في إفريقيا في هذا الوقت، فهو مؤثر على حضارة ما، وبفضل العربية حازت إفريقيا بعض الأدب، كما كرست هذه اللغة على لغات الأهالي تأثيراً بالغا.

10.5 في أوروبا

يقدر E. Renan³ أنه . لم تسلم أوروبا مطلقاً من أثر اللغة العربية العالمي هذا (استعارة كلمات من جميع الصنوف عند الإيسبان والبرتغاليين)، كما أن اللغات الأخرى الرومانية اللاتينية تشتمل على عدد كبير من الكلمات العربية، واصفةً تقريباً جميع الأشياء العلمية أو المصنوعات، شاهدة كم ظلت الشعوب التصرانية في القرون الوسطى دون المسلمين فيما يتعلق بالعلم والصناعة ..

1. برقة، هي أيضاً تسمية مدينة قريبة من بعلبك (فانقيا) في لبنان الحالية.

2. مصدر سبق ذكره.

3. مصدر سبق ذكره.

الملحق الثالث

التوافق المعجمي بين مختلف اللغات العروبية

العربية	الأشورية- البابلية	الفانقية	الأرمية	العربية الجنوبية- الحبشية	البربرية
أب	أبو	أب	أبا	أب	با
أم	أمو	أم	أما	أم	ما
أخ	أخو	أخ	أخا	أخو	قما
ابن	بنو	بن/بر	برا	بن	أو
إنسان	نشو	أنوش	ناشا	أنش	إفقان
بئر	بورو	بور	برا	بئر	انو
بيت (دار)	بتو	بت	بيتا	بيت	تاذارت
ثور	شورو	الف	ثورا	سور	افالو
خنزير	خمسر	حزير	حزيرا	خنزير	إلف
دم	دمو	دم	دم	دميا	أدامن
رأس	رشو	روش	ريشا	راس	إخف
زرع	زرو	زرع	زرعا	زرع	أمود
سماء	شمو	شمايم	شمايا	سماي	إقنا
شمس	شمشو	شمس	شمشا	شمس	تافوكت
عين	انو	عين	عينا	عين	تيط أغبالو
فم	يو	يه	يوما	أف	إمي
قرن	قرنو	قرن	قرنا	قرن	إسك إشن
لسان	لشانو	لشون	لشنا	لسان	إلس
ماء	مو	مايم	مايا	ماي	أمان
موت	ماتوم	موت		موت	إموت
ود	ود	يدد	يد	ود	أواد

الفصل الثاني

قراية اللغات العروبية فيما بينها

للغات العروبية قُربى صرفية ونحوية ونطقية ومعجمية تربط فيما بينها، وطيدة نوعاً ما، تبعا للغات محل النظر، وحسب تاريخ وتطور كل واحدة من هذه اللغات، عبر الدهور. طبيعي أن تتقارب لغتان أو أكثر من اللاني تقاسمن خلال حقبة ما، تاريخاً مشتركاً، فيما بينهما، بصفة أوطد من لغات أخريات شهدن رقياً وتطوراً خاصاً : وهو الحال، على سبيل التمثيل، مع الفانقية والإيريه (أو الإيريه-البربريه) اللتين نقف عليهما في آسيا الغربيه من خلال تسميات أماكن وجبال وشعوب، ذات معنى أصل مختلط ، وهما اللغتين اللتين نلتقيهما، أيضاً، في شمال إفريقيا، حيث الأهالي الممزجة والمدمجة خلال قرون كثيرة، سميت ليبية-فانقية.

والحال ذاتها، مع الأكادية والبابلية، الثانية مشتقة من الأولى، مع العربيه الجنوبيه والعربيه الوسطى، مع الأكادية والعربيه الجنوبيه، مع العربيه الجنوبيه والحبشيه، مع البابلية والعربيه الوسطى، ... جميع هذه اللغات مرتبطة فيما بينها، أولاً بالتجاور الموطني، ثم بتاريخ مشترك، خلال قرون إن لم نقل الفيات، في بلاد الرافدين كما في بقية شبه الجزيرة العربيه أو شرق إفريقيا.

1. الصرف

جميع اللغات العروبية، عموماً، لها جنور ثلاثيه. ويمكن مصادفة جنور رباعيه أو خماسيه التي ليست إلا زوائد، بوساطة لواحق أو عن طريق التحول، بتغير صيغة (صيغة فعل أو اسم) الجذر الثلاثي. كما توجد أيضاً جنور

ثنائية قليلة، أصلها ثلاثية، غير أنها فقدت -خلال تطورها- جذرا من الجذور أضعف من البقية، أو جذور لغات ما قبل العربية، ذات مقاطع وحيدة (أحادية أو ثنائية الجذر)، محافظ عليها في اللغة العربية.

هذه الحقيقة اللسانية يمكن أن يظهرها المعنى العام لكلمة ذات جذر ثلاثي، معنى حوّل ولكن بقي قريبا دائما للمعنى الأصلي، خلال تغير أحد الحروف الثلاثة التي تؤلف هذه الكلمة.

1.1 جذر واحد (مشارك) للغات العروبية المختلفة

كلمات جذر كثيرة في العربية وفي لغات عروبية أخرى، لها جذر مشترك شحن دلالات متجانسة أو متقاربة، وهذا، في جميع مجالات الحياة، من السلطة الروحية إلى السلطة الدنيوية، ومن الزراعة إلى علم الفلك، ومن الرّي إلى التعدين، ومن علم الحيوان إلى علم التّبات، ومن فنّ الحرب إلى الفنون الجميلة، إلخ. وهو حجة (إضافية) عن وحدة الأمة الحضارية لجميع هؤلاء الأهالي، التاطقين، في الأصل، بلغة واحدة.

أحيانا لا يوجد اسم مخصص، ذو جذر واحد معين تابع للغة أو لغات عروبية كثيرة، في اللغة العربية، ولكن جذر هذا الاسم، موجود في معجم العربية، بالدلالة نفسها.

على سبيل المثال : الاسم "حصان" الذي يؤدّي في المصرية القديمة، وفي الكنعانية "سوس"¹، ذو الجذر س. و. س.² الذي يُصادف في العربية، بمعنى ذي علاقة بالخيليات :

- ساس (بعد إبدال الواو ألفا ليّتا) "اعتنى (بحصان)"

1. بينما يختلف شيخ ضيوف في كتابه "الأمم السمرات" ز "ثقافة" في ترجمته وهي "ساس".

2. يقدر بعض المؤلفين أن الهكسوس، هم من أدخل الحصان والعربة إلى مصر، وترجم هذه التسمية هكسوس بـ "الملوك الفرسان" أو "الملوك مربو الخيل".

- سواس "مرض في عنق الخيل"

- سياسة "فرجنة الخيل (حسها)"

- سانس "خادم الخيل"

في حين أن كلمة "سوس" تقابلها كلمة حصان أو فرس في العربية.

2.1 جذر ثنائي مضعف الحرف الثاني

هذا الجذر هو أصل لجذور جذور ثلاثية أخرى، مرادفة أو قريبة المعنى (بتغيير يطرأ على الحرف الثالث) :

- س. ك. (ك) سكّ "أغلق، أوصد، (باباً) ... ، صنم"، مع الكلمة سكّ "مسمار"

• س. ك. ت. سكت "صمت، مات، هدا (غضب)"

• س. ك. ر. سكر "ملأ وعاء (زقاً)، حجز (مجرى ماء)"، "هدأ (الرياح)"

• س. ك. ف. سكف "وضع عتبة (لباب)" وصيغة الفعل هي أسكف "مارس مهنة الإسكافي" مع الاسم أسكف وسكاف "إسكافي"

- ز. ل. (ل) زلّ "زلق، عثر"

← ز. ل. ج. زلج و ز. ل. خ. زلخ "زلق"

- د. خ. (خ) دخ ← "دخان" د. خ. ن. "تصاعد (دخان)، أصدر دخاناً (نار)" مع الاسم دخان "ما يصعد من نار أو كل فائر".

3.1 الاشتقاق

1.3.1 الاشتقاق الصغير

هي الحالة الصرفية التي تشتق جميع الكلمات من جذر واحد : مع ع. ر. ب. "عرب" مثلاً

- عربي "الحضر"

- أعرابي "البدو"

- العربية "اللغة (العربية)"

- عارب "عامر، فائض (نهر)"

- إعراب "حركة أواخر الكلم، تحليل نحوي"

- عربية "مركبة، نقالة، سيارة"

، إلخ.

2.3.1 الاشتقاق الكبير

هو تناوب بين الحروف الصامتة بعضها بعض من جذر واحد. فمن جذر ثلاثي أ. ب. ج.، يمكن أن نحصل على خمس تقاليب أخرى (أ. ج. ب. - ب. أ. ج. - ب. ج. أ. - ج. أ. ب. - ج. ب. أ.).

وإنّ ذلك بعض من فقهاء اللغة من يلحق جميع هذه الجذور (المكوّنة من حروف واحدة - مشتركة -) بالدلالة ذاتها، فالمعنى المشترك لهذه التقاليب الست نادر، غير أنّ تواتر هذا الترادف يزداد عندما يقل عدد هذه التقاليب. بمعاينة الحروف المؤلفة للجذر ع. ر. ب. "عرب"، نلاحظ أنّ أربعة جذور مؤلفة من هذه الحروف (عرب، عبر، رعب، ربع) لها دلالة ذات علاقة بالعنصر السائل.

4.1 الإقلاب

بعض الكلمات تلتقى بحروف صامتة مشتركة، ولكن رصفها (ترتيبها) قد يتغير : هذا ما يسمى إقلاباً.

الإقلاب متواتر نوعاً ما في اللغات العروبية، إمّا في كلمات معجم لغة واحدة، أو في كلمات معجم لغتين أو أكثر،

- في اللغة العربية :

• برش- بشر "كشط، جرد، قشر".

• بلج- بجل " صار فرخا، جذلاً".

- في اللغتين العربية والبربرية :

• الأشقر- أشوراق "أصهب"

• الغزو- أزاع "غارة، هجوم"

• المصد- أسفيض "البرد" يابذل السّين (س) والصناد (ص)، والنتال (د) والضناد (ض).

5.1 الأحقّة

التمّة أو الأحقة، تنضاف دائماً إلى جذر الكلمة. ويمكن الكلام عن الرائدة، حينما تبقى تتمّة الكلمة سالمة. ويمكن لهذا الوضع الصرقي (ذي التبعة التحوية) أن يخفي جذر الكلمة أو أن يحرف معناه الأصلي. ويسمح ردّ الجذر إلى أصله بمعرفة مصدره.

في كتابنا "الرحلة المجهولة للغة قديمة، البربرية" بيّنا أن الأحقة اليونانية "س" منسوخة عن الأحقة العربية، بخاصّة على لاحقة اللغة البربرية (الإيريه-البربرية)، التي يظهر فيها عدد كبير من الكلمات "المقرونة" بالأحقة "س". هذه الظاهرة (الأحقة) تخصّ أيضاً لغات عروبية أخرى، وكذلك اللغة العربية المشتركة، حيث تتوافر على حروف زائدة كثيرة. وهكذا يمكن معاينة الحروف ب، ل، م، ن، ر، ط، ز، إلخ. وطبعاً السّين (س) في تتمّة الكلمات. هذه الكلمات في الأصل ألفت من جذور ثلاثية :

- مع "س" : " قسطاس "ميزان" من الجذر قسط "تصرف بعدل" مع قسط "عدل، توازن"¹

1. الميزان هو رمز العدل.

- ترفس "كَمًا"، من الجذر ترف مع ترفة "طعام شهى".
- عتريس "عنيف، معبأ، غول ذكر"، من الجذر عتر "أصبح قويًا، عات"، مع الصنفه عتار "عات، جسور، قوي" أو "وحشي (منطقة بكر)".
- فردوس (جمعه فراديس)، من الجذر فرد "توحد، وحيد" مع الاسم فرد "نسيخ وحده، متميز" والتعوت فرد "واحد، لا نظير له" وفريد "واحد، ممتاز، لا نظير له". الاسم فردوس له معنى "الجنة" في أرفع درجاتها (الأعلى، الجزء الأوفى (لا نظير له) للأبرار)، ويعني أيضًا "بستان، وادٍ خصيب"، وبالتالي مرادف لفظ جنة "الجنان، طوبى، التعيم"¹
- مع "ش" : • خربش "أفسد، أتلّف (كتابًا)"، من الجذر خرب "دمر، حطّم شيئًا"
- مع "ق" : • خربق : "أتلّف، مرق"، من الجذر خرب (معنى واحد مع الذي تحتمله الكلمة السابقة)
- حملاق "باطن الأحقان (الجفون)"، من الجذر حمل مع الاسم حمل "الزّن (سحابٌ مثقل بالودق)، شحن، عبء"
- مع "ب" : • جردب "أكل بنهم"، من الجذر جرد "تعري، صار عريانًا، جرداء (الأرض، الحقل)، مسلوخ، مقشّر"
- مع "م" : • جردم "أكل، قضم، التهم"، من الجذر جرد (معنى واحد مع الكلمة السالفة)
- برعوم "كم"، من الجذر برع "انتصر، برّ شخصًا، مهّر"

1. هذه الكلمة، في الجمع (فراديس)، من اعطت، في اللغات الأروبية parâdéisos (في اليونانية)، paradis (في الفرنسية)، paradise (في الإنجليزية)،... مع إبدال F بـ P.

• بلعم "مريء"، من الجذر بلع "ازدرد شيئا، تجرع" مع الاسم بلوعة
"مجرى تحت الأرض"

• حلقوم "حنجرة، بلعوم"، من الجذر حلق "ذبح، نحر" مع الاسم
حلق "حنجرة، بلعوم"

- مع "ن" : • عربن "أعطى عربوثا (عرباثة) لشخص" مع الجذر عرب (من
العنى نفسه)

• برهن "جلى شيئا بأدلة متينة" من الجذر بره (من العنى
نفسه)

- مع "ل" : • برمىل "صفحة، صهرىج" من الجذر برم مع الكلمة مبروم
"مدور/ مخروط، معقوص"

- مع "ر" : • جذمور "جذع شجرة مقطوع"، من الجذر جذم "قطع" مع الاسم
جذم "جذع، جذر"

• جذمار : مرادف للاسم السابق

• جوهر "حلي، حجر كريم، لؤلؤ" من الجذر جوّه "جعلهُ في
منزلة جام وشرف"

- مع "ط" : • جلفط - قلفط "دسر ألواح سفينة" من الجذر جلف او قلف (من
العنى نفسه)¹

- مع "ز" : • جربز "مخادع" من الجذر جرب "امتحن، ابتلى شخصا" مع الاسم
مجرّب "ممتحن، مخادع"

- مع "ف" : • عترىف "قوي، عات، جسور، وقح" من الجذر عتر "صار قويا،
عاتيا"، قد رايناه أعلى السياق : التعتان : عترىف (مع اللاحقة
"ف") وعترىس (مع اللاحقة "س") هما مترادفان.

1. هناك تناوب بين الجيم والقاف في كلمة "قلفط".

6.1 الإدخال

هو إدراج مقطع صوتي أو حرف (صامت أو صائت) في وسط الكلمة، مع الاحتفاظ بالمعنى نفسه (أو معنى قريب منه). ويمكن ملاحظة ذلك من خلال الأمثلة الموالية :

- ندي- تند "الندي للمرأة والتند أو التنداء للرجل، وقيل التند لحمٌ يُحيط بالندي"

- جث "جسد ميت" - حدث "قبر"

- حجر "حمية، حضن" - حنجرة "بلعوم، حلقوم" وحجرة "تحويطة، خلية"

- خشب "شدب" - خرشب "عمل بخشونة"

- حذق "أصبح ماهراً في" - حذلق "أبدى حذقه"

1.7 تناوب بين حروف صامتة و/ أو صائتة

يمكن لكلمات مترادفة (أو أفعال) أن تتفارق في إحدى حروفها التي تؤلف

الجذر :

أسماء :

- أرفة- عرفة "تخم، حد"

- أزة - هزة "لبس، ازدحام"

- بزر - بذر "حب"

- بومة - بوهة "طائر اليوم المعروف"

- ثعر- ثعل "ثؤلول"

أفعال :

- أشر- نشر "قطع الخشب"

- بخس - بخص "فقاً عين شخص"
- بدن - بطن "سمن / عظم بطنه"
- تكأ - وكأ "اعتمد على، اسند ظهره إلى شيء ما"
- خثم - خشم "له أنف أفطس، مفلطح / عريض"
- خشب - خشن "أصبح صلباً، خشن للمس"

2. الصوتيات والكتابة

1.2 الصوتيات

1.1.2 يمكن الوقوف على هيئة أداء واحدة

في مناطق مختلفة للعالم العربي.

إذا ما تدارسنا الصوتيات الحالية للمتكلمين باللغة العربية في المناطق المختلفة من العالم العربي، فبوسعنا رصد أن نطق كلمة واحدة، يمكن أن يتفاوت من بلد لآخر، ومن منطقة لأخرى، بل حتى بين قريتين متجاورتين¹.

هذا التنوع والجمعي هو نتيجة للهجرات الكثيرة التي تمت عبر القرون، انطلاقاً من أعلى بلاد الرافدين والمناطق المتاخمة، نحو أوطان آخر من شبه الجزيرة العربية، من جهة ومن أخرى، نحو وادي النيل وشمال إفريقيا. وما من أهل تكلموا لغةً عروبية إلا واستصحبوا معهم لهجتهم ونطقهم الخاص. فلنا يمكن أن نجد في إفريقيا (على سبيل المثال) مصدر أهل مختلفين أو قبائل مهاجرة، بواسطة لهجاتهم الخاصة.

1. يمكن أن يتفاوت النطق أيضاً، بين قبيلتين متجاورتين :

- في قبيلة بني تميم، تعوض العين (ع) الهمزة، وهو ما يسمى بالعننة
- في قبيلة هذيل تعوض العين (ع) الحاء (ح) : وهو ما يسمى بالعجعة
- في قبيلة فضاة يعوض الجيم (ج) الياء المضاعفة : فتميمي يصبح تميمج.

يمكن أن نمثل الخصائص الصوتية هذه من خلال اللهجات المختلفة التي نسمعها في بلاد ما، ولتكن الجزائر :

- ينطق القاف (ق) ق (أي الجيم المصرية)، بخاصة في المناطق الصحراوية والهضاب العليا - مناطق البدو - التي هي مناطق مرور قبائل بدوية. وهو التطق عينه الذي نجده في الصعيد (مصر)،

- القاف (ق) يعوّض القاف (ق) المذكورة سلفاً، عند الحضر أو في المدن التي أسسها أو سكنها الإيسبان الأجؤون في إفريقيا بعد سقوط غرناطة سنة اثنين وتسعين وأربعمائة وألف (1492) (الموافق لست وتسعين وثمانمائة للهجرة -896-) ،

- القاف اختفى واستعيز عنه بحرف صانت، في ناحية تلمسان، غرب البلاد. هذا الأداء مطابق لأسفل مصر أو بعض مناطق سورية ،

- القاف (ق) ينطق كافاً (ك) في منطقة جيجل ، وهو نطق نظير ذلك المسموع في بعض مناطق الفرات ،

- الكاف (ك) ينطق "تش" في بعض ضواحي جيجل (على سبيل المثال)، على غرار التطق المكرس في بعض جهات بلاد الرافدين (العراق وسورية) ،

- بعض الأصوات تأثرت بصوتيات اللغة البربرية، حتى وإن كان المتكلم غير ناطق بالبربرية. فلهذا تنطق الضاد (ض) أحياناً طاءً (ط) ، والتاء (ث) أحياناً تاءً (ت) ، والرّاي (ز) يمكن أن تميل إلى التفخيم : هي الرّاي المفخمة البربرية التي لا توجد -أو لم يعد لها وجود- في اللغة العربية ،

كما أن التبر المغربي، ميزة معروفة بين جميع اللهجات العربية.

ومن باب أولى، قبل اعتبار اللغات العروبية ككيانات لسانية متميزة، ينبغي فهمها، بصفة عامة، كاللهجات إقليمية، خضعت لتحويلات صوتية (بالغة نوعاً ما) على مرّ القرون، وحسب المناطق التضاريسية والمناخية.

إذا كان اللسان العربي، بمقدم الإسلام، قد عوض اللغات العروبية الأخرى (الندثرة اليوم)، فقد أورث جزءاً من خواصتها الصوتية، التي أضيفت ثانية للتطق الجمعي للغة العربية ذاتها. إذا كان متكلمو اللغات العروبية (البابلية، العربية الجنوبية، الأرمية، المصرية، إلخ.) قد هجروا لغاتهم الخاصة، نحو اللسان العربي، فقد حافظ هؤلاء على الأقل على نطقهم الإقليمي ونبرهم المميز. فلذا يمكن أن نخط جدولاً (غير شامل)، لاختلاف أوجه التطق التي يمكن الوقوف عليها اليوم أو استعملت قديماً في مختلف أجزاء العالم العربي.

2.1.2 أوجه نطق متباينة، حسب إبدال الحروف

الحروف أ و ...	أ و ب	أخ-بيخ "أصبح أبيض الصوت، سعل"
	أ و ع	إجل، جمعه آجال "قطيع بقر" - عجل "الحيوان المعروف"
		أزر-عزر "قوي، دغم، أعان شخصاً"
	أ و م	إحنة-محنة "الحقد، الغضب"
	أ و ن	أشر- نشر "قطع الخشب"
		أنة - حنة "تأوه، تحسر"
	أ و ح	أرث (أكادية) ¹ - حرث (عربية) "فلح، استصلح الأرض"
	أ و هـ	آل- أهل "قراية، عائلة"
الحروف ب	ب و ل	أبخص - الخص "الذي جفنه العلوي أهر (كت)"
	ب و د	جُب - جُد "بئر"

1. نجد هذا المعنى في القرآن ، « وأثأروا الأُرمَن » (سورة الزوم-الآية : 09) مع الصيغة الفعلية أثر (إقلاب الجذر الأكادي) من الجذر ثار.

و ...	ب و ف	جعب - جعف "أوقع شخصاً"
	ب و ن	خشب - خشن "غليظ اللمس"
الحروف	ت و ث	تير - ثير "نفق، ضيق شخصاً"
ت	ت و ب	خرب - خرت "ثقب، بزل، شق شيئاً"
و ...	ت و و	تكل - وكل "أوصى، عهد بشيء لشخص، توكل على الله"
الحروف	ث و ف	ثم - فم "عضو الإنسان"
ث	ث و س	خبث - خبس "خادع شخصاً"
و ...	ث و ش	خشم - خثم "له أنف أفطس، عريض"
الحروف	خ و ج	خرخر - جرجر "أحلت خريراً (الماء)"
خ	خ و غ	خرز - غرز "أخاطب ثقب بإبرة"
و ...		مع الاسم خرزة - غرزة "ثقب تصنعه الإبرة، غرزة إبرة"
الحروف	د و ر	خدش - خرش "حك، خمش، مرق"
د و ...	د و ط	بدن - بطن "سمن، صار بديناً"
الحروف	ذ و ز	بذر - بزر "زرع الحب، طمره، كفره"
ذ		مع بذر - بزر "الحب"
و ...	ذ و س	حذم - حسم "قطع"

حسب السيد يعقوب بكر في كتابه "نصوص في فقه اللغة العربية"، فقدت الأرمية استعمال النال (ذ) واستعاضت عنه بزاي (ز). وهذا التغير الذي اشرنا إليه في كتابنا "العرب محرّكو الأديان الحنيفية الثلاثة" بإعطائنا معنى الاسم الأصلي للتبّي زكرياء -عليه السلام-، وهي تسمية مشتقة من الجذر ذكر "استذكر، حمد/ سبّح لله"

الحروف	ر و ل	بّر - بتل "قطع، جزّأ، فصل"
ر	ر و ز	حاجر - حاجز "سدّ، بحر، حاجز"
و ...	ر و م	حرّ - حمّ "ساخن، محرق"
الحروف	س و ص و ز	بسق - بصق - بزق "تفل"
س	س و ز	حرس - حرز "عس، حمى"
و ...	س و ص و ق	بخس - بخص بخق "فقا عين شخص"
الحروف	ش و ص	بشر - بصل "جرد، فشر"
ش ... و	ش و ط	خرطوم - خرشوم "أنف عريض، جبل وعر، خرطوم الفيل، خطم"
الحروف	ع و ن	انطى (في العربية الجنوبية) - أعطى (في العربية الوسطى) ¹
ع ... و	ع و م	امطى (في الأرمية والحبشية) - أعطى (في العربية الوسطى)

1. التطق ذاته يلتقى عند قبيلة سعد بن بكر.

الجروف ف و ...	ف و ق	حرف - حرق مع حرف "خيط، حذ الشفرة"، وحرقة "قاطع (السيف)"
الحروف ل	ل و ن	ذلك - فلك "ذلك، ذاك" ﴿فَذَلِكَ بَيْنَ يَمَانَيْنِ مِنْ رَبِّكَ﴾ (سورة القصص - الآية 32)
و ...	ل و م	جذل - جذم "جذع شجرة"
الحروف	م و ج	مس - جس "تلمس بيده، تفحص بيده"
م و ...	م و هـ	بومة - بوهة "طائر البوم"
حروف مختلفة	ص و ظ ب و م	حصرم - حظرب "شد القوس"
الفاء (ف) تنطق ياء في بعض المناطق		
القاف (ق) ينطق جيما (ج) في بعض المناطق : بلقة تصبح بلجة ¹		
الجيم (مرفقا) ينطق ف في بعض المناطق ²		

1. A. Jaussen في كتابه "عادات العرب في بلاد موب".

2. يمكن لهذا التنطق (التناوب بين القاف والجيم) والآخر المشار إليه أعلى السياق (التناوب بين القاف والقاف) يمكن أن يثنى، بالضبط في اللهجة المصرية (تحليدا في أسفل مصر)، بالتصويت الخاص للجيم المصري، الذي ينطق ف : فمثلا ينطق الجمل فملا. يمكن أن يتفسر هنا التنطق، فيما يبدو لنا، بتناوب مضاعف، في الأساس : حول الجيم إلى قاف، ومنه إلى قاف. وهو ما يكشفه لنا معجم اللغة العربية، فيما يخص التناوب الأول (الجيم والقاف) مع تواجد كلمات كثيرة (أسماء وأفعال) ذات دلالات مشتركة (أو جد متقاربة)، كلمات يتألف جذرها تباعا من الجيم (كما القاف).

نعرض بعض الأمثلة على سبيل التمثيل :

- جرح "أدنى شخصا" مع الاسم جرح "كلم، كلمة" ↔ قرح (مرائف) مع الاسم قرح (مرائف)
- جرش "كسر، جرح غائر، طحنه بشكل خشن (القمح)" ↔ قرش "قطع، جمع ووحد"
- جرع "شرب دفعة واحدة" ↔ قرع "أفرغ الوعاء (سكّير)"
- جرم "قطع، بتر" ↔ قرم "قضم بالأسنان"

الدال (د) ينطق في بعض المناطق جيما (ج) ، بلدة تصبح بلجة
الجيم (المفحمة أو المستفالة) تنطق ياء (ي) في بعض المناطق جبل تصبح يبل ¹

وقد قيد A. Van Der Branden في كتابه المعنون "الصرف الفانقي" إبدالات أخرى للحروف في اللغة الفانقية :

- حرف الميم (م) يبدل أحيانا بنون (ن) أو باء (ب) (وهو الفرق الملحوظ في اللواحق بين البابلية والسبئية والفانقية والعربية)
 - حرف الغين (غ) في العربية يصبح عيتا (ع) في الفانقية
 - التناوب بين اللام (ل) والتون (ن) متوافر كفاية
 - يصبح التاء (ت) أحيانا طاء (ط)
 - يبدل التاء (ت) أحيانا دالا (د)
 - يبدل الخاء (خ) حاء (ح) في الفانقية
 - يبدل الكاف (ك) أحيانا جيما (ج) أو قافا (ق)
 - يجري التناوب بين الحروف : الألف (أ) والواو (و) والياء (ي) (حروف العلة)
- وقائمة هذه الإبدالات أو التناوبات والإقلابات غير كاملة على الإطلاق. نعثر على هذه الفروقات الصوتية الإقليمية أيضا في أيامنا، واللغة العربية المكتوبة إحداها : لذا يتكلم بعض اللسانيين عن العربية الغربية والأخرى العربية المصرية أو تلك العربية السورية أو العربية اليمنية، إلخ.

- جفف "أفزع شينا، انهار (الجدار)" مع الاسم جفاف "الذي يجرف بكل شيء" (طوفان) ↔ ففف "أجنت شجرة، أوقع شخصا" مع الاسم ففاف (مرادف)
 - جفف "ذهب بالله" ↔ ففف (مرادف)
 - جلفط "سد الواح السفينة" ↔ قلفط (مرادف)
 1. A. Jaussen ، مرجع سبق ذكره.

2.2 الكتابات والتهجيات¹

1.2.2 الحروف الصامتة والصائتة

يقدر E. Dhorme² أن . ساميو الجنوب هم من حافظ على الصوامت في مجملها. كما أن الخطوط المنقوشة السبئية والميناوية، تستعمل تسعة وعشرين صامتاً. وهناك حرف ذو طبيعة خاصة ضاع من العربية، فتقلصت إلى ثمانية وعشرين صامتاً. وأما التصوص الحبشية القديمة فيعدّ فيها سبعة وعشرين صامتاً، بإقصاء حرف صفيّر وآخرين نطعيتين، فأصبحت أربعة وعشرين. الأرمية والعبرية³، بفقدتهما بعض الحروف الحلقية والمفحمة، لم تستبقيا سوى اثنين وعشرين حرفاً صامتاً. وختاماً فحذف الحروف الحلقية في البابلية، جعلها تحصى عشرين صامتاً، والأشورية تقلصت إلى ثمانية عشر بحذف حرفي العلة : الواو (و) والياء (ي) ..

وفي كلامه عن الحروف الصائتة، أضاف المؤلف نفسه : ، إذا انتقلنا من الصوامت إلى الصوائت، ومن الصوائت إلى الصترف والتحو، باعتبارها هي الظاهرة الأساسية، إذ أن الإعراب (بالحركات) هو الذي يُعلم دور الكلمة في الجملة السامية، للاحظنا هنا أيضاً الروح المحافظة للعربية..

2.2.2 التهجيات

،الهجاء الأوقريتي (السماري) يمثل لنا إرهاباً للتهجيات السامية الجنوبية، بعدد وطبيعة صوامته المتناسبة مع الصوامت العربية، التي تعدّ من الألف ثلاثاً، لها أن تشغل وظيفة ثلاثة صوائت : آ، أو، إي، مما يرتقي بمجموع الرموز

1. نقدم هنا بعض الإشارات الرجعية، التي تخص هذا الموضوع، الذي عولج، في غير ما كتاب بشكل مستفيض، من طرف كتاب مختصين، عرب وغير عرب.

2. مصدر سبق ذكره.

3. يتعلق الأمر بالفانقية، كما بيّناه أعلى السياق.

المستعملة إلى ثلاثين. لقد حافظت اللهجة الفانقية الأوقريتيّة على أقدم حالات الحروف الصامتة السامية.

في المخطوطات النقوشة السامرية للسلالة الملكية البابليّة الأولى، نلتقي مع كامل تشكيلة الصيغ الفعلية، التي ظلت في العربية الفصحى وعددها عشر. ممّا ييسّر المقاربة بين البابليّة القديمة والعربية الفصحى، هو أنّ التحاة الذين أدخلوا الهجاء العربيّ برموز صوتيّة، أعرضوا عن التطق العامي، واحتفوا بما يمكن تسميته القراءة العلمية ... فلو أنّنا قارنا بين تصريح الاسم في البابليّة القديمة والعربية الفصحى، فإنّ التتمّات هي نفسها في كلتا اللغتين ... وهو التأكيد الصّارخ عن الرّوح المحافظة للتحاة، الذين وضعوا تقييداً اللّغة الفصحى للإسلام.¹

حسب Ph. Hitti، في كتابه "تاريخ العرب" اشتقت الكتابة السبئية أو الحميرية (العربية الجنوبية) من الكتابة السينائية، وسميت هي الأخرى المسند، إشارة إلى طبيعة رسم حروفها.

أمّا الهجاء السينائيّ فيرجع إلى خمسين وثمانمائة و ألف (1850) قبل الميلاد، وهو من بشرّ بالهجاء الفانقيّ، وهذا المذكور أخيراً هو أصل الهجاء الإغريقيّ وجميع التهجيات الأوروبية.

3. للعجم

1.3 عموميات

يشير القاموس العربيّ-الفرنسيّ "للأب" J.B. Belot إلى كلمات عدّة مستعملة في سورية أو في لبنان (وهو موطن فانقيا القديمة) ولكن لا أثر لها بين كليم سائر بلاد المشرق. في حين أنّنا نجد الكلمات ناتها في المغرب، خصوصاً في الجزائر، وهو ما يُرافع بقوة لصالح أصل معجميّ فانقيّ. هذه الهوية المعجميّة، في كلتا النطقتين، تعود إلى كون الفانقيّين سكنوا في وقت جدّ مبكّر بلدان المغرب العربيّ من جهة، وكون اللغتين البربريّة والفانقيّة كانتا جدّ متقاربتين، من

1. E. Dhorme، مصدر سبق ذكره.

جهة أخرى -قد رأينا ذلك أعلى السياق- إلى غاية أن بعض المؤلفين صرحوا أن اهالي شمال إفريقيا تكلموا البونية (وهي لغة مزيج من الليبية والفانقية).

فضلاً عن هذا، يمكن رصد حضور عدد من الكلمات الفانقية (الكنعانية) في معجم العربية الفصحى، وهي كلمات عبّرت القرون، محتفظة بحيويتها. كلمات مثل يم "بحر"، لبن "أبيض"، بعل "رب" أو "زوج"، "سيد"، تعتبر كلمات عربية كاملة الانتماء، وتظهر كما هي في جميع المعاجم.

كما نجد كلمات عنة كلنية أو أكادية في معجم لهجات بلدان الرافدين، وأخرى قبطية¹ في اللهجة المصرية، وقسط كبير من الكلمات البربرية في معجم اللهجة المغربية. وهكذا مرّت كلمات كثيرة من اللغات العروبية أوأبت في معجم العربية الفصحى (أي أنها قد مارت).

بعض الكلمات العربية يقدمها علماء الاشتقاق على أنها فارسية، وهي في الواقع كلمات بابلية (أو عروبية) على نحو :

- طاووس "الطائر ذو الألوان الزاهية المسمى طاوساً"

في العربية يعني الجذر ط. و. س. طاس "استعاد نضارته بعد علة وسقم (محيأة)" والصنغ الفعلية طوس "تزین" وتطوس "تجملت (امراة)" مع الاسمين طوس "قمر، وجه متهلل/ وجه نضر لشخص نقه" وطاووس "أي الطائر" طاوس أو طاووس هي أيضاً اسم (شخص) مذكر ومؤنث : وقد تلقب به أحد صحابة الرسول -صلى الله عليه وسلم، ورضي الله عنهم- (أشير إليه في صحيح البخاري).

- درهم "قطعة نقود فضية"، وهي كلمة أصلها (في البابلية) "درج - منا"

- كنيسة "صومعة أو بيعة" تعني مكان تجمع المعتقدين

١. "القبطية"، هي تبديلة للكلمة اليونانية aiguptos التي تعني "المصرية".

وهي الكلمة كنيشتو البابلية، ذات الأصل كناشتا أو كنيشتو "مجموعة رهبان" وقد انتقلت هذه الكلمة إلى الأرمية بالجنر كنش الذي يعني "جمعية"، واشتقت منها كناست بآرمية "الكتاب المقدس" بمعنى الجمعية، وبالتوسيع الدلالي "مقر البيعة" (أو "دار الجمعية"). وهو الجذر الذي نلتقيه في العربية مع كنس "دخل في حجر (كناس) (غزال، أيل)".

- التوروز والثيروز : أول أيام السنة الشمسية الإيرانية. وهذا الاسم مؤلف من نور "ضياء، بريق" أو نير "لامع، مشع" و روز أو روس (كتابة ثانية لرأس) بالكنعانية "أصل، زعيم، رأس (في البحر)، هامة، مبدأ".

- أنو : هو آلهة السماء في مجموع الآلهة البابلي. هو السماء التي تمطر الغيث، نجد هذا الاسم في البربرية، ذا علاقة بالماء : أنو يعني "نبع ماء، بئر"، كما أنه في العربية ينعت التوء "الطر"، وهي كلمة نارج استعمالها في الغرب، بهذا المعنى الأخير.

إذا ما أخذنا في الحسبان التناوب بين الألف (ا) والعين (ع)، وبين الواو (و) والياء (ي) (لقد رأينا ذلك في الدرج السالف)، فيمكن أن نلاحظ أن الكلمتين أنو وعين، تتألفان من حروف واحدة، وهما مترادفتان (يمكن الانتقال من واحدة لأخرى بعد الإقلاب).

تفسر القرابة المعجمية الوطيدة بين اللغات العروبية هذا النهج (السيرورة)، واصل أهالي بلاد ما، بعد التاريخ الهجري، استخدام كلمات (مفردات) لغاتهم العروبية الخاصة المتداولة قبل مجيء الإسلام، أو الأخرى ذات الاستعمال الفريد - إضافة إلى مرادفات بالعربية-. وهكذا أدخلت كلمات عديدة عروبية وأعيد إدخالها أو تبنيها، من طرف اللسان العربي، بعد مجيء الإسلام. هذا اللسان، حالاً مقام اللغات الأخرى، احتضن كلمات كثيرة من اللغات السليلا، مما أسهم في إثراء (تطوير) معجمه وتنويعه.

تسمح لنا معرفة اللغات العروبية بأن نفهم بشكل أفضل اللسان العربي في دلالتها، ومن ثمة محاولة تفسير آيين للتصوص القرآنية¹. فمثلاً، أشير في القرآن الكريم، إلى اسم أزر، بصدد الكلام عن والد إبراهيم -عليه السلام- : مؤلفون كثر استفاضوا في شرح هذا الاسم. قال بعضهم بأنه اسم علم، ورأى آخرون أنه لقب، إلخ. في الحقيقة أزر، كلمة بابلية ترادف الكلمة العربية "عزيز" التي لها معنى "قوي، قادر"². وهذه الكلمة استخدمت لوصف وزير أو شخصية رفيعة، كما كان مع النبي يوسف -عليه السلام- في مصر (سورة يوسف - الآية : 78) أو ذلك الذي رغب به واحتضنه (سورة يوسف - الآية : 30).

يقدر بعض المؤلفين -بالاعتماد على شهادة الرواية- أن جميع كلمات القرآن عربية ، وكتاب آخرون (بخاصة المستشرقين، وعلى أثرهم نفر من الكتاب العرب) يزعمون أنه توجد كلمات أجنبية خارجة عن نطاق اللغة العربية في القرآن، ويذكرون منها : قنطار، قسطاس، دراهم، فردوس، إلخ. جميع هذه الكلمات، حقيقة، كلمات عربية، وغالباً من جذر رباعي، مشتق من جذر ثلاثي -وقد ابرزنا ذلك في هذا الفصل-.

يفهم بمشقة (جداً) نص قرآني بعض كلماته لا تنتسب إلى معجم اللغة العربية (أو إلى تلك اللغات العروبية) ولا يستوعبه الأهالي المخاطبون به، وهو ما يتعارض مع تكرار -مرات عدة- الإشارة -بخصوص القرآن- "بلسان عربي مبين".

2.3 الأضداد أو الأسماء المتضادة

تحوز اللغات العروبية عندنا من الكلمات التي تدل في الإبان ذاته على الشيء وضده. وسياق الكلام (الجملة) هو من يسعف في تحديد أي من المعاني يراد لهذه الكلمات. على سبيل المثال :

- ترَب وأترَب : "أثرى" - "افتقر"

1. حسب الرواية، قد كلف الرسول -صلى الله عليه وسلم- بعض صحابته للراسة السريانية.

2. صرح الطبري أن أبا إبراهيم كان حاكم كلنا ومقطع الملك نمرود.

- حشمة "تواضع، تحفظ، خجل" - "غضب".

- احم "ابيض" - "أسود".

- شعب "تفرق" - "تجمع".

- قعد "جلس، يقعد" - "انتصب".

3.3. ثراء اللسان العربي المعجمي وتعدد المعاني

اللغات العروبية، لغات حضارات على امتداد آلاف السنين، صفت الكلمات ونخلت التعابير، وسمت بدقة الأعيان (الأشياء) والجمادات والحيوانات، التي فقهها المتكلمون بهذه اللغات المختلفة. هؤلاء المتقدمون تكلموا عن أفكار واعتقادات ومفاهيم في ميادين متنوعة كالشعر أو فن الصفاء، الطب أو العمران، الري أو الزراعة، العلوم أو النين، إلخ. أي أن كل معجم في كل لغة عروبية، كان غنياً بحد ذاته. وحينما ظهر الإسلام، سرت اللغة المشتركة جميع هذه المعاجم (أو على الأقل جزء منها)، التي ستضاف إلى رصيد اللسان العربي وتثريه¹.

فضلاً عن هذا، جعل تواجد مترادفات عديدة، وكلمات ألفت بوساطة الإدخال أو الإقلاب، وكمية كبيرة، من الكلمات المقرونة بحرف لاحق، وبخاصة العدد الكبير لإبدالات الحروف، كل هذا جعل من معجم اللغة العربية مدهشاً بقدر تفصيله. وأصبح تعدد المعاني قاعدة ودينا لغوياً.

1.3.3 تعدد المعاني

أغلبية الجذور لها أكثر من معنى. حينما تنعت اللغة العربية شيئاً أو كانت حياً، فتسميته ذات علاقة ببنية أو وظيفة (بنية أو وظيفة هذا الشيء أو الكائن الحي)، جوهره أو جنسه، خواصه المختلفة أو ميزاته، مزاياه، عيوبه، ...

1. هناك أكثر من خمسمائة (500) كلمة عربية، تستخدم لوصف الأسد، وأكثر من مائتين (200) لوصف الحية، وأكثر من ثمانين (80) لوصف العسل. ونجزم بوجود على الأقل ألف (1000) كلمة تعني السيف، وأربعمائة (400) للتعبير عن الألم/ الحزن. وقد احصي أربعة وأربعون وسبعمائة وخمسة آلاف (5744) كلمة مرتبطة بالجمل ...

١ / أسماء أعلام

وهكذا ترجمت أسماء عروبية عدة من بلاد الإغريق، بخاصة تلك المشار إليها في الأساطير القديمة (مثل التي ترسم في إلياذة عمر، مثلاً). واسم علم واحد يمكن أن يحتمل معنيين أو ثلاثة متلازمة، هذه المعاني تتوافق مع أسطورة البطل، الذي يتلقب بهذا الاسم، أو بتعريفه^١:

- عقيل، ملك المورمدون : اسم من الجذر عقل "ربط، أوثق القدمين"، مع الصفة عقيل^٢، التي يتماشى معناها مع تعريف هذا البطل. من أجل أن تجعله أمه معصوماً من الجروح، غمسته في نهر إستوك، ممسكة إياه من عقبه (كعبه) الذي ظل عطوباً. دلالة ثانية للاسم عقيل هي "حكيم، فطن" توافقاً مع تنشئة عقيل، الذي نال تربية أحسن المؤذنين، فانق وخيرون. معنى ثالث، مع الجذر نفسه هو "دفع فدية قتيل" : خلال حرب ثورا، قرّر عقيل استئناف القتال (ضد الثوراويين) بعد موت رفيق طفولته فاطر-عقل، الذي قتله عقد-ثور، ابن بر-ريم. وثأر لرفيقه بقتل عقد-ثور،

- هالان، ابن دعة-عليون، وسلف الهلانيين : وهو اسم من الجذر هل "سقط بعنف (وابل المطر)" أو هلل "خاف، لاذ هارباً" -مع إبدال بين اللام والتون-. لهذين المعنيين علاقة مع الطوفان (طوفان دعة-عليون)، الذي دفع إلى فرار (أو هجرة) هالان (وعائلته) نحو ناحية أخرى،

- عذاب، ابن يوقسط وليا، ملك طيبة^٣، اسم جذره عذب "عاقب، قوم، كبّد معاناة، أوجع"، مع الاسم عذاب جمعه أعذبة "عقوبة، وجع، نكال، ألم"، معانٍ

١. انظر كتابنا "تاريخ الاستعمار العروبي في بلاد الإغريق القديم، من خلال علم الأساطير وتسمية الأماكن والعلميات والعجم".

٢. عقيل، اسم عربي.

٣. حسب موسوعة "Grand Larousse Encyclopédique"، أبولو-ثور، (ابن قادم الفائق) هو جد لعذاب، عبر حفيده لينا، في مسرحية صفو-عقل "عذاب-الملك" يقول للوك الطيبي عذاب : يا أولاد يا سلال الجدد للجد قادم

تتوافق مع هذا البطل الطيّب، الذي قتل أباه وتزوج أمه وفقاً عينيه، تصديقاً لما تنبأ به الكاهن.

في مسرحية عذاب-الملك، في آخر مشهد، استخدم صفو-عقل -على لسان عذاب- الكلمات نفسها التي يحندها الاسم عذاب : ، الويل لي ! كما يغرزون مشروط الألم ... هذا التكال المبرح الذي أتكدب ... إذا كان لنا شراً من الألم، فهو قدر (حظ) "عذاب". وكتب، دائماً بخصوص البطل : ، اليوم، شجن، غواية، موت، عار، من جميع الولايات التي لها اسم، ولا واحدة تعزب عن الذكر .

كما يمكننا، تأويل أسماء عدة مشار إليها في "العهد القديم"، مثلاً :

- يعقوب، مذكور في "العهد القديم" ¹ :

• الفعل عقب يعني "أصاب، ضرب شخصاً على عقبه"، كما أشير في "سفر التكوين" : ، أخوه، الذي شدت يده على عقب عيسو . ،

• الاسم عقب ينعت "عقب القدم، الابن الذي يلي مباشرة"، كما ورد في "الكتاب المقدس" : ، بعد الأول خرج أخوه يعقوب" . ،

• الاسم عقوب، يعني "خليفة جدير" وعاقب " وكيل، خليفة، قائم مقام"، كما يشرح في "العهد القديم" : ، أحد هذه الشعوب (التي تخرج من صلبك) سيكون أقوى من الآخر وسيخضع الأكبر للأصغر . هذا يعني أن يعقوب، الأصغر باركه أبوه . الذي، جعله قيماً على أخيه عيسو، ("سفر التكوين").

ب/ أسماء جنس أو أفعال

- علم : يمكن أن يدل على "رمز، دال، علم، معرفة، جبل"

- بيت : (مثل الثصب "بيتنيل" يمكن أن يحتمل المعنى "دار، مسكن، معبد، مسجد"

- قرن : قرن الحيوان، قرن استشعار (الحشرات)، قمة الرأس، حد مدبب، زاوية حادة، وقت، عمر، جيل، ...

1. انظر كتابنا "العرب محرّكو الديانات الحنيفية الثلاث".

- رقى "صعد، ارتفع بدرجات" و"استخدم السحر، الشعوذة" و"داوى مرضاً/ وجعاً بقراءة القرآن"

- واحدة من بين الأمثلة المنقولة من التصق القراني، ويمثلها الفعل حمل :

﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الثَّوْرَاتُ لَمْ يَحْمِلُوهُمَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ (سورة الجمعة- الآية : 5).

الجذر حمل يحتمل ثلاث دلالات :

• "عتل ثقلاً، عبنا"

• "حفظ عن ظهر قلب (كتاباً)"

• "تثمر فاكهة (الشجرة)؛ يحبل، يفيض (التهر)"

تفسر الكلمة الأولى "حملوا" بـ"حفظ عن ظهر قلب" (كتاباً) ، الكلمة الثانية "يحملوا" لها معنى "رفع، أثمر (شجرة) ؛ هنا أيتع علماً (كتاباً)، أفاد (غيره)" ، الكلمة الثالثة من الآية (التي استعمل فيها ثلاث مرات هذا الجذر)، "يحمل" تعني "عتل ثقلاً، عبنا" (تتكلم عن بهيمة العتالة هذه).

2.3.3 الاسم في لغة عروبية، يمكنه بإبدال أحد حروفه الحفاظ على

المعنى ذاته في لغة عروبية أخرى

- بر يعني "ابن" في الأرمية والفانقية وينطق بن في العربية،

- انو، الذي معناه "نبع ماء، بئر" في البربرية يصبح عين في العربية "نبع ماء، ثقب، أخدود، عين (الإبصار)..." ،

- أيرد في البربرية تتحول إلى وُرد في العربية أي "أسد"

4. حول تكون بعض الكلمات من معجم اللغات العروبية

لقد رأينا في بداية هذا الفصل، بواسطة بعض الأمثلة، أن الجذر الثنائي مضاعف الحرف الثاني، يمكن أن يعطي جذوراً ثلاثية (مع حرف ثالث متغير)

بمعنى واحد أو قريب. كما أن كلمات من اللغة العربية المشتركة يمكن أن تساعد في تأليف (أو إعادة تأليف) بعض كلمات من معجم اللغات العروبية، كلمات ذات مقطع صوتي وحيد، أساساً، وهو ما يحيل بصفة طبيعية على قرابة اللغات العروبية فيما بينها، من جهة، ومن أخرى، قرابة هذه للتقدمة مع اللغة-الأم، وهو أيضاً ما يحيل على واقع حيازة كلمات كثيرة بكتابة متقاربة، دلالات متجاورة، إن لم نقل متطابقة. وبهذا الصدد، كتب E. Renan : نحن مدعوون لتمثيل كل جذر سامي على أساس أنه يتألف من حرفين جذريين، إليهما ينضاف ثالث، مما لا يعمل إلا على إعطاء للعنى الأول اطيافاً (ظلالاً، معانٍ، ذي علاقة بالعنى الأول) وأحياناً لا يؤدي إلا إلى استيفاء الوزن الثلاثي. وحيدات اللقطع الصوتي ثنائية الجذر هذه (أي بحرفين)، للحصول عليها بهذا التحليل، تستثمر لصالح الطرح الذي نعرضه، بأصل مشترك لمجموعات كاملة من الجذور الثلاثية لها جوهر دلالة واحد.¹

يمكن تقديم مثالين عن هذه السيرورة التكوينية، الأول بجذر فانقي، والثاني بجذر آخر من اللغة البربرية.

1.4 مع الجذر الفانقي : "ار" أو "ز"

تعني الكلمة الفانقية "ار" حجراً، جبلاً، ويمكن كتابتها "ر". وبهذا الشكل الأخير، بخاصة نجدها (الكلمة "ر") في العربية (أساساً في مستهل أو ختام الكلمة)، وفي كلمات يكون فيها المعنى، عموماً، ذا علاقة بالحجر، الصخر أو الجبل، أو في كلمات دلالتها مرتبطة مع الشكل أو الخواص الطبيعية للحجر. جميع الكلمات التي سنورد أدناه، مقتبسة من المعجم العربي - الفرنسي J.P. Belot :

ا/ أفعال

- 1- ج. ج. أج "تسغر (التار)" ← اجر "انضج (الآجر)" مع آجرة
"حجر بناء منضج على التار"

1. مصدر سبق ذكره.

- ب. ث. ث. بث "بعثر شينا" ← بثر "مقزح، أو تكسوه النمل" مع بثر "فرحة، دمل"
- ا. ك. ر. اكر { "حرث (الأرض)"¹ مع بحرة "بلد، منطقة"
- ب. ح. ر. بحر
- ج. ز. ا. جزا "قسم شينا، اخذ حصنة / قطعة من" ← مع جزيرة "أرض مطوقة ماء"
- ا. ج. م. اجم "مسعر، شليد (نار)" ← جمرة اي "مادة تلتهب" وجمرة "حجر صغير / جندل"
- ب. ع. ع. بع "هراق لاء" (سطبة) ← بع "رث (للشية)" مع بعرة "جلعة، روث"
- ج. م. م. جم "صار متوفرا، فياضا" ← رجم "رمى الحجارة"
- خ. م. م. خم "كنس، نظف (النزل)" ← رخم "لطف، نغم" مع رخام "مادة البناء والفنون"²

ب/ أسماء مع "ر" في نهاية الكلمة

- بذر	و بزره "ما يطمر / يَكْفَرُ لينبت، حب"
- بصره	"حجر لين" وجزه "قلة، خابية"
- بر	"اليابسة"
- تبر	"برادة الذهب أو الفضة"

1. يكن معاينة الكلمة اكمال في البربرية وا. ك. ل. في الأمازيغية "رض"، من جذر واحد للفعل اكر في العربية- يابلل بين الرء واللام-. الفعل "حرث" في البربرية يترجم بالرز من جذر واحد وكما الكلمة العربية (بالتناوب بين ق و ك) بزيادة الألف ز.

2. للرمر، مادة ناعمة وملساء، لها هذه الخاصية الصابة والتقية، مثل "مكتوس، منظف".

- ثبرة	"أرض غائرة" وثبير "اسم جبل"
- بنر	"جب" وحجر "صخر"، حاجر "جدار"

ج/ أسماء مع "ر" في وسط الكلمة

- بردة	"حبة البرد" وبرادة "نشارة الحديد"
- برمة	"وعاء حجري"
- ترب	{ "أرض"
- ترباء	
- ثربة	
- أرم و إرم	"حجر منصوب في الصحراء" ¹
- هرم	"الهرم، الشكل الهندسي أو المعماري المعروف"

د/ أسماء مع "ر" في بداية الكلمة

- رتاجة	"جلمود، صخر"
- رجلي	"صلب، صلك (أرض)"
- رجمة	"كومة أحجار"
- ردم	"انقاض متهاوية ومتراكمة، بناية محطمة"

1. يمكن تجزئة هذه الكلمة إلى لر "حجر" وكلمة ثانية فانقية "رم" (او زم او رم) "عال، مرتفع"، التي نلتقيها في اسم ملك فانقي أخ-رم.

- رأس	"رأس (دخول اليابسة في البحر)، قمة، هامة ..."
- راسح	"جبل سفحه مروي" ¹

- جميع الأفعال والأسماء التي ذكرناها للتو سيقَّت على سبيل المثال (انظر الملحق الرابع).

عشرات أخرى، التي إحدى جذورها (أو إبدالاتها)، موجودة في معجم اللغة العربية بالوجهة الدلالية التي نبهنا إليها. بطبيعة الحال توجد كلمات تألفت بالجذر "ر"، الذي ما من علاقة دلالية له مع "حجر" أو "جبل" : في هذه الكلمات، هذا المقطع الصوتي ما ينبغي له أن ينتسب إلى معجم اللغة الفانقية، ولكن ينتمي إلى معجم لغات عروبية أخراة.

2.4 مع الجذر البربري : "سك" (أو إشك)

لهذا الجذر دلالات كثيرة : "بوق، قمة جبل، جبل صغير، أنف الجبل" وأيضا "منقار، حد مدبب، أداة قاطعة، قرن ...". نعر على هذا الجذر البربري إما في الحالة المرجعية الأصلية أو في حالة التركيب، في كلمات عديدة من معجم اللغة العربية.

أ/ في الحالة المرجعية الأصلية

- سك	"مسمار، زرد معقود"
- سكة	"سكة المحراث، زاوية، سكة لدمغ المعادن والتقود" وأيضا "طريق، نهج" ²
- سكي	"مسمار"

1. الجزء الثاني من هذا الاسم، ينبغي أن يكون الجذر وشح "وضع حزاما، طوقا لشخص، حلّ، جمل شينا"، مع الاسم وشاح "طوق، حزام".

2. السكة هو طريق يجتاز أو يعبر حيا، أو تجمعا سكانيًا.

- شكّ	"شقّ يسير في العظم"، أيضاً "الريب/ الظنّ، الشبهة" ¹
- شكّة	"ضربة حدّ"
- شكّة	"سلاح"
- شوكة	"شوكة الثّبات، رأس مدبّب، سلاح، ميسم (الحشرة)، مهماز "منخص"

ب/ في الحالة المركّبة، مع الجذر

- سكت	■ سَكَت "الذي ينهش فجأة (أفعى)" ■ مُسَكَّت "آخر سهم"
- سكف	سكافة "ترقيع التعال، مهنة الإسكافي" (الذي يخيط أو "يخرم" الجلد)
- سكن	سَكَن "مديّة، موسى"
- شكر	"طعن شخصاً، جرحه بسيف"
- شكّم	"عضّ شخصاً"

3.4 كلمات ذوات الجذرين (البربري والفانقي)

يمكن أن نعثر على الجذرين المذكورين، "ر" و "سك" في الفعل سكر "ملأ (وعاءً)، حَجَزَ مجرى ماء"، معنى يلتقي مع الدلالات الخاصّة بكلّ جنر، (أو الجندر شكر، الذي ذكرناه قريباً من السّياق). أمّا الجندر "ر"، فهو الحجر الذي يستخدم أداة لتشكيل وعاء، حوض ... أو جبيل ("كديّة")، يحجز مجرى ماء.

نجد الجندر سك (سك) في الفعل سكب "سكب، إهراق (الماء)"، معنى له علاقة بالقرن الذي نستخدمه كركوة للشرب.

1. هو رأي أو فكرة (سلبية) تبرز بخلد شخص.

الاسم سكر الذي يعني "للأداة المعروفة المستعملة للتخلية، عنب محلى، رطب" له معنى يتفق مع شكل أو هيئة الحجر (حبة رمل، حصياء، حصاة، جمرة، حجر، إلخ.). يمكن تفسير هذه الكلمة -باعتبار معنى أصلها- بـ "صخرة مكسرة، مصهورة أو مشققة". يظهر سكر القصب المبلور المسمى بالقتد، ببلورات كبيرة شفافة وصلبة، أما العنب الجاف (الربيب) أو الرطب، فلهما خاصية الأحجار أو الحصى الصغيرة¹.

نجد الجذر سكر في تسمية مكانين في الجزائر :

- بسكرة : هو اسم واحة ومدينة تقع في الجزء الشمالي للصحراء. يتكوّن هذا الاسم من ب أو بو التي تعني "أب، مالك..."، من جهة، ومن جهة أخرى، "إسك" و "ر" اللذين حدّدناهما أعلى السياق. يمكن تفسير تسمية المكان هذا بالتالي بـ "مدينة الأحجار المتصدّعة أو المشقوقة" أي "مدينة الرمل"، والرمل هو حاصل تكسير وسحن طويل للحجر².

يمكن أن نلاحظ أنّ كلمة واحدة (سكر) تنعت السكر كما الرمل -في الأصل- وهو ما يتفق مع تحديد هاتين المادتين وتشابههما التشكيلي.

- أسكرم : اسم جبل، في الأهقار (جنوب مدار السرطان). يعني هذا الاسم "قمة (أو أنف) الجبل والجبل المرتفع" أو "سلسلة الجبال" إذا اعتبرنا أنّ الكلمة رَم دال جمع.

4.4 مع جذر آخر بربري، "ر"

جذر ثانٍ بربري -بالتحديد ر- يوجد أيضاً في تركيب كلمات معجم اللغة العربية (انظر الملحق 2.4).

1. الجذر البربري اسكر له معنى "نفخ الغبار" (الغبار باعتباره "ترب أو كل مادة تؤول إلى طحين رقيق") وكذا معنى الجذر إسكيري "فصل، نشر، تحطيم".

2. الرمل هو حاصل حت طويل للصخور، بفعل المؤثرات الطبيعية (هواء، أمطار، لذّ والجزر، ...). مكوناته تقريبا صوانية تماما.

اخترنا هذا الجذر كونه نظير الجذر الفانقي الذي كُتِبَ درسناه الآن ولكن
بمعنى مختلف : بالبربرية يعني را "الكتابة، المكتوب" (اسم).

١/ أفعال وأسماء جنس

- س. و. ل.	سأل	"طلب، استفهم"
- س. أ. ل.	سال	"طلب، توسل"

← هذان الفعلان يشكّلان الجذر رسل

الجذر رسل يعني "بعث، أصدر خطاباً" مع الاسمين رسالة "خطاب، كتابة
(رسالة)، مهمة" ورسول "داعٍ (نبي)، مرسل (نبي مبعوث)". معنى "مكتوب" يظهر
في هذه الكلمات بجلاء.

- سَوَم "علم رمزاً" مع سمة "علامة، رمز"

← رسم "خط، علم أمارات، صور" مع الاسم رسم "بقية، بصمة، خط، مرسوم،
تصوير".

- وقم مع وقام "صفحة، عصي، سوط، مشك"

← رقم "كتب" مع رقم "رسم مُخَدَّد على كتان" وأيضا "كتابة، رقم" و
رقيم "كتاب"

- قن "عاين، فحص شيئاً" مع قنن "أسلوب، طريقة" وقانون "قاعدة، تشريع،
استعمال، عادة/ عرف"

← رَقَن "كتب بحروف بديعة" مع الصيغة رَقَن "كتب (كتاباً) بخطوط
متراسة/ مرصوفة، سجل..."

- وقى "حمى، حافظ (على شيء)، منع من الخطر، صان شخصاً"

← رَقى "استعان بالسحر، عوِّذ شخصاً" مع الصيغة رَقى "رفع الرتبة الرقمية (لعدد)"

ب/ أسماء اعلام

جبريل أو جبرائيل -عليه السلام- : اسم الملك الذي نقل القرآن إلى الرسول -صلى الله عليه وسلم-. هذه التسمية يمكن تجزئتها إلى أجزاء ثلاثة.

- جاب من الجذر جاب "أحضر، جلب شخصًا أو شيئًا"

- رَا (أو رَ)، تعني بالبربرية "كتاب، كتابة، مخطوط"

- إيل أو آل، الله في اللغات العروبية، وهو اسم يدخل في تأليف تسمية أشخاص، مثل : إسماعيل، رفعايل، خليل، وانيل ... هكذا يمكن أن يعني الاسم جبرائيل "الذي يُحضر (ليُوصل) كتابًا من الله"

5.4 مع الجذر المصري "رَ" أو "رع"

بعض الجذور المصرية، تدخل في تأليف كلمات المعجم العربي. هذا الجذر على سبيل المثال، هو قريب كتابةً وصوتًا، من الجذرين المتجانسين (البربري والفانقي) المذكورين : يتعلق الأمر بالجذر أو بالمقطع الصوتي "رع" ¹ يعني "شمس أو آلهة الشمس". هذا الاسم جزء من تسميات ملوك مصريين كثر، انطلاقًا من السلالة الملكية الثانية.

تألف عدد من أفعال وأسماء معجم اللغة العربية، من هذا المقطع الصوتي (انظر الملحق 3.4)، وهي كلمات معانيها تمتُ بصلة -متينة نوع ما- إلى الضوء أو خاصية هذا الكوكب (الشمس)، أو ظاهرة كونية أخرى :

ر.ع.ج.	رعج	"لع بالتتابع (برق)"
ر.ع.د.	رعد	"أرعلت (السماء)، توعد شخصًا" مع الأسماء

1. المقطع الصوتي "ر" يمكن اعتباره كالشكل للرحم لـ "رع"، في الفانقية، الحرف عين (ع) في وسط اسم، يمكن تمثله في صيغة إدخال.

رعد "رعد (الظاهرة المعروفة)، فرقة" ورعدة- رخش- روع - "ارتجاجن خوف"		
"أنبت التبت (الله هو من أنبت)"	رعرع	- ر.ع. ر.ع.
"رصد الشمس حين غروبها"	رعم	ر.ع. م.
"أصاب دماغ فلان (الشمس)"	رعن	ر.ع. ن.

يمكننا أيضًا أن نصادف في جنوب الجزيرة العربية آلهة نظيرة المصرية : هي الآلهة رعت¹، آلهة السبئيين، في حين تسمى هذه الآلهة في وسط الجزيرة العربية شمس. وهناك اسم آخر مصري مشهور يضم هذا المقطع الصوتي، رع : ويتعلق الأمر بالكلمة "فرعون"، التي تنعت الملك (ملك مصر). وكان هذا الأخير يعبد كآلهة من طرف رعاباه². وحسب مؤلفين عدة (ومن بينهم Maspéro في كتابه "تاريخ المشرق")، فرعون تعني بالمصرية "البيت الكبير"، إشارة إلى القصر الملكي. في الواقع بالنظر إلى الكلمة الأصلية، ينبغي أن تنطق بر- عوى، الكلمة التي تطورت وتحولت إلى فرعون (حسب أقوال عالم الآثار المصرية³ Breasted) الذي ذكره محمد عزة دروزة.

التون الأخير (أو ون) هي لاحقة استعملت بكثرة في اللغات العروبية، في أسماء الأعلام ...

حمد ← حمدون → حمد "شكر الله"

سعد ← سعدون → سعد "صار جذلاً"

(ب) فرع ← فرعون → (ب) فرع "تفوق على شخص" (مع التناوب بين ب و ف)

1. G. Ryckmans. في كتابه "الذيانات العربية ما قبل الإسلام".

2. نجد هذا الاسم الرمز في فرنسا، في القرن السابع عشر إلى الثامن عشر (الموافق للقرن الثاني عشر للهجرة)، مع Louis XIV، "الملك-الشمس".

3. في كتابه "تاريخ مصر منذ القدم العصور".

... وكذا الحال بالتسبة لأسماء الجنس :

دع ← "دحان"

هذه القراءة لبرعون، لم تهمل بالتظر للمعنى، أكثر قبولاً من معنى "البيت الكبير" : فعلاً، حسب رأينا، بر-عوى شكل مرحّم للتعبير بر-رعوى أو بر-رع اي "ابن الشمس" أو "ابن آلهة الشمس"¹.

نجد هذه الكلمة (مختصرة) في الجذر العربي برع الذي يعني "تفوق في العلم، بجدارة ، انتصر على شخص" مع الأسماء براءة "امتياز، استحقاق، اتقان" وتبرع "هبة تلقائية". جميع المعاني هذه تبدو متفقة مع الشمس وخواصها وفضائلها. كما أنّ الجذر برع يمكن أن يعطي الجذر الرباعي برعم "كمّ النبات" والاسم برعوم "كأس الزهرة"، كلمة يمكن أن ثقرأ فرعون - مع تناوب بين الحروف ب و ف، م و ن- إذا ما استذكرنا أن إزهار أو تبرعم النباتات لا يُنتج إلا بفضل ضوء النهار وتحت أشعة الشمس. يمكننا القول إذا أن البرعم (أو الزهرة) هو ابن الشمس².

1. بر تعني "ابن" في كثير من اللغات العروبية. نجد هذه الكلمة في أسماء ملوك مصر (منها بر-إب-سن، من العائلة الملكية الثانية).

2. في المخطوطات ذات الكتابة المقدسة القديمة المصرية، الفراعنة "أبناء الشمس" ينعنون بـ"واهي الحياة والسعادة".

الملحق الرابع -1-

استعمال الحرف الصوتي (ر)

(الفانقية) في بداية كلمات المعجم العربي

(مع المعنى "حجر، جبل" أو "فكرة العلوية")

الجذر		
ر.أ.س.	رأس	"قمة جبل"
ر.ب.أ.	مرباة	"مكان عال حيث يربط الحارس"
ر.ب.ط.	رباط	"حجر يشد السور مجتازا إياه"
ر.ب.ع.	ربيعة	"حجر يعتل لاختبار القوة"
ر.ب.و.	ربوة رباوة	{ "تلة، ارتفاع"
ر.ت.ب.	مرتبة	"ارتفاع"
ر.ت.ج.	رتاجة	"جلمود، صخر"
ر.ج.ل.	رجلي	"صلدة، صخرية (ارض)"
ر.ج.م.	رجام	"حجر موثق إلى حبل بنر"
	رجم	"قبر" و"رجم" قذيفة، القتل رميا بالحجارة
ر.خ.ف.	رخفة	"حجارة نخرة خفيفة"
ر.خ.م.	زخام	"حجر أملس (مادة) البناء المعروف والفنون"
ر.ص.د.	رصد	"مراقب"
ر.ص.ف.	رصف	"سلسل حجارة في مجرى ماء"
ر.ض.ف.	رضفة	"حجارة يوقد عليها حتى إذا صارت لها ألقيت في القدر فاغلت الحليب"
ر.ف.ع.	رفيع	"عال، مرتفع"
ر.ك.م.	زكام	"كومة تراب" أو رمل
ر.م.ل.	رمل	"تراب دقيق (يوجد على شاطئ البحر أو في الصحراء)"
ر.ي.د.	رند	"شعفة، حدّ الجبل"
ر.ع.ن.	رعن	"الأنف العظيم من الجبل تراه متقدما(بارزا)"

الملحق الرابع -2-

استعمال الحرف الصوتي (ر)

(البربرية) في بداية كلمات المعجم العربي

(مع المعنى "مكتوب، كتاب" أو "فكرة القراءة أو الكتابة")

الجذر		
ر.أ.ر.	رأى	"جال ببصره ونظر بانتباه"
ر.أ.ى.	رأى	"أبصر، لمح، حكم، اعتقد شخصا أو شيئا" مع الاسم راءة "رمز/علامة، دليل"
ر.ب.ي.	ربى	"نشأ، رعى طفلا" مع الاسم تربية "أن تكلاً طفلاً وترعاه" مع اسم الفاعل مرب "معلم/ مؤتب"
ر.ت.ل.	رتل	"قرأ بطلاقة/ بيسر/ بغتة"
ر.ت.و.	رتا	"وضع رمزا/علامة" ورتا إلى "وحد، ضم شيئا إلى"
ر.ج.ل.	رَجَل	"مشط شعرا" مع اسم الفاعل مُرَجَل "رسم الوجوه الأدمية (قماش)،"، "الذي يترك أثرا على الرمل (جرادة)"
ر.د.د.	رد	"جواب، تفنيد/ دحض"
ر.ز.ز.	ررز	"شذب، رطب، ملس الورق دون تسطير"
ر.ز.م.	رزم	"لف، نثى شيئا" مع الاسم رزمة "حزمة ورق"
ر.س.ل.	رسل	"خطب" مع الصيغة راسل "أجرى تواصلا كتابيا مع شخص" مع اسم المفعول مُرسل "منقول (نصا، خطابا)" والاسم رسالة "كتاب، خطاب مبعوث ..."
ر.س.م.	رسم	"ترك أثر شيء ما (على الأرض)"، "خط، صور، جعل علامات على ..."، مع الاسم رسم "خط، علامة، أثر، مخطط، تصوير"
ر.ق.ش.	رقش	{ "زخرف، حلى (كتابا، خطابا)" "بقع، وثنى بالأسود والأبيض"
ر.ق.ط.	رقط	
ر.م.ج.	رمج	"شوه الخط/ الكتابة"

الملحق الرابع -3-

استعمال الحرف الصوتي (ر)

(المصرية) في بداية كلمات المعجم العربي

(مع المعنى "شمس، .." أو "فكرة اللعان والرعب")

الجذر		
ر. أ. د.	رأد	"وقت الضحى، حيث تسطع الشمس في أسمى نالق/ رونق الضحى"
ر. ب. ض.	أربض	"تلمع بريق (الشمس)"
ر. ب. ع.	زبع	"حم رباعيا"
ر. ج. ج.	رجة	"انقصاص الرعد"
ر. ج. ز.	ترجّز	"أرعلت (السماء، الرعد)"
ر. ج. س.	رجس	{ "دوى (الرعد)"
ر. ج. ف.	رجف	
ر. د. ع.	ردع	"امتقع لونه" و ارتدع " صار لونه زعفرانيا (من الفزع)"
ر. د. م.	ردم	"طالت (الحمى)"
ر. د. ن.	أردن	"طالت (الحمى)"
ر. ص. ع.	رصع	"وشح بالأحجار (سلاحا)، قلادة ذهب"
ر. ع. ب.	رعب	"أفزع شخصا ب...." مع اسم الفاعل راعب "الخوف/ المخيف، المفزع"
ر. ع. د.	رعد	"صوت للإمطار (محلها السماء)" وأرعد "تملكه الفزع" مع الاسم رعد "صوت يدوي عقب وميض البرق، انقصاص"
ر. ع. ش.	رعش	"ارتعد، ارتجف"
ر. ع. ص.	رעص	وارتعص "ومض (برق)"
ر. ع. ن.	رعن	"أصاب دماغ شخص (الشمس)"
ر. ف. ف.	رف	"ومض (البرق)"
ر. ق. ر. ق.	ترفرق	"اهتر وبرق"
ر. ك. د.	ركد	"بلغ ذروة مساره (الشمس)"
ر. م. ض.	رمض	"صار محرقا (نهار الصيف)، أحرق، اضرم (الشمس)"

الملحق الرابع -4-

استعمال الحرف الصوتي (ر)
في وسط كلمات المعجم العربي

المعنى	الجذر	
ج / ح	ج. ر. ذ	"تكون ورم (جرح)" مع الاسم جرد "ما بحث في عرقوب الدابة من تزيد وانتفاخ عصب"
ش	ب. ر. ع	"امتياز، جدارة، اتقان"
ش	و. ر. ع	مع الاسم ورع "خشية الله، اجتناب كل محرّم أو مشبوه، تعفّف"
ج / ح	ف. ر. ع	مع الاسم فرع "ذروة الشّيء، أوج، برعم ،... " وفرعة "ذروة الجبل"
ش	أ. ر. ث	"أوقد النار" مع الاسم أرثة "قابل للاشتعال"
ش	أ. ر. ش	"أوقد النار"
ج / ح	أ. ر. م	{ "حجر منصوب في الصحراء" إزم أرم
ش	ب. ر. ق	"ومض (البرق)"
ج / ح	ب. ر. م	"قدر حجري"
ك	ب. ر. ي	"قلم قلما"
ج / ح	ج. ر. ل	"أصبح ضلّبا، صخرى"
ج / ح	ح. ر. ش	"أصبح ضلّبا، خشن اللمس"
ج / ح	ح. ر. ف	مع الاسم حرف "حدّ، منقار الجبل"
ك	ح. ر. ف	"قلب أو غير الكلمات"، "زور كتابا"، "برى (بزاوية/ بميل) قصبا للكتابة به"، مع الاسم حرف "واحدات الهجاء"
ج / ح	خ. ر. م	مع الاسم خرم "منقار جبل"
ش	ح. ر. ق	"أضرم نارا كبيرة"
ج / ح	ه. ر. م	مع الاسم هرم "الشكل الهندسي والعماري المعروف"

حيث : - ج / ح : معنى ذو علاقة بالجبل أو الحجر.

- ش : معنى ذو علاقة بالشمس.

- ك : معنى ذو علاقة بمكتوب أو كتاب.

الملحق الرابع -5-

استعمال الحرف الصوتي (ر)
في نهاية كلمات المعجم العربي

المعنى	الجذر	
ك	أ. ث. ر.	"ذكر (حقيقة/ واقعة)" وأثر في "طبع، ترك بصمات"
ش	أ. و. ر.	"اضطرام النار، شدة العطش"
ج/ح	ب. ث. ر.	"دمل، نافطة"
ش	ب. خ. ر.	"دخان يصاعد (عن قدر)"
ش	ب. د. ر.	"يلمع في كامل سناه" مع الاسم بنز "اكتمال القمر"
ك	ب. ص. ر.	"أدرك، رأى"
ج/ح		"حجر طري"
ج/ح	ث. ع. ر.	"مغطى ثؤلولا"
ج/ح	ث. غ. ر.	"شرح، ثلم حائطا"
ج/ح	ج. د. ر.	{ "مغطى بثورا"
	ح. ث. ر.	
ش ج/ح	ج. م. ر.	"تفخم" مع جمرة "المادة الصلبة الملتهبة" "حصاة، حجرة"
ج/ح	ج. ي. ر.	"جيس"
ج/ح	ح. ج. ر.	"تصلب" مع الاسم حجرة "صخرة"
ج/ح	ح. ف. ر.	"نقب، نقب الأرض"
ج/ح	ح. ك. ر.	"خرن واستأثر بالحب"
ك	خ. ب. ر.	"على اطلاع، أحاط بعلم شيء ما"
ج/ح	خ. ر. ر.	"نقب في الطاحونة منه يلقي الحب"
ك	ط. ر. ر.	"ثليم، شق، تاشير"
ج/ح	ط. و. ر.	"جبل"
ج/ح	م. ط. ر.	"أعطى، صب مطرا (من الحجارة)، وقع (طائر)"
ش ك	ن. و. ر.	"عنصر طبيعي فعال" ونور "ضوء"
	ن. و. ر.	"علامة توضع بحديد محمى"

الملحق الرابع -6-

استعمال الحرف الصوتي (ر)

معنى نو علاقة بالماء (الذي ينزل من السماء أو من التبع للنجس
من الصخر أو الجبل)

الجذر		
ر. ب. ع.	ربع	مع الاسم ربيع "مطر ربيعي"
ر. ت. خ.	رتخ	مع الاسم رتخة "حماة/مستنقع موحل"
ر. ت. ع.	رتع	"أكل وشرب حتى الشبع و الريّ (أنعام)"
ر. ث. د.	رثد	"صبح قذرا / نجسا (ماء)"
ر. ج. س.	رجس	"اختبر عمق الماء"
ر. ج. ل.	ترجل	"نزل بثرا (دونما حبل)"
ر. ح. ض.	رحض	"غسل، نظف (التياب، اليدين)"
ر. ح. م.	رحم	مع الاسم رحم "رحم المرأة، روابط دموية"
ر. خ. ي.	تراخى	"أمطرت مطرا خفيفا (السماء)"
ر. د. غ.	ردغ	"أصبحت موحلة (الأرض)" مع الاسم رغبة "وحل سميك"
ر. د. م.	ردم	"ساح/ جرى (سائل)"
ر. ذ. ذ.	رذ	"أمطرت مطرا رقيقا (السماء)" مع الاسم رذاذ "مطر خفيف رفيع"
ر. ز. ز.	رز	"هدرت (السماء، السحب)" مع الاسم إرزيز "برد صغير"
ر. ز. غ.	رزغ	"أصبحت موحلة (الأرض)"
ر. ز. ق.	رزق	مع الاسم رزق "الغيث الذي ينبت الحب"
ر. س. غ.	رسغ	"بللت الأرض (الطر)"
ر. ش. ش.	رشن	"نضح، سكب (ماء، دم، ...)" مع الاسم رشن "مطر خفيف"
ر. ع. ف.	رعف	مع الاسم رعوف "أمطار رفيعة"
ر. ع. ن.	رعن	وارثعن "أمطرت دونما انقطاع (مطر)"
ر. غ. ف.	رغف	"عجن بيديه (طحينا، طينا)"
ر. م. ق.	ترفق	"شرب بجرعات صغيرة (ماء، حليب، ...)"

5. جملة القول

إننا كنا تكلمنا فيما تقدم من سياقٍ عن اللغات العروبية، التي يمكن أن نسميها لغات ما قبل العربية، كون كثير من كلمات هذه اللغات اشتقت من معجم اللغة-الأم، كما يمكن تسجيل القرابة البنوية الموجودة بين جميع هذه اللغات. وقد بينا ذلك -مع E. Dhorme- بخصوص البابلية والعربية الفصحى أو البربرية والفانقية¹، من جهة، ومن أخرى، من خلال جذرين أنموذجيين.

في حين أن قولنا بأن اللغات العروبية لغات ما قبل العربية (تحديداً اللغات التي سبقت العربية)، فهذا لا يعني أن اللغة العربية الفصحى هي سليفة المتقدّمات (اللغات العروبية). قد رأينا في الباب الثاني (الفصل الثاني)، أن الجذع المشترك قد انقسم، بداية من أحفاد نوح -عليه السلام-، إلى فروعٍ كثيرٍ (أو لغات). من هذه اللغة-الأم، التي تكلمها نوح -عليه السلام- وأبناؤه، وكما أشرنا في مقدّمتنا -بالاعتماد على الرواة المسلمين- تكلمها آدم وذريته، اشتقت جميع اللغات العروبية.

يمكن أن نتصور أن جزءاً من معجم مختلف اللغات العروبية تأتي بعد السيرة التحليلية (أي بعد تجزأ الكل إلى أشرطة) لبعض كلمات معجم اللغة-الأم، بعد استعمال طويلٍ ممتدٍّ على قرون عديدة، إن لم نقل ألفيات وباستخدام متعّد الأوجه لكل جذر أو مقطع صوتي (أو حرف) مكون لهذا الجذر، في كل من هذه اللغات. الجذر العربي رأى "أبصر" الذي أعطى يارا "كتب" و را "كتابة، كتاب" (في البربرية)، يمكن أن يقدم كمثال: فالعنيان مرتبطان، الثاني لازم عن الأول (تحصيل للأول).

هكذا تطورت اللغات العروبية، كل منها في فضاء استوصافي-أرضي محدّد (معيّن)، فضاء مترام نوعاً ما حيزاً وزمناً... إلى غاية الحقبة المنحصرة بين بداية العهد المسيحي ومجيء الإسلام، كما بيناه أعلاه. وقد مهّلت العربية الوسطى أو

١. انظر كتابنا "الرحلة المجهولة للغة قديمة، البربرية".

الحجازية المهد للغة المشتركة، مُلتقى جميع اللغات العروبية ولسان القرآن. مروراً بإعادة التأليف بين الأجزاء المختلفة في كيان واحد، أي بعد إجراء تركيبين لجميع اللغات العروبية (متعلق بالعجم)، تستمت اللغة العربية الوسطى إلى المنبع الأصلي واندمجت أخيراً للغة-الأم.

يمكن معاينة مختلف هذه المراحل بدلالة الكلمتين م (أو إرم) وهرم -التجانستين- المترادفتين، فهما تناوب بين حروف-أصوات الألف (أ) والهاء (هـ)- (كما رأينا أعلاه). هذا المثال يمكن أن يسمح لنا بتفسير منهج انقسام كلمة في اللغة-الأم إلى كلمتين مختلفتين في لغة عروبية سلية (يتعلق المثال بالفانقية)، ثم منهج إعادة تجميع هاتين الكلمتين اللتين لم تعودا شكلاً إلا واحدة : تعني إرم بالعربية "حجر منصوب في الصحراء"، كلمة تعطينا في الفانقية إز أو أر = "ر" أي "حجر (أو جبل)" و رَم (رَم أو رَم) "مرتفع، عالٍ". في حين أن هرم في العربية، التي تعني "هرم (الشكل الهندسي أو العمراني المعروف)" تعطي في الفانقية هاز أو أر = "ر" "جبل (أو حجر)" و رَم "مرتفع، عالٍ". هذا التأويل يدعمه الجذر العربي هرم، الذي له معنى "قطع (شيئاً) إلى أجزاء صغيرة"، صورة واقعية للهرم الذي يمثل مظهر جبل "مقطوع إلى أجزاء صغيرة"، هذه الأجزاء الصغيرة التي هي الأحجار (الضخمة) التي تشكل هذا البناء¹.

يمكن أن نقدم هذا النموذج كترجمة ملموسة لمنهج تفكيك (أو تحليل) كلمات معجم اللغة العربية ولنهج إعادة تأليف (أو تركيب) كلمات معجم اللغات العروبية. اسم ما من اللغة-الأم يتواجد في حالة "بناء"، كامل (مثل جبل). بعد انبعاث لغة عروبية ما (إثر انقسام الجذع المشترك إلى فروع عدة) هذا الاسم ينشطر (هنا الأحجار أو الصخور اللآني ينفصلن عن الجبل) معطياً كلمتين (في العموم) أو أكثر. في المرحلة الثالثة نرجع -تدرجياً- إلى لغة جذ

1. لقد تطلب تشييد هرم خوفو، في الجيزة، استخدام ثلاثمائة ألف ومليونني حجر، وزن كل واحد حوالي طن ونصف طن. لقد كان الهرم رمزاً لعبادة الشمس.

قريبة من اللغة-الأم، العربية الوسطى أو الحجازية. هكنا تجرى إعادة تجميع الكلمتين من لغتنا العروبية، اللتين لا تشكّلان إلا كلمة واحدة (أي إعادة تكوين أو إعادة بناء الجبل، بالتحديد في مثالنا، الهرم).

وما يمكن ملاحظته أيضاً في هذا الجذر -فيما يخص تعدّد معاني الكلمات العربية، والنقّة الصارمة لاختلاف مفاهيمها- هو كون الاسم هرم يعني أيضاً "ذكاء، روح" كما "مسنّ، عاجز" : هذه المعاني تتفق مع الهرم، ملقن ملوك مصر، الذي يفترض (يعتقد) أنه يحرس روح المتوفى، أما الجثة، فليست إلا غلافاً مادياً لجسد "هرم وعاجز".

فضلاً عن هذا، اسم فرعون (أو بصيغة أدق "برعون") -بتناوب بين الحرفين باء وفاء- قد يكون، اعتماداً على المعنى الأصلي الذي اقترحناه، في تناسب مع المضمون الديني، أي عبادة الشعب المصري ملكهم معتبرين إياه إله ("ابن الشمس")، هنا من جهة، ومن أخرى، مع المضمون التاريخي والجدول الزمني للسلاطات الملكية لمصر. قد رأينا أعلى السياق (الفصل الثالث من الباب الأول) أنّ الهجرات العروبية وصلت في وادي النيل قبل الألفية السادسة، أي قبل تأسيس أول مملكة موحدة. هم الأهالي المهاجرين، نوو لغات عروبية من أتاح توحيد المملكة (حسب عالم الآثار المصرية Breasted، نقل ذلك محمد عزة دروزة في الصفحتين 42 و 43 من كتابه¹) وجلبوا معهم حضارتهم ولغتهم (حسب عالم الآثار المصرية سليم حسن، ذكر ذلك محمد عزة دروزة في الصفحة 43 من كتابه). هم خلفاء مينا -يخبرنا Breasted (الذي لا يعطينا ترجمة فرعون أو برعون)-، الأوائل، الذين سموا أنفسهم برعوى، -هنا الاسم الذي أصبح بعدها فرعون-.

يمكن أيضاً معاينة كلمات من اللغة العربية يدخل في تركيبها المقطع الصوتي "رع" مثل راع "حارس الماشية، حاكم" مع الفعل رعى "أرعى (قطيعاً)، حرس قطعاناً، حكم شعباً (رعية)"، أو مثل الاسم فرع "قمة شيء،

1. مصدر سبق ذكره.

روح، شعبة، برعم"¹، مع الفعل فرع "تسلق (جبلا)، تفوق على شخص"². جميع هذه المعاني هي أيضا في تناسب مع دلالة الاسم "فرعون".

حسب "العهد القديم" ("سفر التكوين")، في بابل انقسمت اللغة المشتركة، التي تكلمت، من طرف أبناء آدم إلى لغات كثيرة، مما لم يسمح للناس بالتفاهم.

وإذا طرحنا كمسألة، كون هذه اللغة المشتركة كانت العربية (اللغة- الأم) - كما يحسب E. Renan³، الذي أحال، مزية امتناع التغيرات للغات السامية... التي ظل هجاؤها في جميع تفاصيله هو نفسه، منذ أقدم النهور، (صفحة 522)،.... لغات، لخصتها العربية، لاعتبارات كثيرة، (صفحة 481)، كما أن.... ينبغي أن ينظر إلى العربية باعتبارها علوية اللغات السامية الأخرى، (صفحة 482) - يمكن أن ندرك أن انشطار هذه اللغة، لعل أو لأخرى، أسهم بالتالي، في انفكاك كلمات متنوعة من هذه اللغة.

إذا ما أدرجنا في الحسبان المثال التالي، المتعلق بجزء من كلمة "منشطة"، بالتحديد الحرف، أو بعبارة أفضل، الصوت "ر" (تباحثناه أعلى السياق)، جميع الكلمات المشتملة على هذا الصوت لها، في كل لغة جديدة، معنى خاص... وهكذا،

- ر (او ار) في الفانقية تنعت "حجرا" أو "جبلا"
- را (او ازا) في البربرية "ال) كتاب، ال) مكتوب"
- ر (او رع) في المصرية تعني "الشمس"

1. نلتقي ها هنا الاسم برعم (نذكرناه أعلى السياق) مع الألف م - متجانس - مرادف إذا لفرع - يابيل بين الباء والفاء.

2. الفعل فرع، هو أيضا مرادف برع.

3. في كتابه "تاريخ اللغات السامية".

كل لغة شكلت أسماء انطلاقاً من هذا الصوت-الجذر مع معناه الخاص به. لقد رأينا ذلك، مع ما مرّ من أمثلة عديدة، خلال المدرج السابق وفي الملحق الرابع. حسب مفتى هذه الكلمات في معجم اللغة العربية، يمكننا أن نعلم - في أغلبية هذه الحالات - أي لغة عروبية تبنت هذا الصوت الجذر.

هكذا، يتشكل الاسم طور "جبل" في العربية من "ر" (الفانقي)، أما الجزء الأول من الاسم، فيحتمل أنه الجذر طاء مع الاسم طاءة "حلبة". في حين أن الاسم سطر "خط الكتابة، خط، سلسلة، مكتوب" يتضمن "ر" (البربري)، وقد يكون الجزء الأول من هذا الاسم إما الجذر سطا أو ساط اللذين معانيهما الخاصة هي "أعلى الساقين" لأسط أو "طويل" لساط مع الاسم سوط "مجلدة، كرباج، طريقة تصريف"، يمكن أن يمثل السوط بقلم أو ريشة. نجد الجذر سطر "كتب شيئاً، ألف كتاباً" في مسطور (مثل : كتاب مسطور)¹.

فيما يخص المقطع الصوتي "رع" (المصري) يمكن أن نذكر الفعل سعر "أوقد وأجج (التار، الفتنة)" ، معنى له علاقة باشعة أو حرارة الشمس، مع الاسمين شعر "حرارة" وسعير "نار، شعلة"².

من جهة أخرى، يمكن أن نوسع هذه التركيبات متناولين لأحرفاً صامتة واحدة (صوتاً بسيطاً) ولكن مقطعة صوتياً كاملاً أو صوتاً مزدوجاً، مثلاً، دائماً مع "ر" :

- المقطع الصوتي رم، مع الفعل رم "أصلح، أعاد، راب شيئاً" والأسماء رم "أرض، ثرى"، وإرم أو أرم "حجر منصوب في الصحراء"،

- المقطع الصوتي رم، الذي يعني في الفانقية "عال، مرتفع"، مكافئ للاسم العربي ريم "تل، ربوة"، من الجذر رام أو جذر مرادف ربا "ارتقى (تلة)" مع الاسمين ربوة "تل، علو/ارتفاع" أو رب "سيد، مولى" (هنا، يتضمن فكرة التفوق والاستعلاء) ،

1. نجد هاتين الدالتين للحرف ر ("جبل" و"مكتوب") في القرآن ، قال تعالى ، (الطور : كتاب مسطور)

(سورة الطور - الآيتان : 1-2)

2. يمكن أن نعاين في هذه الكلمة المقطع الصوتي "رع"، الذي يصبح، بعد الإقلاب "عر". والأمر نفسه في الفانقية، الحرف ع يمثل حيفة إدخال.

- المقطع الصوتي ر ع ج مع الجذر ر ع ج "لَمَعَ بتتابع (برق)" ،
- المقطع الصوتي ر ع د مع الجذر ر ع د "أرعلت (السماء)" والاسم ر ع د "دوي من السماء يسبق بالبرق".

أما بخصوص الصوت "ر" أو "راي" في العربية الفصحى، فيمكن أن تضمّ دلالاته المختلفة إما جزءاً أو مجموع معاني الجذر "ر" في اللغات العروبية العديدة. الجذر راي له معنى "أبصر، لح شيئاً، حكم على، اعتقد" كذلك "قدم مرآة لشخص". هذا الجذر -جذر اللغة- الأم- هو من أعطى بالتأكيد الجذر "را" (في اللغة البربرية) لأن النظر سابق للكتابة : لا يمكننا إلا كتابة ما نستطيع قراءته، أي إبصاره. معنى الاسم راءة "علامة، دليل" يلحق بالآخر البربري "را" أي "مكتوب"، الكتابة باعتبارها مجموعة دوال (حروف أو رموز). نجد هذا الصوت "ر" (الشكل المرحم لراي) في الجذر رمق "ألقي نظرة ببصره على" أو رمق "ثبت البصر (تمعن) ملياً في شخص أو شيء" مع الكلمات رماق "نظرة شزراء (نظر شزرا)" أو يرموق "كليل النظر".

دائماً بهذا الصدد، "ر" (في الفانقية) الذي يعني "حجر، جبل" توجد في العربية مع الاسم راس، جمعه رؤاس "قار، ثابت، راسخ"، استعمل في الآية القرآنية بمعنى "جبال" :

﴿رَأْسِي شَامَخَاتِ﴾ (سورة الرسلات - الآية : 27)

وايضاً جنيسه (من الجذر رأس) الاسم رأس الذي يعني "هامة، قمة، إلخ"، معانٍ شترجم الغلو والارتفاع ...

نعاين بالتالي الترتيبات الغزيرة والمختلفة التي يمكن الحصول عليها مع كلمة "منشطة"، بوساطة هذا المنهاج التركيبي للختص -فيما يبدو لنا- بالعربية وباللغات العروبية. هذه الحقيقة اللسانية الفريدة هي من أنتج الكتلة الهائلة من الجذور -بكمية استية- التي تحوز العربية (انظر الملحق الخامس).

هكذا، خلافاً للغات الهندية-الأوروبية التي اختلفت بميل كبير مقارنة بـ"لغة-أم، من الصعوبة بمكان لمحاها"، حافظت اللغات العروبية على هذه القرابة الصرفية والتحوية والمجمية، على غرار اللهجات العربية الحالية، التي تتقارب جميعهن من بعضها بعض.

في هذا الصدد كتب¹ A. Meillet : « حينما اختلفت اللغات كثيراً، زمناً طويلاً بعد الانفصال، كما هو الحال اليوم للغات من العائلة الهندية-الأوروبية، اختلفن في الجوهر عن بعضهن بعضاً، وما من قسط مشترك، تقريباً، بينهن. أي تشابه نرى يوجد بين اللغتين الإنجليزية والروسية الحديثة ؟ ..

فضلاً عن هذا، قرابة اللغات العروبية فيما بينها، يمكن أن تفسر بامتداد فضائي متسلسل دونما فجوة منذ الفيات، من المحيط الأطلسي إلى المحيط الهندي، مروراً بجبال القوقص، ويمكن أيضاً أن تترجم (أي القرابة) بـماضٍ (تاريخ) واحد -مشترك نوعاً ما حسب المناطق- وخصوصاً بممارسة الشعائر المشتركة واعتناق الأديان نفسها (من الشرك إلى الإسلام مروراً باليهودية والمسيحية).

إن خلود اللسان العربي، وكماله (نضجه) وثورته نوّه به² E. Renan حينما كتب : « هذه اللغة، غير المعروفة سابقاً، تتبدى لنا بغتة في كامل نضجها ومرونتها وثرانها اللامتناهي، وباختصار، كاملة، إلى حد أنه من هذا العهد³ إلى أيامنا، لم يطلها أي تغيير ذي بال. وهي لا تعرف لا الطفولة ولا الشيخوخة ، وإذا ما أشرنا إلى ظهورها ومعجزات فتوحاتها، فلا مُحال في حقها. وليس أعرف إن كان بوسعنا إيجاد مثال للغة نافذة في العالم، كهذه، دون حالة عتيقة أو مراحل وسيطة، ولا حتى تردُّد ..

1. في كتابه "لمحة حول تاريخ في اللغة اليونانية".

2. في كتابه "تاريخ اللغات السامية" (الصفحة 342).

3. يتعلق الأمر بمحيي الإسلام.

الملحق الخامس
استعمال الحروف الصوتية (ز)
في بداية كلمات عديدة من المعجم العربي، متعلّقة المعاني

معنى فائقي "حجر، جبل"	معنى بربري "مكتوب، كتاب"	معنى مصري "شمس، كواكب، نجوم"	معنى ذو علاقة بالعرف الصوتي الفائقي، أي مع الماء (الذي ينبع من الجبل، ...)
رجم "رَمَى شخصاً بالحجارة" مع الاسم رجم "قبر"	راجع "تفحص مجلدًا كتابية" مع الاسم رجم "رَدَّ على رسالة"		رجم مع الاسم رجم "مطر مكز، محمل السيل"
رجم "ضرب، كسر بحجر" مع الاسم ردة "جلود عظيم، صخر"			رجم مع الاسم رجم "بئر" ورجم "حجر موق إلى حبل بئر"
ردي "ضرب، كسر بحجر" مع الاسم ردة "جلود عظيم، صخر"			ردي في "سقط (في بئر)"
ردي "ضرب، كسر بحجر" مع الاسم ردة "جلود عظيم، صخر"			ردي في "سقط (في بئر)"
ردي "ضرب، كسر بحجر" مع الاسم ردة "جلود عظيم، صخر"			ردي في "سقط (في بئر)"

رسخ "سقط (المطر)"		أرسخ "حفر عميقا (في خلده)"	رسخ "صار متينا، شليدا" مع اسم الفاعل رسخ "شليد، متين"
		رسا "نقل، ذكر (أقوال شخص)"	رسا "صار متينا، شليدا، قارا" مع الصيغة رسي "متين، شليد"
رشح "نضح (جسما) إهراق (وعاء)"			رشح مع الاسم راشح "جبل سفحه مروي"
		رشق "نظر إلى شخص" مع الاسم رشق "صيرير الرزينة، وقصيب الكتابة"	رشق "سند قذيفة/ رمية نعو شخص"
رشم مع الاسم رشم "أثر للطر" والاسم رثمة "مطر ربيع" ¹ . والاسم رثن "قطرات مطر تنزل متقطعة" ² .	أرشم "بدء الوبيض (البرق)"	رشم "ككتب"	

1. تناوب بين ث و ش.
2. تناوب بين م و ن.

رصد مع الاسم رصلة		رصد "راقب بعذر"	رصد مع الاسم رصد
"مُرَنَّة/ مطرقة، زحّة"			"مُرَقِب"
أرصف "مزج إلى شرايه ماء معيناً" مع الاسم ماء الرصف "ماء نبع يجري خلال الصخور"			رصف "صف حجارة واحدة إلى جانب أخرى" مع الاسم رصف "نضد حجارة في مجرى ماء"
رزن مع الاسم رزنة "أرض يستقر بها الماء"	رصن مع الاسم مرصن "حلب به تطيع علامة على الحلب"	رصن مع الاسم رصانة "التران في القول"	رصن "أصبح صليبا، متزن، شديد"
		رزن مع الاسم رزانة "التران، ثبات، استقامة الحكم"	رزن مع الصفة رزين "ثقل، صلب، متزن" ¹

1. تطاوب بيت ز و ص.

رضن "كسر، انشطر إلى شضايا كبيرة"	رضف "غلى، انضج شيئا بحجر محفى على النار"	رضف مع الاسم رصفة "علامة تعلم بحجر محفى على النار"		رضب "سقط (مطره/ مزنة)" مع الاسم راضبة "مزنة" رضرض مع الاسم رضراض "قطرات مطر صغيرة"	
-------------------------------------	---	--	--	--	--

ارتفع "حمل (السيل)"	رعى "لغ تباعا (برق)"		
مع أرفع "ملا (قربة)" رعوف "مطر رقيق"	مع رعل "ترعم (الكروم)" الاسم رعلة "برعم" رعم "راقب الشمس حين غروبها" رعن "أصابته دماغ شخص (الشمس)"		مع رحف مع الاسم راعف "أنف جبل متقدم (نانق)" رعل مع الاسم رعل "أنف جبل متقدم" رعن مع الاسم رعن "أنف جبل متقدم"
مع رعى "سرح، رم الكلأ" الاسم مرعى "التجعة"	رعى "راقب (النجوم) حين أقولها، حكم رعيته (زعيه) مع الاسم راع "قائد الشعب، الحاكم، غنام، حارس أضيائية"	استرعى "طلب انتباه شخص"	
	رفع مع الاسم رافع "الذي يومض (البرق)"		مع رفع "رقى، حمل عاليًا" الاسم ارتفاع "علو، سناء"

رق مع الاسم رق " ماء قليل العمق/ مياه ضحلة، يمكن عبوره"	رق مع الصفة رفاق "ساخن، محرق (النهان)"	رق "صار لطيفا، رفيعا" مع الاسم رق "مهزق، رفيع، صفحة ورقة"	
	رقب مع الصفة رقيب "الذي يرتفع (النجم) حينما تافل البقية"	رقب "تابع ببصره، نظر"	ارتقب "تسنم علواً"
	رفع مع الاسم رفيع "سماء/ فبة زرقاء"	رفع "اطلق هجاء وسخرية على احد" مع الاسم رفعة "تذكرة، رسالة، مكتوب"	رفع "دعهم ينرا"
	ارقن "خضب بالأحمر (لحيته)، خضب بالزعفران" أو الحناء	رقم "كتب" مع الاسم رقم "كتابة" ورقيم "كتاب" رفن "كتب بخط جميل"	رقم مع الاسم رقمة "جنب الوادي"

رمز "ملا (قربة)"		رمز "أوما بعلامة / بإشارة لشخص (بعينه)" مع الاسم رمز "إشارة، تلميح، مجاز، كناية"	
ارتمس في "ارتسى في الماء"			رسم بـ "رمى على شخص (حجرا)" مع الاسم رسم "قبر"
	رمض " صار محرقا (نهار الصيف)، أحرق، التهب (الشمس)"		رمض "انضج مضيرة على حجر محفى على النار"
رمل "تلمخ بالندم (ثوب)"		رمل "حلى نسيجا (بالؤلؤ)" ورمل "وضع ترايا (على الكتابة)" ومع الاسم رملة "سطر أسود"	رمل "غلى بالزمل" مع الاسم رمل "الحصى الرقيق"

ترنق "شرب بجرعات صغيرة (الماء، الحليب)"		رمنق "نسق خطابه، نظر ملياً إلى شخص أو شيء"	
رمع "يعاني من ألم في الصليب (نزح الماء)"	رمع "ارتج"	رمنغ "نسق/نمق (خطاباً)" ¹	رمع مع الاسم يرمع "حجر طري وهش"
رمن مع الاسم رمن "مزن صغير يعطي قطرات كبيرة"		رمن "تجاوز (عدد)"	رمن "قلع، أرسل قلائف / رمية"
رنق "صار مضطرباً (الماء)" مع الاسم رنقة "ماء معكر"	رنق "جلى، صفى شيئاً (الله هو من جلى وصى)" مع الاسم رونق "إضاءة/ توهج، بريق، لعان"	رنق "ارتبك/ تعرقل (في أمر ما)، عصيب العينين (الكري)"	ارنق "خفق (علم/ راية)" ورنق "حرك جناحين في الهواء دون أن يطير (طائر)" مع الاسم ترنوق "وعاء، صلب"
رهم "أعطى مطراً رقيقاً ومستمرّاً (النساء)" مع الاسم رهمة "مطر رقيق"	رهل مع الاسم رهل "سحاب خفيف" ²		رهم مع الاسم رهام "الطيور غير الجارحة" والاسم مرهم "بلسم، دهان، ..."

1. تناوب بين ع و ح.

1. تناوب بين ل و م.

راع "شربة راع بها الفؤاد" أي "شربة جاءت على ضمها" فانشفت الغليل	راع "خشى، خاف من" مع الاسم روع "خوف، رعب" والاسم روع "جمال الوجه"	راع مع الصنفه "العي، موهوب، فطن، ذكي"	
راع مع الصنفه مريع "مخسب (مطر)"	راع من "خشى شخصا أو شيئا" مع الاسم ريع "خشية، ضوء النهار"	راع "كان في حركة (سرب)" وتريع "أصبح في حبس بيض"	مع الاسم ريع "تلة مرتفعة"
		راع "انصرف عن جادة الطريق"	راع مع الاسم ريع "أرض، غبار"
أراق "سكب، صب" (سائل) مع الاسم راووق "شربة" والصنفه روق "خالص (الماء)"	راق "أصبح صاف، شفاف، متجل" مع الاسم روقه "جمال باهر"	راق مع الصنفه رائق "صاف، شفاف، جميل"	راق مع الاسم زواق "ممر، سراق، قبة، قرن،..." والصنفه أروق "الذي له قرن"
روى "جلب ماء لشخص" مع التعنت والتعوت روي "غدق (ماء)، مزن بمطر قطرات كبيرة، مشروب وافر"	روى مع الاسم زواء "جمال الوجه"	روى "عاد كلمة، حكمة شخص، استظهر قصيدة لشخص،... مع الاسم روي "حرف من حروف الغافية (في العروض)"	ارتوى "تقوى، كبر (عضو)"
		راش "زين بالريش" مع الاسم ريشة "ريشة الطائر"	راش مع الاسم ريشة "حجر صغير (يستخدم في بناء القباب)"

الفصل الثالث

القرآن العربيّ واللّسان العربيّ

1. حول اسم "عربيّ" : دلاليًا ولغويًا

إذا كنّا قد أعطينا الترجمة المزدوجة لاسم "عربيّ" في الباب الأول (الفصل الثاني)، غير أنّ التّأويل بالدلالة وحدها يبقى مقتضيا وغير واف.

بغضّ النظر عن كون اسم عربيّ، قد أشير إليه في المخطوطات الأكادية - البابلية في الألفية الثالثة قبل العهد المسيحيّ (خلال حكم سرجون وحفيده نار-رم - سن)¹ كما ورد عند I. Wolfensohn²، فالعرب (أو العروبيّون) قد تواجدوا قبل هذا التاريخ.

في كتاب سابق معنون بـ "الرحلة المجهولة للغة قديمة، البربرية" باحثنا، المعنى الأصليّ لتسميات أماكن وشعوب عروبية بإجراء استقراء هذه الأسماء بمساعدة إبدال الحروف (انظر الفصل الثاني أعلاه). وبهذا النمط قرأت التسمية "المرمر" البربر، والبورى عوضت بالعموري، في حين كان اللبو (أو الليبيّون) الرّبو.

وإذا ما اعتمدنا هذا المنهج اللّسانيّ لإسقاطه على اسم "عربيّ" (أو عرب)، لتحصلنا على أسماء تكتب وتنطق باختلاف، ولكن تأويلاتها مقبولة. اعتمادًا على عدد كبير من التوفيقات التي يمنحنا إبدال الحروف وسيرورة تكوين الكلمات العربية (نبحث في الفصل السابق)، لم نحتفظ إلا بالجذور التي لها من واحد إلى اثنين من ثلاثة أحرف مكوّنة للجذر عرب ("عربيّ").

1. بعض المؤلفين يؤرخون للمخطوطات البابلية (أخبار أيام نار-رم-سن) بنحو خمسين وسبعمائة وثلاثة آلاف (3750) قبل الميلاد.

2. في كتابه "اللغات السامية".

أ/ الاسم أرب - الذي يمثل فيه " أ "، أداة التعريف العهدية في كثير من اللغات العروبية (الفانقية، البربرية، الحجازية، ...) ¹ - : هنا الاسم يمكن أن يشابه عرب، مع إبدال جـار بين الألف (أ) والعين (ع) كما يظهر في العربية، وفي لغات عروبية أخرى (الأكادية، البونية، ...).

نجد هنا الجذر ربّ مع ربّ "ساد-أصبح سيّك، زعيما، مولى" أو "أنشأ (طفلاً)" في معنى "كبره (في التربية، المرتبة، القوام، ...)" أو ربا مع الأسماء ربوة أو رباة ورباوة "تلاً، ارتفاعاً" في العربية، أما الفانقية والأكادية رب (أو راب) تفسّر بـ "عال، مرتفع، غزير" وأيضاً "مولى، سيّد"،

ب/ الاسم أرم، مع تناوب بين الباء (ب) والميم (م) بالتسبة للحرف الأخير والعين (ع) والألف (أ) لحرف الاستهلال. هنا الاسم (أ) رم - الذي يمثل فيه الألف (أ) أداة التعريف العهدية - له الجذر رم أو رام (رام) مع الاسم ريم الذي يعني "تلة، ربوة" في العربية، أو رُم (رُم أو رُم) "عال، مرتفع" في الفانقية، المقطع الصوتي الذي يلقب به ملك من فانقيا، أخ-رم "الأخ السمي"، أو مدينة فلسطينية رم (رام) الله "عظمة الله" ². يمكن أن نلاحظ ها هنا أن الكلمة رم هي الجنس المكافئ لرب، مع إبدال بين الباء (ب) والميم (م)،

ج/ الجذر عرم - إذا أجرينا انطلافاً من الاسم عرب إبدال بين الباء (ب) والميم (م) (بالتسبة للحرف الأخير)، يمكن الحصول على الجذر عرم، مع الصيغة الفعلية عرم (بفتح الرّاء) "عامل شخصاً بفضاضة" وعرم (بكسر الرّاء) "صار ذا طبيعة قاسية". يمكن أيضاً أن نعاين تواف الجذرين عرم وعرب (بكسر الرّاء) في علاقتهما بالعنصر السائل

- مع الصيغة الفعلية تعرم "طَفَح (التهر)" والفعل عرب "حمل (التهر)"

1. تنطق أداة التعريف في العربية أ في بداية كلمة مبلوذة بحرف شمسي (ويشتد هنا الحرف)، وتنطق آ في بداية كلمة مبلوذة بحرف قمرّي.

2. قلّم ترجمة هذا الاسم محمد بهجت القبيسي (مصدر سبق ذكره).

- مع الأسماء عَرْمَة (بفتح العين وكسر الراء) جمعه عرم "مطر سيلّي، سدّ"، كما عرام (بضمّ العين) "اندفاع، كتلة" وعربة (بكسر الراء) "به كثير من الماء (بئر)"، كما عربة (بفتح الراء) "نهر سريع الجريان (نهر)"

- مع الصفتين عارم "قاس، عنيف (إنسان)، شديد البرد (يوم)" وعارب "ممتلئ، فائض (نهر)"

- الجذر عرم يمكن ان يمدنا بكلمة، عَرْمَة (بضمّ العين وتسكين الراء)، لها كتابة واحدة مع عَرْمَة (بفتح العين)، ولكن بنطق مختلف، بمعنى "كومة، كدس (رمل، حصى...)"، تجسيد واقعي لـ "سدّ" (حاجز).

د/ الجذر عرف - بعد إبدال بين الحرف الأخير باء (ب) وفاء (ف) - له معنى "علم، أدرك" مع الاسم معرفة "إدراك، علم"، له أيضا معنى "يسير بمهارة الأعمال، حكم". هذا الجذر القريب دلاليًا من عرم ورام أو ربا، مع الأسماء عُرف "مكان مرتفع، علوّ" و عُرف "رمال مكدّسة"، وعرفة "ربوة، علوّ". أمّا بالنسبة للاسم الأعراف، ينعت في القرآن^١، مكانا مرتفعا، بين الجنة والنار.

كذلك الجذر عرف يمثل صيغة فعلية اعروّرف، التي معناها ذو علاقة بالعنصر السائل : "أصبح حاملا (البحر)" ،

هـ/ الجذر علم - المتحصل عليه بعد إبدال مضاعف : يبدل الراء (ر) باللام (ل) والباء (ب) بالميم (م). يعني "لقّن، ميّز بعلامة، تفوق على شخص في العلم، تلقّن شيئا، أصبح عارفا، مهزّ في ، يدرك (يفقه) شيئا" مع الأسماء علم "معرفة، إدراك، اعتقاد جازم" وعالم "الكون"، إلخ. وأيضا الجذر علم هو الآخر قريب دلاليًا من الجذور السابقة (منها عرف)، مع الاسم علم "جبل مرتفع" كما ان له دلالة ذات علاقة بالماء، في الكلمة عَيْلَم "بحر، بئر غزير للماء".

من الجدير الإشارة أن هذا الأخير (اي الاسم) تلقّب به أحد أبناء سام، عَيْلَم أو عيلام. هذه الشخصية حسب الرواية، هو أخو ارم/ عرم وكلاهما

١. اسم سورة في القرآن "الأعراف".

تسميا بلقبين متقاربين كتابيا ودلاليا. في كتاب سابق¹، رأينا أن العيلاميين، أهال اشتق اسمهم من عيلام (على غرار الأرميين مع أرم -أو العرميين مع عرم-) هم جبليون،

و/ الجذر أرب - بعد إبدال الحرف الأول، العين (ع) بالألف (أ) - يعني "ماهرًا، حاذقًا في شيء؛ ما، أنهى، أتقن شيئًا" مع الصيغة الفعلية أرب "انتصر على شخص"،

ز/ الجذر عرب - له معانٍ أخرى في العربية :

- الصيغة الفعلية عرب وأعرب تعني "أعطى عربونًا" مع الاسم عربون "ضمان (عرف تجاري استوثاقي)، رهن"،

- الصيغة ذاتها، يتبعها ب أي أعرب ب، تعني "استعمل (أسلوبًا) عربية جيدة، اعتمد أدلة واضحة، أفصح عن فكرته"، مع الاسم إعراب "نحو الحركات، تحليل نحوي وظيفي"، إلخ.

الجذر عرب في الكنعانية-الفانقية، له معنى "وقف إلى جانب شخص، ساعد شخصًا، دافع عن شخص"، مع الاسم عارب "رهن، ضمان"².

هكذا، يمكن أن نلاحظ ترادفًا بين الكلمات (أ) رب و (أ) رم، وعرف وعلم من جهة، ومن جهة أخرى، بين عرب وعرمة وعيلم. نجد في جميع هذه الجذور معانٍ ذات علاقة بموطن "العرب" (أماكن مرتفعة بالنسبة للحضر في موطنهم الأول) وبالمحيط الرطب (مناطق مكتنفة أنهارًا، مثل بلاد الرافدين، وضافها على البحر مثل بحر قصوين والبحر الأسود أو على بحيرات مثل أوآن وأورميا، إلخ)، وبالمعرفة والعلم، والحكم الراشد والتجارة والصناعة (بحذق وإتقان)، وبالحرب (بثبل وبأس) والكرم، ... أو البداوة.

1. في كتابنا "الرحلة المجهولة للغة قديمة، البربرية".

2. معنى قدمه محمد بهجت القبيسي، في كتابه "ملاح في فقه اللهجات العربيات".

يُشار إلى "عرب" كاسم علم فانقي¹. كذلك أرم/ عرم هو أيضاً اسم جنس كما اسم علم. حسب "العهد القديم"، أرم/ عرم هو ابن سام، ابن نوح. ألم يصحف في القرن الثالث قبل الميلاد مترجمو "العهد القديم" (السبعون)، الاسم "عرب" ليعوضوه بعرم/ أرم، أو أن هذا الاسم كان ينطق ويقرا على الخيار أرم/ عرم أو عرب، كما هي حال اسم مدينة مكة المكرمة (في الحجاز) الذي ينطقه العرب (ويكتب) على الخيار مكة أو بكّة (بالتناوب بين ب و م)، وكذا في القرآن. الميم (م) بدلاً من الباء (ب) كان يستعمل بالأحرى في اللغات الأكادية-البابلية والعربية الجنوبية.

لقد استخدم سطرابو في "استوصافه للأرض" تسمية الشعب مورش (أو موري) أي بدلاً من بوري (نظير بورس أو بر)، أي البربر (كما في الاسم إبير)²، كما نطقها بعض أهالي بربريا (بلاد البربر) -بالتناوب بين الباء والميم-، الذين انحدروا من مناطق أناضولية وقوقصية ورافدية شمالية، قد يكون لهم، يقيتنا، نطق واحد.

كما أن نصب "العلمين" (في ليبيا) يبدي نصاً يظهر الاسم القومي لبو أو ربو³، تكتب بالخيار على الهيئتين (في حكم رع-مسيس الثاني، في القرن الثالث عشر قبل الميلاد).

يمكن أن نذكر أيضاً أن "شعب آسيا الصغرى أو شعب سورية" سموا بالأريم، وعرفه سطرابو على أنه، بلا ريب أهل سامي، الذي تكلم عنهم عُمر اللوزي.. بالأخذ في الحسبان تكون بعض الكلمات في معجم اللغات العروبية (كما عرضنا في الفصل السابق)، رصيد اللغة العربية المشتركة، يمكن قراءة تسمية الشعب أريم باعتبارها مكونة من الكلمات الفانقية أر (ز) "جبل"، ورخ (زم أو زخ) "مرتفع، عال"، مما يدفعنا لترجمة أريم "(ساكني) الجبل

1. Z.S. Harris، في كتابه "نحو اللغة الفانقية".

2. انظر كتابنا "الرحلة المجهولة للغة قديمة، البربرية".

3. F. Chamoux، في كتابه "فورن ومملكة بني بطو".

الشاهق" أو باعتبار الجذر ر.م. ككل (تنعت "أ" أداة التعريف العهدية) أي ريم، نحصل على "السكان العظام" (ذوو قدود فارعة). بالتناظر تسمية الشعب عرب (أو أرم-أرميين) من معنى جنيسه نفسه أريم، يمكن أن تتفسر كهذا الأخير.

مما يعرّز طرحنا للمهد الأول للمتكلمين باللغة العربية، أي المناطق المرتفعة لشمال بلاد الرافدين والقوقص، إلخ. ويعضد حضور أهالٍ قدماء -مثل قوم عاد وثمود- أسماهم المؤلفون، العمالقة، متحدثين في عمود نسب مباشر عن أرم (قد رأينا ذلك في الفصل الثالث من الباب الأول).

فضلاً عن هذا، مغادلتنا عرب = أرم (عرم)، قد يعضدها سطرابو¹، الذي صرح، بصدد "العرب" : من بين جميع الآراء المخزرة، الأقرب من الحقيقة هو ذلك التي يذهب إلى أنه بهذا الاسم وصف الشاعر (يقصد عمر اللوزي) العرب.. ويكمل صاحب السباق، كاتباً : ذهب ظنون إلى أبعد من ذلك مصححاً نص عمر، وقرأ البيت كما يأتي : دورياً، كنت² أزور الأحباش والصنيدايين والعرب (بدل العرب). من الثابت حقاً أن الأمم : الأرمانية والسورية والعربية يدلّون لبعض هذه القرابة، وكما ساد جَوْ عائلي السنتهم، وأنماط معاشهم وخواصهم الخفية، هنالك حيث تتجاورن، في بلاد الرافدين، مثلاً، بلاد ينتمي أهاليها تحديدًا إلى هذه الأمم الثلاث، أين يبدون بطبيعة الحال، التشابه بينها، صارحاً كفاية ... على كل، هذا راجع لكون الشعوب التي نسميها سورية تتلقب في السريانية باسم أرميين/ عرميين، ولوجود تشابه بين هذا الاسم واسماء الأرمان، والعرب والعرب، وهذا الاسم الأخير، ليس إلا نعتاً أو وصفاً خاصاً استعمله الإغريق القدامى لتحيين العرب..

1. في كتابه "استوصاف الأرض" الجزء الأول.

2. مينايل هو من يتكلم في الإلياذة.

بالفعل، لا ينبغي أن يكون الاسم عرمب إلا الاسم القومي عرب (أو أرب)- مع إدخال الميم (م). المزور من الكتابة أرب (عرب) إلى أخرى أرم (عرم) -مع إخفاء الحرفين الصامتين الميم والباء على الترتيب- أيسر إلى درجة أن المؤلفين القدامى -ومنهم السبعون- تمكنوا من استعمال اسم بدل آخر بطريقة تلقائية (تكريسا للاستعمال المتواتر نسبياً للتناوب بين هذين الحرفين)، أو بطريقة متكلفة غير مجردة من خلفيات (لسانية، ثقافية، دينية، ...) : بغايات جحد تواجد العرب في عهد قديم جداً (قد يرقى إلى عهد نوح -عليه السلام-) أو حضورهم في الحوض الأعلى للفرات، أين تواجد مهدهم (مهد العرب) الأصلي¹.

والمؤلفون المحدثون لا يصندزون عن غير هذا : حينما يترجمون الكتابات للكتاب القدامى (من عمر إلى سطرابو)، كتابات مرتبطة بأهال عروبيين أو بلغات عروبية، يكتبون بدل الاسم القومي عرب "السامين"، ويستبدلون لغات عروبية بلغات "سامية". ولم يُقارَظ² E. Renan في كتابه المعنون بـ "تاريخ اللغات السامية" ملاحظة، في عهده، اللبس الذي حدث ولا يزال يحدث باستعمال الاسم "سامي"، لوصف -حسب ما كتب- : عائلة اللغات السورية-العربية .. هذا المؤلف، في المؤلف ذاته، في الصفحة 178، عيناها، التي يجعلنا نلاحظ فيها، الاستعمال غير الموفق لهذه التسمية، وعلى ذلك واصل استخدام هذه الأخيرة (التسمية)، السبب في حشر من الغموض..

يعترف المؤلف ذاته، أيضاً، أن : ليس هناك إلا مقياس واحد يعول عليه في التعرف على السامين : هو اللغة .. وبهذا يلحق بتعريف العربي الذي سقناه في مقدمتنا، والمتعلق بـ "كل من تكلم العربية، فهو عربي".

1. من غير المؤكد أن عمر، لودني، كتب عرمب بدل عرب، ذاك أن : من المستحيل تشكيل نص عمري يمكن أن يكون أصيلاً. يقترن A. Meillet (في كتابه "لمحة حول تاريخ في اللغة اليونانية")، على كل نعرف نصوص عمر خلال الطباعات المختلفة التي منحنا فقهاء اللغة الهلانية، (انظر كتابنا "العرب في أوروبا قبل العهد المسيحي-تاريخ والحضارة الإغريقية-الرومانية").

2. حول الاسم "عربي" في القرآن

1.2 القراءات المختلفة

القرآن العربي ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ (سورة يوسف - الآية : 2) - الكتاب البين - أو حكماً عربياً ﴿وَكُنَّا أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ (سورة الزعدة - الآية : 37)، ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ (سورة الزمر - الآية : 28) أنزل بلسان عربي ﴿وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا﴾ (سورة الأحقاف - الآية : 12)، ﴿وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ (سورة النحل - الآية : 103) بواسطة الملك جبريل، الروح الأمين، -عليه السلام- على محمد -صلى الله عليه وسلم- "الرسول العربي" قال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ...﴾ (سورة فصلت - الآية : 44)، قرآن بلسان الرسول -صلى الله عليه وسلم- ﴿فَإِنَّمَا يَسْنَأُ بِلِسَانِكَ﴾ (سورة مريم - الآية : 97) (أي باللسان العربي) ...

إن الإشارة إلى كلمة "عربي" في النص القرآني، ذات علاقة، إما بالكتاب أو الحكم (الشرع)، أو باللغة أو الرسول -صلى الله عليه وسلم-، نلتقيها اثنتا عشرة مرة -دون أن ندرج في الحساب هنا الإشارة إلى البدو أو الرّحل، المسمّين الأعراب-. أنزل الله القرآن العربي بواسطة الملك جبريل (أمين الوحي) على محمد -صلى الله عليه وسلم-، يُنعتُ هذا القرآن بالعربي، ليس فقط لعلّه نقله باللسان العربي، ولكن أيضاً لاحتمال معانٍ أخرى. هذا الحكم (النص القرآني) سمّي عربياً، ليس فقط لأنه مكتوب ومقروء باللسان العربي، ولكن نظراً لاعتبارات دلالية أخرى. ومحمد -صلى الله عليه وسلم- سمّي بالرسول العربي، ليس فقط لأنه عربي ويتكلم اللسان العربي، ولكن لأسباب أخرى.

1.1.2 قرآن عربي

لم يُنزل الكتاب الكريم -القرآن الكريم- (أو كلام الله) موجهًا لساكني الحجاز فقط، أو حتى ساكني جزيرة البلاد العربية (جزيرة العرب) فحسب.

هو رسالة لجميع الأقوام والشعوب، لكل الكون، سواء منهم العرب أو الذين يلهجون بغير اللسان العربي.

لا يعقل أن القرآن، الذي يخاطب البشرية كافة، يوصف باسم له علاقة بقومية محدّدة، ممّا يسلبه (جدلاً) عاليته، ويحدّ (جدلاً) فضاءه، وبخاصّة يخوّل القومية هذه صفة الاصطفاء إن لم نقل التفوّق على الشعوب الآخر، دون الالتفات إلى تقواها. فهناك حديث شريف مشهور بيّن: «لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى».

بناءً على الباحثة الدلالية والفقهية اللغوية، التي أجريناها في مُدرج العنوان السابق، وبالتنظر إلى الفروقات المختلفة للجنر عرب وخصوصاً الكلمات عروباء "اسم السماء السابعة" وعريب "مزن ينزل المطر" (ممّا يستلزم فكرة رُفعة وعلو) -هذه الكلمة الأخيرة توجد في الكنعانية-البابلية مع عَرَبَتُو (جمعه عرب) وفي الفانقية الكنعانية مع عربية- يمكننا تاويل نعت بيان "عربي" بحمله على اسم القرآن بـ"عال، سام".

هكذا، الصيغة "قرآن عربي" المشار إليها سبع مرّات يمكن أن تقابل بـ"القرآن العالي" و"القرآن المجيد" أو "القرآن العظيم". جميع هذه التعوت لها علاقة مع الرُفعة الرّوحية والعظمة، الصّفة "عربي" هي التي تسبق غالباً بعبارة "إنا أنزلناه" (تتكلم عن القرآن)، أي بتضمّن فكرة العلوّ والعظمة.

الاسم "عربي" يمكن أن يحتل دلالات أخرى حسب سياق النصّ القرآني، حيث هنا الاسم -أو أحد مجانسيه- مُشار إليه،

أ/ إنا ما قابلنا الآية الرابعة والسبعين بعد المائة من سورة النساء (174) ﴿وَأَنزَلْنَا إِلِكُمْ نُورًا مِّنَّا﴾، بالآية الثالثة عشر بعد المائة من سورة طه (113) ﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾.

يمكن تاويل التعت "عربي" بـ "بين، نير، واضح"

ب/ في الآية الرابعة عشر من سورة هود :

﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

يستلزم عن قراءة الكلمة "علم" عند المخاطب بالآية القرآنية مفهوم استقبال العلم (التلقي)، تعلم عن معرفة، حفظ شيئاً، إلخ. فضلاً عن هذا، فالاسم علم يعني أيضاً "إيمان (عقيدة) أكيد"، معني يدعمه آخر الآية (فهل أنتم مسلمون) مما يستنتج عنه أن الإيمان الجازم بالله (بالتحديد الإسلام) منوط بالمسلمين (الذين يلتزمون بتعاليم الإسلام وينصاعون لله سبحانه)¹. وبعبارة أخرى، الاسم "عربي" (مثلما هو في التعبير "قرآن عربي") يمكن أن يشبه بالعلم والمعرفة أو بالدين، كما نص عليه في الآية الثالثة (3) من سورة فصلت :

﴿قَرَأْنَا عَرَبِيًّا وَلِتُزْمِرَ تَعْلَمُونَ﴾.

هذه الترجمة تلحق إذا ياحدى دلالات الاسم "عربي"، التي باحثناها في بداية هذا الفصل، والمرتبطة بالعلاقة التبادلية بين الجذرين عرب و علم. ج/ في الآية الخامسة والستين (65) من سورة النحل ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾.

يمكن مقارنتها بالوحي القرآني : القرآن حسب نص القرآن ذاته، هو رحمة وبركة من الله، وبشرى وشفاء.

وتتمة الآية ﴿فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾،

١. وصف إسماعيل بعليم، في الآية الثالثة والخمسين (53) من سورة الحجر : ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾.

دائمًا على صعيد تناظري، ينبغي أن تفهمنا أن القرآن قد نزل لخت الناس على اقتضاء الصراط المستقيم، الحق (الحيي) ونبذ حياة الاعوجاج والخزي (الموت).

وعلاوة على هذا. فالإنسان يقابل بالتبات الذي أخرجه الله سبحانه من الأرض.

﴿وَاللَّهُ أَبْنَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ بَنَاتًا﴾ (سورة نوح - الآية : 17)

صورة الماء الذي يتنزل من السماء (الغيث) يلحق هكنا بمعنى الجنر عرب ذي العلاقة : مع الماء النافق (مجرى ماء متلفق، نهر سريع، المزن الذي يعطي المطر،...).

د/ فضلًا عن هذا، هذا الكتاب المجيد قبل تبليغه للبشر، كان موجودًا في السماء ولا يزال ﴿بَلْ مَوْقُرْآنٌ مَّجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾. (عند الله)، كما نصت عليه الآية الثانية والعشرون (22) من سورة البروج، أو في الآية الرابعة (4) من سورة الرخرف :

﴿وَإِنَّهُ لَنَبِيٍّ أُمِرَ الْكِتَابِ لِلدِّينِ لَعَلِّي حَكِيمٌ﴾

2.1.2 حكم عربي

الحكم العربي (الوارد في الكتاب المبارك) يمكن أن يتخت الكتاب الكريم أو مختلف التشريعات، الأوامر، عظمات ومبادئ ربانية التي يتضمنها. إذا كان القرآن قد نزل بلسان عربي بوساطة أمين الوحي جبريل، الروح الأمين - عليه السلام - على محمد - صلى الله عليه وسلم -، فهل يمكننا القول أن العبارة "حكم عربي" -الشار إليها مرة واحدة في القرآن (سورة الرعد - الآية : 37) - يمكن فهمه على أنه حكم أصدره وصنعه العرب ؟

في حين أن الآية رقم أربع وستين بعد المائة (164) من سورة آل عمران، تنص على أن الرسول محمد -صلى الله عليه وسلم- لقن قومه في مكة

﴿تَعْلَمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾

وهو ما تعضده الآية الخمسون (50) من سورة المائدة

﴿أَفْضُكُمُ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ، وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.

تعارض هذه الآية الحكم زمن الجاهلية عند "العرب" بحكم (تشريع) الله سبحانه للمؤمنين، أي حكم (تشريع) عادل ومقسط، حكم "عربي".

هكذا، كلمة "عربي" في الصيغة "حكم عربي" لا ينبغي أن ثلّابستها أي صلة مع القومية، ولكن تعني "عادل ومقسط" (واصفة الحكم "العربي" المنزل على محمد -صلى الله عليه وسلم-). تدعونا بعض إشارات الاسم "حكم" وصفته "حكيم"، الكثيرة في نص القرآن، أيضاً، إلى إعطاء معنى "حكيم" للتعنت "عربي". نجد بالضبط هذين الوصفين -عليّ وحكيم- في الآية التي ذكرناها في مدرج العنوان السابق، وهي

﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ﴾. (الآية: 4).

فضلا عن هذا، جعل القرآن الكريم، العلم والمعرفة مشتركين في الحكم العربي:

﴿وَكُنَّا أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا وَعَرَبِيًّا وَلَمْ نَجْعَلْ لَهُمُ عِلْمًا جَافًا مِنْ الْعِلْمِ﴾ (الزهد - الآية: 37).

وهو ما يؤكد، أيضاً، مرة أخرى، العلاقات الدلالية بين الجنور عرب، من جهة وعلم أو عرف، من جهة أخرى.

3.1.2 الرسول العربي -صلى الله عليه وسلم-

أولاً، يخضّر التعريف الذي قدمه النبي -صلى الله عليه وسلم- للعربي، ذاته، أن تحمل هذه الصفة على القومية :

« كل من تكلم العربية فهو عربي »¹.

ثمّ إنه، إذا كان محمد -صلى الله عليه وسلم- آخر الرسل وخاتم الأنبياء، قد وُلِدَ بمكة (منطقة الحجاز، وسط شبه الجزيرة العربية)، فلا ينبغي أن يُعتبر فقط كعربي (قوميًا عمومًا) ولكن بخاصة كمثل البشرية جمعاء، أو بتعبير أدق كمثل كل العالم الإسلامي، المؤلف من مسلمين (العرب وغير العرب).

علاوةً عن هذا، إذا كان محمد -صلى الله عليه وسلم- الممثل المجسد لامة المسلمين، فهو أيضًا الممثل الخلقى والروحي، والأسوة : بهذه الحجة، حتى قبل بداية نذبه للشبوة، كان يسمى "الصادق الأمين". بعد سلوك حياة يدينها الاستقامة ومثالية الخلق، تلقى، في الأربعين من العمر الوحي، القرآن الكريم.

وفي القرآن ذاته تنويه بهذا «إِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ» (سورة القلم - الآية 4 : 04) مع استعمال الصفة عظيم، التي تترجم فكرة العظمة والمجد والرفعة -استعملت أيضًا لوصف القرآن، مع معنى "خير عظيم" : «قُلْ مُرَبِّاً عَظِيمًا» (سورة صاد - الآية 67).

تقابل الصفة عظيم في الأكادية أو الفانقية بـ رب².

"الخلق العظيم" يقرن بـ "السداد" و "الاستقامة"، كما هو منصوص في الآيتين الثالثة والرابعة من سورة يس : «إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ».

وأيضًا في :

- سورة الحجر، الآية الثالثة والخمسين (53) :

«إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَظِيمٍ» (تتكلم الآية عن إسماعيل بن إبراهيم -عليهما السلام-).

1. حديث نبوي شريف.

2. نجد الجذر رب في العربية، الذي يعني "نشأ شخصًا (كبره)"، مع الاسم رب "سيد، مولى".

مع الكلمة عليم، نعت علم، الذي يعني المعرفة كما الإيمان "العقيدة (الدين)"،

- كما في سورة الحجر الآية الخامسة والخمسين (55) :

﴿قَالُوا بَشِّرْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾

وفيهما الحق "الحقيقة" مقرونة بميلاد النبي المَعْدُ، إسماعيل بن إبراهيم -عليهما السلام-. هذا الاسم "الحق" يمكن موازاته بالكنية الملحقة بمحمد -صلى الله عليه وسلم- (كنية ذكرناها أعلاه) "الصديق الأمين"، أي ذلك الذي هو مستقيم ومقسط. ولا ينبغي غَيْرُ هذا. لأن إسماعيل -عليه السلام- جذ محمد -صلى الله عليه وسلم- (عبر عدنان) في عمود نسب مباشر، وقيم الكعبة في الوقت ذاته.

هذا الاسم "الحق"، استعمل أيضا لتعريف القرآن :

﴿يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (سورة الأحقاف - الآية : 30)

يمكن هكذا معاينة أن هذه التعاريف المشتركة، أو التعتوت نفسها، ترجع على الكتاب الكريم، كما الرسول -صلى الله عليه وسلم-.

ضف إلى جانب هذا وذاك، أن الآية الأولى من سورة إبراهيم، نصت على :

﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾.

ولا ينبغي إلا لرجل مفطور على "خلق عظيم" مثل محمد -صلى الله عليه وسلم-، وبإذن الله، أن يُخْرِجَ الناس من دهاليز الظلمات إلى آفاق النور¹، حيث الظلمات مثال للجهل وسوء الفعل، والنور مثال للمعرفة والعلم أي الإدراك

1. لقد ندب الرسل الآخرون قبل محمد -عليهم السلام- للمهمة نفسها (ولكن لأقوامهم فقط)، ليخرجوا قومهم من الظلمات إلى النور : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ كما ورد في سورة إبراهيم (الآية : 5) بصدد موسى -عليه السلام-.

الحسن للقرآن، الذي وُصف في مناسبات عدة "نور" أو "الكتاب النير"¹، ويوصف الرسول -صلى الله عليه وسلم- بسراج منير².

بهذا يسمح لنا نص الآية الكريمة : «أَعْجَبِيْ وَعَرَبِيْ» (سورة فصلت- الآية : 44)، الذي ينكر فكرة قرآن غير عربي أو أعجمي -أي غموض الآي وعدم وضوحه- مع فكرة رسول عربي، بالقول بأن محمدًا -صلى الله عليه وسلم- الصادق الأمين، وصف بالعربي لشيمه وخلقه العظيم، تمامًا كما وصف القرآن بالتعت "قرآن عربي".

4.1.2 لسان عربي

تصف كلمة لسان الكلام كما اللغة (اللغة المتكلمة للتعبير عن فكر بواسطة رموز صوتية أو الجهاز العضو الطبيعي للكلام). والمعنى الذي تترجم به هذه الكلمة يتزع نحو الكلم أكثر من وصفه اللسان (لهجة أو لغة قبيلة، أو شعب أو أمة) إذ أن الكلام هو طريقة، أسلوب كلام³، عبر تعابير منتقاة نوعًا ما ومتكلفة إن واضحة أو غامضة وخاطئة. وما يجعلنا نتوجه نحو هذا التأويل هو أنه في الإشارات الأربع للعبارة "لسان عربي" التي يحويها النص القرآني، اثنتان منها مقيدة بالصفة مبين "واضح". زيادة على هذا إشارة أخرى مرتبطة بنفي العوج : الجزء الأول من الآية 28 من سورة الزمر :

﴿قَرَأْنَا عَرَبِيًّا﴾

ويتبعه الجزء الثاني، وهو :

﴿غَيْرِ ذِي عِوَجٍ﴾.

1. سورة فاطر، الآية الخامسة والعشرون (25).

2. سورة الأحزاب، الآية السادسة والأربعون (46).

3. «وَلَمَّا تَتْلُو تَرْجَى لِمَنْ يَلْمِزُكَ الْتَمَتْ بِوَجْهِكَ إِلَى الْبُحْرِ» ، كما ورد في الآية الثلاثين (30) من سورة محمد -صلى الله عليه وسلم-. بصدد الكلام عن المنافقين.

وهو التعبير الذي يعني فيه الجذر عوج "صار ملتويا، انحنى، به عيب طبيعي" مع الاسم عوج "خداع، طريقة تصرف، مراوغة".

في مواطن كثيرة، يرجع النص القرآني لِي غُثْقِ اللُّغَةِ (الافتراء على الله) إلى الظالمين، والجاحدين :

﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ (سورة هود - الآيتان 18-19)،

وتوعد بعقاب الكفار :

﴿وَعَذَابٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ، الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا، أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ (سورة يونس - الآيتان 2-3)،

ويجعل العوج مقابلا للاستقامة :

﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا، قِيمًا...﴾ (سورة الكهف - الآيتان 1-2)

من جهة أخرى، الكلمة أعجمي - مضادة العربي- التي تُرْج على ترجمتها بغير العرب، ليست على وفاق مع القومية، هي الأخرى :

في الآية الرابعة والأربعين (44) من سورة فصلت :

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَا فِصْلَتْ آيَاتُهُ، أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾.

الصيغة الاستفهامية "قرآنا أعجميا" تحتل معنى "غامض، صعب الفهم"

عكس "قرآن مبين"

﴿إِنْ مَوْءِدُكَ إِذْ ذُكِّرْتُ أَنْ مَبِينٌ﴾ (سورة يس - الآية 69)

"واضح، يسر الذكر (الفهم)" أي "قرآن عربي".

التصّ القرآني، في سياق آخر متعلق، بلسان القرآن نصّ :

﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِي﴾

مع استعمال الفعل الحد، الذي يعني "حاد عن الطرق" موازاة مع الصفة أعجمي بالتسبة للسان ومقابلة مع الشطر الثاني من الآية :

﴿وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ (سورة التحل- الآية ، 103)

وهو ما يؤكد قراءتنا للتعنت "عربي".

في كتاب لنا بعنوان "العرب محركو الديانات الحنيفية الثلاث"، كتبنا بهذا الصدد : . خاتم الأديان، الإسلام، ظهر أساساً ليؤكد، ويكمل، ويتم الدين السابق (ويهيمن عليه) -السيحية- كما فعلت هذه الشريعة مع اليهودية. وهكذا في رحاب ثمانية عشر قرناً، في حيز فضائي مثلث، محدّد، أقطابه هي سيناء (جبل حورب)، فلسطين (التاصرة والقدس/ أورسلام) والحجاز (مكة المكرمة والمدينة المنورة) ظهرت ديانات توحيد ثلاث في مناطق عربية، بعث ثلاثة أنبياء-رسل إلى أقوام عرب (أما محمد -صلى الله عليه وسلم- الخاتم فلجميع الجنس البشري)، ولغات وحي، ثلاثتها (الكتب) لغات عربية..

تدعو ديانات التوحيد الثلاث (في الأصل) إلى العقائد ذاتها، وتلقن الشيم نفسها وتأمّر بالخلق عينه -جميع الأنبياء الذين أرسلوا تترى، من نوح إلى محمد، مروراً بإبراهيم -عليهم جميعاً السلام- أذعنوا لله سبحانه ودأبوا بالإسلام وتكلموا لغة واحدة "لسان عربي مبين".

- ختاماً، نصت الآية الرابعة والعشرون (24) بصدد أولئك الذين استحقوا -بأعمالهم الصالحة بإذن الله- الجنة، مُوردة التعبير :

﴿وَهَذَا إِلَى الطَّيِّبِينَ الْقَوْلُ﴾ (سورة الحج - الآية ، 24)

أي أولئك الذين اغمّلوا "لساناً عربياً".

في حين أن الآية الثلاثين (30) من السورة نفسها تأمر :

﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَفْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّبَى﴾.

وهو الأمر الذي يمكن أن نفهمه (شطره الثاني) "اجتنبوا لساناً غير عربي (مفتري)"، مما يسمح بإيقاع نسبة مباشرة بين الوثنيين والمزاعم المفترقة، وأن نسجل مفارقة صريحة بين المشركين، عباد الأصنام (كفار مكة) والعرب (المسلمين).

في أساليب الجمل، في العربية، يتبع الاسم غالباً بنعتين مترادفين أو ذوي معنى متقارب، حال العبارة القرآنية "لسان عربي مبين"، الذي سقناه للتو. هكذا، للتع "عربي"، في هذه الحالة بالذات، معنى نخوله جميع المعاجم، ويتعلق بـ "السائل، يتدفق كالماء الجاري (ماء نهر أو مجرى ماء)"، معطوفاً على التع الثاني "مبين" (بالتناظر مع ماء منبع/ ماء معين)¹.

لا تستسيغ العقول كون القرآن (وحاشاه) -كلام الله- يوحى بلغة (العربية) وبه تعابير غامضة، وأسلوب تجانب السلامة وكلام معوج. إذا، يمكن أن نسقط التع "عربي" نعت بيان اسم "لسان أو كلام"، المعنى "شريف، رفيع، مستقيم، مبين". وهو ما تؤكد الصيغة الفعلية عرب "أي تفصح بالعربية" أو الأخرى أعرب "استخدم أسلوباً عربياً منقحاً، احتج براهين جلية، أفصح عن أفكاره بوضوح".

2.2 تعليقات

الوصف "عربي"، في جميع هذه الشواهد القرآنية، لا يحيل على مفهوم قبلي أو وطني أو قومي معين، ولكن يحيل على خاصية سمو خلقي، وعظمة أو روحانية متعالية. هذا الكلام العظيم للقرآن "العربي" الذي يتلافى كل اعوجاج، هو مضاد لسان أعجمي (يترجم بـ "غير عربي") أي "غامض، مستعصي الفهم، ذو عوج".

1. سنرى أدنى السياق أن كلمة عرب، تعنت (كنلك) "ماء دافقاً وصافياً".

بهذه الحجة، يمكن أن تمثل الكلمة أعجمي بالجاهل، في المعنى المستخدم في القرآن :

- في الآية الخامسة والخمسين (55) من سورة القصص :

﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَأَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْغِي الْجَامِلِينَ﴾.

- في الآية التاسعة والخمسين (59) من سورة القصص :

﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الثَّوَالِي إِلَّا وَأَمَلْنَا ظَالِمُونَ﴾.

مما يسمح لنا بالقول بأن مشرقي شبه الجزيرة العربية في عهد الجاهلية (قبل مجيء الإسلام)، كانوا كفاراً ظلمة، ... باختصار، عكس "العرب".

نجد فضلاً عن هذا، الجذر عرب في القرآن موظفاً بالمعنى الصريح، وليس الغامض الذي أشرنا إليه (أي مستقل عن كل إحياء قومي) : يتعلق بالعبارة : ﴿عَرَبًا أَرَبًا﴾ "أنبيات، قرينات" (سورة الواقعة- الآية : 37)، المستعمل بصدد الكلام عن الحوريات العذرات (سورة الواقعة- الآية : 36) حيث الكلمة عَرَبٌ¹ (مفرد عروب بفتح العين) تعني الأنبيات العفيفات. هذه الإشارة للحوريات في هذه الآية "عَرَبًا" هي الدلالة على "المتونيات"، الكافا بهن المقربون (يوم القيامة)، والمسبوقة بـ "أصحاب اليمين" (المؤمنين)، الذين هم في حال من ﴿وَمَا سَكْرٌ...﴾ (سورة الواقعة- الآية : 31)، ﴿وَفَرَشَ مَرْفُوعَةً﴾ (سورة الواقعة- الآية : 34). هكنا نجد، أسماء ذات علاقة بالكلمة عَرَبٌ، لها معنى "لواء الجاري" ومعنى منزلة "مكانة سامية" الراجعة إلنا لهذا الاسم "عربي".

لقد استخدم في القرآن الكريم، في مواضع عديدة، من نصه، تعابير مشتركة ترجع إلى القرآن كما الرسول -صلى الله عليه وسلم- : بشير ونذير، أو كلمات متقاربة مثل نور (لوصف القرآن) أو منير (لوصف الرسول -صلى الله عليه وسلم-) ،

1. مفرد الاسم عَرَبٌ هو عروب (على نحو طعم طعموم).

كما يمكن معاينة نعت واحد يصف، ليس فقط الكتاب (القرآن) والرسول محمد -صلى الله عليه وسلم- ولكن أيضا اللسان. ويتعلق الأمر بالنعت "عربي" اللصيق بالكتاب الكريم (القرآن العربي) و بحامله (اللسان العربي)، كما نبيه (الرسول العربي) -عليه الصلاة والسلام-.

مما يؤكد دلالة الاسم "عربي" ويضفي عليه دلالة ذات ميزات روحية أو خلقية، بإقصاء كل انتساب مرتبط بالأرض (البلاد) أو الدم (القومية). مما يجعل -بداهة- عند من الأشخاص أو حتى بعض المؤلفين غير المتبصرين، العرب شبيهين للمسلمين. وهنا، نصل عند التقاء دلالي لدين (الإسلام) وكتاب كريم (القرآن) ولسان (العربية).

لا يكون المتكلم بالعربية (أو العربي) كما حذره الرسول -صلى الله عليه وسلم- (مسلمًا، ولا يصير المسلم عربيًا، منصاعًا لله سبحانه إلا في حال بلوغ الاثنين مستوى خلقيا وروحيا ساميًا، توافقًا مع الالتزام اليومي بأفعال مادية كما دينية، كما ينص عليه الكتاب العظيم :

﴿وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ . (سورة محمد-الآية : 3).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ (سورة محمد-الآية : 33).

- وفي الآية الخامسة والثلاثون (35) ﴿وَأَنشُرِ الْأَعْلُونَ﴾.

في معنى "الأقوى". التعت "عربي" لصيق بالاسم "القرآن" يمكن أن يحتمل أيضا هذه الدلالة -كما نصت عليه الآية الواحدة والأربعون (41) من سورة فصلت :

﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾

هذه القراءة (القرآن) تنضم إلى المعنى الذي يحوزه الجذر "عرب" في الفانقية (الكنعانية) : "عضد، ساعد، دافع عن شخص"، معنى على طرف معادلة مع المسلم ("العربي")، الذي يتواجد دائماً حذاء الحكم أو الحق أو الخلق.

3. العلاقات الدلالية للاسم "عربي" بالقاب الأنبياء،

وهذا الاسم نفسه في اللغات العروبية

1.3. عند الأنبياء

1.1.3 نوح - عليه السلام -

في السورة التي تحمل اسم النبي نوح - عليه السلام - أشير في الآية الثالثة والعشرين (23) إلى الأصنام الخمسة التي عبدها قوم نوح - عليه السلام -¹. ثم نجد هذه الآلهة "آلهة قوم نوح" في وسط وجنوب شبه الجزيرة العربية. فمن المنطقي إذاً أن نعتقد أن هذه الآلهة الخمس رافقت الهجرات العروبية، نحو الجنوب، (بلاد بابل وسورية الفراتية) ومن هنالك نحو وسط الجزيرة العربية وجنوبها²، وفق التقدم شمالاً-جنوباً الذي وضّحناه في الباب الأول.

في السورة نفسها، خاطب نوح قومه قائلاً :

﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ (الآية 12).

مما يستنتج عنه أن موطن نوح وأبنائه تواجد في منطقة مكتنفة أنهاراً (قبل الطوفان)، مثل بلاد الرافدين أو وادٍ آخر، قريب من موقع رَسُو الْفُلْكِ، بعد الطوفان (ارمانيا، الحوض الأعلى لبلاد الرافدين، ...).

1. سميت هذه الأصنام باسم خمسة رجال صالحين وذو سواع ويعوق ويعوث ونسر - توفوا في ظرف شهر، فآلهوا.

سميت هذه الآلهة الخمسة "نوحية"، لأنه، حسب القرآن، رفض قوم نوح - عليه السلام - أن يتركوا وثنيتهم.

2. حسب ابن الكلبي (في كتابه "كتاب الأصنام")، يوجد صنم وذو في جلد، نصب في مزار بدومة. له شكل رجل فارغ القوام، مكسو بحلتين مزركبتين، يمتشق سيفاً ويحمل قوساً. أمامه نصب رمح وهناك مكانة مليئة بالسهم. وذو، هو كذلك آلهة القمر عند عرب الجنوب.

هكذا نلتقي، في هذا البلد -لهد للقرض لتكلمي اللغة العربية- البلد الذي ارتوى
 أنهاراً ومجارٍ مائية ياحلى دلالات الجذر عرب "فاض (النهر)" مع الاسم عربية (بفتح الراء)
 "نهر سريع" والتعوت عارب "ممتلاً، فائض (نهر، سيل)" وعربة (بكسر الراء) "غزير للاء
 (بئر)". هذه الدلالات توجد في توامة مع أخرى، تخص الجذر نفسه : دلالة كذا درسناها
 أعلى السياق ("عال، مرتفع")، أي أن جميع الأنهار التي يتواجد منبعها-عموماً- في منطقة
 جبلية، تجري دائماً في صنبٍ نحو الأسفل تجاه البحر.

نصادف إذاً في تسمية هذه المناطق المرتفعة والتي تجتازها مجارٍ مائية،
 حُرُوفاً مكونة (وعرضة للإبدال) لجذور معناها ذو علاقة بناحية جبلية نوعاً ما،
 والمتخللة بأطباع وأنهار : يتعلق الأمر بالجذور أرم-عرم - عرب ورب/رم.

والجدير بالمعينة ها هنا أيضاً هو العلاقات الدلالية بين أحد أبناء نوح- عليه
 السلام- سام وابنه أرم. هذا الاسم أرم الذي أحد معانيه "عال، مرتفع" هو مرادف
 لتسمية سم ذي الجذر س. م. وسَمًا "أصبح عالياً، مرتفعاً" مع الأسماء سمو "ارتفاع،
 علو، عظمة" وسماء "القبة التي تعلو الأرض على غير عمد ترى"، سحابة، مطر"، مع
 التعت سمي "عال، مرتفع، عظيم" أو سامي (من المعنى نفسه). كما أن الجذر
 عرب الذي أحد معانيه ذي علاقة بالماء (نهر، بئر، ...) قريب دلاليًا من الجذر سام،
 مع الاسمين سام "نقر ينبجس منه الماء" أو سامة "تجوف في بئر".

2.1.3 إبراهيم -عليه السلام-

أشار "العهد القديم" إلى هذا النبي (الشيخ حسب التعبير) بلقب أبرم،
 قبل أن يغادر كَلدِيا. نقرأ هذه التسمية على هيئة أبر-رم التي فيها أبر أو
 بر تعني "ابن" في الفانقية والأرمية، في حين أن رم -التقيناها أعلاه- لها معنى

"عال، مرتفع"¹. وحينما أمر بالاختتان كعلامة عهد، كان عُمرُه تسعًا وتسعين سنة، وكان عمر ابنه إسماعيل -عليه السلام- ثلاث عشرة سنة، غير اسمه أبرام إلى إبراهيم ("سفر التكوين").

اسم هذا الرسول إبراهيم -عليه السلام- عرفه "الكتاب المقدس" على أنه ، أبو عَنَر كبير من الأمم، كثير التسل، ... من صلبك يخرج ملوك .. هذا الاسم ذو الأصل العربي يمكن أن يفسر كما يلي ، أبر وبر بالتسبة للجزء الأول "أبن، ابن ...". وأما الثاني رهم أو زهيم، من الجذر رهم "أمطر رثًا مستمرًا (السماء)"² مع الاسم رهمة "مطر رثًا مستمر".

يمكن إذا اعتبار هذا الاسم "ابن المزن"، كآب أمم كثيرة، متعندة كقطرات ماء للطر، هذه الأخيرة بريها الأرض تخصبها وتضاعف ثمارها. روحياً للاء ينعت العلم والعرفة والبارك التهنئة، لا سيما حينما يتعلق الأمر بماء للطر عطية الكريم (الرب). للاء إلى جانب هذا هناك مصدر الحياة، وعنصر طهارة في التيانات الحنيفية أو حتى فيما سواها (طهارة، وضوء، ماء مبارك، ...) ³.

حينما نزل إبراهيم -عليه السلام- راجعا من مصر، استقر ، بين بلوطات معمرة، قرب حيرون، ("سفر التكوين"). يُخبرنا "سفر التكوين"، أن سارة زوجة إبراهيم -عليه السلام- ، توفيت في قرية عربية، التي هي حيرون، في بلاد كنعان .. وليوارثها الثرى، اشترى إبراهيم -عليه السلام- حقلًا ملكًا لعفرون، من بني حت :

، حقل عفرون في مكفيلة، قبالة معمرة، وجميع الشجر الذي كان في الحقل وفي جميع الحدود المحيطة ... قبالة معمرة، الذي هو حيرون،

1. الاسم أبرم، في كتابته الواردة في "العهد القديم" قد يعني "ابن الرب" (ملك أو وزير) مثلما كان طارح،

ليوه (حسب الطيرى) -انظر الإحالة رقم 1 من الصفحة 154.

2. رهم، هو اسم عربي، به التلقب جت شلق، معتبر يماني شهير للرؤى (زمن النادرة).

3. انظر كتابنا "العرب محركات التيانات الحنيفية الثلاث".

قرية عربية¹ - مكان مسمى قرب حبرون - استحق التسمية، إشارة إلى إبراهيم - عليه السلام - الرافدي، المنحدر من "وادي الماء" (ما بين النهرين)، واد اسم، ترجمة لكلمة وادي عربية. كلمة عربية في الكنعانية لها معنى "السحابة التي تعطي المطر"²، وبالتالي نظيرة اسم إبراهيم "ابن المطر". من جهة أخرى، مدينة حبرون ذاتها، هي من تسمت بعد ذلك باسم هذا الرسول، أي الخليل - "خليل الرحمن (الله)" - كما هو مشار إليه في القرآن :

﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ (سورة النساء، الآية 125)³

هكذا نجد أيضا دلالة مشتركة للأسماء : عرب، إبراهيم، سام ذات علاقة مع الماء والمطر والسماء من جهة، ومن أخرى بين التسميات أرم، أبرم وسام، ذات صلة مع الحلو والرفعة.

3.1.3 إسماعيل - عليه السلام -

إذا كان اسم أول ولد إبراهيم، إسماعيل -عليهما السلام-، عرفه جمهرة من الكتاب المسلمين على أنه "سمع الله" أو "استجاب الله" -مع إسماع، يسمع "يلبني، يجيب"، وإل أو نيل "الله" - معبودين في هذا بالتفسير الذي أعطاه "العهد القديم"، وقد سمع الرب لذلك (الكلام هنا عن هاجر)، ("سفر التكوين")، فيمكن، أن نقترح ترجمة (تاويلا) أخرى لهذا الاسم، وهو يتألف من أقسام ثلاثة :

1 - الأول هو سما "سما (السماء)، سحابة، مطر"⁴

1. قرية بالعربية، لها معنى "تجمع سكني صغير، مدينة، حاضرة"، جنيس الفانقي قرت. قرية عربية يمكن أن تعني أيضا "مدينة الآبار".

2. تعطينا قراءة أخرى مع الجذر ربع مع الفعل ربع (بضم الراء وكسر الباء) "أمطر في الربيع" والاسم ربيع "مطر ربيعي" أو "نباتات ربيعية" - معنى دائما في علاقة مع الماء.

3. يمكن تجزئة الاسم خليل إلى خل "صديق حميم" (من الجذر خل-صيفة خال) "كان صديقا لشخص" - و نيل، كلمة تعني الله في كثير من الألقاب للزجوة باسم آلهة (مثل إسماعيل).

4. الحرف I الذي يستهل هو جنيس ي أو ي، في مستهل كثير من الألقاب العروبية (يوسف، يونس، يهوث، ...)، هذا الحرف ! يوجد في الأسماء : إبراهيم، إسحاق، إسماعيل، إلخ.

- الثاني ع (الشكل المرحم لعين) "نبع، أصل، جوهر الشئ"

- القسم الثالث نيل، قد عُرف أعلى السياق.

معنى هذا الاسم ينبغي أن يكون إنا : "مطر (أو ماء) السماء، أنزله الله (بفضله)" أو "مطر (أو ماء) عين ذراها الله". هذه الترجمة تتوافق دلاليًا مع الاسمين إبراهيم وعرب¹، من جهة، ومن أخرى في طرف معادلة تسمية إسماعيل، وهو ما يقول به "العهد القديم" ("سفر التكوين") : ، سأجعله مخصبًا وسأكثره بلا حد.. وهي جملة نظيرة تلك التي نصادفها في "الكتاب المقدس" (ذكرناها أعلاه) بصندد الكلام عن إبراهيم -عليه السلام-.

التسمية عربية إسماعيل، التي تنعت بئر زمزم الشهير (بمكة) في تناغم مع قراءتنا (تاويلنا) لاسم إسماعيل لأن هذا البئر مصدر ماء رباني، ذو علاقة مع اسم ابن هاجر. وهو الماء الذي سمح -بإذن الله- لإسماعيل -عليه السلام- بأن يظل حيًا في الصحراء، وأن يكبر ويؤسس ذرية كبيرة، منها سينحدر الرسول -صلى الله عليه وسلم-.

4.1.3 إسحاق -عليه السلام-

اسم هذا النبي، ابن إبراهيم -عليهما السلام- (المذكور "إسحاق" في القرآن) يترجم في "الكتاب المقدس" (النسخة الجمعوية) ب "يضحك" (هو الفعل ضحك)، ذو علاقة بدهشة أمه سارة، التي ضحكت حينما بُشرت على الكبر (تسعون سنة) بأنها ستلد غلامًا. في الواقع يبدو أن تاويل هذا الاسم مستمد من قراءة خاطئة من لدن التاسخين الذين يُبدلون السين (س) بالضاد (ض) : هذا الاسم الذي يكتب بحرف السين، يعطينا إسحاق، وهي كلمة اسمية لا فعلية، معناها "وابل،

1. يمكن أن نلتقي مرادف التسمية إسماعيل في لقب قديم "ماء السماء" أو "ماء المطر". فضلًا عن هذا، لقد أشار الطبري (مصدر سبق ذكره، الجزء الثاني، الصفحة 271) أن إسماعيل يلقب أيضًا أعراق الثرى، حسب رواية أم سلمة -رضي الله عنها- زوجة الرسول -صلى الله عليه وسلم-، تسمية ذات علاقة بالماء والرطوبة.

صَيْبٌ".¹ جذرها سحق له معنى "صار نائياً" أو "صار عالياً/ مرتفعاً" مع الاسمين سحق "سحابة صافية" وسحيفة "مطر شديد".

هذا المعنى يتفق مع سياق "العهد القديم" ("سفر التكوين") حيث خاطب الرب إبراهيم -عليه السلام- قائلاً : . لأنه بإسحاق يدعى لك نسل.. لقد عرفنا، بصدد الكلام عن اسم إبراهيم، دلالة الكلمة "مطر" التي تتناسب مع ذرية مكثارة "كغدد نجوم السماء"². في مباركته لابنه يعقوب ("سفر التكوين") قال إسحاق -عليهما السلام- : . لينتحك الله ندى السماء ..

يمكن أن نلاحظ، هنا أيضاً، العلاقات الدلالية بين تسميات إسحاق وإسماعيل وإبراهيم من جهة، ومن أخرى، بين إسحاق وأبرم وأرم وسام.

5.1.3 الأسباط ويعقوب -عليه السلام-

الأسباط يمثلون مجموعة قبائل، إليها نزل الوحي مثلما هو مشار إليه في القرآن ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾ (سورة النساء - الآية : 163)

اسم الأسباط هذا، جمع مفردة سبط (بكسر السين) "قبيلة"، كلمة من الجذر سبط لها معنى "صار غزيراً (المطر)" مع الصفة سبط "غزير (المطر)"، معتنى في تناغم مع النص القرآني (سورة الأعراف - الآية : 160) :

﴿وَقَطَعْنَا مِنْ أَثْنِي عَشْرَ أَسْبَاطًا أُمَّا﴾

﴿فَأَبْجَسَتْ مِنْ أَثْنَا عَشْرَ عَيْنًا﴾

بعد أن ضرب موسى -عليه السلام- بعصاه الحجر.

1. يمدنا النص بالعبرية، في فصل آخر، بالجذر نفسه سحق pṣṣ، الترجمة في "الكتاب المقدس" بـ "عراصة تسكب مطراً" (سفر أيوب). بل هي الكتابة عينها (إسحاق) التي يسعنا قراءتها في النسخة بالعربية لـ "الكتاب المقدس".

2. انظر كتابنا "العرب، محرّكو الديانات الحنيفية الثلاث".

هكذا، نلاحظ، مرة أخرى، التناظر الدلالي بين أسماء أنبياء، مثل إبراهيم، وإسماعيل وإسحاق وأسماء قبائل مثل الأسباط، وأسماء شيوخ، مثل سام، أرم (أو عرب).

ب/ يعقوب - عليه السلام - لقد تكلمنا في الفصل الثاني من الباب الثالث (في المدرج الثالث : معجم)، عن تعدد المعاني لـجذور كثيرة من معجم اللغة العربية، وأوردنا من بين بعض الأمثلة، اسم يعقوب (المدرج 3.3) من الجذر عقب. هذا التقدّم، إضافة إلى ثلاثة المعاني التي أشرنا إليها، له معنى آخر، مع الاسم عقبة "مطلع، ربوة، تلة"، وعقاب "مكان مرتفع" والعقبات "ملائكة الليل والنهار".

وبهذا نجد أن اسم النبي يعقوب - عليه السلام - واسم القبائل (الأسباط) اللذين لكليهما معنى يتفق دلاليًا، إمّا مع اسمي سام وأرم (مفهوم العلو والارتفاع) أو مع أسماء إبراهيم وإسماعيل وإسحاق -عليهم السلام-، وسام أو مع الكلمة "عرب" (ذي علاقة بالماء، السماء والمطر).

2.3. الكتب المنزلة على الرسل - عليهم السلام-

تتبع أسماء الأنبياء (و/ أو الرسل) الخطية العلمية نفسها. هذا الأمر يُتفهم إذا ما استذكرنا أن هؤلاء الأنبياء (و/ أو الرسل) لقبّتهم الملائكة، وفاقًا لمهمتهم الرسالية، أو فضائلهم وسجاياهم الخاصة. لقد أعلن "العهد القديم" ميلاد أنبياء، مُشيرًا إلى الاسم الذي يتلقّب به إسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف ... كما أن القرآن، سمّى الأنبياء (و/ أو الرسل) الذين بعثوا في الأرض، إلى أقوامهم : إسحاق ويعقوب ويحيى وعيسى -عليهم الصلاة والسلام- وأحمد أو محمد -عليه الصلاة والسلام- (أما محمد -صلى الله عليه وسلم- فللبشرية جمعاء).

كما أن أسماء الكتب المنزلة، سلكت الخطية العلمية ذاتها. ما عدا تسمية القرآن، الذي يبدو حصول الإجماع على تأويله، نعني بالقراءة "التلاوة، التعليم" -من الجذر قرا "طالع، درس، تلا"- تعزّي تسميات الكتب المنزلة الأخرى تفسيرات متنوعة.

1.2.3 التوراة

أنزلت التوراة على الرسول موسى -عليه السلام-. هذا الاسم توراة¹، ينبغي أن يكون له علاقة مع الجذر العربي تار بمعنى "جرى (الماء)". لقد تعرضنا لدلالة كلمة الماء مع الاسم إبراهيم -عليه السلام-، التي تشير في الصعيد الروحي إلى العلم والمعرفة.

إذا ما استذكرنا أن الحروف تاء (ت) وطاء (ث) حرفان يدخلان في تناوب، يمكن أن نلاحظ مرادفًا للجذر الذي عايناه للتو، الذي هو قريب منه خطيًا : ثر "أعطى ماءً غزيرًا (نبع)" مع التعت ثر [بضم التاء] (مؤنثه ثرة) "وفير الماء (مزن، نبع)" والصيغة الفعلية ثرر "أروى حقلاً"² -جذر نلتقيه في القرآن : ﴿وَمَا تَحْتِ الثَّرَى﴾ (سورة طه- الآية : 6) مع الكلمة ثرى "الأرض الرطبة"³.

يمكن موازنة هذه الترجمة مع الآية الخامسة والستين (65) من سورة التحل :

﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً، فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾.

هذا المثل يمكن إسقاطه، على القرآن، كما الكتب المنزلة السابقة التي منها التوراة -حكم الله-، مثلما نص عليه القرآن الكريم، حين كلامه عن هذا الكتاب (التوراة) :

﴿وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ﴾ (سورة المائدة- الآية : 43).

1. حسب موسى بن ميمون (مصدر سبق ذكره)، يترجم اسم التوراة بـ "الحكم، العقيدة".
2. تتجسد هذه الترجمة، فيما يبدو لنا، في الآية الخامسة (5) من سورة الجمعة، حينما استخدم تحديداً بصدد الكلام عن التوراة، الفعل حمل إحدى معانيه "امتلاً، فاض (التهر)".
3. يمكننا معاينة أن هذا الاسم ثرى، متواجد في إحدى تسميات إسماعيل، التي رأيناها أعلى السياق.

2.2.3 الإنجيل

أنزل الإنجيل على الرسول عيسى -عليه السلام- ويمكن أن تتفسر هذه التسمية بمعنى الكلمة الأصلي العربي : تتكون من جزأين ، الأول إنجيب من الجذر نجا، الذي يعني "أنقذ، سلم من". وفي صيغة فعلية أخرى أنجى، لها معنى "ابتعد بعد أن سكب الماء (مزن) ، أثمر تمرًا يانعًا (نخيل)". الاسم ذو علاقة بالجذر الأول وهو نجو أو نجاء الذي يعني "عافية، سلامة" ، واسم آخر يدل على خاصّة العلوّ والعظمة والارتفاع، مع نجاة أو نجوة "مكان مرتفع، هضبة". ونحصل مع الصيغة الفعلية الثانية على معنى "المزن المثقل ماءً، الذي يسقي أرضاً ضماى" أو "التخلة التي تثمر تفرًا يانعًا"، تعبير مجازي للروحانية¹. أما الجزء الثاني نيل، اسم ينعت به الله (كما في التسميات إسماعيل، إسرائيل، رفعايل).

هكذا، الاسم، إنجيل يعني "النجاة من عند الله"².

يمكن أن نلتقي اسمًا في اللغة البربرية معناه قريب من الكلمة نجو "المزن الذي يسكب الماء" : وهو أنجي (ينطق بالجيم المصرية أي أنثي)³ "نبيع غزير الماء"⁴- كلمة لجنيستها (بالعربية) ثر (مؤنثه ثرة) هي ذاتها التي رأيناها في مباحثة اسم التوراة- مع الفعل إنجي (أنثي) "أعطى الماء بغزارة (نبيع، مزن، سماء)".

هناك، إذا، علاقة دلالية صريحة بين تسمية الكتابين المنزّلين، التوراة والإنجيل، وأسماء أخرى لأنبياء -عليهم السلام-.

1. هذان المعنيان، في تناسب مع النص القرآني (سورة مريم-الآيتان : 24-25)، حيث يسرد مخاض مريم -عليها السلام-، أم الرسول عيسى -عليه السلام- : ﴿قَدْ جَدَّ رَبُّكَ ثَمْرًا سَرًّا﴾ (24)، ﴿وَمَرْيَمُ إِذِ ابْتِغَىٰ خَلْقًا فَتَقَطَّعَكَ رَبُّهَا جُنْبًا﴾ (25). [ها هنا، الجذر جنى هو مرادف وإقلااب للصيغة انجى (الجذر نجا). السري والرطب الجنى هما الترجمة الحرفية واستعارة اسم الإنجيل، للوحى على عيسى -عليه السلام-].

2. يذكر عيسى -عليه السلام- أحياناً، في الإنجيل، حسب لوقا باسم المخلص.

3. بتناوب بين الجيم (ج) و القاف (ق).

4. في مجموع الآلهة البابلي، يتلقب بالاسم أنثي (جنيس الآخر البربري الذي ذكرناه للتو) الالهة المياه والعنصر السائل.

3.2.3 القرآن

أ/ دراسة دلالية

ترجمة الكلمة قرآن -التي عليها يتعقد الإجماع فيما يبدو- المشتركة عند جميع المؤلفين (العرب منهم أو المستشرقين)، أهي الوحيدة المحصل عليها، بالنظر إلى المبحث الدلالي الذي كرسناه بخصوص، أسماء الأنبياء و/ أو الرسل وتسميات الكتب المنزلة قبل نزول القرآن ؟

1/ الجذر قرأ يعني في المقام الأول "شَقَر كتابة (طالع)، تلاً، درس" : يسمح هذا المعنى بالتفسير المألوف للكلمة قرآن (من الجذر قرأ) على أنها "قراءة، تلاوة، تعليم". ترجم قاموس "المعجم الوسيط"¹ كلمة "قرآن" بـ : كلام الله المنزل على الرسول محمد -صلى الله عليه وسلم- مخطوط في النسخ الشريفة.. وعلى هذا، فجذرنا (الجذر محل النظر قرأ) يحتمل دلالات أخرى : "قرأ (كتاباً، أو في كتاب)، تلا بقراءة النص القرآني أو بغير قراءته (استظهر عن ظهر قلب)، جمع ووحد (أشياء...)". الصيغة الفعلية أقرأ بدورها تعني : "هبت في وقت ملائم (الرياح)، طلب القراءة من أحد، بلغ تحيات لأحد"، وأيضاً "اعتكف طاعةً لله، تفرغ لعبادة الله".

في الفصل السابق، رأينا أن إبدال بعض الحروف في الجذور العربية ليس نادراً، بالمحافظة -في الغالب من الأحيان- على معناها الأصلي. يمكن إسقاط هذا القياس على الحروف أ. و. ي.، المسماة بحروف العلة، التي تعوض واحداتها الأخرى بصورة جارية². يتعلق الأمر هنا بالجذرين قرأ وقرى. نذكر أساساً

1. لمجمع اللغة العربية (1393 / 1973).

2. على سبيل المثال :

- جانع وجوعان، جمعها جياع وجوع،

- روى "ماء غزير" وري "سقي وفير"،

- بري، جمعها بُراة وبراء وأبرياء.

المعاني التي تنسجم مع السياق الدلالي للعلمية المدروسة سابقاً (أسماء الأنبياء وتسمية كتب منزلة).

2/ الجذر قرا

- الاسم قرو يعني "حوض، مورد (مسقاة)، قناة مِغْصَار، وعاء ماء"،
"كل ما هو على طريق واحد، يتبتي أشخاص التوجّهات نفسها،
قاعدة الحياة ذاتها"، "أرض مغطاة كلّية بماء المطر"،
• الاسم قزوى له معنى "طريقة تصرف، عادة، طريق أصلي (أول)"،

3/ الجذر قرى

- الفعل قرى يعني "جمع، وحد" (مرادف الفعل قرا إذا في أحد معانيه)،
وايضاً "قدم طعاماً (لضيف) ؛ احتبس الماء في حوض"،
• الاسم قري [بفتح القاف وكسر الراء] (جمعه أقراء وقريان) له معنى
"مجرى سيل أو نهر، قناة، مجرى يتصبّب الماء فيه من تلة أو ربوة
(مكان مرتفع) نحو حجة غطاء، أو نحو حوض أو بئر"، كل ما هو
على طريق واحد"،

4/ فضلاً عن هذا، تكشف لنا، صيغ مشتقة (حروف واحدة من الجذر قرا
مرصوفة بأوجه مختلفة بعضها إلى جانب بعض) عن معان ذات علاقة بمفهوم
التدين أو بالعنصر السائل. لهذا :

- راق تعني "صار صافياً، نقياً، أصبح أفضل من" مع الصيغة اراق "أهرق،
سكب سائلاً" وللصفة روق معنى "خالص (ماء)"،
• رقى "صعد، ارتفع درجات"، إلخ ، وايضاً "عوفي من أذى بقراءة القرآن"،
مع الصيغة ترقى "مضى قدماً (تحسن) في علم"،
• وقر "بجل، احترم شخصاً، عظم، اثنى"، وايضاً "صار هادئاً وصبوراً"،
كما "صار مثقلاً ثمرًا (التخلة)" ، مع الاسم وقر (بكسر الواو) عبء،

ثقل، حمل"¹ كما ورد في القرآن ﴿فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا﴾ (سورة الناريات- الآية : 2).

الذي يصف، حسب المفسرين ، السحاب (المتلإ ماء) ،

• ورق "صفح، طلع/ أنمى، أنتج ورقاً (الشجرة)" مع الأسماء ورق "أوراق

(الشجر)" ، "صفحة كتاب، صفحة من قرطاس" ووراق "اخضرار

الأرض المغطاة نباتاً".

هذا الجذر له علاقة دلالية مع الرطوبة كما الكتابة والمسطور : وهو

(المعنى الأخير) ما ورد في نص الآية :

﴿وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ فِي رِيقٍ مَّنْشُورٍ﴾² (سورة الطور- الآيتان : 2-3).

ب/ تاويلات

تسمح لنا الباحثة الدلالية للجذور الثلاثة، سابقة الذكر (قرا وقرا

وقرى) ومباحثة أسماء كثير من الأنبياء -عليهم السلام- وتسمية كتب

منزلة (التوراة والإنجيل) باستنتاج أن كلمة (تسمية) "قرآن" هي اسم

متعدد الدلالات :

1/ موازاة لعناه الذي هو "قراءة، تلاوة، كلام الله المنزل والمكتوب"، نستطيع

فهمه بـ "كتاب" ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ (سورة الحجر- الآية الأولى)، ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾

(سورة فصلت- الآية 41)، ﴿وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ﴾ (سورة الطور- الآية : 2).

1. هذان العنيان "صار منقلا (او اعطى) ثمرا" و"حمل عبئا، حملا" هما ترجمة، (الآية الخامسة -5- من

سورة الجمعة) لجذر آخر (حمل)، للاستخدام بصلد كتاب كريم، التوراة (لقد ذكرنا ذلك وشرحناه

اعلى السياق-الفصل الثاني-3.3).

2. الاسم رق "قرطاس رهيف، صفيحة ورق"، هو مرادف ورق.

هذه الترجمة، تتوافق مع سيورة تحليل وتركيب كلمات معجم اللسان العربي (أو اللغات العروبية)، سيورة قدمناها في الفصل السابق. هكذا يمكن تحليل الاسم "قرآن" إلى جزأين :

• الأول ق، مقطع صوتي، ينتسب إلى الجذر وقى، الذي يعني "حمى، حفظ (شيئاً)، رعى..." كما في الآية السادسة من سورة التحريم :

﴿قُرْآنُكُمْ وَأَهْلِكُمْ نَارًا﴾

• الجزء الثاني هو "ر" (الشكل المختصر لكلمة المعجم البربري "رأ") بمعنى "مكتوب، كتابة"¹، بينما التون (ن) هي لاحقة (حرف زائد). الاسم قرآن يعني بالتالي "الكتاب المحفوظ أو المصون" كما هو مخترّف في النص القرآني :

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ، وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (سورة الحجر-الآية : 9)

2/ المعنى "نهج أصلي أو أول" يمكن الاحتفاظ به. ممثلة له الآيات (من بين الآيات) :

• ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾، (سورة لطيف-الآية : 26) ،

• ﴿وَإِنَّمَا لِي زُبُرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (سورة الشعراء-الآية : 196) ،

• ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ، وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْذِلِينَ﴾ (سورة التحل-الآية : 125)

3/ التفسير الثالث يخص "مجرى سيل أو نهر (من مكان مرتفع نحو جثة مخضوضرة، أو حوض أو بئر)". هو ترجمة (أو كما ينبغي أن تكون) الاسم

1. نجد مفهوم المكتوب هذا -ممثلاً له بالحرف ر- في كلمات عربية مثل : - رسالة "خطاب، جواب، مهمة".

- رسم "أثر، خط، مخطط، رسم".

- رقم "كتابة، رمز" ورقيم "كتاب".

- سطر "عمود ممدود، خط، مكتوب، كتابة".

، إلخ.

قريان (جمع مفردة قري)، كتابة تحويلية لاسم قرآن -مع إبدال الألف ياء (ممدودا بألف أو "مدة").

تستند هذه القراءة المتميزة إلى كون هذه الدلالة لها علاقة مع مجرى الماء (سيول، أنهار)، كما المناطق المرتفعة أو الأماكن المليئة بالماء (بئر، حوض، ...)، وهو ما يُقيم قرابة دلالية مباشرة مع الاسم "عرب" ... ما يربط تحديدًا بالعبارة "قرآن عربي"، المشار إليها سبع مرات.

ترجمة هذا المجاز "مجرى سيل أو نهر ... يمكن أن تحمل -فيما يبدو لنا- على آيتين (وليستا الوحيدتين) :

- ﴿أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾ (سورة هود - الآية : 14)

- ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ (سورة التحل - الآية : 65)

هاتان الآيتان اللتان شرحناهما أعلاه هما -بين أخريات عديدات- تعبير عن "علم الله"، علم "مسوق" أو "منقولاً بالكتاب" : هو صورة المطر الذي يتنزل من السماء، أو ماء التهر الجاري، من نبعه، نحو الوادي (ماء يقله مجرى التهر ذاته) ،

- ﴿وَيَجْعَلُ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلُ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ (سورة نوح - الآية : 12)

هذه العبارة تبدي تناظرا تترجمه الكلمة قرآن، في آخر دلالاتها، وهي "مجرى نهر، الذي ينحدر من رابية صوب حجة مخضوضرة".

- تعطينا الآية السابعة عشر (17) من سورة الرعد الترجمة الحرفية لعنى قري، (جمعه قريان)، الذي هو "مجرى نهر" :

- ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾.

تتمة الآية تسمح لنا بمعاينة أن الاسم قرآن (أو قرآن)، له معنى يتناسب مع دلالة -التي لها علاقة مع الماء المنزل من السماء- تسمية الكتب الأخرى المنزلة، التوراة والإنجيل.. وهكذا يمكن أن نقرا :

﴿فَاحْمِلِ السِّدْرَ زَيْدًا رَأْيَا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَيْدٌ مِثْلُكُمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزُّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَنَكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾. (سورة الرعد-الآية : 17)

هذا الماء الذي أنزله الله من السماء يمثل تجسيدا ملموسا لإنزال الكتب، بخاصة القرآن، الذي يمثل الحقيقة، الحق والحكم والعلم ... : رسالة موجهة للعالمين.

4/ التفسير الرابع لهذا الاسم ذاته -مع المعنى "كل ما هو على طريق واحد"- ينعت الصراط المستقيم، كما أن كل كتاب يؤكد سابقة

﴿وَقَيْنًا عَلَى آثَارِهِمِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ النُّورِ وَأَتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ النُّورِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (سورة لائحة- الآية : 46)،

﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ (سورة لائحة- الآية : 48)

يمكن أن نلاحظ أن كلمة هدى "الصراط المستقيم" تستخدم لنعت، في النص القرآني، كل واحد من الكتب المنزلة الثلاثة.

على غرار آية مماثلة (في المعنى) :

﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرَّسُولِ مِنْ قَبْلِكَ﴾ (سورة فصلت - الآية : 43)

ما تلخصه الآية التالية في شطرها الأول :

﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ (سورة آل عمران - الآية : 19)

هنا الاستقرار الإضافي (للاسم قرآن) يسمح لنا بتحرير ترجمة ثانية لعنى الآيتين، السابعة عشر والثامنة عشر (17-18) من سورة القيامة في كليهما يبدو الاسم قرآن -اسم في معنى مختلف عن الدلالة "كتاب" (قرآن)، لأن هذا المتقدم يُلفظ هـ (هـ) "ضمير عائد على هو" نعت بيان لكلمة قرآن، كلمة تسبق الضمير - :

﴿إِنْ عَلَيْنَا جَمْعُهُ وَقُرْآنُهُ﴾ (الآية 17) حيث قرآن له معنى "مجرأه، طريقه"¹

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ فَأَتِعْهُ﴾ (الآية 18) "دليله (أو اخضع لتعاليمه)"²

نجد هنا للعنى -مع الفعل ذاته "أتبع، اخضع" - في الآية الثانية من سورة الأحزاب ،
﴿وَأَتِعْ مَا يُرْحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾

5/ الفعل قرى، الذي يعني "قدم طعاماً (للضيف)" أو "احتجز الماء في حوض" له معنى يتناسب مع معنى الاسم "إنجيل" في علاقاته مع التغذية (الروحانية)، مجسدة بمثل "التخلة التي تثمر رطباً جنيًا" من جهة، ومن أخرى مع معنى تسمية الكتابين المنزّلين (التوراة والإنجيل)، في سياق دلالي "رطب" (نبع، بئر، حوض، أرض مروية، مزن مثقل ماء). بهذه الحجة يلتقي الجنران قرى وعرب ،

6/ علاوة عن هذا، الكلمة "قرآن" يمكن أن تكون مرادفةً للكلمة جمع "ضم، اجتماع"، كما نصت عليه الآية ﴿إِنْ عَلَيْنَا جَمْعُهُ وَقُرْآنُهُ﴾ (سورة القيامة - الآية 17)، التي أوردناها للتو، المتعلقة بالوحي المنزل على محمد -صلى الله عليه وسلم- والممتدة على ثلاث وعشرين سنة، الذي جمع وضم في كتاب واحد، القرآن (بعد نسخه). مرادف آخر للمصطلح "قرآن" هي الكلمة ذكر "ما ينبغي استحضاره اقتضاءً للصراط المستقيم"

والله أعلم

1. ترجمته، في مرجع الوزارة السعودية، المذكور في ثبت المراجع، هي "وجه تلاوته".

2. الترجمة، في المرجع نفسه، هي "تلاوته".

3.3 في اللغات العروبية

1.3.3 في علاقة مباشرة مع الجذر "عرب" (معنى ذو علاقة بالماء)

أ/ معجم

- في الأكادية : عَرَبْتُو (جمع عرب) "مزن محمل ماء"¹. يمكن مجانسة هذه الكلمة مع الكلمة "سما" العربية، من الجذر سما "صار مرتفعاً، علا"، التي تعني أيضاً "سحاب، مطر".

- في الكنعانية : عربية "سحاب يعطي المطر"².

- في الأرمينية³:

• عَرَاب أو عرب : كاهن معمد (كاهن يُعمد⁴ طفلاً في الكنيسة)،

• تعريب : فصل القطنيات، الحبوب، بالماء ...،

- في العربية⁵ :

• عربية إسماعيل "بئر زمزم" (بمكة المكرمة)،

• وادي عربية "وادي الماء" (الرافدين)،

• العربات "زوارق تمخر دجلة" (النهر)،

• عروب هي زوجة "صريحة وصافية، كما نبع الماء"،

• عرب "ماء غزير وصاف"،

• الأعراب "من ليس لهم ماء (البدو)"،

• العرب "الذين يقيمون قرب مواقع الماء (الحضر)"،

1. محمد بهجت قبيسي "ملاحع في فقه اللهجات العربيات".

2. محمد بهجت قبيسي، مصدر سبق ذكره.

3. محمد بهجت قبيسي، مصدر سبق ذكره.

4. للاسم تعمد في اللغة اليونانية معنى الفمس.

5. محمد بهجت قبيسي، مصدر سبق ذكره.

• عريب "سحاب يعطي المطر"

• عروباء "اسم السماء السابعة"

- في عبرية القرن الثاني عشر (القرن السادس للهجرة) عند موسى بن ميمون¹ :
بالتسبة لهذا المؤلف، الكلمة من الجذر عرب، عربوت تعني الفلك العلوي الذي
يحرك الأفلاك الآخر ويحيط بها. هذا الفلك وصفه "الكتاب المقدس" بالكلمة
عربوت ארבות ويقال دائماً أن هناك سبع سماوات وأن عربوت هي أعلاهن
("سفر المزامير"). أشير إلى أن كلمة عربوت جمع عربية ארבות، مرادفة
لكلمة مركبة ذات الجمع مركبوت ארבות، كلتا الكلمتين مجانستين
للكلمتين العربيتين : عربية ومركب اللتين لهما المعنى نفسه.

ب/ أسماء أعلام

- عربايا : اسم مملكة أرمية، عاصمتها تسمى الحضر، تقع في وادي الترتار، في
بلاد الرافدين، شمالي بغداد.

يخبرنا محمد بهجت قبيسي أن رواية عربايا هي صيغة الجمع المعرف للاسم
عرب أي العرب (بينما الجمع غير المعرف يكتب عربين أي "عرب")².

- عربات (سهم عربات) : لسان أرض رملي ضيق وطويل متصل بشبه جزيرة
كريميا، عند بحر الضوء³ (خليج شكله البحر الأسود ويصب فيه نهر
التانيس). هذه التسمية -إما في علاقة مع تواجد بئر ماء زلال أو في علاقة
مع وضعيّة "ارتفاع، علو"، لسان الرمل هذا الذي يمتدّ ناتئاً على الماء

1. موسى بن ميمون -في "دليل الحائرین" (ترجمة S. Munk) - تتلمذ على بن رشد، طبيب وفمصفائي
أنطلسي (ولد بقرطبة) شارح رناستنيل.

2. حسب محمد بهجت قبيسي (مصدر سبق ذكره)، عربین أو عربیل هو اسم أرمي، يعني "مياه الرّب"،
أي عرب نیل (حيث عرب تنعت المياه). يمكن أن نلاحظ اللبنة من الاسم نفسه عربیل (أربیل أو
إربیل) في شمال بلاد الرافدين (شمال العراق الحالية).

3. نجد في هذه التسمية -بحر "الضوء" - الاسم الضوء، الذي شرحناه أعلى السياق.

"مرتفعاً" بالتسبة لمستوى سطح البحر- هي عنصر إضافي يضم إلى رصيد الاستعمار العروبي في شمال البحر الأسود (وادي التانيس ووادي الدانوب).

- شط العرب : هو الجزء الشمالي للخليج العربي، الذي فيه يصب نهر دجلة والفرات. هذه التسمية التي تفسر عادة "شاطئ العرب" قد تقرا -توافقاً مع دلالة الاسم "عرب" المنصوص أعلاه- بمعنى له علاقة بالماء، أي "شاطئ (أو مصب) الماء العذب (لهذين التهرين)".

- عروبة وعروبا : اسم الأميرة الفانقية.

لقد رأينا أعلى السياق أن الاسم عرب، أسم فانقي (أو عروبي)، لا يزال مستعملاً إلى يومنا هذا، خاصة في المغرب، بشكل عرب أو العربي. مؤنثه عروبا (أو عروبة)، يكتب باليونانية "Eurôpe". هذا الاسم يعني "جميلة، لطيفة" أو "خالصة وصافية" (كما الرصد)، اسم نلتقيه بالدلالة المشار إليها أعلاه نفسها في القرآن:-

﴿عَرَبًا أَتَرَابًا﴾ (سورة الواقعة- الآية : 37)

عروبا، اسم تلقبت به حفيدة ميناو، ملك قرتا (يكتب Aeropê أو Erope)،

أم لأجاممنون ومينائيل²، وتلقبت به أيضا جدتها، ابنة فانق أو أجانور (ملك فانقيا) واخت قادم. وخطفها "ضوء" الآلهة متنكراً بهيئة ثور، وجلبها إلى قرتا³ واعطت اسمها للقارة الأوروبية (بإبدال العين ألفا).

2.3.3 في علاقة دلالية مع الجذر عرب

أ/ مجموع الآلهة الكنعاني-الأرمي

- بعل : آلهة السماء والأرض والعاصفة : لَوُح بالرعَد وأنزل الأمطار المخصبة. ابن لأشرات-يم "سيّدة البحر"، يشرف على العناصر الرطبة. وامتثلت الآلهة حداد، آلهة العموريين والأرميين، المسمى بالتالي بعل-حداد.

1. هذا الاسم، عروبا (من الجذر عرب) أشار إليه Z.S.Harris (مرجع سبق ذكره) باعتباره اسم

فانقي. حسب الصرف والتحو الأرمي، الحرف الصائت للذي (ألف) الذي به ينتهي هذا الاسم، أي أ لعروبا، ينبغي أنه أداة التعريف العهدية، مما يجعلنا نترجم هذا الاسم عروبا بـ"الظريفة، اللطيفة".

2. انظر كتابنا "الاستعمار العروبي في بلاد الإغريق القديمة".

3. صارت عروبا أمنا لميناو، غدامتن وسرفنون.

- هذا الاسم، حنّاد، يتألف من كلمتين كنعانيتين : ح (أداة التعريف) وناذ [يابذل بين اللال (د) واللال (ذ) في الفانقية]، الذي يعني "ساعد، دافع عن شخص"، وبالتالي مرادف الجذر الكنعانيّ عرب، الذي صايفناه في المدرج (1 - ز) من الفصل نفسه. وهو الاسم ذاته للثبي داوود - عليه السلام¹.

نجد هذا الجذر ذاد في العربية، بمعنى "حمى" أو في الاسم حديد (من الجذر نفسه للاسم الكنعانيّ المزجيّ باسم آلهة)² الذي يعني "معدن" أي "ما يحمي أو يدافع عن شخص" هذه الدلالة أيضاً، متناسبة مع:

• معنى الآية القرآنية

﴿وَعَلَّمَآءُ صُنْعَ لُبْسٍ لَّكُم لِيُخْضِعُوا مِنْ أَتْسَافِكُمْ فَكُلُّكُمْ شَاكِرٌ﴾ (سورة الأنبياء- الآية : 80)

مع استعمال كلمة لبوس بمعنى "لباس، درع، زرد" (معدني)،

• كذلك مع معنى الآية الخامسة والعشرين (25) من السّورة المسماة تقييداً "الحديد" (سورة الحديد- الآية : 57) :

﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ، وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.

بالفانقية، الاسم بعل يعني كذلك "سيد"، مرادف رب، الذي يعني أيضاً "عال، مرتفع".

- رمّون "المرعد"³ : هو أحد أسماء آلهة العاصفة والرّعد، حنّاد، عند الأرميين. بيت-رمّون، في دمشق، كان معبداً شهيراً بمنبح ملحوظ. نجد في هذا الاسم المزجيّ باسم آلهة الجذر ر. م. "عال، مرتفع"، مقرون باللاحقة ن (أو -ون).⁴

1. انظر كتابنا "العرب، محرّكو التّيانات الحنيفيّة الثلاث".

2. الاسم حديد، لذا، يتألف من كلمتين، حيث يمثل القطع الأوّل ح أداة التعريف (في الكنعانية).

3. وإلى جانب ذلك فهو اسم مدينة بكنعان (فانقيا).

- عليّين : روح المياه الجارية، التي تسبّب الإنبات ، وهو ابن بعل. بإمكاننا معاينة أن الجذر علا، الذي يعني "صار مرتفعا، ..."، له علاقة مع المياه الجارية : مَعْتَيْنِ كَمَتَيْنِ في الجذر عرب، الذي كُتِبَ قد درسناه. الصّفة عليّ (جمعها عليّون) تعني "سام، كبير، شريف، مجيد، مرتفع" في حين أن الاسم عليّون له معنى "مكان شاهق في السماء ، ملائكة".

- دجون أو دجان : آلهة الحصاد والزرع، مبدع القمح : هو والد بعل. الاسم دجن (جمعه دجون ودجان وأدجان) يعني "ظلّ السحاب، مطر غزير"، من الجذر دجن "أصبح مظلماً وممطراً (الجو/ الطقس)".

ب/ مجموع الالهة البابلي

- انكي أو آيا : آلهة المياه، والعنصر السائل، كان له اليد الطولى على الشعائر، أين كان للماء دور رائد، وكذا رب العلم والحكمة¹. لقد رأينا أعلى السياق الاسم المجانس لهذا الاسم المزجي باسم آلهة، في اللغة البربرية التي معناها "نبع ماء غزير".

- أنو : آلهة السماء (السماء باعتبارها مصدر الماء، المكان الذي فيه يتألف الودق). نجد هذا الاسم المزجي باسم آلهة، كاسم جنس في العربية مع نوء (التوء) "المطر"، وفي البربرية أنو "البئر"².

- لالا أو حلال : من أصل كنعاني، آلهة العواصف والروابع، وأيضا رب المطر، "سيد الرخاء".

3.3.3 أسماء آخر

ا/ معان، اسم مشتق من عين "نبع".

في الباب الأول (الفصل الثاني)، تكلمنا عن الإشارة التي في الكتابات المنقوشة البابلية لأهال، سُمُوا معينين أو معانيين³، باعتبارهم عمالقة، من

1. لقد رأينا مع تاويل تسمية الكتب المقدسة (التوراة والإنجيل) ن أن الماء، على الصعيد الروحي، ينعت العلم والعرفة.

2. تأمل تناظر هذه الأسماء مع الكلمة عين "نبع" في الباب الثالث-الفصل الثاني (معجم).

3. يكتب هذا الاسم أيضا ميناوين.

أصول رافدية. هذا الاسم معانيين أو معنيين قد يكون جنيس التسمية عرب، بشكل دلالي واضح. على غرار اسم عرب، الذي يمتّ معناه بصلة للماء، تسمية شعب السابقة (أي المعينيين) ذات الجذر ع. ي. ن.، حيث يعني اسم عين "نبع" واسم الفاعل معين "الذي ينبجس على سطح الأرض (نبع)". نجد هذا الاسم الأخير في الآية الثلاثين (30) من سورة الملك، بمعنى "نبع" (مَاءٍ مَّعِينٍ).

ب/ عدن أو عدنان

كلمة تستخدم في سورية، في الفلاحة، تنعت كمية الماء التهرى المستخدم والمقيس حسب مساحة الأرض المروية والزمن الذي يستغرقه سقي الحقل، حسب الماء المتوفر أو موسم الأمطار¹. واندراج استعمال هذه الكلمة قصرًا على سورية، لا يوسعنا إلا افتراض أصلها الفانقي (أو الأرمي).

للفعل عدن في العربية معنى "سمّد (التربة)، حفر (الأرض)" : نجد الاسم عدن غالبًا نعت بيان لكلمة "جئات" (جئات عدن).

ج/ رمى - عرب

- الجذر رمى، يرادف معنى الجذر عرب، مرتين : طورًا مع معنى "السحاب" (رمي) وطورًا ثان مع "قرض (ربوي)" رماء،

- الجذر رمى، يعني أيضًا "قذف قذيفة، بلغ، أصاب شخصًا في بعض جسده (الله هو الذي يصيب)"، مع الاسم رمي جمعه أرماء وأرمية "مزن صغير يعطي قطرًا كبيرًا الحجم".

أرميا (أرمياو وإرميا) هو اسم نبيّ مذكور في "الكتاب المقدس"، -الاسم الذي يترجم الكلمة "سحاب" - معاصر ملك بابل، نبو-خذ-نصر. له معنى

1. تعريف قدمه محمد بهجت قببسي (مصدر سبق ذكره).

جنيس أسماء أخرى لأنبياء (إبراهيم، إسماعيل وإسحاق -عليه السلام-) في علاقتها الدلالية بالطر. وهو أيضا تسمية منطقة بأعالي الرافدين (شمال شرقي نينوى)،

- الجذر رمى لـ، الذي من معانيه "دافع، حمى شخصا"، يلحق دلاليًا بالجذر الفانقيّ عرب "ساعد"، دافع عن شخص، أما صيغة الفعل أرمى على "أربى" والاسم رماء "ربا"، معناهما قريب لمعنى الكلمتين : عارب "رهن، ضمان" الفانقية أو العربية "عربون، ضمان، رهن"، مشتق من صيغة الفعل أعرب "أعطى عربوثا".

هذه الدلالة الأخيرة نجدها في الجذر ربا "ارتقى تلة" -الذي كُتا صادفناه في مدرج العنوان 1- مع الصيغة رابى "أقرض بفائدة" مع الاسم ربي (ربا) "قرض بفائدة".

- الاسم رمى على "امتياز، تفوق على شخص" قريب دلاليًا من الجذر أرب -الذي كُتا رأيناه في بداية هذا الفصل- والذي له معنى "ماهر في شيء، أنهى، أتقن شيئًا" مع الصيغة الفعلية أرب "تفوق على شخص".

د/ أرم - عرب

كلمة أروم وأرومة (من الجذر أرم) تعني "جذر، أصل"، معنى يمكن أن يسقط على اللغة العربية، لسان القرآن -اللغة- الأم لجميع اللغات العروبية- كما على الأريم (أو الأزمين-العزمين) أي العرب، متكلمي لغة واحدة، ذوي سلف مشترك. كما يمكن حملة أيضا كأصل البشرية الثانية، بعد الطوفان، المنحدرة من مناطق مرتفعة (مناطق جبلية).

4.3 العرب والأعراب في القرآن

إذا كان الاسم "عربي" لم يستعمل في القرآن إلا كصفة، نعت بيان للقرآن الكريم أو الحكم أو اللغة، أو النبي -صلى الله عليه وسلم-، فالاسم أعراب يستعمل هو الآخر كاسم، ويشير إلى نمط مجتمع محدد، مجتمع البدو والرحل.

هؤلاء المذكورون يتعرفون -وقد رأينا ذلك مع دلالة الجذر عرب- كأولئك "الذين يغوزهم الماء"، أي مقابلة للعرب "الذين يقطنون قرب موقع ماء (الحضر)"¹.

الآيات -في بعضها على الأقل- التي تتكلم عن الرّحل تتيح لنا رصد معنى هذا الاسم أعراب، في الصعيد الأخلاقي والروحي: يتعلق الأمر بـ "أولئك فاقدى الماء" ولم يتلقوا علماً (دينًا) في الأصل، ولا سجايا (أخلاقية)، خلافاً لـ "أولئك الذين يستفيدون من الماء"، أولئك المهتدون.

- هكذا تقدم لنا الآية التالية :

﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَنْ لَا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾،

(سورة التوبة-الآية : 97)

- وفي الآية الواحدة بعد المائة (101) من السّورة ذاتها :

﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُتَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ﴾.

- وفي آية أخرى (سورة التوبة- الآية : 99)، يصف بعض الرّحل كمؤمنين حقًا:

﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ...﴾.

مما يلزم عنه أنه لا يكفي فقط أن تكون من الحضر (مقيمًا قرب موقع ماء) لتكون مؤمنًا، كما أن كون المرء بدويًا، لا يحول دون التقرب من الله والتوبة إليه. وهو بالتحديد ما اتفق من ذكر اسم أعراب في السّورة المسماة بسورة التوبة، ستّ مرات (من كسر تسع في مجمل القرآن).

1. مما يعطينا المتلازمات الثلاثية التالية :

- لا تحضر دونما ماء.

- لا طهارة دون ماء. ﴿وَيُزِيلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَ كُفْرَكُمْ وَيُذْهِبَ عَنْكُم رِجْسَ الشَّيْطَانِ﴾ (سورة الذنغال-الآية : 11)

- لا أنبياء دون حضر. ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا بِوَحْيِ الْيَهُودِ مِنْ أَهْلِ الثَّرَى﴾ (سورة يوسف-الآية : 109)

4. جملة القول

في متن هذا الفصل، أعطينا ترجمة أسماء عدّة لشيوخ وأنبياء و/ أو رسل، من سام إلى أرميا (بالتحفظ إذ لم يذكر في القرآن)، مروراً بإبراهيم وأبنائه، الذين ينحدر جميعهم في عمود نسب مباشر عن النبيّ نوح -عليهم جميعاً الصلوة والسلام-.

هذا للتقدم، يتلقّب باسم يكتب "نوح" في العربية، ذي الجنر ناح، الذي "لا يُسائر" -بدلالة واضحة- النصّ القرآنيّ أو نصّ "العهد القديم". في حين أنّه مُراعاةً لمهمته النبويّة (أي نوح -عليه السلام-، مذكور في القرآن، في السّورة القرآنيّة التي تتسمّى باسمه) وبالتنظر إلى تسمية كثير من ولده وأحفاده (حتى إسماعيل وإسحاق -عليهما السلام- مثلاً)، وهي التسمية التي ترتبط دلالتها بالسماء، والسحب والطر، فإنّنا نحالّ -بصورة طبيعيّة- إلى اسم ذي معنى جنيس.

زيادة على هذا، إنّنا ما استحضرنّا أنّ هناك حروفاً (أو أصواتاً) يمكن أن تختلط بأخرى (هي ظاهرة إبدال الحروف المتباحثة في الفصل الثاني من الباب الثالث)- بالضبط الهمزة (ء) والحاء (ح)¹ في حالتنا هذه- يمكن قراءة اسم نوح بالأداء "نوء" (من الجنر ناء). تحديداً هذه الكلمة هي التي تعني "مطر"، والتي تكتب "نوء" (جمعها أنواء أو أنوء).

هذا التأويل يتوافق مع نصوص "الكتاب المقدس (سفر التكوين)" المرتبطة مع الطوفان : ، سامطر الأرض أربعين يوماً وليلة ... سيعمّ طوفان المياه الأرض ... انفجرت كلّ ينابيع الغمر العظيم وانفتحت طاقات السماء . وفي نهاية الطوفان ("سفر التكوين") ، بارك الله نوحاً وبنيه، ويخاطبهم : لثخصبوا، وتكاثروا، ولتملأوا الأرض ، (تعبير جنيس ذلك الذي به خوطب إبراهيم وإسماعيل وإسحاق).

1 . لقد رأينا، في الباب الأول (الفصل الثالث)، أنّ الجنر رفع يمكن امتثاله في رفا.

وكذا يثبت القرآن : (سورة نوح - الآيتان : 1 و 11)

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾.

﴿بِرِسَالِ السَّمَاءِ عَلَيْكُمْ مِدْنَارًا﴾.

نجد اسم هذا الرسول -عليه السلام-، يتلقَّبُ به آلهة رافدية -أنو، آلهة السماء- اسم مرادفه وجنيسه. إنه من الراجح أن العرب الوثنيين الذين عبدوا الصالحين الخمسة، بعد موتهم (قد أشير لهذه الآلهة في القرآن، في الآية الثالثة والعشرين) أو خلفاءهم، قد سلكوا الفعل نفسه مع نوح وألهوه محافظين على اسمه، أنوا أو أنوء أو أنوء (تحويله الصوتي أنو).

فضلاً عن هذا، هناك جذر يوافق تقريباً الأول، وهو نوى¹ يعني "حافظ، رعى شخصاً (الله)"، وأيضاً "هاجر من مكانٍ لآخر" أو "نأى، أصبح بعيداً عن..."، جميع هذه المعاني في طرف معادلة مع الطوفان وملاذ نوح وأسرته داخل الفلك ... وكون ، وأما نوح فوجد نعمة في عيني الرب ، ("سفر التكوين").

وهو ما يتفق أيضاً مع القرآن :

﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ...﴾ (سورة الأنبياء - الآية : 76).

﴿وَنَصَّرْنَاهُ﴾ (سورة الأنبياء - الآية : 77).

الجذر ذاته يعطينا الاسم نواة (جمعه أنواء، جنيس أنواء "الأمطار"). هذه الكلمة التي تعني "لب، جوهر"، ويمثلها بجلاء النبي نوح -عليه السلام-، الذي سيصبح (مع أولاده)، نواة البشرية، النواة هذه متحت ميلاد الجنس البشري، ما بعد الطوفان، وأتاحت إعمار الأرض.

١. التناوب بين حروف العلة : الألف (ا) والواو (و) والياء (ي) وارد بتواتر في معجم اللغة العربية.

وقد حدثت إعادة الإعمار رأسًا في المناطق الأناضولية، والقوقسية ومناطق شمال بلاد الرافدين -مناطق تختلط بالمهد الفضائي المفترض للمتكلمين بلغات عروبية- وبعده نحو المناطق المجاورة.

في كتابه "حضارة العرب"، كتب G. Lebon : «تثبت لنا اللسانيات أنه في عهد جند قديم، جميع المناطق الواسعة، المنحصرة بين القوقص وجنوب البلاد العربية قطنتها شعوب تتكلم لغة واحدة إن لم نقل من عرق واحد.. وأضاف في سياق آخر : « والحال هذه، فادبٌ ولغة ما، لا ينبغي ارتجالهما، ووجودهما، لهُوَ بُرهان ماضٍ سحيق ... لا بد من اقتضاء استعدادات هي دائماً ثمار تراكمات وراثية بطيئة، وبالتالي ثقافة عريضة سابقة ..

هذا الاستشهاد الفيصل لـ G. Lebon يجسد بجلاء الباحثة التاريخية التي قاربناها خلال متن هذا المصنف، كما يبلورُ بصراحة حالة الكمال التي بلغتْها (أو حازتها منذ أصلها) اللغة العربية، وهي حالة ترتبط بخاصة تعقيد بالغ -خاصة أجملناها بضرب مثال واحد "حي"، واضح دلاليًا وفقهيًا (لغويًا).

حقائق لسانية عديدة -دوولت في الفصل السابق- مثل الاشتقاق والإقلاب وإبدال الحروف، والاشتراك اللفظي لجذر واحد، والمتضادات والواحق، إلخ. قد تسمح لنا باستجلاء الجزء الظاهر من اللغة العربية، ولكن لا تسمح بسر الأغوار العميقة لهذا اللسان، مثل جبل عائم رواسيه في المحيط أو ذاهبة في الأرض.

يسمح لنا مثال واحد، متعلق بكلمة "عربي" - كلمة دوننا الإحاطة بها- باستكشاف عدد كبير من الدلالات المرتبطة بهذا الجذر ومشتقاته. كما هو الحال لكل جذر من اللغة العربية. الاسم "عربي"، لوحده، يمكن أن يعتبر تلخيصًا أو ملتقى لاستوصاف الأرض والتاريخ والعلم والأخلاق والروحانية والدين ... دون حصر.

يفسخ لنا هذا المثال مجالات بحث مضاعفة ومتنوعة، التي قد تمتد لا على مستوى كل جذر من اللغة فحسب، ولكن تطال كل حرف من معجم اللغة العربية ! وهنا، نستوعب أفضل معنى الحديث -الذي رواه الترميذي-، ونصنه :

قال النبي صلى الله عليه وسلم : ﴿من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها﴾ (رواه الترميذي والحاكم عن ابن مسعود رضي الله عنهما).

1.4 مقترحات

تتيح لنا الدراسة الدلالية للجذر عرب تهجيته إلى أقسام ثلاثة (يمثل كل منها حرفاً من الجذر) ونقترح دلالة أو عدة لكل حرف.

• الاقتراح الأول :

ع	الصيغة المرحمة من كلمة عين "نبع، أصل، جوهر شيء" نلتقيها في الجزء الثاني من ترجمتنا لاسم إسماعيل
ر	هي الكلمة الفانقية (التي رأيناها)، التي تنعت "الجبل" (أي مكان مرتفع)
ب	الصيغة المرحمة لبِت (في الفانقية والأرمية) أو بيت (في العربية) "سكن، منزل"، وأيضاً "معبد، مسجد" ¹ . في الهجاءات العروبية، يمثل حرف الباء بمنزل ويسمى تحديداً بت.

1. نجد هذه الدلالة في القرآن ﴿عَدَيْتُكَ الْمَحَرَّمِ رَبِّيًّا لِيَتِمَّ الصَّلَاةُ﴾ (سورة إبراهيم- الآية : 37). وكذا ﴿وطهر بيتي للطائفين، ...﴾ (سورة الحج- الآية : 26). ومعنى المسجد مقر في ﴿وَيَصْدُقْ عَنْ سَيْلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَا لِلنَّاسِ﴾ (سورة الحج- الآية : 25).

الكلمة "عرب" التي بها يتلقَّب الأهالي (العرب)، أو من باب أولى متكلمي لغات عروبية، لها معنى :

- "أولئك الذين، في الأصل، سكنوا الجبل أو أرضاً مرتفعة : هم الجبليون، قوم حضر"،
- "أولئك الذين يحوزون سجايا أخلاقية شريفة وسامية".

• الاقتراح الثاني :

إذا كانت معرفة لسان الكتاب الكريم، تسمح لنا بفهم قسط كبير من مختلف معاني أي النص المقدس، فالقرآن في حد ذاته يساعدنا على ترجمة بعض الكلمات أو الحروف المكونة لبعض الكلمات : وهو ما أثبتناه أعلاه، مع دلالة -ليس حلية دائماً- للاسم "عربي".

يمكن محاولة تبتي هذه القراءة -باعتبارها أطروحة عمل- على حروف الجذر عرب (على أنموذج شعري، يقوم على تأليف عنوان القصيدة انطلاقاً من الحرف الأول من كل بيت بها)، معتبرين في ذلك الآية الثالثة من سورة قريش، التي تتسمّى تبعاً لقبيلة بني قريش، وهم عرب :

﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾

ع	الصيغة المرحمة للفعل عبد "قصد بالعبادة، أطاع (الله)، خدمه" ¹
ر	أول حرف لكلمة رب "سيد"
ب	الصيغة المرحمة لكلمة بيت (عرفت أعلاه)

١. يمكن معاينة إمكان التناوب بين الحروف : النل (د) والراء (ر)، معاً استدعى قرب الجذر عبد من الجذر عبر (أو عرب بعد الإقلاب). من جهة أخرى، الجذر عبد (في الكنعانية) هو مرادف الأفعال (في العربية) عمل "اشتغل، أنجز شيئاً"، خدم "قام بمهمة، كان تحت تصرف شخص" أو طاع "انصاع لشخص، استجاب له/ انقاد". لقد رأينا، في بداية الفصل، أن الفعل عرب (في الكنعانية) يعني "وقف بجانب شخص، دعمه، ناد عنه"، مما يجعل من هذه الدلالة قريبة من عبد وجنيساتها. بهذا فالتسمية المتقلدة من طرف ملك المملكة العربية السعودية الحالية (البلاد التي بها البقاع المقدسة) تترجم -بالفعل خدم- خادم الحرمين الشريفين (قيم البقاع المقدسة) - بالمعنى عبد "تزلف إلى الله، أطاعه، قام بخدمته".

يمكن تهجئة الكلمة رب، ايضاً، إلى حرفين-جذرين : الأول، الراء (ر) ممثلةً الكلمة الفانقية "جبل" (أو مكان عالٍ) كما الكلمة (الفانقية والأكادية) رب "عالٍ، مرتفع"، في حين أن الجزء الثاني هو الباء (ب) التي نتاولها بـ "منزل". هكذا على الصعيد الاجتماعي (أو الأسري) -في العربية- كما في سائر اللغات العروبية- تعني رب "سيد (البيت)، شيط (القبيلة)، سيد (العائلة)"، وعلى الصعيد الدني، لها معنى "إله (البيت المشرف)" أي مسجد مكة المكرمة، كما تنص عليه الآية المذكورة أعلى السياق.

كلمة "عرب" التي بها يسمّى التاطقون باللغات العروبية إذا لها معنى : "أولئك الذين يعبدون الرب ويخدمون بيته".

• الاقتراح الثالث :

تسمح لنا الآيتين، الأولى والرابعة من سورة العلق، باستقراء الحروف الثلاثة للجذر محل النظر، كما يلي :

- الآية الأولى : «اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ»، بتهجئة كلمة اقرأ إلى حرفين-جذرين : ق (من الجذر و. ق. ي،، غولجت أعلاه) والراء (ر) (سبقت مباحثتها). اقرأ إي "احفظ (بتبليغ) المكتوب (الكتاب)".

- الآية الرابعة : «الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ».

ع	الصيغة المرحمة من الفعل علم : علم "أفهم شيئاً لشخص ما، عرّف"
ر	كلمة المعجم البربري (التقيناها) تنعت "مكتوب أو كتاب"، وتدخل في تكوين الفعل قرأ والاسم قرآن الذي شرحناه أعلاه.
ب	الصيغة المرحمة لكلمة بيت، أو الجزء الثاني من كلمة رب

الكلمة "عرب" التي بها يتلقَّب الأهالي "العرب" تعني بالتالي :

- "أولئك الذين علّموا الدين (بوساطة الكتاب)، في المسجد أو المعبد"

- "أولئك الذين أنزل عليهم مكتوب (كتاب) من طرف الله"

- "أولئك الذين يعرفون العلوم (الدينية والدنيوية) والكتابة".

يمكن أن يزودنا حرف التون، بمثالٍ مميز لهذه الحروف-الكلمات، وهو الذي ينعت الحرف من الاسم ذاته من الهجاءات العروبية، وكذا "الحوت" ، معنى مشترك بين لغات عروبية عدة. في حين أن معجم اللغة العربية يترجم هذه الكلمة "بسمك ضخمة" (من جنس الثدييات البحرية)، كما أشير إليه في القرآن، مع النبيّ يونس -عليه السلام-¹، الذي يسمّى أيضا ذا التون (سورة الأنبياء- الآية : 87) أو صاحب الحوت، من معنى واحد (سورة القلم- الآية : 48)² وهي تعابير ذات علاقة بإقامة هذا النبيّ -عليه السلام- في بطن الحوت.

يطلق على استخدام الصيغة المختزلة من كلمة (أي نطق الصوت الأول أو الحرف الأول، أو المقطع الأول من الكلمة)، في العربية مصطلح الترخيم (حرفيًا "اختصار وتخفيف كلمة") : وقد ظلت هذه الصيغة دارجة ولا تزال في اللغة العربية، بخاصة في بعض المناطق وعند بعض القبائل أو في اللهجة الشعبية. وقد أورد محمد بهجت قبيسي³ بعض أمثلة (في الصفحة الثالثة والستين بعد المائة) :

- يافا ← يا فاطمة

- يا م ← يا محمد (مستعملة في سورية، في شمال دمشق)

- يا مح ← يا محمد (مستعملة في الجزائر)

- ابن ما ← ابن مالك (مستعملة في قبيلة طيء)

- درس المنا ← درس المنازل

1. يمكن أن نعثر في الاسم يونس على اللاحقة العربية "س" في نهاية الاسم، يو (أو يا) هو السابقة التي نلتقيها في غير ما لقب عروبيّ، مثل يوسف، يوحنا، ياغموراسن، يغوث، يعوق، إلخ. ممّا يعطينا كجذر للاسم يونس، نون -أي حرف التون (ن) (مجرد من كل سابقة أو لاحقة) -.
2. تسمى هذه السورة أيضا بسورة نون، انتحالا من ابتدائها بـ "ن والقلم ...".
3. مصدر سبق ذكره.

وهل يكون هذا التطق الخاص يا ترى بقية استخدام حروف- كلمات
أو أسماء- أصوات في اللغات العروبية في زمن جد قديم، أو ذكرى عهد عتيق،
يرقى إلى حقبة "تفكك" اللغة- الأم إلى فروع عدة ؟

2.4 استنتاجات

بهذا، يتيح لنا الجذر عرب، بمختلف معانيه، وعلاقاته الدلالية مع
جذور جنيسة وبالعلاقات الكتابية أو الخطية (إبدال الحروف) مع كلمات
أخرى، بمختلف معاني كل حرف من هذا الجذر، بتأكيد أو استنتاج أن :

1.2.4 على الصعيد التاريخي والاستوصائي-الأرضي والاجتماعي

- العربي، في الأصل، يتحدد رأساً بمسكنه الفضائي : هو حضري يسكن قرب
مجرى نهر أو سيل، بتفضيل مقاربة منبعه، أي في المناطق المرتفعة
كفاية (مناطق جبلية، تلال، هضاب عليا، ...)، مناطق قد حددناها
بدراسة المهد الأول للتاطقين بالعربية. وبالتالي، نرتقي إلى حقبة أقدم،
قد تكون حقبة انقسام الجذع المشترك للغة- الأم إلى فروع عدة، مع ظهور
اللغات العروبية ،

- ثم، تحت طائلة هجرته المتوالية، يقطن السهول والأنحاء الساحلية، حينما
يتبع مجرى هذا النهر أو هذا السيل (أي من منبعه، في الجبل) إلى غاية
مصبه، في البحر،

- أخيراً، العربي ينعت البدوي، الذي يعيش في الصحراء ويبحث -دائماً- عن مواقع
الماء (آبار، نقوب الصخر أين يكمن الماء، ...) . هو هذا الماء من أتاح الحياة له،
وحتى العيش في استكفاء.

2.2.4 على الصعيد التجاري والملاحي والمالي

- العرب تجار موهوبون، ملاحه مقتدرون، بخارة أنهار محتكون وحرفيون أصحاب صنعة¹،
- بعض منهم خبراء بالشؤون المالية رفهون، ولكن نهمون للكسب.

3.2.4 على الصعيد الخلقي

- يميزهم سمو الخلق والتبل والكرم،
 - يصطبغون بالاعتزاز النفسي والفروسي والإباء.
- بهذا الصند، صور² G. Lebon العرب كما يلي : « للعرب روح متقدة، خاصة العز والاستقلال، وهم حذرون متكتمون ولكن بوسائل وأصحاب إقدام. ببراعة فائقة وذكاء أليّ ونادر، لهم القابلية على مبراس جميع الفنون وللهن. طبائع سخائهم وكرمهم أنجبت شيم الفروسيّة، التي كانت عليها عالة شعوب أوروبا. »
- ينهي الكاتب، هذا التصوير الخلقي مصرحاً : « العرب أحد أنبل أجناس العمورة، بخاصة عرب المدن. »
- هذا التصوير الوجيه للعرب، على صعيد الطبائع والأخلاق، الذي يرسمه مؤلفون كثر، يؤكد تاويلنا الفقهي اللغوي والدلالي للاسم "عربي".

4.2.4 على الصعيد الديني والتسبي

- يمكن تجلية العربي في المسلم، حسب الدلالة التي قدمناها في الفقرة السابقة، المتعلقة بسمو الخلق والاستقامة والكرم، إلخ. توازيًا مع تقوى الله وطاعته، والتزام حسن بأحكام الدين،

1. الجذر ربن (أو الصيغة الفعلية اربن) يعني "أعطى عربونا لشخص" (مرادف الفعل عربن) وكذا الصيغة الفعلية تربن لها معنى "صار قائدًا لمركب".

2. في كتابه "حضارة العرب".

- إن قراءة أسماء أنبياء كثر (نوح، إبراهيم، إسماعيل، إسحاق، إلخ، -عليهم السلام-) وكتب منرلة (التوراة والإنجيل والقرآن) في طرف معادلة مع دلالة الاسم "عربي"، تماشيًا مع "ترجمة" اسم هذه الكتب الثلاثة التي أجريناها، يمكن القول أنه إذا كان القرآن قد نعت بـ "العربي" في النص القرآني، هذا الإيعاز ذاته يمكن إسقاطه على الكتابين الموحين الآخرين، يتعلق الأمر بكون التوراة والإنجيل هما الأخريان "عربيان".
- يتناغم تفسير أسماء ذرية نوح (سام، أرم/ عرم، عابر) مع إحدى معاني الاسم "عربي".

5.2.4 على الصعيد العلمي

- لقد نهل العرب العلم (الديني أو الدنيوي) وعرفوه (غيرهم). حسب G. Lebon (في كتابه "حضارة العرب")، هي ترجمات الكتب العربية وبخاصة المرتبطة منها بالعلوم- من خدم أساسا، وحصر التعليم بالجامعات الأوروبية، طيلة خمسمائة إلى ستمائة سنة. ففي بعض الفروع، كالطب، على سبيل المثال، بوسعنا القول أن تأثيره لا يزال متصلا بيومنا هذا. ففي نهاية القرن الماضي، لا تزال تشرح في مدينة مونت بيليا مصنفات ابن سينا،
- لقد اكتشف العرب (بفضل الله) الكتابة (أو أنماط الكتابة المختلفة) وعلموها (غيرهم).

6.2.4 على الصعيد الدلالي

- تعدد المعاني للاسم "عرب"، هو القاعدة في لغات عروبية كثيرة،
- للاسم "عرب" معنيان متضادان: يعني في الحين ذاته "حضرا" (عربي) وبلوا (أعرابي)،
- المعنى الوارد غالبا، مرتبطا بالاسم "عرب"، المشترك بين لغات عروبية عدة هو:
 - إما في علاقة بالسما والمطر والماء (بئر، نبع) أو منطقة مرتفعة (مثل الجبل، الذي منه تنساب الينابيع ومجاري الماء) -انظر الملحق السادس،

هذه الدلالة "الرطوبة"، في علاقة مع الاسم قرآن (قد شرحنا ذلك ضمن هذا الفصل نفسه-3.2.3) وكذا مع نعتة "عربي"، تتيح لنا إجراء قراءة جديدة لبعض الكلمات متعددة المعاني، المستعملة في النص القرآني، على سبيل المثال، المتعلقة بالجذر نصر، الذي يترجم عادة بـ "ساعد، عاون، أنجد شخصاً".

لهذا الجذر، أيضاً، معنى "سقى بغزارة (الأرض، المطر)". هذه الترجمة الأخيرة قد تتناسب أكثر في بعض الآي، بخاصة تلك التي تذكر "النار"، مثل:

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ (سورة القصص- الآية 41)

في هذا المقام معنى "التجدة" (في صورة مطر) محدد¹. النار هي مرادفة الجحيم، في حين أن الجنان (أو الجنة) يمثلها المطر (أو الماء). يمكن معاينة آيات آخر ورد فيها استعمال المتضادات نار ونصر "ماء المطر" (منها الآية 25 من سورة نوح) :

﴿أَغْرِقُوا فَاذْخُلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾.

على غرار "نصر"، هناك جنور عديدة آخر في علاقة مع المطر (أو السحب التي تعطي المطر) : لقد أحصي في معجم اللغة العربية، مانتين ونيّف،

- وإما بدرجة أقل، في علاقة بالعربون، الضمان أو الربا (أي مع التمويل والتجارة).

7.2.4 على الصعيد العلمي

- أرم/ عرم هو كتابة ثانية (أو نطق) للقب عرب،

- الأرم أو الأرميون (العرميون/ العربيون)، هم العرب،

1. تفسير الآية، في المرجع للوزارة السعودية، الوارد في ثبت المراجع هو كالاتي : «جعلناهم أمة يدعون الناس للنار ويوم القيامة لا ينصرون (لن ينجون)».

- الأهالي، المحليون لأروبا، قبل مجيء الهنود-الأوروبيين، كانوا عربًا أو عروبين (أروبين) أي قاطني القارة الأروبية، التي سميت تبعًا للأميرة العربية-الفانقية عروبا-يابدال الباء العربي بالصوت P اللاتيني؛

- الاسم "عرب"، إضافة إلى معانيه الكثيرة، الواضحة والتقنية، يضم دلالات أخرات، التي وإن كانت مسترة، لها فضائل مخفية، يشي بها السياق : هذا ما بيّناه بصدد الصفة "عربي"، نعت بيان للكلمات قرآن، حكم أو لغة.

هكذا الاسم "عرب" يمكن أن ينعت أناسا (تسمية أشخاص)، بلدا أو منطقة (تسمية أماكن)، مجرى ماء (تسمية أنهار). كما أنه يمكن أن يكون اسم جنس متعدد الدلالات : مصطلحا دينيا، مصطلحا فنيا (الزراعة، التجارة، الاقتصاد، الرصد الجوي، اللسانيات)، وسيلة تنقل (برية أو نهريّة). ويمكن أيضا أن يجسد الجمال والأناقة، ويمثل السمو الخلقي والروحي. الاسم "عرب" يمكن نهاية أن يفيد في تسمية أهال كثر (سواء في حدود شبه الجزيرة العربية أو خارجها) يتألفون من أجناس بشرية متنوعة مشكلة قزحة مجتمعات ، أهال تجمعهم ثقافة واحدة، رصنتهم لغة واحدة، هي اللسان العربي.

الملحق السادس

جنود أخرى -من غير الرء-

لها معان ذات علاقة في الحين ذاته بالمكان المرتفع (سما، جبل، ...)

والماء المتحدر (مطر، ماء نبع)

الجنر	
تل	"وقع/ سقط، انصبّ وجرى (سائل) مع الاسم تل "رابية، أكمة، هضبة، ربوة"
تلع	مع الاسم تلعة "ارتفاع، أكمة"، "تيار ماء دافق من عل"
جبل	"شكل، خلق، مزج (التراب بالماء)" مع الاسم جبل "المرتفع الصلد التاهب في السماء" والاسم جبل "خلق، عجن"
دهق	"شطر إلى أجزاء، كسر شيئا" و"ملا (كوب شرب)" مع الاسم دهاق "مترع (كأس، كوب شرب)، غزير (ماء)"
زل	"انزلق، تعثر" مع الاسم زلة "حجر أملس مزحلق" وماء زلال "ماء صاف، عذب"
سد	"أوكأ، أغلق (ثقبا)، ملا فراغا" مع الاسم سد "حاجز، جبل" وسد "سحاب أسود، واد مليء بالصخور حيث يحتبس الماء"
شعب	"تفرق، انقسم، أعاد تجميع، جمع شيئا" مع الاسم شعب "ممر خلال الجبال، معبر ماء في الأرض" والاسم شعبة "مجرى ماء في الرمل، صدع، فلق"

شعف	مع الاسمين شَعْفَة "ذروة، قمة" وشَعْفَة "مطر رذاذ"
شق	"مخر السماء (برق)، فطر، شطر" مع الاسمين شِق "سفح جبل" وشَقِيقة "مطر غزير، واد خصب بين جبلين"
شال	"عتل صخرا" والصَيغة الفعلية شَوّل "شخ (بكمية قليلة، حليب او ماء)" مع الاسم شول "فضلة ماء في الوعاء"
صد	"ارتد عن" مع الاسمين صد "جبل، عقبة واد" وصداد "طريق يقود إلى الماء"
صدع	"فلق، فرق، اجتاز (مفازة او نهرا)" مع الاسم صادع "ما يمتد نحو الآفاق (جبل او نهر)"
صفا	"صار نقيا، صافيا، (الماء)" مع الاسمين صفاة "صخر، حجر" وصفو "واضح، خالص"
صها	مع الاسم صهوة "برج في قمة الجبل" وايضا "نقب حيث الماء"
صاب	"سقط (المطر)، سكب، اراق (سانلا)" مع الاسمين صوبة "ركام، كدس" وصوب "مزن يعطي الغيث"
طبز	"ملا (وعاء)" مع الاسم طبز "صخر"
طغا	"فاض (النهر)" مع الاسمين طغية "جبل وعر" وطاغية "صاعقة"
طلّ	"بلل يسيرا الأرض (ندى)" مع الاسم طلّ "زحّة او رذاذ"
اطلّ علىّ	"ارتقى علواً، أشرف ..." مع الاسم مطلّ "مكان مرتفع، برج"

عدن	"حفر (الأرض)، نزع، اقتلع صخرا" مع الاسمين عدان "ضفة، شاطئ (بحر، نهر)" و"(جئات) عدن"
عقل	"تستم الجبل (ضبي)" مع الاسمين معقل "ملاذ، منيع، جبل شاهق" وعاقول "البحر المائج أو أمواجه"
عل	"شرب ثانية" مع الاسمين علل "الإرواء الثاني" وعلية "غرفة علوية"
علم	مع الاسمين علم "جبل مرتفع" وعيلم "جب به ماء وفير، بحر"
علا أو على	"صار مرتفعا، سما، ارتقى مكانا" مع الاسم علاية "كل مكان مرتفع" مع الاسم علياء "مكان مرتفع، سما، جبل"
عن	"تبدى، تواجد في طريق شخص (شيء)" مع الاسمين أعنان "قمة الشجرة، الأفق المرئي (من السماء)" وعنان "سحاب مطير"
غدر	"مليء بالمحصبات (الناطق كثيرة الحصى)، شرب من ماء المطر" مع الاسمين غدر "أرض غير مستوية، صلبة، حجرية" وغدير "بركة، رزنة، سيل صغير"
فض	مع الاسمين فضة "أرض حصباء" وفضض "قطرات الماء الساقطة حينما نغتسل"
مصد	صار شديدا (البرد أو الحر) مع الاسمين مصد "قمة جبل" ومصدة "مطر، زخة مطر، مزنة"

الفصل الرابع

حول التّطابقات بين العربيّة واللّغات الهنديّة-الأروبيّة

1. العلاقات الدلاليّة

يخبرنا المؤلّفون ذوو اللّغة اليونانيّة الذين كتبوا في حقبة متأخرة عن اجتباء اللّغة المشتركة (Koinè) -مثل ابن طوقيد وعرض-وسطان وديودور الصنقلي وسطرابو، ... بأنّ بعض الكلمات مثل سميّ (Samoi)، برج (Polis)، ورد (Wrôdon (Rodon)، إلخ. لم تعد مستعملة في اللّغة اليونانيّة الفصحى، وكانت حاضرة في اللّغة اليونانيّة القديمة، أي قبل اجتباء اللّغة المشتركة. هؤلاء المؤلّفون يذكرون هذه الكلمات كأنّها مستعملة من طرف كتاب أقدم (سابقين للقرن الخامس قبل الميلاد)، كلمات ترقى إلى عمر بن معان، أقدم الكتاب "الإغريق". انطلاقاً من كون الكلمات المذكورة كمثلي والتي لا مشاحة في عربيّة أصلها، -سميّ "مكان مرتفع"، برج كلمة تنعت "الحصن" في الأوّل، وعن طريق التوسّع الدلاليّ حملت معنى "مدينة" "polis" (تحويل الباء العربيّة إلى P وتناوب بين اللام والراء)، وورد أي، إلخ. - فمن الصّواب القول أنّ هذه اللّغة اليونانيّة القديمة كانت ببساطة لغة عروبيّة :

- لقد بيّنا في الباب الأوّل (الفصل الخامس) والباب الثّالث (الفصل الأوّل) بعد دراسة تاريخ الاستعمارات العروبيّة في بلاد الإغريق وذكر المؤلّفين الذين يقرّون بأنّ أهالي بلاد الإغريق، لم يكونوا هتوداً-أروبيين ولكن "شرقيّين"¹،

1. انظر كتابنا "تاريخ الاستعمار العروبي في بلاد الإغريق القديمة".

- ليست اللغة اليونانية القديمة فريدة، والمؤلفون، بحجة صحيحة، يصرّحون بأنه تواجبت لغات يونانية قديمة كثيرة في بلاد الإغريق، قد تتطابق كل واحدة منها بلغة استعمار عروبي خاصة : مصرية، فانقية، بابلية، آشورية، إلخ.

- اللغة اليونانية لأثينا كانت قريبة إن لم نقل مطابقة لليونياوية المتكلمة في آسيا الصغرى¹، لقد لاحظ² A. Jardé التأثير الأدبي لبلاد يونيا على أثينا، بخاصة بفضل الأشعار العمرية، والقراية القومية واللسانية للمنطقتين،

- اللغة الأجاوية، أيضاً، يمكن اعتبارها كلغة عروبية، ذاك أن المؤلفين يتكلمون عن هذه اللغة كلغة ما قبل-الهلانية جارية في جميع مناطق حوض البحر الأبيض المتوسط الشرقي هذه، في عهد (سابق للألفية الثانية قبل الميلاد) حيث لم يتواجد غير الأهالي العروبيين في الشرق (رافديون، فانقيون، مصريون، ...) الذين تكلموا بطبيعة الحال لغات عروبية. يصرّح المؤلف³ A. Meillet، الكلم الإغريقي يضم ألفاظا كثيرة مستعارة عن حضارات من المنطقة الأجاوية. بلاد الإغريق مدينة للحضارات الأجاوية والبابلية والمصرية بقدر أكبر مما قاله وعرفه المؤلفون القدامى.

لقد بدأ اللسانيون، بفضل أبحاثهم العلمية المحتفزة أكثر، والأقل ذاتية، يعترفون بأثر بعض اللغات "الآسيانية" أو "السامية" على اليونانية، أو تطابقهن، ليس فقط في صعيد المعجم ولكن بشكل يطال أيضاً صعيد الصرف. لهذا كتب A. Meillet⁴ : ما من مبرر للاعتقاد أن بعض اللغات المشتركة من حيث خرجت العائلات الكبيرة المثبتة، لسن، بدورهن، تحولات للغة واحدة أقدم ... لقد أشير إلى تطابقات بين الهندية-الأوروبية والسامية .. كما صرح المؤلف de la Vallée Poussin⁵ أن جزء معتبر من الكلم الإغريقي تأتي من آسيا الصغرى وقد قدر أن تشكلت القواعد اليونانية هناك ..

1. يؤكد A. Meillet الأصل الآسيوي للغة اليونانية الأولى وكنا تسمية الأماكن.

2. مصدر سبق ذكره.

3. في كتابه "لمحة حول تاريخ في اللغة اليونانية".

4. في كتابه "لسانيات تاريخية ولسانيات عامة".

5. مصدر سبق ذكره.

2. بلدان كانت جسراً لمُرور اللغات العروبية

نحو اللغات الهندية-الأروبية

يطلعنا تاريخ الاستعمارات العروبية في أوروبا أن ثلاثة بلدان أسهمت، بفضل نفوذ أهاليها المحليين، وهم أهالي ما قبل الهنود-الأوروبيين، في إدخال قسط كبير من المعجم العربي (أو العروبي) في كالم اللغات الهندية-الأروبية لأوروبا، وهي لغات سيتكلمها المهاجرون الجدد في هذه القارة : من حدود آسيا المتوسطة، في الشرق، إلى أقصى الغرب. لقد أسهمت بلاد الإغريق، وشبه الجزيرة الإيطالية وإيبيريا -على سبيل المثال- في هذه التبادلات اللسانية.

1.2 في بلاد الإغريق (الإغريق-العظمى)

أصبح العروبيون الذين استعمروا بلاد الإغريق سابقاً للألفية الثانية إغريق؛ هؤلاء الإغريق تكلموا لغات عروبية، قبل اجتياح شبه الجزيرة الإغريقية من طرف النورين ذوي لغات هندية-أروبية، في بداية الألفية الأولى التي سبقت العهد المسيحي. يتباحث اثنان من كتبنا هذا الاستعمار العروبي، ليس فقط في شبه الجزيرة الإغريقية، ولكن أيضاً في جزر بحر أجا وقبرس وقرتا والمناطق المجاورة¹.

وحتى بعد الاجتياح النوري لشبه الجزيرة الإغريقية، بقيت أسماء كثيرة للوك وشخصيات شهيرة (والحال نفسه مع أفراد الشعب، بالتأكيد) عروبية، وتحمل سمة الحضارات الرافدية والفانقية والأناضولية والمصرية، إلخ. مع ألقاب مثل إسكندر وأمونثيل وفليبيا (في مجدونيا)، وأرب-بعل وعلمبا (في أبراً) وعطى-نيل وأجرون وكلاءة-فاطرة (في إيليريا) وعليات وخرصو (في لوزيا)²... جميع

1. - "العرب في أوروبا قبل العهد المسيحي".

- "تاريخ الاستعمار العروبي في بلاد الإغريق القديمة".

2. في كتابه "تاريخ اللغات السامية"، يقترن E. Renan، في الصفحة 183، أن . الأسماء ساديات، ميات، عليات في لوزيا، تنتمي إلى طبقة أهال سامتين، أسماء ذات بنية سامية، صارخة حقاً.

هذه الأسماء بقيت حتى بعد الاحتلال الروماني، وكثير منها لا يزال مستعملاً، ليس فقط في شبه الجزيرة البلقانية، ولكن أيضاً في جميع أوروبا.

إذا كان احتلال مناطق شبه الجزيرة الإغريقية من طرف "الهلانيين" ذوي لغات هندية-أوروبية، قد امتد على مر الزمن، فقد اكتشف هؤلاء، الذين شكلوا أقلية بالتسبة للأهالي المحليين، تدريجياً عالماً كان مجهولاً عندهم تماماً، عالماً بمجتمع متحضر، ديوان محقق، وزراعة وتجارة مزدهرة قبل قدومهم العنيف في شبه الجزيرة، وثقافة متعددة الدهور. على مر الأجيال، اكتشف ذرية "الهمجيين" الأول في علاقة مع عبيدهم وخدامهم وفلاحهم وتجارهم وموظفيهم الإغريق (هؤلاء الأهالي الذين استعبدوا من طرفهم) وتبثوا تدريجياً الممارسات الشعائرية والثقافية وحتى المؤسسية "لرعاياهم".

لقد فرضت اللغة الهندية-الأوروبية للغزاة على الإغريق، غير أن هذه اللغة لم تستطع أن تترجم جميع الأعمال المموسة للحياة اليومية في مجتمع حضري، ناهيك عن الأفكار والتيارات الأدبية والفمصفائية والعلمية والدينية.¹ هكذا مرّ كلم كثير مما عمل الإغريق إلى معجم اللغة اليونانية، أو بالأحرى إلى معجم اللغة اليونانية الجديدة (اليونانية الفصحى). كلمات عربية عدة سمحت لنا باستجلاء المعنى الأصلي لتسمية الأشخاص والأماكن والشعوب والآلهة²، ضاعت من الكلم الإغريقي، بعد اجتباء اللغة المشتركة (Koinè).

في حين أن كلمات عربية أخرى ظلت في اليونانية الفصحى. وبوساطة هذه الأخيرة انتقل عدد كبير من هذه الكلمات العربية ليدخلن اللغة اللاتينية (ولسن الوحيديات)، ومنها، إلى لغات أوروبية عدة.

1. بالنسبة للذين كما الكهانة في حقبة ما قبل-الهلانية، قامت روابط أكيدة مع ما كان في آسيا (الأناضول، الرافدين، فانقيا) ومصر. هذه الممارسات الدينية والعرفانية تتابعت، دونما انقطاع، إلى غاية العهد الروماني. يمكن أن نحصى من الأسماء التي مرت إلى اليونانية الفصحى (على سبيل المثال) الجنر فتا، الذي أعطى كمشتقات أسماء جنس (prophète, pythonisse, pythie) وكذا أسماء اعلام- في بلاد الإغريق وبونيا- (Pythô، الاسم القديم لمدينة دفلى، Python، حية كاهنة، فتا-جري). انظر كتابنا "العرب في أوروبا قبل العهد المسيحي".

2. انظر كتابنا "تاريخ الاستعمار العروبي في بلاد الإغريق القديمة، من خلال علم الاساطير وتسمية الأماكن والعلميات والمعجم".

سنورد مثلاً واحداً يشخص بجلاء ظاهرة الاستعارة اللسانية هذه، ويكشف لنا عن صعوبة بحث معنى الكلمة الأصلي، إذا ما لم ندرج في الحساب أهمية جوهر اللغة العربية في اللغة اليونانية الفصحى، من جهة، وكذا حجة اللسانيات التاريخية، من جهة أخرى. وهو ما يصرح به¹ A. Meillet بهذا الصدد، أحياناً يكون لكلمة ما الهيئة الهندية-الأوروبية، وهو داع للانخداع، الكلمات الأجنبية المستعارة بوساطة الرواية الشفوية يتداعين للقلب العام للغة، ولا يتميزن مطلقاً عن الكلمات القديمة بهيئتهن العامة ..

نتناول كنموذج لهذه الاستعارة الكلمة "oasis"، كلمة لا تحتل أي منازعة من وجهة معناها الأصلي. هذه الكلمة هي "ترجمة" - في هذه الحالة، لا يمكننا الكلام، لا عن تحويلها الصوتي ولا عن تحويلها الحرفي- تختلف بشكل محسوس عن جنيسها العربية واحة. في البداية كانت تكتب في اليونانية الفصحى أواسيس (مثلما أورد سطرابو) : استعويض بالسّين (S) عن الحاء (ح)، وأضيفت إليها اللاحقة "الهالانية" "S". مما جعلها مطموسة عن الاستبيان.

2.2 في شبه الجزيرة الإيطالية

1.2.2 في صقلية

لقد سكن صقلية ما قبل التاريخ بداية ثلاثة شعوب : الإسكوال والإسكوان والعلميين. يقال في القديم أن الإسكوان كانوا أهل محليين. كتب المؤلف G. Glotz² أن . الإغريق يميزونهم عن الإسكوال عادة، ويقبلون قرابتهم لأهل قطنوا إيريا على ضفاف نهر إسكوان. مما دعا بعض المؤلفين المحدثين لإلحاقهم بالعرق الإيري-البربري. غير أن تسمية الأماكن تتيح تقريبتهم من الليجويين كما الإسكوال، وقد يمكن أن يكون الليجويين امتدوا إلى غاية إيريا. يبدو أن

1. في كتابه "مدخل لدراسة تقابلية للغات الهندية-الأوروبية"

2. في كتابه "تاريخ إغريقي".

الإسكوان والإسكوال من العرق نفسه ... حتى قبل اجتياح الإسكوال ظهر العلميون. الأصل الثوراوي الذي تلحق بهم الرواية، يؤشر دونما ريب، أنهم كانوا سابقى الفانقيين والإغريق. رخبوا طواعية بالفانقيين..

في كتاب سابق¹، بيتا أن العلميين من أصل ثوراوي، كما أن الموسيين (ساكني بلاد ثورا) واللوزيين الآخرين ... إلخ، هم من أصل عروبي، تماما مثلما الإسكوال والإسكوان.

يؤكد E. Curtius² الأصل الآسيوي للعلميين الذين لهم قرابة، حسب شهادة الرواية الجمعية، مع أهالي ساحل آسيا الصغرى، وخاصة مع الدردانيّين أي أهال سورين-فانقيين³. كما أن الساكنين الأوائل لإيريا كانوا من أصل قوقصي، مما يدل على أنهم ينتسبون إلى السورين-الفانقيين.

في كتاب آخر من مؤلفاتنا⁴، شرحنا الأصل البربري لتسميتي الشعبين الإسكوان والإسكوال، اللتين هما مترادفتين. يتألف اسمهما من كلمتين : الأولى إسك "قمة جبل" أو "جبل"، الثانية يوون أو يوول (بتناوب بين اللام والثون) بمعنى "صعد، ارتفع، تسلق جبلا". مما يمكننا من ترجمة تسمية الشعبين هذين بـساكني الجبال" أو "الجبليين"، من دلالة واحدة مع تسمية الشعبين الإير والبربر.

2.2.2 في إيطاليا

سكن إيطاليا ما قبل التاريخ الإسكوال، آباء أولئك الذين نجدهم في صقلية، أهال محليين. ثم جاء الثورانيون أو الثوراسن من لوزيا عبر بحر أجا، واحتلوا إيطاليا الوسطى، ثم جميع شبه الجزيرة، من جبال الحلب إلى غاية خليج تارنطة.⁵ فضلا عن هذا، ترد الرواية أصول روما إلى الثوراويين، الذين استقروا مع أناس في لاتينيا.

1. "العرب في أوروبا قبل العهد المسيحي".

2. في كتابه "تاريخ إغريقي".

3. انظر كتابنا "تاريخ الاستعمار العروبي في بلاد الإغريق القديمة".

4. "الرحلة المجهولة للغة قديمة، البربرية".

5. A. Jardé في كتابه "تكوين الشعب الإغريقي".

في كتابنا "العرب في أوروبا قبل العهد المسيحي"، رأينا أن الثوراونين قد هاجروا إلى إيطاليا نحو نهاية الألفية الثانية قبل العهد المسيحي، أي بعد حرب ثورا. أسس أناس، أمير ثوراوي، سلالة ملكية في بلاد اللاتين. هذه الأسطورة -حسب "Grand Larousse Encyclopédique"- هي . التعبير الأسطوري لهجرة شعوب آسيا نحو إيطاليا (الثوراسكيون) ولد أسطورة الأصول الثوراوية لروما..

حينما اجتاحت القبائل ذات لغات هندية-أروبية لاتينيا -مثل أعضاؤها أقلية قياساً إلى الأهالي المحليين- وجبت هنالك أهال متحدرين من مناطق مختلفة من آسيا (بلاد الرافدين، سوريا-فانقيا، أناضول، ...) ومن إفريقيا (مصر، بربريا)، أهال يستخدمون لغات عروبية.

زيادة عن هذا، بعد بداية العهد المسيحي، دخل أوائل الملوك الرومانيين من أصول إيرانية وبربرية التاريخ -تباعاً، انطلاقاً من السنة السابعة والتسعين (97) مع ثوريان، إلى غاية سنة خمسة وثلاثين ومائتين (235) مع إسكندر شاور. حكم الإمبراطور البربر في روما طيلة ستة عشر سنة ومائة (116) دونما انقطاع تقريباً (يفصل الملك أنطونين الذي حكم من سنة ثمانية وثلاثين ومائة -138- إلى واحد وستين ومائة -161- الحقبة الإمبرية للمملكة الرومانية عن حقبتها البربرية). أدار الكنيسة الرومانية ثلاثة باباوات بربر وواحد إيراني -حيث الأول بكنور الأول، بداية من سنة تسع وثمانين ومائة (189)، والآخر جالس الأول، من سنة اثنين وتسعين وأربعمائة (492) إلى غاية ستة وتسعين وأربعمائة (496).

هذا يعني التأثير -المباشر أو غير المباشر- الذي قد تكون قامت به الأهالي العروبية لشبه الجزيرة الإيطالية، في اختيار الملوك¹، إما بواسطة جند الفيالق أو بواسطة مجلس الشيوخ، الذي قد يكون بعض أعضائه بالتأكيد مسيحيين أو

1. مع كركلا، ابن سبع شاور، هو، حسب E. F. Gautier (في كتابه "ماضي شمال إفريقيا") ، النار لقرطاجنة الذي ما حلم به حنا بعل.. أقام الملك في جميع أنحاء للملكة تماثيل كثر لحنا بعل.

على الأقل متعاطفين مع الكنيسة، وهذا المجلس هو الذي يصدق على اختيار الجيش، أو على الأقل، لا يعارضه.

هذا يعني الشغف الذي أحدثته الديانة المسيحية لدى أهالي العروبيين المحليين (الأغلبية) من جميع المناطق الإيطالية، أهال اعتنقوا الدين الجديد عن قناعة عقدية، وتعاطف ثقافي¹ وبمعارضة لحكم الأقلية المضطهدة لأهالي شبه الجزيرة الوثنيين مخضعي الأعناق والسخرين من جهة والمسيحيين المضطهدين من جهة أخرى في الحين نفسه، وايضا لأن هذا الدين انحدر من آسيا، الأرض التي فيها تتغلغل جذورهم ولغاتهم.

ليس من قبيل الصدفة تحرير ممارسة الدين المسيحي من طرف الملكة، سنة ثلاثة عشر وثلاثمائة (313)، إذ أن أسقف روما هو ميلتياد الإفريقي. ليس من باب الصدفة تبني الملكة الرومانية للمسيحية كدين الدولة سنة واحد وثمانين وثلاثمائة (381)، إذ أن أسقف روما (البابا) هو دماس الأول الإبري.

إذا ما اعتبرنا أن اختيار الحبر الأعظم (البابا)، أسقف روما -الذي كان ينتخبه أوفياء الأسقفية، إلى غاية القرن الحادي عشر (القرن الخامس للهجرة)، ثم من طرف الأساقفة الآخرين لمقاطعة روما- كان دائما، إلى غاية سنة ثمانية وسبعين وثلاثمائة ولف (1378) (الموافق لتسع وسبعين وسبعمائة -779- للهجرة) كاهنا من جمعية قسيسي روما أو أسقفًا من مقاطعة روما ينتخب. يمكن لنا إذا استخلاص أن ويني الأسقفية، أو أساقفة مقاطعة روما من أصل عروبي كانوا كثيرا (بل واغلبية)، على السواء في روما كما في المناطق الغربية الأخرى لأروبا (إيطاليا، جرمانيا، جاليا، إلخ.).

هكذا استقر أهال عرب-أروبيون (فانقيون، سوريون أو إير-بربر أساسا) في جميع هذه البلدان، قرونا كثيرة قبل الاحتلال الروماني، وأسهموا في التأثير على معجم اللغة اللاتينية، أو بعبارة أفضل اللاتينية الجديدة.

1. انظر كتابنا "العرب، محرّكو الديانات الحنيفية الثلاث".

3.2 في إيبيريا

في كتاب سابق¹، بيّنا أنه قبل قدوم الفانقيين إلى بربريا وإيبيريا، خلال الألفية الثانية قبل العهد المسيحي، انبثق الإبير والبربر عن الأصل القومي نفسه، ولغاتهم -حسب أقوال المؤلفين قدامى ومحدثين- كانت ذات نسب متقارب، إن لم نقل متطابق.

إذا كان المؤلفون، في أغلبيتهم، لا يُقرّون بالاستعمارات العروبية في بلاد الإغريق وفي شبه الجزيرة الإيطالية، فهم يتقبلون -هي حال كثير من بينهم- القرابة القومية واللسانية والفضائية بين البربر (لشمال إفريقيا) والإبير (لأروبا الغربية).

احتل الرومان إيسبانيا (إيبيريا) في نهاية القرن الثالث قبل الميلاد، لقد آذنت خسارة جادر (قاس) سنة ست ومائتين (206) بنهاية السيادة القرطاجنية في إيبيريا، وسجلت بداية الاحتلال الروماني لشبه الجزيرة. في أثناء هذه الحقبة بليت اللغة اللاتينية تتشكل. حسب M. Niedermann، خلال القرن الثالث قبل الميلاد انطلق الأدب الحق مع الأعمال الشعرية لـ Livius Andronicus ونابيروس وبلاوط وكتاب نثري لقطون الشيخ. تثبتت اللغة الأدبية للؤسسة من لهجة روما، منذ القرن الأول قبل عهدنا بشكل شبه قار، مؤطر قواعدياً من طرف التحويين.

إذا، أثري معجم اللغة اللاتينية بعدد من الكلمات العروبية، بفضل اللغات العروبية المستخدمة من طرف أهالٍ كثر لشبه الجزيرة الإيطالية، وأيضاً من طرف أهالي إيبيريا. من بين هذه الكلمات (التي أثري بها المعجم اللاتيني) صار عدد منها لا يستهان به، لاتينية، معناها الأصلي إيبيري-بربري أو فانقي. ونضرب بعض الأمثلة من خلال الجذرين اللذين تباحثناهما في الفصل الماضي.

1. "إيبيريا وبربريا".

1.3.2 الجذر البربري (أو الإبري - البربري) إسك

يمكن أن نلاحظ أن هذا الجذر يدخل في تكوين كلمات إيسبانية، يعتبرها مؤلفون عدة كانتها من أصل لاتيني. نجد تحديدًا هذا الجذر مشاركًا في تأليف تسمية شعب إبري : يتعلق الأمر بالباسك أو الويسك، يلقبهم سطرابو بالويسك، الإوسك، الباباسك، الإسكاتان. بالتسبة لـ A. Garrigou، الباسك (أو الإسكاتانيون) هي تسمية أخرى للويسك.

/ في الإيسبانية

- Escuela (في اللاتينية Schola) : "مدرسة"،

اسم يتألف من Esk (إسك) و Uela (بالتسبة ليوول)¹ الذي معناه "فعل تسلق الجبل" -أي، جبل المعارف- أي المكان الذي به ندرس أو نتعلم ،

- Escala (في اللاتينية Scala) : "سلم"²

اسم يتألف من Esc (إسك) و Ala (بالتسبة ليوول) : هي رواية ثانية للكلمة السابقة تترجم بـ "أداة (أو وسيلة) تسمح بالصعود". يمكن أن نلاحظ أن الكلمة "escabeau" في الفرنسية (في اللاتينية Scabellum) هي كتابة ثانية لـ escalad "سلم" مع إدخال الحرف B ،

- Escritura (في اللاتينية Scriptura) : "كتابة"

اسم مؤلف من Esc (إسك) و Ri (ر أو را) "مكتوب، كتاب" في البربرية ومن Ura (ار أو را)، كلمة فانقية شرحت أعلاه. هو فعل الكتابة على الحجر : في الأصل، كانت الكتابة تنحت على الصخر، مع المنقوشات (أو المحفورات)،

- Escultura (في اللاتينية Sculptura) : "نحت"

اسم مؤلف من Esc (إسك) ومن Ua (بالتسبة ليوول) ومن Ura (ار أو را). وهو فعل نقب، نحت الحجر (عال أو مرتفع) أو الصخور³،

1. لقد التقينا هاتين الكلمتين في تسمية الشعبين الإسكوال والإسكوان.

2. هي الكلمة تاسكالا في البربرية، المطابقة للكلمة الإيسبانية (ياخفاء الحرف الأول).

3. الكلمة اليونانية التي تترجم الفعل "نحت" هي αἵω (axo) في المستقبل، أو الفعل الآخر "حت" (xéo-ō ξέω-ώ).

ب/ في الفرنسية

- Sicaire (من Sica "خنجر")

مجرم مؤجّر يستخدم سلاحاً أبيض لارتكاب جرائمه. حول الجذر Isk هنا بـ Sica،

- Escrime : فن استعمال سيف، حسام، ...، أي "سيف ذو نصلٍ طويلٍ"،

- Acier "الفولاذ" (في اللاتينية Acies) "حدّ"

الجذر Acs هو إقلاب ومرادف الكلمة البربرية إسك، التي تعني أيضاً "حدّ" (نجدّها في الكلمة اليونانية أكسو "نحت"). معنى الكلمة الأصليّ العروبيّ للفولاذ منطقيّ، إذا ما استذكرنا أنّ العلانة كانت ممارسة في مصر وآسيا الغربية، ثمّ، من هناك، انتقلت فتيّاتها إلى أوروبا عن طريق الهجرات العروبية ،

- Scier (في اللاتينية Secare) : "نشر"

ذكر المؤلّف¹ A. Meillet، بصدد هذه الكلمة تحديداً Gilliéron و Mongin، اللذين في دراستهما لاستوصاف الأرض اللسانيّ "نشر في جاليا الرومانية"، طرحا هذا المبدأ الجوهريّ، أنّ كثيراً من الكلمات التي لا تُعرف بهيئتها الصوّتية كاستعارات استدينت مع ذلك من لهجات مجاورة، ويمكن التعرف على ذلك ببعض الدلائل، الكلمة "Scier" أي "نشر" التي تابعت "Secare" اللاتينية أي "قطع" لا تمثل، حسب هذين المؤلّفين، إلّا استخدماً جدّ خاصّ، وبالخصوص ريفيّ Secare، يتعلّق الأمر بـ "حصد (القمح) بمنجل مستن"،.

في الواقع إذا كانت الكلمة الفرنسية قد اشتقت من تلك اللاتينية Secare، فإنّ هذه الأخيرة انحدرت مباشرة من الجذر البربريّ إسك، الذي يعني في هذه الحالة الخاصة "حدّ، أداة قاطعة"²،

2. في كتابه "لسانيّات تاريخية ولسانيّات عامّة".

1. نجد هنا الجذر في الكلمة اللاتينية saxum "حجر، صخر".

- Ischion (كلمة يونانية) : إحدى العظام الثلاثة التي تشكل العظم الحرقفي. هذا الجزء العظمي يظهر كثقب، بوجود النقبة المسدودة. هذا المعنى يتوافق مع إحدى ترجمات الجذر البربري إسك "ثقب، قسم"، وبالتوسّع الدلالي "حفر"، معنى نجده في الفعل إسكرا أو إسكا "حفر" أو "طوّق بجدران"،

- Soc "حديدة المحراث" (كلمة "مستعارة من الجالية"، حسب القاموس Larousse) : هي الجزء من المحراث الذي يحفر التلم، قاطعا الأرض عرضيا،
- Sac : "كيس" اسم فانقي (بالجذر نفسه س. ك. أو إسك الذي في البربرية اساكو). مرت هذه الكلمة في اليونانية σάκκος (أقرها المؤلف¹ A. Meillet)،
Saccus في اللاتينية ثم "Sac" في الفرنسية .

- Ascension : فعل الصعود والارتفاع

هذا الاسم يتكون من Asc (إسك) و Ension (بالنسبة لـ : يوون). هو بالتحديد دلالة هاتين الكلمتين البربريتين، على الترتيب "قمة جبل" و"فعل الارتفاع، تسلق جبل".

2.3.2. الجذر الفانقي "ر" (أر أو را) "حجر، جبل"

هذه الكلمة هي من أعطى piedra في الإسبانية، التي منها اشتقت الكلمات petra (في اليونانية واللاتينية)، pierre (في الفرنسية)، gora (في السقالبية)، جر(في الإيرانية)، زيادة على هذا، يمكن أن نجد التحويل الحرقفي للكلمة الفانقية "جبل" في اليونانية مع opoς (oros) : هي الكلمة أر أو أر² التي أضيفت إليها اللاحقة "الهلانية" os.

يمكن معاينة كلمات أخرى في اللغة الفرنسية -على سبيل المثال- تشكلت مع الجذر الفانقي هذا، كلمات معناها في علاقة مع الحجر أو الجبل. سنذكر بعضا منها كنموذج،

- ardoise : صخر نضيدي يقسم بيسر إلى صفائح

1. في كتابه "لحة حول تاريخ في اللغة اليونانية".

2. بين الحرفين الصائتين أو تناوب.

معناها الأصلي الجالي، الذي أعطاه قاموس Larousse، يؤكد ما قلناه،

بصدد اللغة الجالية، في الفصل الأول من الباب الثالث،

- arête : تقاطع سفحي جبل،

- roc : كتلة حجارة جد صلبة ...

ومشتقاتها (rocaïlle "حصى" roche "جلمود"، rocher "صخرة"، إلخ.).

إذا كان جذر عروبي واحد حال إسك أو را (أز) بوسعه أن يعطي كلمات

كثيرة دارجة اليوم في اللغات الأروبية -دونما اعتبار مشتقاتها- فيمكننا أن

نتصور بيسر العدد الهائل من الكلمات التي نجدها في معجم جميع هذه وهي

كلمات ذات أصل عروبي¹.

3. جملة القول

1.3 في الحقبة التاريخية

حسب A. Meillet²، ظهرت اللغات الهندية-الأروبية في التاريخ في أزمنة

مختلفة، بين القرنين السادس عشر والخامس عشر قبل الميلاد والقرن السادس

عشر أو السابع عشر للميلاد.. جميع المؤلفين يقرّون أن السامسكريتية -أول لغة

هندية-أروبية علمية- لم تولد أدبا بما للكلمة من معنى إلا مع "البداء"، في نهاية

الألفية الثانية أو بداية الألفية الأولى قبل الميلاد، بعض المؤلفين يرتقون بظهورها

نحو الحقبة الممتدة من خمسمائة وألف إلى مائتين وألف (1500-1200) قبل

الميلاد. وقد تلي هذا الأدب قرونًا بعدها بأدب اللغة الإيرانية، مع "البستاء"، في

القرن السابع مما سبق العهد المسيحي.

1. في ما يخص الجذر إسك وحده، تبدأ أكثر من أربع مائة كلمة (400) بـ"إسك" احصيت في معجم اللغة الإيسبانية، أسماء دلالاتها الخاصة في توافق مع للعاني المشتركة لهذا الجذر.

2. في كتابه "لمحة حول تاريخ في اللغة اليونانية".

أما بالتسبة للغة اليونانية المشتركة (Koinè) للإغريق، تأسست بتأسس المملكة الأثينية نحو خمسة وسبعين وأربعمئة (475) قبل الميلاد. هي لغة أناس مثقفين، تلك التي استخدمها الخطباء والفمصفانيون والشعراء الهزليون، تلك التي قبلتها المدينة ضمن مراسيمها ومخطوطاتها.. يلخص A. Meillet في الكتاب ذاته، قائلا أن الإخضاع المجدوني لبلاد الإغريق، قد أسهم في إنجاح هذه اللغة المشتركة (أي في القرن الرابع قبل الميلاد).

فيما يتعلق باللغة الرومانية الهندية-الأوروبية، يؤكد المؤلف عيئه أن «اللاتينية التي كتبت من عهد أوقسط إلى غاية النهضة، استخدمت كلغة علمية وحتى أدبية عند شعوب ذوي لغات متنوعة وكثير منهم لا يتكلم اللغات الرومانية..»

هكذا، إما بوساطة اللغة اليونانية المشتركة أو اللاتينية -سليلة اللغة الهلانية- كرسّت اليونانية على كَلِم جميع اللغات الأوروبية أثرا بالغا. وبالتالي اللغات العروبية، التي منها استعير قسط كبير من معجم اليونانية الفصحى، هي من لها مزية الأثر على كَلِم جميع اللغات الأوروبية، ليس فقط حكرا على اللاتينية منها ولكن أيضا السقالبية والجرمانية.

يمكن تفسير حضور الجوهر اللغوي العروبي بطريقتين :

- الأولى إفريقية-آسيوية، التي سلكتها هجرات المتكلمين بلغات عروبية (الأكادية-البابلية، الأرمية، العربية الوسطى، المصرية، إلخ.) نحو أروبا (من وادي الدانوب إلى غاية حوض الوردان أو شمال جرمانيا)،

- الثانية، إفريقية-أوروبية، التي تبعثها هجرات المتكلمين بلغات عروبية أخرى (إيريه-بربرية وفانقية، أساسا) نحو جاليا وشبه الجزيرة الإيطالية وشمال أروبا.

هذا التقسيم الاستوصافي-الأرضي، هو تقسيم تخطيطي ولا يعكس حقيقة الهجرات، ذاك أنه تواجدت مناطق حيث تألفت موجات الهجرات من جماعات بشرية (أو أهال) إفريقية-آسيوية كما جماعات بشرية (أو أهال)

إفريقية-أروبية. وتجلي لنا ذلك بوضوح دراسة تسمية الأماكن والشعوب في جميع المناطق الأروبية.

حينما احتلت القبائل ذات لغات هندية-أروبية أوروبا (من الشرق إلى الغرب)، أخضعت الأهالي المحليين العروبيين-الأروبيين وفرضت عليهم لغاتها (بخاصة النظام التحوي والصرفي) وتبنت جزءاً من كالم لغات الأهالي المضطهدين إما بصفة تحويلية حرفية أو مركبة. وفي الحالة الأخيرة تخضع هذه التركيبات المعجمية إلى القواعد الصرفية والتحويلية للغات الهندية-الأروبية.

إذا كان الاحتلال الروماني لأوروبا قد فرض اللغة الرومانية (اللاتينية) على أهال أروبيين كثر، فهذه اللغة لم تظل وحيدة، بعدها. هنا يحيل بخاصة على كون أهالي كل بلاد، بل كل إقليم، يتكلمون لغات (عروبية) تختلف واحدتها عن الأخريات-إن يسيراً أو كثيراً-. وتبعاً لتطور المجتمعات الخاصة لكل منطقة، انفردت اللغات المحلية أكثر عن بعضها بصلتها باللاتينية، التي تطورت هي الأخرى لتصبح لغة عامة. وهكذا تكلم الأهالي المختلفون لأوروبا، بعد "تبتي" اللاتينية لغات ابتعدت شيئاً فشيئاً عن الهيئة الأولى.

وهو ما أقر به ¹ A. Miellet حينما كتب : «الأهل الذين يتعلمون لغة جديدة، ينزعون دائماً لإقحام تغييرات على هذه اللغة، بصورة أفضع من الأهل الذين يواصلون استعمالها القديم».

2.3 حول أطروحة الأصل المشترك للغات العروبية واللغات الهندية-الأروبية

إذا كانت اللغات الأروبية القديمة -اليونانية واللاتينية- قد تأثرت باللغات العروبية، اللاتي استخدمن في أوروبا من طرف أهال عروبيين، الذين استعمروا المناطق المختلفة من هذه القارة، قبل مجيء القبائل ذات لغات هندية-أروبية بكثير، فضلاً عن هذا، حسب أعمال وخلصات بعض المؤلفين، وأيضاً دراستنا هذه المرتبطة بالهد

1. في كتابه "اللسانيات التاريخية واللسانيات العامة".

الأول للتاطقين بالعربية، إلى معاينة أطروحة، ترتقي بتأثير اللغات العروبية على اللغات الهندية-الأروبية -أو بصورة أدق انبجاس هذه الأخيرة (اللغات) انطلاقاً من منابع لسانية عروبية- إلى حقبة أقدم، ليس في أروبا بل في آسيا بالتات.

1.2.3 عناصر استهلالية

إذا أخذنا في الحسبان شهادة لساني المعني ومشهور، A. Meillet :

- «ما من مبرر للاعتقاد بأن بعض اللغات المشتركة، من حيث خرجت العائلات الكبيرة المثبتة لسن، بدورهن، تحولات للغة واحدة أقدم. يمكن أن نتصور مثلاً، أن الهندية-الأروبية والسامية (التقاربة مع الحامية) والقوقسية الجنوبية والفينية-المجرية خرجن من لغة واحدة أقدم ...¹».

إذا أخذنا شهادة لساني آخر² B. Hrozny، "مترجم" كثير من كتابات آسيا الغربية وقرنا :

- «القاربة، وعلى بعدها محتملة، بين اللغات الحامية-السامية واللغات الهندية-الأروبية، مما يحضر علينا البحث عن موطن أصلي للحاميين-الساميين في نقطة جد قريبة عن المسكن الأصلي-نسبياً- للهنود-الأروبيين، مسكن تموقع دونما ريب في شمال البحر الأسود والقوقص وبحر قصوين....».

إذا ما أقررنا أيضاً مع De la Vallée-Poussin

- «أن جزءاً معتبراً من الكلم الإغريقي تأتي من آسيا الصغرى، من حيث أخذ النحو والصرف اليوناني صيغته».

يمكن أن نستنتج :

1/ قبل أن تظهر اللغات الهندية-الأروبية في التاريخ (أي أبكر، بداية من القرن السادس عشر قبل الميلاد)، كانت اللغات العروبية -مثل الأكادية والبابلية والفانقية والمصرية ...- لغات حضارة ولهن أدب محقق :

1. في كتابه "لسانيات تاريخية ولسانيات عامة".

2. مصدر سبق ذكره.

ب/ اللغات التي ذكرناها للتو والقوقصية الجنوبية (التي رأينا انتماءها لعائلة اللغات العروبية) هن لغات متقاربة ؛

ج/ مهد المتكلمين بلغات عروبية، الذي سمح لنا بحثنا بتحديد في المناطق الأناضولية (البحر الأسود) والقوقصية (بين البحر الأسود وبحر قسوين) وشمال بلاد الرافدين، في حقبة ترتقي إلى ألفيات كثيرة من السنين قبل العهد المسيحي، من جهة ؛ الاستعمارات العروبية نحو الشمال ؛ وادي الدانوب (المناطق الشمالية للبحر الأسود)، وحوض البولغا (مناطق تتموقع في شمال قسوين) وبلاد القوقص الشمالية، من جهة أخرى، هي عناصر¹ تسمح لنا بطرح أن متكلمي لغات عروبية سكنوا مناطق، سيشغلها فيما بعد بكثير متكلمو لغات هندية-أروبية. أي أنه قبل مجيء الهنود-الأوروبيين في هذا الفضاء (حسب طرُحنا) أو قريباً من هذا الفضاء (المتحدّد من طرف B. Hrozny)، شكّل العروبيون الجواهر البشري للأهالي الذين أقاموا في هذه الأراضي.

على غرار ما جرى في بلاد الإغريق (في بداية الألفية الأولى مما سبق العهد المسيحي)، يمكن أن نفكر بوجهة تراجعية ونفترض أن الهنود-الأوروبيين -أقلية قياساً إلى الأهالي المحليين- قد صاروا قُطِين المناطق المستعمرة من طرف العروبيين وفرضوا لغاتهم، على الصّعيد البنوي، بالحفاظ على قسط كبير من معجم لغات الأهالي المحليين، الذين دُحروا حربياً وأخضعوا.

في حين أن هذا الافتراض لا يبدو مؤسساً لا تاريخياً ولا لسانياً. عناصر موضوعية عديدة أخرى، بعض شهادات اللسانيين وفقهاء اللغة، تدعونا إلى قبول حالة تصور أخرى، اقترح فرض آخر قد يكون أليق بالأصل الوحيد للإنسان ووحداية اللغة في العهود الأولى للبشرية -كما يورد "الكتاب المقدس" والقرآن الكريم- لغة انطلافاً منها اشتقت جميع العائلات اللغوية الكبيرة.

1. انظر كتبنا : -"العرب في أوروبا قبل العهد المسيحي".

- "العرب، أسلاف الجاليين؟".

- "الرحلة المجهولة للغة قديمة، البربرية".

2.2.3 اطروحة حول الأصل المشترك للغات العروبية

واللغات الهندية-الأوروبية

أ/ شهادات مؤلفين وتفسيرات

- في كتاب سابق "العرب، أسلاف الجاليين؟" بيتا تأسيس مستعمرات عروبية- فانقية على طول طرق العنبر -عبر القارات- تسلك إما مجرى النانوب أو مجرى البولغا، موازاة للطرق البحرية للعنبر والقصدير، عبر مضيق جبل طارق والأرخبيل البيريتاني؛

- يؤكد¹ G. Lebon الحضور الفانقي في مصب نهر الأردن (خليج البندقية، في شمال بحر أذريا)، مما يبرز أن الفانقيين قد استقروا في المناطق النانوبية، من البحر الأسود إلى أستريا، هذه المنطقة الأخيرة -تلقب- مثل النانوب (أو إستر)- باسم الآلهة السورية- الفانقية. قد أشرنا إلى ذلك في الباب الأول (الفصل الرابع) ،

- يعتقد² J.B Eyriès أن الفانقيين، منذ الأزمنة الغابرة، ترددوا على سواحل الدانمارك وبحر البلط ليقوموا هناك بتجارة العنبر الأصفر، مما يستنتج منه أن الفانقيين قد استعمروا المناطق المتوقعة بين مصب البولغا (في بحر قصوين) وضاف بحر البلط، وتركوا هناك إلى غاية اليوم، تسميات اماكن وانهار عروبية³. من بين هذه الأخيرة، ألقاب طرفي هذا الطريق، البولغا (في واديهما الأسفل) والبلط، هما اسما آلهة (مزجية باسم آلهة). لقد تكلمنا عن ذلك في الفصل الرابع من الباب الأول ،

- هذا الطريق البري، القصويني-البلطي، سيسلكه قرونا كثيرة بعدها -مما يؤكد استخدامه القديم- تجار أروبيون. في العصر الوسيط : كتب⁴ H. Pirenne بهذا

1. في كتابه "أولى الحضارات".

2. في كتابه "الدانمارك".

3. لقد عالجننا هذا الموضوع في كتابنا "العرب، أسلاف الجاليين؟".

4. في كتابه "محمد وكارل الكبير".

الصند، أن التجار الإسكانيين قد فتحوا سبلاً تجارية جديدة ، من بحر قصوين إلى بحر البلط، عبر البولغا، مع المناطق الإسلامية المفتوحة، وأشار إلى أن سككا شرقية كثيرة -مؤرخة (حسبه) بالعهد الأول العربي الإسلامي- قد عثر عليها في بلاد الجند (إسكانيا).

- أشارت موسوعة "Grand Larousse Encyclopédique" إلى مدينة قديمة جلاون، قرب قازان الحالية، في مكان أين يصب نهر القامة في البولغا، هذه المدينة ستصبح همزة وصل هامة للطرق التجارية، بخاصة تلك القادمة من إسكانيا عبر وادي وكاء-بولغا جالبة العنبر، عبر طريق الشرق، وحاملة جلود وفراء وقلز سيبيريا، والثالثة قادمة من الجنوب عبر وادي التانيس-بولغا جالبة أشياء من أصل إغريقي وبنطسي وقوقصي. حسب أروادوت، هذه المدينة (جلاون) هي من أصل إغريقي،

- الإسكوتيون، لقد رأينا¹ أنهم من أصل سوري أو إيراني-قوقصي -كما يُستشف من تسميتهم (من بين العوامل الأخرى) وما يقول به مؤلفون كثر : حسب ديودور الصقلي، قد استقروا (في جزء منهم) في قبادكيا، منطقة أهلها السوريون البيض؛ حسب فند-راس ، قاد السوريين الأمازول (الأمازون). حسب ديودور الصقلي إسكوتيو قبادكيا حكمهم ملكات ... الإسكوتيون الآخرون أقاموا من أسفل وادي الدانوب إلى غاية حوض البولغا،

- يقدر² E. F. Gautier أن ، قطين البحر الأسود ليس لهم سحنة مختلفة عن الإسكانيين،

- يشهد³ A. Byhan أن ، الخواص القومية للقوقصيين تلتقى في جزء كبير من أهالي آسيا الصغرى وسورية، ذاك أن القوقصيين ليسوا إلا فرعا من جنس آسيا

1. "الرحلة المجهولة للغة قديمة، البربرية".

2. في كتابه "فيس-عرك ملك الوندال".

3. مصدر سبق ذكره.

الصغرى هذا، زحزحوا نحو الشمال، على طول قصوين والبحر الأسود ... كما خلف قمم السلسلة الجبلية، وغرة عادة..

جميع شهادات المؤلفين -قدامى ومحدثين- التي أشرنا إليها -كل واحدة في سياقها الخاص- خلال كامل هذا الفصل، تؤلف عناصر عديدة للغز، يسمح لنا بجمعها توضيح أفضل وعضد أكبر لاقتراحنا :

- السوريون، الذين يمكن تسميتهم كما يسوق المؤلفون، بروايات مختلفة : الأرمان، القبادكيون، الأناضوليون، الرافديون، الإسكوتيون، القوقصيون، الإير، إلخ. استقروا في جنوب البحر الأسود والقوقص وقصوين كما في شمال هذه المناطق (من حوض الدانوب إلى غاية وادي البولغا)،

- طبيعياً، يشابه الإسكانيون السوريون البيض. مما يعني أنه يمكن خلط الأهالي الأوائل (أهالي بحر البلط) بالآخرين (أهالي البحر الأسود وبحر قصوين وأعلى بلاد الرافدين). هو إحدى الشهادات على الاستعمارات السورية -الفانقية (أو السورية- القوقصية) في شمال أوروبا،

- تواجد السوريون-الفانقيون والأناضوليون والقوقص على سبيل المثال، متكلمو لغات عروبية، ليس فقط في وادي بولغا ولكن في شرق هذا النهر أيضا -كما اشارت إليه موسوعة "Grand Larousse Encyclopédique"، كتجار في سيريا. في غرب هذا النهر نفسه، التقت المستعمرات السورية-الفانقية مع نظيراتها للمناطق الدانوبية، ومن هناك، توزعت على بقية أوروبا الغربية. حدثت هذه الاستعمارات في عهد يمكن تحديده سابقا لبداية الألفية الثانية قبل الميلاد، أي قبل ظهور قبائل ذات لغات هندية-أوروبية في الهند، في النصف الثاني من ذات الألفية، أو بعدها بقليل، في شبه الجزيرة الهلانية.

وهو ما يترجمه بجلاء -دون تسمية هؤلاء الأهالي- ما أورده موسوعة "Grand Larousse Encyclopédique" (الجزء الخامس)، بخصوص استوصاف الأرض البشري لأروبا، وهو السياق الذي يطلعنا بأنه في عهد الحجر المصقول، نلاحظ اجتياحات أهال مختلفين :

- من أصول شمال كريميا : يتقدم هؤلاء الأهالي بولندا والدانمارك والحوض الباريسي وسهل الأردن¹،
- التيار الثقافي المتوسطي، من أصل مصري وشرقي متوسطي : يتقدم هؤلاء الأهالي جنوب إيطاليا وإسبانيا ثم التصف الجنوبي لفرنسا²،
- التيار الثقافي الدانوبي، من أصل رافدي، امتد على أوروبا الوسطى والشرقية³.

هذه الشهادة، فاصلة وموضوعية، تنضم إلى دراستنا حول الموضوع (انظر المصادر)، يتعلق الأمر بكون جميع هؤلاء الأهالي الذين استعمروا أوروبا، من الجنوب إلى الشمال ومن الشرق إلى الغرب، كانوا أساساً متكلمي لغات عروبية. الآن نفهم بصورة أوضح E. Renan حينما يتكلم عن التشابه الطبائعي للإنسان بين الساميين والهنود-الأوروبيين ويفترض أن «عرقاً واحداً، صدر عن المهد نفسه». وبصرح⁴ : «الأطروحة الأكثر طبيعية التي تُقدّم لشرح ظاهرة كهذه، هو افتراض أن عرقاً واحداً، صدر عن مهد واحد، انقسم إلى فرعين قبل حيازة لغة نهائية. مما يبدو مؤكداً هذه الأطروحة، هو أن كلا نظامي اللغات التي تكلمنا عنها وإن كانا متمايزين، فلا يُخدم بينهما جو عائلي ما، تقريباً مثل توأمين نشأ بعيدين شيئاً ما عن بعضهما، فصلاً تاماً عن بعض في سن الرابعة أو الخامسة».

حقيقة، إذا كان العروبيون، أو بتعبير أفضل متكلمو لغات عروبية قد سكنوا شمال البحر الأسود والقوقص وبحر قصوين، فالهنود-الأوروبيون أو بتعبير أفضل متكلمو لغات هندية-أروبية (هم أيضاً) موطنهم الأول - حسب B. Hrozny الذي ذكرناه- كان في المناطق نفسها، ولكن في حقبة أحدث. فما من حائل إذا دون التوافق مع فرضية E. Renan الذي يقدر أن

1. موضوع العجناة في كتابنا ، "العرب، أسلاف الجالين ؟"

2. موضوع العجناة في كتابنا ، - "العرب في أوروبا قبل العهد المسيحي".

3. موضوع العجناة في كتابنا ، - "العرب في أوروبا قبل العهد المسيحي".

4. في كتابه "حول أصل اللسان".

«عرقا واحدا، صُنر عن مهد واحد، انقسم إلى فرعين قبل حيازة لغة نهائية، مع تحفظ واحد هو أن اللغات العروبية المتقدمة بجدة عن اللغات الهندية-الأروبية، ينبغي أن تكون مصدرا أو أمّا للأخيرات -بدل التوام- اللأني، أقدمهن السامسكريتية، التي حضرها علماء ونحاة (لسانيون)».

ب/ تعليقات

عروبيو الشمال المحليون (أي متكلمو لغات عروبية قاطنو المناطق الشمالية للبحر الأسود وبحر قصوين وشمال القوقص)، بعد التفريط في الأواصر أيّا هي، التي تربطهم بالأهالي الآخرين الجنوبيين التاطقين بالعروبية (في جنوب القوقص والبحر الأسود وبحر قصوين)، اتخلوا، للتميز -لسانياً وبالتالي ثقافياً- عن نظرائهم وراء البحار والجبال، اجتبوا من عناصر مختلفة نظاما بنوياً لغوياً جديداً، على غرار إنشاء اللغة السامسكريتية -في نهاية الألفية الثانية قبل العهد المسيحي- أو على غرار إنشاء اليونانية المشتركة، في نهاية القرن الخامس قبل الميلاد في بلاد الإغريق¹.

جاء اجتباء لغة جديدة ليستجيب لحالة قطيعة شبه كاملة مع المتجانسين التاطقين بالعروبية في للمناطق الجنوبية، حالة إمّا متلقاة (كوارث طبيعية، ظروف مناخية واقتصادية جديدة، تغير المجتمعات، إلخ.) أو مفرزة (استقرار طغاة "أجانب"، مجيء "كهنة" مرقو أديان جديدة، حروب عائلية طاحنة شاملة، إلخ.).

هذه اللغة المصطنعة من طرف النحاة ورجال الثقافة، في الميدان البنوي، حافظت على معجم اللغات العروبية التي تكلمتها هذه الأهالي المختلفة، معجم تطوّر ونما مبتعنا شيئا فشيئا عن الأصل.

هكذا أصبح متكلمو لغات عروبية متكلمي لغات تسمى هندية-أروبية : أصبح العروبيون (أو حسب اصطلاح آخر الحاميتون-الساميتون هنودا-أروبيين.

1. هكذا تساع de la Vallée Poussin (مصدر سبق ذكره) إن كان يمكن اعتبار الهندية (لغة البلوية- السامسكريتية-الهندية الشعبية) كال يونانية حيث لقر السانيون عناصر غير هندية-أروبية عديدة وخطيرة.

بهذا الصندد كتب¹ A. Meillet أن : « حجة قرابة لغة تنتج في مجملها من أن وجود بعض التوافق يتماشى حتما مع رواية تاريخية مشتركة .. »

ظهرت هذه اللغة المصطنعة، على نحو السامسكريتية² -إن لم تكن اللغة نفسها- في الحقبة الممتدة من منتصف الألفية الثانية إلى نهاية الألفية ذاتها. ويمكن أن نسقط على هذه اللغة "الهندية-الأوروبية" الشهادة التي أوردها لنا³ G. Lebon بصدد السامسكريتية (التي برزت بغرابة في الحقبة ذاتها !) : « ليس تحرير "رق البدء" إنجاز رعاة بدائيين ولكن أدباء وفقهاء في الدين مخصصين : وكل ما فيه مصطنع. هذا يقتضي قرونا من التحضير السابق. إذا وراء هذا الشعب تاريخ عريق .. »

1- رِق البدء : أقدم نصوص البدء، كتب مقدسة لبلدان وادي السند.

تم تحضير القسط الأكبر من رِق البدء ما بين خمسمائة وألف (1500) ومائتين وألف (1200) قبل عهدنا (حسب D. Kosambi) ، في سنة ألف (1000) قبل الميلاد (حسب Max Muller ذكره G. Lebon). في كتابه "ثقافة وحضارة الهند القديمة"، يصور لنا D. Kosambi الآريين (أي الهنود-الأوروبيين) في هذه الحقبة، التي خلالها حرر نص البدء، كمحاربين بدواً دونما حضارة : « كان مستواهم الثقافي أوضع من مستوى الأهالي الحضر الذين دُمروا. وعلق عن هذه الحقيقة مصرحاً : « هو مبدأ عام كون أي لغة أجنبية ليس لها أن تفرض نفسها على أهل كثيري العدد إلا أن ثرق بنمط إنتاج يفوق ذلك الذي عرفه هؤلاء الأهل قبلاً. لم يشكل الآريون المكتسحون غوغاء كثيري العدد. ويصرح، بحق، السؤال : « كيف تأثي لهم فرض أنفسهم ولغتهم؟ .. »

1. مصدر سبق ذكره ("لسانيات تاريخية ولسانيات عامة").

2. حسب de la Vallée Poussin (مصدر سبق ذكره)، تعني كلمة السامسكريتية (السانسكربتية) "إجمالية أو تركيبية".

3. في كتابه "حضارات الهند".

تجيب شهادة G. Lebon التي أشرنا إليها أعلاه ببيان عن هذا السؤال : إن تحرير رق البداء ليس صنيعة رعاة بدائيين ولكن هو شأن أدباء وفقهاء في النين مخصين ... يؤكد¹ A. Daniélou أقوال G. Lebon كاتباً : « جهل الآريون، في عهد التأليف الأول لأولى أناشيد رق البداء، الكتابة. في هذا العهد، أي نحو منتصف الألفية الثانية قبل العهد المسيحي، كانت لغات حضارة الوحيدة في هذا الفضاء، من السند إلى البحر الأبيض المتوسط، هي اللغات العروبية : لقد رأينا أن الأكادية-البابلية والفانقية، قروناً كثيرة قبلها، بلغت مستوى أدبياً وفمصفائياً وعلمياً ودينياً رفيعاً.

يؤكد المؤلفون الحضور والهيمنة للغات العروبية، بالقول بأنه مع حمو-ربي والملكة البابلية، أصبحت اللغة الآشورية، انطلاقاً من القرن الثامن عشر قبل الميلاد لغة السياسة الخارجية لجميع الشرق القديم (من الهند إلى البحر الأبيض المتوسط) ولصر. أي أنه قرون كثيرة قبل تحرير البداء الذي كتب بالسامسكريتية - في وادي السند أساساً - استعملت اللغة الأكادية (أو الآشورية-البابلية) في هذه المنطقة نفسها، بتعبير أفضل. مثلت لغة حضارة.

زيادة عن هذا، قد بيتا في الباب الأول أن الاستعمارات العروبية قدمت في وادي السند وأن الحضارة التي رافقتها كانت متألقة : يصف المؤلفون هذه الحضارة بغير الهندية-الأوروبية (أو غير-آرية، حسب مصطلحات M. Wheeler). تحديداً في إحدى هذه المناطق، الفنجاب -يقطنه متكلمو لغات عروبية- حرّر في معظمه رق البداء.

يخبرنا D. Kosambi، في هذا الصدد، أن الثقافة الرافدية تمنح أكثر قواسم مشتركة مع الأخرى السندية من تلك مع الثقافة المصرية. الأمر شديد الوضوح والذي يتيح لنا استيعاب الشهادة الثانية (أشير إليها في بداية مدرج العنوان هذا) لـ Meillet A.، تتعلق بكون السامية (والحامية) والهندية-الأوروبية، إلخ، خرجت من لغة واحدة أقدم.

1. في كتابه "تاريخ الهند".

هكذا يمكننا تفسير حضور كلمات عربية عديدة في نصوص الباء أو في
الكلم السامسكريتية¹ :

• "pur" التي تعني "مكان منيع" - هذا الاسم ينعت المدينة (polis في اليونانية) : هو
الكلمة العربية برج، من الدلالة ذاتها (على حد السواء في السامسكريتية كما
اليونانية)². وكان الجيم يخرس في الكلمة الهندية، مع إبدال الباء بحرف P،

• ذكر³ A. Meillet الكلمة "pater" أي "أب" في اللغة الهندية-الأوروبية
المشركة، مصرحاً : يبدو أن هذه الكلمة انتقلت بصورة دائمة من جيل لجيل
منذ عهد اللغة الهندية-الأوروبية المشتركة إلى غاية اللاتينية الفصحى. ولكنها
تلقت في هيئتها تغيرات عميقة : الكلمة الهندية-الأوروبية تنعت وظيفة
اجتماعية ، الأب هو رب بيت، ولهذا تكتسي الكلمة قيمة دينية، تستخدم في
وصف "السماء الأب"، يوفاطر الروماني. ما زالت في اللاتينية، الكلمة "pater"
تكتسي معنى اجتماعياً رأساً : تنعت وضعياً عائلياً. المنجب ينعت بالأحرى
بكلمة أخرى "genitor"، بالنسبة لـ de la Vallée-Poussin، الاسم الهندي
"pitar" يعني قديماً "سيد، مؤلى". هذه الكلمة "pater" ينبغي أن تكون، في رأينا،
تحويلاً حرفياً للكلمة العربية فاطر "خالق، مبدع"، من الجذر فطر "أبدع أو بدأ
شيئاً، خلق شيئاً (الله)" بإبدال الفاء (ف) بحرف P⁴،

يشير المؤلف A. Meillet، في كتاب آخر⁵، لاسم ثان : الاسم الهندي-الأوروبي
لـ "آلهة"، déiwo، الذي يعني حرفياً "مضيء" يوجد في "dyauh" في الباء : هو الاسم
القديم للسماء المضيئة. صار في مجموع الآلهة الإغريقية، Zeus، الرب الأعلى، آلهة
الرعد، وهو أيضاً الآلهة التي تعبد على القمم الخالية، غالباً تكتنف برقاً. جميع هذه

1. هي اللغة المقدسة والأدبية للهند، ظهرت ضمن مجموع اللغات الهندية-الأوروبية.

2. انظر كتابنا "العرب في أوروبا قبل العهد للسيحي".

3. في كتابه "لسانيات تاريخية ولسانيات عامة".

4. هناك كلمة أخرى في العربية لها هذه الدلالة للضعافة، يتعلق الأمر باسم رب الذي يعني "إله" أو "سيد العائلة".

5. في كتابه "لمحة حول تاريخ في اللغة اليونانية".

التعوت لها معنى، تحديداً، لتلك التي تعطىها الكلمة العربية للوافقة، التي هي ضياء (أو ضوء). لقد شرحنا هذا الاسم في الباب الأول (الصفحة 147)،

• أشار¹ de la Vallée-Poussin إلى الاسم اليوناني (والهندي) (Peleku) πελεκυس وافر أنه مستعار من الآشورية Pilakku (الجنر العربي فلق "فلج، قطع شيئاً إلى شطرين"). مع اسم الفاعل فالق "الذي يشطر إلى اثنين"،

• يمكن أن نلاحظ أيضاً، إلى جانب عناصر معجمية موجودة في البداء، تسمية شعوب عروبية (مثل تسمية برجة الهند أو البرجو) وردت في رق البداء. هذا الاسم له الأصل نفسه كما الاسم الفارسيون (البرجة) الذي كنا رأينا معناه الأصلي أعلاه (الفصل الخامس من الباب الأول).

حسب D. Kosambi، الاسم برج وينعت، واحدة من أهم العشائر ذات المصاهرة الخارجية البراهمنية، دائماً قوية وخطيرة.. وتابع، كاتباً: "رق البداء يشهد عن تكون جمعية فسيسين جديدة براهمنية، يخدم أعضاؤها، عند الحاجة، سادة كثر، آريين أو غيرهم. في السياق ذاته، أشار المؤلف إلى ملكين أسماؤهما (بعل-بطو وتاركسا) يفتقران إلى الغتة الآرية، وقد يكونا آشوريين تاريخيين. قد أشير أيضاً إلى الجمل في هذا النص، في حين أن هذا الحيوان ظهر نادراً في الرواية الهندية القديمة..

في سياق الأفكار نفسه، وحسب² B. Hrozný، نجد في الهند جزءاً آخر من هذا الشعب (القصن): حوافظ على بقية أخيرة من هذا الشعب إلى يومنا في مقاطعة جلجيت، يتعلق الأمر بالبروشو من جبل الهندو-كوش³، حيث لغتهم البروشسكية ذات قرابة كاملة مع اللغات القوقصية الحالية.

يمكن أن نلاحظ في تسمية الشعب هذه (البروشو)، التي بها تتلقب أهال جبلية، المقطع الصوتي بر الذي قد لا يكون إلا ذلك الذي نجده في الأسماء الإبير

1. مصدر سبق ذكره.

2. مصدر سبق ذكره.

3. سلسلة الهندو-كوش هي جارة جبل الفمير. E. Renan في كتابه ("من أصل اللسان" صفحة 114) يصدد الكلام عن جبل الفمير بصرح، استقرارات متينة تحضنا على جعله في العلم نفسه.. يتعلق الأمر بهضبة الفمير، الهد الأول للعرق السامي.

والبربر وأبر (للقوقص) والتيبارن (للأناضول) ... كما أن الجزء الثاني من هذه التسمية، وشو قد لا يكون إلا ترجمة للكلمة البربرية إشن (أو إسك)، قد شرحناها أعلاه¹.

هكذا قد التقينا الاسم القومي "عربي" في الفنجاب، وثن عربيتا في المناطق الساحلية الغربية للهند، نجد الاسم القومي "البرجو"، نظير السابقين، أيضاً في الهند وآخر من القص أو القصوينيين (مع البروشو) في جبل الهندو-كوش، تسمية شعب لأهل القوقص.

• لاحظ de la Vallée-Poussin (في مرجع سبق ذكره)، في المجال الديني، استعارات هندية-إيرانية للساميين : الآلهة Adityas و Amesha-Spentas التي جاءت شعائرها من الخارج، من شعب أكثر تقدماً منهم (الإيرانيين) في معرفة السماء، من الكلد الساميين أو أكاديين بابل. فضلاً عن هذا، أورد المؤلف F.W. Thomas ، الذي تساءل إن كانت الرتبة أسورا "سيد، رب سماوي، ذو سلطة عجيبة ونفوذ"، لم يستعرها الهنود-الإيرانيون عن جيرانهم الغربيين، ما لم يتلقّب أوروفا باسم الآلهة الكبيرة لبلاد أسور (أشور).

• يبدو أن الدين المعروف في الهند بلقب "الشعابية" (بكسر الشين) (دين الشعب)-الذي يعتبر إسهاماً للمصنفاء القديمة ما قبل الآرية- قد توسع فيما قبل تاريخ العالم الهندي-التوسطي : تعتبر أسطورة أوزيريس في مصر تبديلة إحدى حكايات شعابة ... عبادة ضوء-نوسا في بلاد الإغريق²، هي فرع من الشعابية³ ...

هذا العنصر الأخير، لصالح الاستعمار العروبي في الهند، يزودنا به الإغريق : هؤلاء يتكلمون عن الهند كارض مقدسة لضوء-نوسا قرب الجبل المقدس

1. انظر كتابنا "الرحلة المجهولة للغة قديمة، البربرية".

2. ضوء-نوسا هو ابن سمالة الفانقية.

3. A. Daniélou في كتابه "تاريخ الهند".

لنوسا (منطقة جلال أباد، في أفغانستان) ¹، بالفعل، العلاقة مع الفانقيين واضحة وقائمة. ضوء-نوسا هو ابن سمالة، وهي الأخرى ابنة قادم الفانقي. وقد أجرينا أعلاه (الفصل الخامس-مدرج العنوان 4.2.5) المقاربة بين الأميرة سمالة ومدينة سملة، شمال باكستان الحالية.

في كتاب سابق "الرحلة المجهولة للغة قديمة، البربرية- من جبال إمالاين إلى الأرضوان"، بخصوص المناطق المستعمرة من طرف العروبيين في شمال السند، لقد أشرنا إلى المعنى الأصلي الفانقي-الإيري-البربري في أسماء عدة مدن أفغانية، أسماء لبعضها كلمة "آر" أو "ر" (جبل) مثل كنداهاار، ننجاهار-تماما مثل المنطقة المتموقعة في الشمال الشرقي لكابل، القشمر، حيث تحوز التسمية معنى ذا علاقة مباشرة مع الجبل. الجبلون الذين هم القوقص (بصفة عامة) عرفوا وسكنوا المناطق المرتفعة للأنحاء المجاورة، من جبل حلب الرأس (القوقص الجنوبي) إلى جبل كركورم (القشمر) عبر جبل فمير. القشمر هو جار الفنجاب الشمالي الذي فيه توجد مدينتي شنداجار وسملة. من هذه المنطقة الأخيرة ينبع نهر السند، وحيث تبدأ السلسلة الكبرى لإمالاين، تسمية شرحنا أصلها الإيري-البربري، في حين أن الاسم فمير يحيلنا إلى أصل فانقي.

عنصر آخر يشفع لصالح أطروحتنا، يقدمه لنا ² A. Daniélou : ، ثقافة قديمة تمتد من البحر الأبيض المتوسط إلى وادي جانجا، تراث مشترك لجميع الشرق القديم. حسب دارسي الطبائع البشرية المحدثين، شكل الدراوديون فرعا من العرق المتوسطي. ينبغي ضرورة أنه وجدت علاقات بين دراوديي الهند والفروع الأخرى للعرق المتوسطي الكبير : الإير، الفالجيين، الثوراسكيين، الليبيين، ميناوتي قرتا، القبارسة، المصريين، الحثيين والسومريين .. أدنى السياق، يُورد المؤلف نفسه عاملاً آخر، هذا العامل لساني بالدرجة الأولى : اللغات الدراودية لها قرابة مع الجرجية (إير الشرق) والباسكية (إير الغرب)، هذا يعني قرابة مع

1. A. Daniélou . مصدر سبق ذكره.

2. مصدر سبق ذكره.

اللغة الإيرانية-البربرية. في هذا الصنيع، يحدد لنا هذا الكاتب أن أقدم كتابة سامسكريتية، البراهمية، مشتقة من الفانقية. دلائل حضارة جد عتيقة، توقع الاعتقاد بأنه ثلاثة آلاف سنة قبل العهد المسيحي، وجدت علاقات اجتماعية بين كلدا وأهالي مندا الهند، وقد كشف عنها حديثاً، على السواء من طرف علماء الآثار كما اللسانيين.

من المنظور ذاته، يقدر E. Renan (في كتابه "دراسات حديثة في التاريخ الديني") أن «دون الزندية، لم تكن قيمة فقه اللغة للسامسكريتية لتستوعب..»

2- البستاء : هي الكتب المقدسة للفرس القدامى

حسب¹ G. Courtilier، البدء متكافئ مع البستاء بمقتضى اللغة وأحياناً بمقتضى الدين.. على كل حال، رأينا أعلاه (الفصل الثالث من الباب الأول) أن الزندية -لغة البستاء- لها قرابة باللغات القوقصية، التي في حد ذاتها قريباً من الإيرانية-البربرية.

تؤكد شهادة G. Courtilier أقوال فقيه اللغة² Anquetil du Perron، حيث يصرح : « كانت الزندية، قبل العهد المسيحي، لغة جرجيا، وإيران، بمعنى الكلمة، وأذربيجان. هناك تشابه مباشر بين الزندية والجرجية، بخاصة في التتمات التحوية..»

يخبرنا المؤلف نفسه، الذي استنتج، انطلاقاً من نص البستاء، أن موطن أزرستر ينبغي أن يكون أذربيجان الحالية، أن «شبه كتابة الزندية الكتابة العربية للقرآن في بعض الحروف وفي بعض آخر، الأرمية -في الرسم (الشكل)»..

في كتاب سابق معنون بـ"الرحلة المجهولة للغة قديمة، البربرية"، بيتا أن أهال قدامى مختلفين من القوقص وفارس وآسيا الصغرى (بخاصة أهالي

1. في كتابه "حضارات الهند القديمة".

2. في كتابه "زندية البستاء".

ضفاف البحر الأسود وبحر قصوين) كانوا متكلمي لغات عروبية وليس لغات هندية-أروبية : تسميتهم للشعوب تتفسر بيسر باللغة البربرية الحالية (الإمقران، التيبارن، الشاشاون، الإيبر، الشرقص، اللولوتن، القص، إلخ.). وهو ما يُعزّد -بصورة ضمنية- من طرف المؤلفين الذين يقدرون أن اللغات القوقصية (الشمالية منها والجنوبية) تتقاربن فيما بينها، من جهة، ومن جهة أخرى، تتقاربن أيضاً مع لغات آسيا الصغرى، وأعلى بلاد الرافدين وبلاد سوسة (عربستان).

3. حول بعض العناصر للسانيات المشتركة

إذا كان التاريخ والعلمية (حسب بحثنا)، والحضارة (حسب شهادات المؤلفين) لمناطق آسيا الوسطى وآسيا الغربية حتى البحر الأبيض المتوسط (من الهند إلى آسيا الصغرى مروراً ببلاد الرافدين) وأهاليها (من الدراوديين إلى الأشوريين والمصريين على سبيل المثال) تسمح بصياغة الأطروحة بخصوص الأصل المشترك للغات العروبية واللغات المسماة الهندية-الأروبية، وقد يمكن أن تعزّد اللسانيات بحث ذاتها، هذه الأطروحة.

بدأت اللسانيات في أوروبا مع ما يسمى اكتشاف السامسكريتية (أو السانسكريتية) من طرف الفرنسيين والإنجليز في الهند. وجود لغة قريبة من اليونانية واللاتينية في هذه البلاد القصية طرح إشكالاً معضلاً للبحث في نهاية القرن الثامن عشر من العهد المسيحي (القرن الثاني عشر للهجرة). صدمت التناقضات العرقية للاكتشاف (قربة بين الأروبيين والهنود) بعض الأشخاص، الذين راحوا حتى إلى درجة إنكار وجود اللغة السامسكريتية. هؤلاء اعتقدوا أن نصوص هذه اللغة تألفت من طرف براهمة دهاة عن أنموذج اليونانية واللاتينية. تبدو هذه القربة متقبلة، إذا ما اعتقد أنها ترجع إلى قديم غابر، انطلاقاً منه حدث انحطاط طويل.¹

1. في "علم القوميات العام".

/α مع اللاتينية

يمكن أن نعطي، في هذا الإطار المحدث، مثلاً واحداً -بهاة- لظاهرة نحوية التي ترتبط بالتشابه "العجيب" لتصاريف بعض الكلمات أو التعوت، في اللغتين العربية واللاتينية.

في الأكادية (لغة عروبية)، التميم هو صوت اليم (م) الذي يلحق بنهاية الكلمات (الأسماء غير المعرفة) بوساطة الحروف الصائتة و، أ، إ، مما يعطي مقطعاً صوتياً أخيراً للكلمة، حسب الحالة، أم (في الرفع) أو أم (في التصب) أو إم (في الجر)¹. الإعراب عينه يلتقى -لا يلاحظ مع ذلك في الحالات ذاتها- في اللاتينية (في المفرد)² :

- في المفعولية (مفعول به) : مع الاسم Ancilla "خادمة"

Ancillam interrōgo • "أسأل خادمة"

Bonam Ancillam laudo • "أهني الخادمة الحانقة"

نعت الاسم، كما في العربية، يتبع جنساً وعدداً الاسم الذي يعود عليه،

- في الإضافة (مكمل بيان)

Puellae rosam das • "تعطي وردة للفتاة الشابة"

- في حالة التصب (أسماء ونعوت مذكرة)

Dominum novum • "المعلم الجديد" (المفرد)

- في حالة الإضافة

Dominorum novorum • "المعلمون الجدد" (الجمع)

- في حالة الاسمية (أسماء ونعوت معدومة الجنس)

1. مقابل التنوين في العربية، حيث تعوض النون اليم.

2. تحوي اللغة اللاتينية خمس حالات (تصاريف) في حين لا تحوي العربية (أو الأكادية) سوى ثلاث.

• **Templum novum** "المعبد الجديد" (المفرد)

- في التصب

• **Templum novum** "المعبد الجديد" (المفرد)

- في حالة الإضافة

• **Templōrum novōrum** "المعابد الجدد" (الجمع)

التعت للمستخدم وحيداً يتخذ في اللاتينية قيمة اسم ويمكن أن يختتم بـ um
(كما في الأكادية) :

• **malum** "ألم، حزن"

• **bonum** "خير"¹

/β مع اليونانية

- الألفة العربية تتواجد في اليونانية : لقد تكلمنا عن ذلك في الفصل الثاني
من هذا الباب الثالث،

- من جهة أخرى، فيما يخص تشابه اللغتين العربية واليونانية، على الصعيد
التحوي، يمكن ملاحظة حضور بعض أدوات للبنية اليونانية متطابقة مع
نظرائها في اللغة العربية :

• أداة استفهام

ê (في اليونانية) - ا (في العربية)

• أداة التفي

mê (في اليونانية) - ما (في العربية)

• أداة ربط

1. مأخوذ من كتاب "السنة الأولى اللاتينية" صدر عن F.Nathan-1960.

dê (في اليونانية) الذي يعني "إذا-إذن، تحديداً" هو نظير إذن (في العربية)."

• أداة تدلّ على التمتي

ân (في اليونانية) = أن و أن (في العربية)

• أداة تدلّ على الشرط

eân, eî (ân أو ên) (في اليونانية) = إن (في العربية)

• أداة تدلّ على التخيير

ê...ê (في اليونانية) = أو... أو (في العربية)

• ضمير إشارة

soth (في اليونانية) - زوط (في الفانقية) أي "هذا"

- خواص بنوية أخرى للغة اليونانية تماثل تلك الملتقاة في اللغة العربية.
نذكر منها :

• نهاية الكلمة تتغير تبعاً للفئة التحوية المعبر عنها،

• كل كلمة تحمل في حد ذاتها خواص الفئات التحوية وعلامة كافية لدورها في الجملة،

• العدد وصيغة الأفعال العائدة على ضمير، يدلّ عليه الفعل دون ضمير محدد،

• اليونانية تحافظ، فضلاً عن المفرد والجمع، عن التمثل القديم للمثنى،

• ليس لترتيب الكلمات عموماً أي قيمة نحوية محددة : ترتيب الكلمات متحرر، وهذا لا يعني أنه عشوائي. وظائف الكلمات تتحدد بصيغها،

1. ذكر A. Meillet هذه الخواص البنوية للغة اليونانية في كتابه "لمحة حول تاريخ في اللغة اليونانية".

- ظاهرة لسانية أخرى ينبغي أخذها في الحسبان : تتعلق بأداة التعريف التي لم تكن بعد موجودة في اللغة اليونانية المشتركة. تقديم أداة التعريف في اللغة اليونانية يعتبر كتجديد¹، الذي قد يكون طرأ على أداة التعريف الفانقية HA، أصبحت في اليونانية Ö ("ال ... مذكر") و H ("ال ... مؤنث")² في الحالة الاسمية المفردة، في حين أن الأجناس الأخرى والأعداد لأداة التعريف خضعت للتصارييف الهلانية،

- نطق اليونانية، حسب A. Meillet³، كان واضحاً (أصوات مختصرة أو ممدودة، منبورة أو غير منبورة)، جميع الحروف لصانته كانت تنطق بصورة ملحوظة، بشكل تظهر به المقاطع الصوتية تماماً، ولا واحدة منها تتعرض لعدم التساوي، الذي يمس مختلف أجزاء الكلمة في اللغات الحديثة لأروبا الغربية،

- بالنسبة للإيقاع، يقدر المؤلف ذاته أن الإيقاع في اليونانية القديمة، كما في السامسكريتية، مختص بالكمية وينتج عن تناوب المقاطع الصوتية الممدودة والأخرى المختصرة دونما اعتبار التبرة، وهو ما نجده في اللغة العربية (سواء في التطق كما الإيقاع)، بخاصة في الشعر.

٧/ جملة القول

بناء على كل ما سبق و ...

- إذا اعتبرنا أن لغة البداء (السامسكريتية) ولغة البستاء (الرنديّة) متقاربتين من بعضهما، من جهة، ومن أخرى، أن هاتين اللغتين تتقاربان مع اللغات القوقصية،
- إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أن موطن أزراشر ينبغي أن يكون أزربيجان (بلاد القوقص، متاخم لبحر قصوين)، وأن كتابة الرنديّة تشبه الكتابات العربية،

1. لليونانية كما الفرنسية أو الإيسبانية الأداة التي تعدّها اللاتينية. أولم تستعر اللغات المشتقة من اللاتينية أصوات تعريفها من العربية (أداة واحدة ووحيدة الـ) وذلك مع e, la, les في الفرنسية (من الجذر والتصويت نفسه) ؟

2. هو الحرف cta الذي ينطق ا.

3. في كتابه "لحة حول تاريخ في اللغة اليونانية".

- إذا ما أدرجنا في الاعتبار كون أقدم كتابة للسامسكريتيّة، البراهميّة، المشتقة من الفانقيّة والسامسكريتيّة هي اللغة التي بها كتب البداء؛
- إذا ما استذكرنا أن الشعائر والأديان من الهند، وبلاد الرافدين والأناضول،... إلى غاية البحر الأبيض المتوسط تتدخل وتتماثل؛
- إذا ما أخذنا في الحسبان حضور كلمات عربيّة عديدة في السامسكريتيّة؛ تسميات أماكن (مدن وجبال) وشعوب، إلخ. من أصل عروبيّ في وادي السند (حيث حضر قسط كبير من رق البداء)،
- يسعنا القول أن أطروحتنا لا ينبغي أن تقصى : قد يكون علماء وأدباء ونحاة وادي السند -التخبة المثقفة من الأهالي العروبيّة- لعلّة أو لأخرى، اجتّبوا لغة جديدة، نفترض أن تكون في أبلغ الاحتمالات السامسكريتيّة، التي ما لم تكن اللغة الهندية-الأروبيّة المشتركة، فقد تكون قريبة جداً منها.
- دراسة اللسانيّات التاريخيّة، التحليل المقارن لنحو اللغات الهندية-الأروبيّة ونحو الأخرى العربيّة، التي ستجريها فرق جامعيّة متعدّدة التخصصات (فقهاء لغة، لسانيّون، أدباء، مؤرّخون، مختصّو علم الاجتماع، ... متعدّدو اللغات)، ستسلك نهج الموضوعيّة العلميّة، تتنكّر للتحيز أو الأحكام المسبقة، يمكن أن تتيح بلوغ نجاعة هذا البحث خدمة لمصلحة العلم وللخير الأعظم للأخوة البشريّة.

الخاتمة

حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ قَالَ حَدَّثَنَا حَمَّادٌ عَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ الرَّسُولَ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَا بِإِتَاءٍ مِنْ مَاءٍ فَأَتَى بِقَدَحٍ رَخْرَاحٍ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ مَاءٍ
فَوَضَعَ أَصَابِعَهُ فِيهِ قَالَ أَنَسٌ فَجَعَلَتْ أَنْظَرُ إِلَى الْمَاءِ يَتَّبِعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ¹

يحصل من التّراسة محلّ النظر أنّ اللسان العربيّ، لسان موغل في القدم، قد يعود
إلى نوح -عليه السّلام- وأبنائه، بل إلى أصل البشريّة. من جهة يبدو E. Renan مؤكّدا
لما ينسب إليه المحلّثون للسلمون في السّياق الذي أشرنا إليه في مقلّماتنا، الذي يبدو أنّه
مطلّع عليه -المتعلّق بكون العربيّة تكلمت من طرف آدم عليه السّلام- فلنا كتب² ،
«من جهة أخرى يبدي فقه اللّغة السّاميّة مزيّة : مانتها صلبة، وحافظت منذ أقدم
العصور، بل ربّما قبل أوّل عهود ظهور اللّغات، على وحدة اللّكات الأبين. وأضاف، بعد
نعت اللّغات "السّاميّة" بلغات غير عضويّة، وصلبة : لا الجنور ولا التّحو السّاميّ
خضعا لتحوير ذي بال، وأجمل مصرّحا أنّ «بوساطة عائلة هذه اللّغات يحصل لنا
بحقّ تماسّ مع أصول البشريّة»³.

1. حديث نبويّ شريف (في صحيح البخاريّ-الجزء الأوّل- الصّفحة 58-طبعة دار الفكر).

2. في كتابه "تاريخ اللّغات السّاميّة".

3. استخدم E. Renan هذه العبارة، وقد يكون يعني بالخصوص اللّغة-الأمّ، العربيّة -اللّغة الواحدة التي
تكلم البشر الأوائل- حسب قوله ، من المؤكّد حقيقة أنّ العربيّة، ولاعتبارات عدّة، اختزلت اللّغات
السّاميّة كما أنّ ، تبدو العربيّة كعلويّة اللّغات السّاميّة، في كتابه "تاريخ اللّغات السّاميّة"
(الصفحتان 481-482).

إذا كان اللسان العربي قد عاود الظهور في الحجاز (وسط شبه الجزيرة العربية)، ألفيات كثيرة بعد انقسامه إلى فروع عدة، فقد نبع هذا اللسان، بعد الطوفان أكثر شمالاً، في الهمد المحتمل لتكلمي لغات عروبية. ثم كل ذلك وكان اللسان العربي -اللسان الخالص والبين لكتاب غير ذي عوج- هبط إلى الأرض مع آدم -عليه السلام-، ثم رفع إلى السماء في حقبة ما بعد الطوفان، كي لا يلتقي خلفاء قوم نوح ووثنياتهم.

وعلى هذا فقد ذرا هذا اللسان بذوره قبل "اختفائه"، وهي البذور التي أنبتت واثمرت اللغات العروبية. وبمجيء الإسلام، نزل اللسان العربي -لسان القرآن- مجدداً إلى الأرض، مع الوحي القرآني. على غرار المطر الذي يولد ويخصب أرضاً بوراً، أروى "الكتاب المرقوم" -بوساطة حامله اللسان العربي- "النصاعين لله" وهتبيهم.

أصبحت اللغات العروبية قريبات نوعاً ما من اللغة- الأم، تبعاً للفضاء والزمن والتاريخ المشترك للأقوام البشرية التي تتكلم هذه اللهجات. لقد نعتنا جميع هذه اللغات بلغات ما قبل العربية، ذاك أنها تستبقي في بنيتها الخاصة -كل بمفردها- نواة اللغة- الأم. مثلما يحدث في مجال النبات، النواة المطمورة في تربة خصبة، متوافقة مع عوامل ملائمة لنموها وانتاشها، قد تنتج الفسيلة¹ التي تتيح إعادة الانبعاث أو ميلاد اللغة- الأم. يمكن أن نعتبر أن هذا التيرب الخصب قد شكل انطلاقاً من تتالي الوحي على الأنبياء- الرسل : بداية مع "صحف" إبراهيم -عليه السلام- المكتوبة باللغة البابلية، ثم التوراة، مع موسى -عليه السلام- بالكنعانية (الفانقية)، يليه الإنجيل المنزل على عيسى -عليه السلام- بالأرمية، وختاماً، القرآن بلسان عربي مبين، المبلغ إلى محمد -صلى الله عليه وسلم-.

واتاح كل من التصوص الواحة، تثبيت اللغة التي بها كتب، بعد أن تعلم كل قوم، الذي نحوه وجه "كتابه"، على مرّ قرون كثيرة، إعمال هذه اللغة، على أكمل وجه وصولاً إلى ملك ناصيتها وتكييفها حسب الرغبة، من خلال ادب خليق بهذا الاسم.

١. مثل "فسيلة شجرة مخصبة قرب نبع" ("الكتاب المقدس").

بهنا تستمت لغة إبراهيم -عليه السلام-، البابلية مستوى لسانيا ساميا، مستوى يمكن الحكم عليه بالاستعانة بقانون حمو-ربي -مواطن ومعاصر إبراهيم -عليه السلام-. بلغت الكنعانية ذرى الألب مع أشعار رأس- شمرة، صيتا ذائعا مع الكتابات النقوشة العديدة لفانقيا ومخطوطات المستعمرات الفانقية في القارات الثلاث. أصبحت الأرمية بعد قرون كثيرة من التطور المرتقي، انطلاقا من لهجة بدوية بسيطة في الأصل، لغة السياسة الخارجية للعالم المتحضر.

أما بالنسبة للعربية الوسطى التي تقرب منها -بنويا ومعجميا بشكل واضح- اللغات الثلاث المتقدّمات، تطوّرت -يمكن القول أنها تفتقت في الظل بعيدا عن الأضواء-، مستترة في الشّساعة الصحراوية لشبه الجزيرة العربية وخلال مدة طويلة، مصقولة بعلاقة الرياح والرمل، منخلة بمرور القرون، متمخصة خلال الأسواق والمهرجانات الشعرية، إلى أن ظهرت للأنظار كلسان القرآن -مثل رعد في سماء صافية- عند مجيء الإسلام.

يمكن ان نلاحظ أنه كان للعربية الوسطى (أو الحجازية) دور (أو قدر) تهيئة متكلميها لقابلية استعمال لسان القرآن. رويدا رويدا ودونما مقاومة، تطوّرت اللغة العربية الوسطى -باجتماع وامتزاج لهجات عديدة للبلاد، بالتأثير الأكيد لبعض اللغات العروبية- لتصبح، عشية ميلاد محمد -صلّى الله عليه وسلم-، أقرب لغة للسان القرآن.

وهو ما يكشفه نص الآية الثالثة من سورة السّجدة، أو بالأحرى القراءة التي أجرينا :

﴿بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِشِدَّةِ قَوْمَانَا أَنَا هُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾.

اي ان محمدا -صلّى الله عليه وسلم-، مولود مكة المكرمة، كلف برسالة، أولا تجاه قومه، ثم تجاه ساكني الحجاز وشبه الجزيرة العربية، ثم نحو جميع

البشرية. قوم ﴿مَا أَنَا مُرَمَّنٌ نَّذِيرٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾، مما يفترض أن أفراد هذا القوم تكلموا وفهموا اللسان العربي - لسان القرآن - لأن :
 ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ﴾ (سورة إبراهيم - الآية 04).

مما يعني أن الأنبياء السابقين، من هود إلى عيسى، مرورا بصالح وموسى ويونس وشعيب وإتيوب ودلوود، وغيرهم -عليهم السلام- قد بعثوا إلى أقوام (خارج الصحار) يتكلمون -ليس لسان القرآن ذاته- ولكن لغات عروبية قريبات نوعا ما للغة -الأم- العربية. إنه هذا اللسان من سيعوض الأرمية، تماما كما سيعوض الإسلام المسيحية. كما أن الفانقية أفسحت المجال للأرمية، توازيا مع اليهودية التي امتحت أمام المسيحية. أكثر من خمسة وعشرين قرنا، انتش الفسيل الذي غرسه إبراهيم البابلي -عليه السلام- في صحراء مكة -وقد تجسد هذا الغراس في ابنه إسماعيل وأولاده- وأتى أكله. بهذه الحجة، استحق إبراهيم -عليه السلام- لقبه -وهو اسم ترجمناه بـ "ابن المطر".

لقد انبعث الإسلام الذي دعا إليه إبراهيم -عليه السلام :

﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (سورة الأنعام - الآية 163)

مجنّدا، ليس في منطقة مكتنفة أنهارا (حال بلاد الرافدين أو وادي النيل) ولكن في بلاد قاحلة، مع محمد -صلى الله عليه وسلم-.

لقد عوقب العرب -متكلمو اللغات العروبية المختلفة- ساكنو مناطق مرتفعة ووديان خصيبة، حيران ينابيع ومجاري اللاء الوافر، عن وثنيّتهم، في الحقبة ما بعد الطوفان. هذه العقوبة الإلهية أجبرتهم على مغادرة مواطنهم، والهجرة نحو آفاق أقل رخاء وسخاء. هكنا نجلهم، في غالبيتهم، في الفضاءات الصحراوية الكبرى لآسيا أو إفريقيا، متعوّدين العيش في البلدان الجافّة، على أراض مقفرة وبور، في بحث

مستلهم عن الماء للاقتيات. وبالتالي أصبح العرب، الحضر، بدوا -أعرابا- في حركة دائبة، فرارا من "الجوع والخوف" أو الظلم والضحاء".

العقوبة ذاتها طالت، ألفيات بعدها، ولأسباب دينية مطابقة، الأهالي العربيين الجنوبيين مع تحطيم الحواجز والسُّلُود اليمنية (فلاحة غلت زلعا، وأنعام أبيلت). مما ولد هجرات جديدة، ولكن هذا الطور نحو الشمال.

حدثت معاودة ظهور العرب العرب -اسم يفهم ضمن دلالة العنصر السائل- في مكة المكرمة، مع إسماعيل، بن إبراهيم -عليهما السلام- وانبثاق نبع زمزم، الذي سمّي أيضا -قد ذكرناه أعلى السياق-، عربية إسماعيل، نبع أتاح تحضّر البدو بمكة ... عبادة أصنام أخرى حلت، جفاف الأرض وقسوة القلوب ... حتى انبثاق نبع زمزم الثاني ومجيء محمد -صلى الله عليه وسلم-¹

﴿وَأَمْرٌ لِّأَن أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (سورة الزمر-آية: 12).

... إلى غاية "نزول" القرآن "العربي" ورد اعتبار العرب -اسم ينحصر ضمن دلالة عبادة الله والانصياع له.

حدث ذلك كما لو أن هذه البلاد الجافة -بلاد الوثنيين قبل الوحي القرآني- ارتقبت المطر الذي ينزل من السماء (القرآن) من أجل أن "تعود إليها الحياة، وتخضر وتثمر" -هذه البلاد التي غلت أرض الإسلام- مع وحي "الكتاب الكريم" على محمد -صلى الله عليه وسلم-.

لقد جلبت في كتاب E. Dhorme "العربية الفصحى ولغة حموربي"، القرابة الوطيدة -البنوية والمعجمية بين اللغة البابلية، سليفة الأكادية والعربية الفصحى، بين لغة إبراهيم ولغة محمد -عليهما السلام--. ثبتت هكنا جسرا لا دينيا ولسانيا فحسب، بين التبيين الرسولين، ولكن تاريخيا واستوصافيا للأرض

1. هو جد محمد -صلى الله عليه وسلم- من حفر الأرض، إثر منام، مما أتاح عودة ظهور الماء، في بئر زمزم.

ايضا. كما ثبتت رابطا بين اللغتين العروبيتين، الفانقية والأرمية، لغتين خاصتين بموسى وعيسى -عليهما السلام- من جهة، وجميع اللغات العروبية الأخرى، من المحيط الأطلسي إلى المحيط الهندي، من جهة أخرى.

إذا كانت اللغات العروبية هنّ سواعد العربية الفصحى -والتقلّعات المسمّاة التحليلية- فمن الممكن استصحاب إسهامهنّ في ترجمة بعض الظواهر اللسانية التي تلتقى في النصّ القرآني، كما تفسر بعض الكلمات، التي يعتبرها -دون تروّ- المستشرقون وحتى مؤلفون عرب كلمات دخيلة.

يمكن أن تساعلنا دراسة جزء أو عدة أجزاء لمجموع ما من فهم هذا المجموع للنظور، ليس باعتباره جمع أجزاء كثيرة، مستقلة بعضها عن بعض، ولكن ككلّ. دوننا رمز "أقدار" التوام، للثنين واللغة، يمكننا القول أنّ الإسلام هو أوّل اديان البشرية وخاتمها، تماما كما أنّ العربية أوّل لسان تكلم آدم وذريته، وهو في نظر المسلمين، اللسان الذي يتكلم الله مع عباده، يوم المعاد.

تنصّ الآيتان الواحدة والعشرون (21) والثانية والعشرون (22) من سورة

البروج على :

(كَلِمَ مَوْقُرَآنٌ مُّجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ)

كما أنّ الله "ضمن" حفظ القرآن، فذلك بالتالي منطبق على لغته العربية-لسان القرآن- على غرار الأنبياء -الرسل السابقين، الذين أمرهم الله بالإقرار والإيمان بمحمد (خاتم الأنبياء والمرسلين) وأن ينصروه (يعزروه) -مع الجئر نصر- (سورة آل عمران- الآية : 81)، فاللغات العروبية بعد الوحي القرآني، انصهرن في اللغة العربية و"نصرنها".

إذا كانت شبه الجزيرة العربية، من الشمال، تنكفى -في مجال استوصاف الأرض- عند أسفل وادي دجلة والفرات (الرافدين)، فإنها تصل لسانيا إلى ضفاف البحر الأسود وبحر قصوين. يُدني E. Renan في الفصل الثاني من

كتابه¹، حدود شبه الجزيرة العربية إلى غاية التضاريس المرتفعة لأرمانيا، معرقاً شبه الجزيرة العربية هذه كـ : «نطاق شبه جزري مكون شمالاً من جبال أرمانيا، وشرقاً من الجبال التي تحدّ حوض دجلة...» في موضع ادناه، في الصفحة 169، حدّد فكرته : «الكلّ يجمع على تقصّي المقام التاريخي الأول للسّاميين في جبال أرمانيا، بين المجري العلوي لدجلة والفرات ونهر قورش».

إذا كان هذا المؤلّف يموّقع بدقة أول موطن تاريخي "للسّاميين"، فهذا يعني بلا شكّ أنّه يستحضر "نصّ الكتاب المقدّس" ("سفر التكوين")، حيث رسا فلك نوح، على جبل أارات²، وهو النصّ الذي يُسند بما ذهب إليه الرّواة العرب، الذين يسمّون هذا الجبل الجودي².

هو التأكيد الضمني للطرح اللساني الذي باحثنا في هذه الدراسة، والمتعلّق بكون نوح وذريته تكلموا اللّغة العربيّة، لغة "انفطرت" بعد ذلك، معطية لغات عروبيّة وجودها، وهي اللّغات التي أعملها أhal كثر سمّوا "عرباً".

يمكن القول مشفوعين بعمر اللّوذي وظنون وسطرابو، أنّ "العرب" -تسمية تنعت أhal يتكلمون اللّغة العربيّة (أو لغة عربيّة)- يمكن أن تخلط مع الأريم أو الأرميين (السوريين). ويمتدنا بحجّة هذا الترايف تسمية الأشخاص عرب (أو العربي)، النّارحة خصوصاً عند أهالي الغرب العروبيين (شمال إفريقيا)، التّظير الإفريقي لأرم (أو عرم)، اسم به تلقّبت أhal جنيسين من الشرق (أرميا-سوريّة). وهكذا فإن ابن سام، أرم أو عرم -بتناوب بين الألف (أ) والعين (ع)- كان يسمّى أيضاً عرب. كما ينبغي أنّ الأرميين خلطوا (في الأصل) مع العربيّين (العرب).

فضلاً عن هذا، فالعلاقات الدلالية بين الأسماء نوح وإبراهيم وإسماعيل -عليهم السلام- (هذا المتقدّم باعتباره جدّ مباشر -عبر عدنان- لمحمّد -صلّى الله عليه وسلّم-) وسام من جهة، وعرب أو أرم/ عرم (ابن سام) من جهة أخرى، علاقات بلديّة وجليّة.

1. في كتابه "تاريخ اللغات الساميّة".

2. الاسم الجودي، له معنى يحيلنا قطعاً على العنصر السائل وعلى دلالة كلمة "عرب" : الجذر جاد يعني "صار غزيراً (الطر)" وأيضاً "امتاز، تكرّم على شخص". الاسم جود (الذي يعتبر الجودي أحد مشتقاته) يعني "مطر غزير، السّماء التي تنزل المطر". كما أنّ هذا الاسم هكنا في تناغم مع الاسم نوح، الذي رأينا دلالاته.

في مقدمة الكتاب طرحنا السؤال : ماذا يعني عربي ؟ من هو العربي ؟
تعريف العربي، الذي قدمه الرسول -صلى الله عليه وسلم- يتوافق مع مفهوم اللغة، بدل القومية، العرق أو الأرض : (كل من تكلم العربية فهو عربي).
ينبغي أن يتم هذا التعريف -من وجهة نظرنا- بتعريف آخر للغة العربية حيث لا ينبغي تحديد مفهوم الحديث وحصره. هكذا تختلف اللغة العربية، لسان القرآن، بشكل محسوس (نوعا ما) عن اللغة المحكية (غير المكتوبة) لكل منطقة أو بلاد، في عصرنا، تماما كما اختلفت اللغات العروبية عن بعضها -إن يسيرا أو كثيرا- وعلى ذلك ظللنا قريبات من بعض. ونحن مدعوون بالتالي إلى تحديد تعريفنا : عربي كل شخص أعمل العربية (لسان القرآن)، أو كل لغة عربية متكلمة، (شعبية وإقليمية) أو أي لغة عروبية أخرى قديمة، أي كان الاستعمال، شعائري (كحال القبطية أو الكلدية في التصرانية مثلا) أو كلغة محلية (الأرمينية¹، البربرية، الحبشية، المالطية، إلخ.).

يتواجد هذا التفسير باللغة لا القومية في طرف معادلة مع مختلف أنواع سمات العربي²، من الأبيض بعينين ملونين الذي نلتقي في سورية مثلا، إلى الأصهب، ذي البشرة المتوردة (مثل ذاك الذي ذكره³ Caussin de Perceval بلقب قنار الأحمر "الأصهب"، ثمودي من زمن صالح -عليه السلام-)، من الأسمر ذي عينين داكنتين (نوع البحر الأبيض المتوسط) ... إلى الأسمر الداكن (الحبشي)، ذي ملامح دقيقة وشعر ناعم، والأسود الحالك، ذي الأنف الأفطس بشعر أجعد (السوداني). كما يختلف شكل الجمجمة (من الاستطالية إلى العريضة) وكذا الأنف من العقوف، اللدب، المستقيم والرقيق، إلى " المظهر

1. لا تزال الأرمينية إلى اليوم مستعملة في ثلاث قرى بسورية، إلى جانب العربية.

2. غالبا ما يتواجد نوع سمة مرتبط بنطق خاص، في إفريقيا وآسيا، بشرة فاتحة وعينان ملونان في تلمسان (غرب الجزائر) مرتبط بهمز القاف، وهي الفئة التي نصادف في غرب آسيا، بشرة وعينان ملونان عند أهل جيجل (في شرق الجزائر، في المناطق الساحلية أو غير بعيد عنها) مرتبطا بنطق القاف كافا، وهي الفئات التي نصادف في الناحي الفراتية.

3. في "مقالات حول تاريخ العرب".

الإغريقيّ الجانيّ"، (الخ.)، وكنا يتباين القوام : من ضخام القد من بلاد الصّعيد (مصر)، إلى صغار القد المتوسّطين، كما يمكن ملاحظة تواجد أشكال مجتمعات كثيرة : من شكل أبويّ أوأموميّ، حضريّ (حضر أو جبليّون)، فلاّحون، بدو رعاة وبخّارة-صيّادون ... إلى مقتاتي الأسماك. ليس عبثاً سمّي مجموع هذه البلاد والتضاريس والمناخات والمجتمعات... "العالم العربيّ".

إذا كان العربيّ، في الأصل يتحدّد باللغة، فذلك يفضي إلى استنتاج : الممارسة اليومية لعادات وأعراف واحدة والمجتمع المنتظم والعلم بلغة واحدة (أو لغات تتكلم قريبات من بعضها) جعل من جميع الناطقين بالعربية يحوزون ثقافات متقاربة من بعضها، إن لم نقل ثقافة واحدة. وبعدها، وثّق تآليه أرباب أو أوّثان واحدة، أو التزام الشعائر نفسها (لعقيدة التوحيد) العرى الثقافية.

هنا ما كان جارياً في مناطق ناطقة بالعربية في آسيا، على الصّعيد الدّينيّ والثقافيّ، كما في مناطق الناطقين بالعربية في أوروبا، وبخاصّة مناطق شبه الجزيرة الإغريقية. لقد بيّنا في كتاب سابق¹ أنّ آسيا الصّغرى (يونيا)-التي كان سكّانها متكلمي لغات عروبية² - كانت هي منبع الفنّ والفمصفاء في بلاد الإغريق القديمة. حقيقة ما ظهر الفنّ أو الثقافة، بما للكلمة من معنى، أو عاود في بلاد الإغريق القاريّة -بعد الغزو التّوريّ- إلّا انطلاقاً من القرن الخامس قبل الميلاد، "قرن برك-نيل"³، بمواقع مختارة انحصرت خصوصاً في أثينا أو طيبة، مدينتين "فانقيتين" قديمتين⁴.

1. "تاريخ الاستعمار العروبيّ في بلاد الإغريق القديمة".

2. شهد سطرابو أنه على عهده (القرن الأوّل للعهد المسيحيّ) كانت الفانقية لا تزال تتكلم في آسيا الصّغرى. انظر الباب الثالث-الفصل الخامس،

3. برك-نيل، هو زعيم دولة أثينا (429-495 قبل الميلاد) ينتسب إلى عائلة اللّقمانيّين الحقّه كثير من المؤلّفين (من بينهم A. Jardé) بأصل فانقيّ.

4. حسب G. Glotz (مصدر سبق ذكره) بدأ الغزو التّوريّ في مستهلّ القرن الثاني عشر قبل الميلاد، مفرزاً نتائج انبئة وخطيرة. أفول كارثيّ أذن بالعصر الوسيط لبلاد الإغريق..

إذا كانت صراعات سياسية عدة قد عارضت الإغريق بحكومة الأقلية الدورية، فقد أسهمت صراعات أخرى أقل ظهوراً، وأكثر خفاءً في الدفع بالحكم الجماهيري : يتعلق الأمر تحديدًا بسلح الثقافة (الفمصفاء والآداب والمسرح أساساً). إن الأسماء العظام في بلاد الإغريق الكبرى، جلها القاب عروبية، بها تسمى رجال ثقافة، لا يعترف بمتحدثهم العربي-الفانقي، دائماً من طرف المؤلفين : عمر، لقمان، أنق-جُراة، رِق-لوى ... في يونيا، قرينة، ابن عرب، فند-راس، سوقرت ... في شبه الجزيرة الإغريقية، صفو، روان ... في جزيرة عيسى : راستبا، الحارثة لإقورن(في ليبيا)، إلخ.¹

بعض الأسماء رقت، من بين أخرى كثيرة، قبل اجتناء اللغة اليونانية المشتركة (في القرن الخامس قبل الميلاد) بكثير، مع استخدام لغات عروبية في آسيا الصغرى وفي بلاد الإغريق، إلى أعلى القمم، الإبداع الشعري، شعر الطارئة الغنائي، شعر الشورى الجماعية، أو الفكر الفمصفائي. كانت اللغات العروبية مثل الأكديّة-البابلية والفانقية والمصرية لغات حضارة معروفة ومقرور بها، مستعملة في شبه الجزيرة الإغريقية، من طرف أهال عروبين محليين، قرونا كثيرة حتى قبل مجيء قبائل ذات لغات هندية-أروبية في كل هذه المناطق. أي أن اللغات العروبية، حازت، موازاة لمعجمها العلمي متعدد الألفيات (رياضيات، علم الفلك، فن العمران، إلخ.)، والديني أو الأدبي، كلما قادراً على ترجمة الأفكار المجردة، والمفاهيم ما وراء الطبيعية أو النظريات الفمصفائية لكتابها، متكلمي هذه اللغات نفسها.

بالطريقة نفسها، أصبح اللسان العربي، ترجمان الكتاب "المبين"، لغة أدبية وعلمية وفتية، وتابع خطية اللغات العروبية القديمة، لغات العلوم والآداب والفنون. وهكذا أصبحت العربية مجدداً، في أكثر من مقام، لسان العالمين :
- باستعماله في جميع ميادين الحياة الطبيعية وما وراء الطبيعة والروحية،

1. انظر كتابنا "تاريخ الاستعمار العروبي في بلاد الإغريق القديمة".

- باستعماله في جميع بلدان العالم العربي، بل وحتى خارجها، في جميع البلدان حيث يوجد متكلمون باللغة العربية،
- بوساطة الإسلام، في القارات الخمس. إذا أمكن تجلي العربي في السلم، كما أن غير العربي معتنق الإسلام، بنطقه للشهادتين وتلاوته الآيات القرآنية، يصبح هو الآخر عربياً،
- لأهمية جوهرة اللغوي في اليونانية الفصحى وبالتالي في عائلات اللغات اللاتينية والجرمانية والسقالبية، مما يستنتج عنه، حسب تقدير E. Renan بصدد اللغات اليونانية واللاتينية وحسب كل ما قلناه خلال متن هذا الكتاب، فبالوسع إضفاء قسط هام من عالمية هاتين اللغتين لصالح اللغة العربية،
- بحضوره في تسميات أماكن عدة (بلدان ومناطق ومدن ومقامات) وفي تسميات أنهار وجبال وأشخاص في أوروبا. هذا الاسم الأخير Eurôpe (في اليونانية) هو عروبا، اسم الأميرة الفانقية أخت قادم،
- بإسهامه في أعمال لغات كثيرة في آسيا وإفريقيا ماعون الصحراء وفي أوروبا. في هذا الصدد كتب E. Renan (في كتابه "تاريخ اللغات السامية") : "العربية دونما منافعة هي اللغة التي غزت أكبر مدى من البلدان. لغتان فقط من بين اللغات قاسمتاها شرف العالمية، اليونانية واللاتينية، لود أن أقول أنها نظام فكر ديني وسياسي فائق على اختلاف الأعراق، ولكن نفوذ اللاتينية واليونانية لا يداني الذي للعربية ... الهيمنة العظيمة للغة العربية تحتضن إيسبانيا وإفريقيا إلى غاية الخط الاستوائي، وجنوب آسيا إلى غاية جاوة، وروسيا إلى غاية قازان.
- على غرار الكتاب " المحفوظ "، ستبقى العربية، حاملة القرآن، لسانا " محفوظا" أي مصونا مدى الزمن وفي كل فضاء، غير زائل تناعيا لتأثير لغات أخرى، لسان دافق أبدا ومبين.
- إذا كان هناك من الحقائق ما هو قمين بالملاحظة، هو أن اللسان العربي، منذ الوحي القرآني (قرابة خمسة عشر قرنا) لم يتبدل. وقبل هذه الحقبة، لم تنل اللغات العروبية - أو تقريبا - تحويرات جذيرة بالإشارة أكبر خاصة للوحدة

بين العربية الفصحى المكتوبة والعربية العامية (المتكلمة في مختلف البلدان العربية) ، تشكل ظاهرة مذهشة، حسب تعبير E.Renan.

يمكن مقارنة اللسان العربي، ترجمان القرآن، للنزل على محمد -صلى الله عليه وسلم- بوساطة الروح الأمين جبريل -عليه السلام- بـ"لواء المنزل من السماء" ،
﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾،

هذا التعبير المتقدم (أو مكافئه) -مذكور خمسا وعشرين مرة في القرآن- يمكن أن يحمل أيضا على الطر الغيثة كما القرآن "العربي" أو على اللسان "العربي". هكنا نجد أن هذه الدلالة ناتجا في علاقة بالماء، في الاسم "عربي" (عرب "ماء وافر وصاف/ زلال") ومشتقاته.

كما نجد أيضا، في الإسلام، الماء الذي يمثل عنصرا أساسا ومطهرا في العبادة، بخاصة في الصلاة. لا صلاة بغير طهور ودون وضوء¹.

العربي، إذا، هو من يتكلم العربية -لسان غير ذي عوج- أو من فطر على سجايا خلقية سامية. مما يبين أن العربي -حسب تعريفنا- يختلط بالمسلم ذاك الذي ﴿قُلْ إِنِّي مَدَنِيٌّ رَّبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا، مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ ، المسلم أيا لونه أو لغته الأم، الذي يلتزم بتعاليم ومقتضيات ﴿قُلْ أَنَا عَرَبِيٌّ لَتَوَرَّعَ كَلُونَ﴾.

والله أعلم

والحمد لله رب العالمين

محرم 1427

الموافق له ليفري 2006

1 . الوضوء التعبدية من الجذر وضو "تنقى، خلص، حسن"، قريب من الاسم الضوء "وضوح، نور". انظر الإحالة في الصفحة 321 .

ثبت مسارد المصطلحات

- تسمية الشعوب والأقوام
- تسمية الأماكن والمدن والأنهار والبحار والبلدان
- تسمية الأشخاص والآلهة
- اللغات
- الخطوط (الكتابات)
- حول بعض مصطلحات اللسانيات
- حول بعض المصطلحات الدينية
- كلمات مختلفة

تسمية الشعوب والأقوام Ethnonymes

Abars	الأبر
Epirotes	أبرايون
Egéens	الأجاويون
Achémenides	بنو أخميننا
Achéens	الأخاويون
Ahhijavâ	الأخاياوي
Akhaioi	الأخايو
Arméniens	الأرمان
Araméens	الأرميون/ العرميون
Européens	الأروبيون
Arimes	الأريم
Aryas -Aryens	الآريون
Akouitanoï	الإسكاتان
Aquitains	الإسكاتانيون
Scandinaves	الإسكانيون
Saxons	الإسكسونيون

Sicules	الإسكوال
Sicanes	الإسكوان
Scythes	الإسكوتيون
Asianites/ Asianiques	الآسيانيون
Etrusques (Tyrsènes)	الأطرار (الثوراسن)
Thraces/ Thrakes	الأطراق
Greco	الإغريق
Akaiwaši	الأكاياوش
Albanais	الألبانيون
Illyriens	الإليريون
Lasoniens (Alasones -Amazones)	الأمازول
Macrons	الإمقران
Anatoliens	الأناضوليتون
Nabatéens	الأنباط
Ioski	الإوسك
Iraniens	الإيرانيون
Vibiski	الباباسك
Bébryces (Bébrikes)	البابركة/ البابركة
Basques	الباسك
Paphlagoniens	البافالجيون
Argonautes	بحارة سفينة "رقوة"
Barbarides (Baures)	البرابر (البوري)
Berbères	البربر
Bryges	البرجة
Burgondes (Brigantes)	البرجة الجند
Brighous de l'Inde	برجة الهند (البرجو)
Brigantes	البرجنط
Bryces	البرقة
Bructères	البرقتر
Burushou	البروشو
Battiades	بنو بطو

Bactriens	البلخيون
Boussères	البوسر
Pisidiens	البوصيداويون
Bithyniens	البوطيونيون
Puniques(Carthaginois)	البونيون
Tibarènes	التيبارن
Tyrsènes (Etrusques)	التوراسن (التورسكيون)
Tyrrhéniens (Etrusques)	التورانيون
Troyens	التوراويون
Tyriens	التوريون
Galates	الجالطيون
Gaulois	الجاليون
Goths	الجد
Gutti	الجدنيون
Germaines	الجرمان
Jats	الخط
Ethiopiens/ Abyssins	الحبشيون/ الأحباش
Hittites	الحتيون
Dravidiens	الدراوديون
Dardaniens	الدردانيون
Doriens	الدوريون
Arsacides	الراسكيون
Mésopotamiens	الرافديون
Byzantins	الزوم
Romains	الرومان
Sassanides	بنو ساسان
Solymes	السليميون
Syriens	السوريون
Leuco- Syriens	السوريون البيض
Chéchènes	الشاشاون

Tcherkesses	الشرقصّ
Slaves	الصقالبة
Sidoniens	الصيداويون
Térahites	بنو طارح
Thyniens	الطيونيون
Hébreux	العبر
Arabes	العرب
Arabita	عربيتا
Arabites	العروبيون
Elymes	العلوميون
Amalécites	العمالقة
Amorrites	العموريون
Elamites	العلاميون
Ghassanides	الغساسنة
Parthes	الفارثيون
Phrygiens (Phryges)	الفارّجيون (الفرجة)
Pélasges	الفالجيون
Phéniciens	الفانقيون
Perses	الفرس
Palestiniens	الفلسطينيون
Pamphyliens	الفنفوليون
Cappadociens	القبادكيون
Cabaliens	القبليون
Carthaginois	القرطاجنيون
Crétois	القرتونيون
Cariens	القرياويون
Kaspî-Caspiens	القصوينيون/ القصّ
Kassites	القصنيون
Cataoniens	القطاويون
Caucasiens	القوقصيون
Ciliciens	القالقيليون
Kurdes (Carduques)	الكردوق/ الكرد (الأكراد)

Celtes	الكلت
Chaldes	الكلد
Colches	الكلش
Latins	اللاتين
Lebou (Rebou)	اللبو (الربو)
Alcméonides	بنو لقمان
Lydiens	اللوديون
Lyciens	اللوقيون
Lullubi	اللولوتن / اللالان
Ligures	الليجويون
Macchabéens	المخابيون
Mèdes (Madaï)	المنادية
Marmarides (Maures)	المرامر (الموري)
Maonites (Meones)	المعانيون
Moanites	المعينيون
Mycéniens	المكانونيون
Mundarites	المناذرة
Munda	المندا
Myrmidons	المورمدون
Mysiens	الموسيون
Milyens	الميلويون
Minéens	الميناويون
Hyksos	الهكسوس
Hellènes	الهالانيون
Proto- Indiens	الأهالي ما قبل الهنود
Indiens	الهنود
Indo- Iraniens	الهنود - الإيرانيون
Indo- Européens	الهنود - الأوروبيون
Vandales	الوندال
Euskes/ Ouiski	الويسك
Judéens	اليهود
Ioniens	اليونانيون

تسمية الأماكن والمدن والأنهار والبحار والجبال
Toponymes, hydronymes et oronymes

Epire	أبرّا
Utica	أتيكا
Athènes	أثينا
Achaïe	أخايا
Daghestan	أدوغستان
Archipel des Canaries	أرخبيل أكناري
Cyclades	أرخبيل القوقلاد (الأرخبيل الجنوبي لبحر آجا)
Argolide	أرجوليظة
Erzeroum	أرضرم
Ardenne	الأرضوان
Arcadie	أرقايا
Aram Naharaïm	أرم نهرايم
Arménie	أرمانيا
Aramée	أرميا
Arad	أرواد
Europe	أروبا
Azerbaïdjan	أزربيجان
Astrakhan	إسترخان
Istrie	إستريا
Aquitaine	إسكاتانيا
Ascalon	أسكالون
Scandia (Scandinavie)	إسكانيا
Scythie	إسكوتيا
Sénégal (pays)	إستنغل (بلاد)
Ashdod	أشدود
Assyrie	أشور (بلاد)
Etrurie	الأطرار (بلاد)

Thrace	الأطراق (بلاد) / طراقيا
Cyrène	إقورن (قورن)
Colonnes d'Hercule (détroit de Gibraltar)	أعمدة عركنيل (مضيق جبل طارق)
Grèce	الإغريق (بلاد)
Grande - Grèce	الإغريق الكبيرة (بلاد)
Akkad (Agad)	أكاد (أجاد)
Albanie	ألبانيا
Illyrie	إليريا
Anatolie	أناضول
Ingouchie	إنجوشيا
Van (ville)	أوان
Jérusalem (Jébus)	أورسلام (يابوس)
Ouganda	أوغندا
Ougarit/ Ras Sharma	أوقريت/ رأس شمرة
Ukraine	أوكرانيا
Ibérie	إيبيريا
Iran	إيران
Espagne	إسبانيا
Islande	إيسلاندا
Italie	إيطاليا
Itanos	إيطانس
Beer-Shéba	بئر سبعة
Balachov	بالشوف
Palu	بالو
Balouchistan	بالوشستان
Belakovo	باليحقوب
Bénin	بانين
Béthel	بتنيل
Béthléem	بتلحم (بيت لحم)

Mer Egée	بحر أجا
Mer Rouge (mer des roseaux)	البحر الأحمر (يم سوف)
Mer Adriatique	بحر أذريا
Mer des Sargasses	بحر إسارقاس
Mer Noire (Pont-Euxin)	البحر الأسود (بحر بنطس- بلطس- بلتس)
Mer Erythrée	بحر إيريثريا
Mer Baltique	بحر البلط
Mer des Khazars (Caspienne)	بحر الخزر (بحر قصوين)
Mer d'Azov	بحر الضواء
Mer d' Oman	بحر عمان
Lac de Van	بحيرة أوآن
Lac Urmiya	بحيرة أورميا
Lac Balaton	بحيرة بالطون
Lac Balvanyos	بحيرة بالفنيوس
Lac Balea	بحيرة باليا
Dora Baltea	بحيرة دورا بالطية
Lac Ladoga	بحيرة اللاذقة
Berbérie	بربريا
Bactriane	بلخ (بلاد)
Bactres (Balkh)	بلخ
Petit Belt	البلط الصغير
Grand Belt	البلط الكبير
Balkans	البلقان
Péloponnèse	بلوبتاس
Bengale	بنجلا
Bangla-Desh	بنجلادش
Venise	البندقية
Birmanie	بورما
Byzance (grec Buzantion)	بوزند
Volvic	بولبيك
Volkhov	بولخوف

Volsk	بولسك
Volgogard	بولغوقرت
Bologbi	بولغبي
Voljski	بوليسكي
Pount (pays de...)	بون (بلاد) (بنط- بنت)
Hippone (Bône)	بونة
Beyrouth	بيروت
Bretagne	بيريتانيا
Beishan	بيشان
Béotie	بيوتيا
Tarente	تارنطة
Thasos	تازس
Tanzanie	تانزانيا
Palmyre (Tadmur)	تدمر
Tyr	ثور (سور)
Troie	ثورا
Troade	ثورا (بلاد)
Galatie	جالطية
Gaule	جاليا
Mont Ardenne	جبل الأرضوان
Monts Zagros	جبل إسكروس
Mont Cachemire	جبل إقشمير
Monts Himalaya	جبل (جبال) إمالاين
Mont Makran	جبل إمقران
Mont Ida	جبل إيدا
Mont Amanus	جبل الأمن
Mont Ballon	جبل بالون
Mont Pyrénées	جبل البرانس
Mont Taygète	جبل التاج
Mont Taurus	جبل الثور (او الطور)

Mont Ararat (Gûdî)	جبل الجودي
Mont Alpes	جبل الحلب
Mont Elbourz (Alborz)	جبل حلبروس
Mont Horeb	جبل حورب
Mont Daedala	جبل دندلة
Mont Pamir	جبل فمير
Mont Karakoram	جبل كركورم
Mont Hindou-Kush	جبل هندو-كوش
Java	جاوة
Byblos	جبيل
Gothland	الجد (بلاد)
Gédrosie (Balouchistan)	جندروسيا (بالوشستان)
Guérar	جرار
Géorgie	جرج (كرج)
Germanie	جرمانيا
Îles Baléares	جزر باليار
Îles Khurya-Muruya	جزر خوريا-موريا
Îles Maldives	جزر التيبة (المالديف)
Îles Laquedives	جزر الفال (الكالديف)
Îles Cassitérides	جزر القصلير
Îles Comores	جزر القمر
Îles Britanniques	الجزر البريتانية
Île Théra (Santorin)	جزيرة ثيرا
Îles Issa (Lesbos)	جزيرة عيسى
Île de Rhodes	جزيرة ورد
Gélaunos	جلاون
Giligit	جلجيت
Galilée	الجليل
Haran (Charan)	حاران
Hérat	حارث
Hébron (Al-Halîl)	حبرون (الخليل)

Abyssinie (Ethiopie)	الحبشة
Alep	حلب
Hilmand	حلمانند
Hamat	حماة
Colchide	الخلق (بلاد) (أو الكلش)
Golfe de Venise	خليج البندقية
Golfe d'Issus	خليج عيسو
Khûlan	خولان
Havila	خويلة
Mésopotamie (l'Entre-deux-fleuves)	الرافدين (بلاد) (ما بين النهرين)
Danemark	الدانمارك
Delphes	دفلى
Délos	دلس
Dilmûn (Tilmûn)	دلمون-تلمون
Dodone	دودان
Dibon	ديبون
Retenou (Syrie)	رتانو (بلاد)-(سورية)
Cap de Bonne-Espérance	رأس الرجاء الصالح
Sparte	زافرة
Samarie	السامرة
Setubal	ستو-بعل
Sardes	سردا
Sardaigne	سردانيا
Ceylan	سرنديب (سيلان)
Socotra	سقطرى
Salé	سلا
Simla	سملة
Singapour	سنجافور
Sind (pays)	السند (بلاد)
Sivas	سواس

Syrte	سورت الليبية
Syrie-creuse (Cocle-Syrie)	سورية المجوفة
Suse (Susiane-Arabistan)	سوسة (بلاد سوسة-عربستان)
Sumer	سومر
Suède	السويد
Thaïlande (Siam)	سيام
Sibérie	سبيريا
Séistan	سيستان
Sinope	سينوبا
Chéchénie	الشاشاون (بلاد)
Shandigar	شنداجار
Sumatra	شمطرى
Shûr	شور
Sicile	صقليا
Saïda	صيداء
Thèbes	طيبة
El-Obeïd	العبيد
Attique	عتيقا
Harappa	عربا
Arabie petrée	العربية الصخرية (البلاد)
Arabie centrale	العربية الوسطى (البلاد)
Ilion (Troie)	عليون (ثورا)
Elam	عيلام
Avva	عوا
Paran	فاران
Perse	فارس
Phénicie (Canaan)	فانقيا (كنعان)
Paddan-Aram	فدان ارم
Phrygie	فرجيا
Paros	فروس
Penjab (pays des 5 fleuves)	الفنجاب (بلاد الأنهار الخمسة)

Gadès ou Gadir	قادر أو جادر
Qadesh Barnea	قادر برنية
Kazan	قازان
Cappadoce	قبادكيا
Chypre	قبرس
Carat	قارت
Crète	قريتا
Corse	قرسيكا
Cachemire	القشمر (أو إقشمر)
Carthage	القرية الحديثة (قرطاجنة)
Carie	قريا
Kirjath-Arba	قرية عربية
Corinthe	قرينطة
Cilicie	قلقيليا
Transcaucasie	القوقص الجنوبي (بلاد)
Ciscaucasie	القوقص الشمالي (بلاد)
Kaboul	كابول
Karnak	الكارناك
Crimée	كريميا
Chaldée	كلدا (بلاد)
Kandahar	كنداهار
Canaan (Phénicie)	كنعان (بلاد) (فانقيا)
Congo-Kinshasa	كنغو-كنشاسة
Cnossos	كنوسس
Cutha	كوث
Kenya	كينيا
Latium	لاتينيا (بلاد اللات)
Lydie	لوديا
Lycie	لوقيا
Libye	ليبيا

Ligurie	ليجوا
Malte	مالطا
Mogador	مجادور
Magan	مجان
Macédoine	مجدونيا
Marseille (Massalia)	مرساليا (مستاليا)
Egypte	مصر
Dardanelles (Hellespont)	مضيق بوغازا
Détroit de Gibraltar	مضيق جبل طارق
Pas-de- Calais	مضيق كلت
Détroit d'Hormuz	مضيق هرموز
Méonie	معان
Mamré	معمره
Moanie	معين
Mycènes	مكانا
Macpéla	مكفيلة
Meluhha	ملوحة
Malabar	الليبار (بلاد)
Malaisie	مليزيا
Mohenjo-daro	مناو-جو-دارو
Mahra	المهرة
Mauritanie	موريتانيا
Moscou	موسكو
Mysie	موسيا
Negeb	التاجب (التاقب)
Nazareth	الناصرة
Narbonnaise	نربونيا
Numidie	نميديا
Pô (fleuve)	نهر الأردن
Styx (fleuve)	نهر استوكا
Sicanos (fleuve)	نهر إسكوان

Sénégal (fleuve)	نهر إستغل
Borysthène/ Dniepr (fleuve)	نهر البورستان
Volga (fleuve)	نهر البولغا
Tanaïs/ Don(fleuve)	نهر التانيس
Tartare (fleuve)	نهر الترتار
Gange (fleuve)	نهر جانجا
Garonne (fleuve)	نهر جرعين
Danube (fleuve)	نهر الدانوب
Ravi (fleuve)	نهر الراوي
Arax/ Aras (fleuve)	نهر الرسن
Sind (fleuve)=Indus	نهر السند (مهران)
Oronte (fleuve)	نهر العاصي
Halys (fleuve)	نهر العالي
Karun (fleuve)	نهر القارون
Kama (fleuve)	نهر القامة
Rhône (fleuve)	نهر الوردان
Karkha (fleuve)	نهر قرخة
Ccrus/ Cyrus (fleuve)	نهر قورش
Indus (fleuve)	نهر الهند (السند أو مهران)
Guadalquivir (fleuve)	نهر الوادي الكبير
Oka (fleuve)	نهر وكاء
Ninive	نينوى
Nysa	نوسى
Valdaï (plateau)	هضبة بالداي
Croissant fertile	الهلال الخصيب
Jude	الهند
Jaffa	يافا
Judée	يهوديا
Ionie	يونيا

تسمية الأشخاص والآلهة

Anthroponymes et théonymes

Ababê 1 ^{er}	أبابا الأول
Abraham	إبراهيم
Abram	أبرم
Thucydide	ابن طوق- يد
Euripide	ابن عرب
Apollon	أبو اللون (آلهة)
Sphinx	أبو الهول
Polydore	أبولو- ثور
Polymneste	أبولونست
Atatürk	أتاترك
Théophraste	إثعوفرست
Egée	أجا
Agamemnon	أجاممنون
Agénor	أجانور
Agron	أجرون
Ahmès	أحمس
Ahram	أخ-رم
Xerxès	أخشا يرشاه
Achémenès	أخ-مينا
Adad/ Hadad	أداد/ حداد (آلهة)
Arrybas	أرب- بعل
Arpacshad	أرفخشذ
Hérode	أرواد
Hérodote	أروادوت
Hérode Antipas	أرواد عنت-بعل
Ister(Ashtart)	إستر (عشرت) (آلهة)
Alexandre	إسكندر
Asher	أشر

Asherat(yam)	اشرات-يم (الهة)
Esaïe	اشعيا
Assur-Bani-Pal	اشور- بني- بعل
Assur-Nasir-Bal	اشور- نصر- بعل
Amilcar Barca	املقر برقة
Amyntas	امون- ثيل
Enée (Einéas)	اناس
Antonin	انطونين
Enki /Ea	انكي / ايا (الهة)
Anaxagore	أنق- جراءة
Anu	أنو (الهة)
Varuna	أورونا (الهة)
Auguste	أوقسط
Aïetès	أياتا
Juba	أيوب
Pasiphaé	باصفاء
Bethuel	بتوئيل
Bar-Hadad	بر- حداد
Barnabé	بر- نبي
Vercingétorix	براس- مجد الرأس
Périclès	برك- ثيل
Varron	برون
Priam	بر- ريم
Ptolémée	بطعلم
Battus (Battos)	بطو
Balthazar	بعل- أزر
Baal(Bel, Bol)	بعل/ بل/ بول (الهة)
Victor	بكتور
Pilate (Ponce)	بلاط (فنس)
Platon	بلاطون

Plaute	بلاوط
Volos	بولس (آلهة)
Taglat-Phal-Azar	تاج اللات-فن-آزر
Tuqulti Ninurta	تاج اللات-نينو-الحارث
Trajan	ثوريان
Gélase	جالس
Gabriel	جبرائيل (جبريل)
Arêté	الحارثة
Artaxerxès	الحارث-أخشا-يرشاه
Harmonia	حرمانية
Hammou-Rabî	حمو-ربي
(H)Annibal/ Hannabal	حنا-بعل
Hor	حور (آلهة)
Chéphren	خاف-رع
Choeriles	خرائيل
Crésus	خرصو
Chéops	خوفو
Chiron	خيرون
Darius	دارا
Démosthène	داموسطان
Daniel	دانئيل
Dagon/ Dagan	دجون/ دجان
Deucalion	دعقة-عليون
Damase	دماس
Diodore de Sicile	ديودور الصقلي
Aristotelès (Aristote)	رناسة-نيل
Aristippe	راستبا
Rachel	رخل
Rà	رع (آلهة)
Ramsès	رع-مسيس
Rafaël	رفعنيل

Rebecca	رفيقة
Archélaos	رق- لوى
Argo(vaisseau)	رقوة (سفينة)
Rimmon	رمون (آلهة)
Arion	روان
Zarathoustra(Zoroastre)	زكريا
Xénophon	زنا فن
Sadyattes	ساديّات
Sassan	ساسان
Septime Sévère	سبع شاور
Séthi	ستي
Sésostris	سحو-رع
Sargon	سرجون
Sarpédon	سرفدون
Strabon	سطرابو
Salman-Azar	سلمان- آزر
Salluste	سلوست
Semélé	سمالة
Siméon	سمعون
Socrate	سوقرت
Sennacherib	سن- اخ- رب
Sévère	شاور
Shiva	شعابة (آلهة)
Syphax	صفاقص
Sapho	صفو
Sophocle	صفو- عقل
Sophonisbe	صفوا-نسبا
Dionysos	ضوء- نوسا (آلهة)
Zeus	ضياء/ ضوء (آلهة)
Zénon	ظنون

Héber	عابر
Oedipe	عذاب
Eusèbe	عازب
Eratosthène	عرض - وسطان
Europe (Aérope)	عروبا
Esdras	عزرا
Atys	عطى
Attale	عطى - نيل
Hector	عقد - ثور
Achille	عقيل
Olympias	علمبا
Alyatte	عليات
Aleyin	عليين (آلهة)
Homère	عمر (اللوذي/ عمر بن معان)
Omri	عمري
Antipater	عنت - فاطر
Esaü	عيسو
Elam	عيلام
Rhadamante	غدامتن
Patrocle	فاطر - عقل
Phénix	فانق
Péleg	فالج
Pythagore	فتى - جريء
Philip (Philippos)	فليبنا
Pline	فلين
Pindare (Pindaros)	فند - راس
Puth	فوط
Cybèle	فبائيل (آلهة)
Cadmos	قادم
Corinne	قرينة
Caton	قطنون

Cambyse	قمبوس
Cyrus	قورش
Geiséric (Genséric)	قيس-عرك
Charlemagne	كارل الكبير
Caracalla	كر كلا
Chosroès	كسرى
Cléopâtre	كلاءة- فاطرة
Lévi	لاوي
Laban	لبن
Alcman	لقمان
Lud (Lydos)	لوز
Luc	لوق
Laïos	ليا
Milca	مالكة
Manéthon	مانيطون
Mésa	مشى
Melqart	ملقرت (ملك القرية) (آلهة)
Melchisédek	ملكي-صادق
Ménélas	مينا-نيل
Mykérimos	منكو-رع
Myattes	ميات
Miltiade	ميلتياد
Ménès/ Manès	مينا
Membliare	مينا-بعل-رأس
Mineptah	مينا-فتح
Minos	ميناو
Naevius	نابيوس
Nahor	ناحور
Naram- Sin	نار-رم-سن
Nabuchodonosor	نبو-خذ-نصر

Nabonide	نبو-ناض
Néhémie	نحميا
Néarque	نير-راق
Ninus	نينوى
Hellen	هلان
Johann (Jean)	يحي (يوحنا)
Jason	يسون
Juda	يهودا
Joram	يورم
Jupiter	يوقاطر (آلهة)
Jocaste	يوقسط

اللغات Langues

Egéen	الأجاوية
Achéen	الأخاوية
Arcadien-Cypriote	الأرقاوية-القبرسية
Araméen	الأرمية
Arien	الآرية
Asianique	الآسيانية
Assyrien	الأشورية
Akkadien	الأكادية
Ugaritique	الأوقريتية
Ibère	الإيرية
Islandais	الإيسلاندية
Babylonien/ Chaldéen	البابلية/ الكلدية
Védique	البدائية
Basque	الباسكية
Bantou	لغة البنطو
Brahmî	البراهمية
Berbère	البربرية
Burushaski	البروشسكية

Punique	البونِيَّة
Tatare	التتارية
Gaulois	الجالِيَّة
Javanais	الجاوِيَّة
Géorgien	الجرجِيَّة (الكرجِيَّة)
Germain	الجرمانية
Danois	الدانماركيَّة
Dakhni	الدخنيَّة
Dravidien	الذراوِديَّة
Roumain	الرُومانياويَّة
Roman(e)	الرُومانية
Zend	الزَنْديَّة
Sanscrit	السامسكريتِيَّة (سامسكريتان)
Syriaque	السُريانيَّة
Swahili	السواحليَّة
Suédois	السويديَّة
Slave	الصنقالبيَّة
Hébreu	العبريَّة
Attique	العتيقاويَّة
Langues arabiques	اللُّغات العربيَّة
Sud-arabique	العربيَّة الجنوبيَّة
Centre-arabique (hijâzî)	العربيَّة الوسطى (الحجازيَّة)
Homérique	العمريَّة
Parthe	الفارثيَّة
Phénicien/ Cananéen	الفانقيَّة/ الكنعانيَّة
Finno-ougrien	الفينيَّة-المجريَّة
Copte	القبطيَّة
Caucasique	القوقصيَّة
Celtibère	الكلتيَّة-الإيريَّة
Latin	اللاتينيَّة

Lydien	الأونية
Maltais	المالطية
Malais	الملاوية
Moabite	الموابية
Hindoustani	الهندوستانية
Hindou	الهندوية
Neerlandais	الهولندية
Urdu	الوردو
Wolof	الولوف
Grec/ Hellénique	اليونانية/ الهلانية
Ionien	اليونانية

الخطّ (الكتابة) Ecritures

Araméenne	الأرمي
Thamoudéenne	التمودي
Hiéroglyphique	الخط المقدس القديم
Zend	الزندي
Syriaque	السرياني
Sinaïtique	السينائي
Safaïtique	الصفائي
Sud-arabique	العربي الجنوبي
Nord-arabique	العربي الشمالي
Centre-arabique	العربي الوسطي
Phénicienne	الفانقي
Karoshtî	القورشتي
Lihyanique	الليحاني
Cunéiforme	المسماري
Nabatéenne	التبطني

حول بعض مصطلحات اللسانيات

De quelques termes de linguistique

Interchangement	الإبدال / التناوب
Epenthèse	الإدخال الحرفي
Assimilation	الإدغام
Métathèse	الإقلاب
Translittération	التحويل الحرفي
Transcription	التحويل الصوتي
Anthroponymes	تسمية أشخاص
Théonymes	تسمية آلهة
Toponymes	تسمية أماكن
Oronymes	تسمية جبال
Hydronymes	تسمية سيول وأنهار
Ethnonymes	تسمية شعوب
Antonymie(de sens opposé)	التضاد
Radical, thème, racine	الجذر
Radical trilitère	الجذر الثلاثي
Radical bilitère	الجذر الثنائي
Voyelle	الحرف الصائت
Consonne	الحرف الصامت
Préfixe	السابقة
Forme apocopée	الشكل المرحم
Morphologie	الصرف
Phonème	الصوت
Phonème-thème	صوت-جذر
Phonétique	الصوتيات
Onomastique	العلميات
Philologie	فقه اللغة
Désinence/ Affixe	اللاحقة/ الزائدة
Métaphore	المجاز
Etymologie	معنى الكلمة الأصلي

حول بعض المصطلحات الدينية

De quelques termes religieux

Chroniques	أخبار الأيام
Ariens/ Aryens	الآرية
Coptes	الأقباط
Divinité (s)	الآلهة
Evangile/ Nouveau Testament	الإنجيل/ العهد الجديد
Véda (Rig-Véda)	البناء (رق البناء)
Brahmane (s)	البراهمن (جمعه البراهمة)
Avesta	البستاء (البشتاء)
Catholiques	التابعون للكنيسة الرومانية
Thora/ Ancien Testament	التوراة/ العهد القديم
Clergé	جمعية قسيسين
Religion monothéistes	ديانات التوحيد
Religion non monothéistes	الديانات غير توحيدية
Messenger/ Annonciateur	الرسول/ النبي
Genèse	سفر التكوين
Exode	سفر الخروج
Polythéisme/ Polythéistes	الشرك/ الشركون
Shivaïsme	الشعابية
Patriarche	الشيخ
Idole (s)	الصنم (الأصنام)
Monophysites	القائلون بوحدة الطبيعة في المسيح
La Bible	الكتاب المقدس
Panthéon	مجموع الآلهة
Mishna	المشنة
Mazdéens	المجوس
Psaumes	الزماير
Chrétiens	المسيحيون/التصاري

Maronites	الموارنة
Version synodale(Bible)	النسخة المجمعية
Paganisme	الوثنية
Jacobites	اليعقوبيون
Juifs (Judéens)	اليهود

كلمات مختلفة Termes divers

Note	الإحالة
Colonisation (sens en accord avec le texte coranique)	الاستعمار(بالمعنى الذي يوجد في النص القرآني)
Géographie	استوصاف الأرض
Chronologie	التسلسل الزمني
Colonialisme	التسلطية
Ere quaternaire	الحقبة الرباعية
Toison d'Or	الجزء الذهبية
Démocratie	الحكم الجماهيري
Equateur	خط الاستواء
Caractères anatomiques	الخصائص الجسمانية
Capitaine de cabotage	ربان (جمعه ربانة)
Dynastie	السلالة الملكية
Généalogie	سلسلة النسب
Physionomie	السيمة
Lyrisme choral	شعر الشورى الجماعية
Tragédie	شعر الطارئة الغنائي
Longitude	الطول
Famille régnante	العائلة الملكية

Latitude	العرض
Race	العرق
Arabité/ Arabites	العروبة/ العروبيون
Mythologie	علم الأساطير
Anthropologie	علم طبائع الإنسان
Ethnologie	علم القوميات
Géographes	علماء استوصاف الأرض
Colonisation (avec asservissement des populations du pays colonisé et exploitation des ressources de ce pays)	الغل والاستغلال
Philosophie	فم الصفاء
Philosophes	المصنفانيون
Aède	قصاص
Etain	القصدير
Bronze	القلز
Ethnique	القومي
Epigraphes	الكتابات المحفورة/ الخطوط للنقوشة
Celticité	الكلوتية
Electron/ Electronique	الكهرب/ الكهربائية
Armateur	ناخوذة (صاحب المركب)
Eponyme	نسبة الاسم
Ancêtre éponyme	نسبة اسم السلف
Tropique du Cancer	مدار السرطان
Cadran aimanté (Magan-Magnésie)	الإبرة المغانية (مجان)
Capitaine au long cours	معلم (جمعه معالة)
Migrations arabiques	الهجرات العروبية

ثبت المراجع والمصادر

1. باللغة العربية

المؤلف	العنوان	الناشر
ابن منظور	لسان العرب	دار صادر بيروت
محمد بن عبد الله الأزرقي	أخبار مكة للمشرفة	
السيد يعقوب بكر	نصوص في فقه اللغة العربية	دار النهضة العربية بيروت
فليبا حتى	تاريخ العرب	دار غندوز بيروت
محمد عزة دروزة	تاريخ موجات الجنس العربي في وادي النيل	الكتبة العصرية بيروت
جرجي زيدان	تاريخ ادب اللغة العربية	مطبعة الهلال مصر
عبد الزرجي	اللهجات العربية لقراءات القرآن	مكتبة المعارف الرياض
عبد العزيز سليم	تاريخ الدولة العربية	دار النهضة العربية بيروت
حسن ص. شهاب	فن الملاحة عند العرب	دار العودة بيروت
الطبري	تاريخ الأنبياء والملوك	دار المعارف القاهرة
محمد بهجت قبيسي	ملاح في فقه اللهجات العربيات	دار شمال دمشق
جواد علي	تاريخ العرب قبل الإسلام	مكتبة النهضة بغداد
عبد الوهاب التاجر	قصص الأنبياء	دار الكتب العلمية بيروت
أمين مدني	التاريخ العربي وبدايته	دار المعارف القاهرة

المعجم الوسيط	مطبعة المعارف
ج.ب. بيلو	مصر
المعجم العربية-فرنسية	للطبعة الكاثوليكية
	بيروت

2. باللغة الأجنبية

المؤلف	العنوان مرفق بترجمته	الناشر
S.ALEXIOU	-La Crète antique	Hachette -Paris
	- بلاد قرنت القديمة	
A.BENATIA	-Les Arabes en Europe avant l'ère chrétienne	Ed. Benatia -Alger
	-العرب في أوروبا قبل العهد المسيحي	
	-Les Arabes ancêtres des Gaulois?	Ed. Benatia -Alger
	-العرب اسلاف الجاليتين؟	
	-Les Arabes, promoteurs des trois religions monothéistes	Ed. Benatia -Alger
	-العرب، محرّكو الديانات الحنيفية الثلاث.	
	-Ibérie et Berbérie	Ed. Benatia -Alger
	-إبيريا وبربريا	
	-Histoire de la colonisation arabe dans la Grèce antique à travers la mythologie, la toponymie, l'onomastique et le vocabulaire – Importance du substrat de la langue arabe dans le grec classique	Ed. Houma -Alger
	- تاريخ الاستعمار العربي في بلاد الإغريق القديمة من خلال علم الأساطير وتسمية الأماكن والعلميات والمعجم-أهمية جواهر اللغة العربية في اللغة اليونانية الفصحى	
A.BENATIA	-Le périple méconnu d'une langue ancienne, le berbère – de l'Himalaya aux Ardennes	Ed. Benatia -Alger
	- الرحلة المجهولة للغة قديمة، البربرية -من الإمالين إلى الأرضوان	

<i>A-Van der BRANDEN</i>	-Grammaire phénicienne - قواعد اللغة الفانقية	Lib. du Liban - Beyrouth
<i>A.BYHAN</i>	-La civilisation caucasienne - الحضارة القوقازية	Ed. Payot -Paris
<i>CAUSSIN DE PERCEVAL</i>	-Essai sur l'histoire des Arabes - مقالات حول تاريخ العرب	Lib. Firmin -Didot - Paris
<i>E.CAVAIGNAC</i>	-Le monde méditerranéen jusqu'au 4 ^e siècle av. J.C.	De Boccard -Paris
<i>J.CAZENEUVE</i>	-العالم المتوسطي إلى القرن الرابع قبل الميلاد -Les mythologies à travers le monde - علم الأساطير عبر العالم	Hachette
<i>G.COURTILLIER</i>	-Les anciennes civilisations de l'Inde - حضارات الهند القديمة	Lib.A.Colin -Paris
<i>E.CURTIUS</i>	-Histoire grecque - تاريخ إغريقي	Leroux -Paris
<i>A.DANIELOU</i>	-Histoire de l'Inde - تاريخ الهند	Ed. Fayard
<i>G.DHORME</i>	-L'arabe littéral et la langue de Hammourabi - العربية الفصحى ولغة حمورابي	Institut français de Damas
<i>DIODORE (de Sicile)</i>	-Bibliothèque historique - المكتبة التاريخية	Lib. A.Delahays
<i>A.DUPONT- SOMMER</i>	-Les Araméens - الأرم	Lib.Maisonneuve - Paris
<i>R.DUSSAUD</i>	-Les Arabes en Syrie avant l'Islam - العرب في سورية قبل الإسلام	Ed. E.Leroux - Paris
<i>J.B. EYRIES</i>	-Le Danemark - الدانمارك	Firmim Didot -Paris
<i>T.FAHD</i>	-La divination arabe - الكهانة العربية	Ed.Sindbad -Paris
<i>A.GARRIGOU</i>	-Ibères, Ibérie - إبير، إيبيريا	Ed. E.Leroux -Paris
<i>E.F.GAUTIER</i>	-L'Afrique Noire Occidentale - إفريقيا السمراء الغربية	Lib. Larose -Paris

F.GAUTIER	-Genséric, roi des Vandales - قيس-عرك، ملك الوندال	Ed. Payot -Paris
R.GIRSHMANN	-L'Iran, des origines à l'Islam -إيران، من الأصول إلى الإسلام	Ed. Albin Michel
G.GLOTZ	-Histoire grecque - تاريخ إغريقي	Ed. P.U.F. -Paris
A.GRENIER	-Les Gaulois - الجاليون	Ed. Payot - Paris
Z.S.HARRIS	-Grammar of the Phoenician language - قواعد اللغة الفانقية	New Haven Connect. American Oriental Society (U.S.A.)
HERODOTE	-Histoires - تواريخ	Lib. Hachette -Paris
Ph HITT	-Précis d'histoire des Arabes - موجز في تاريخ العرب	Ed. Payot -Paris
B.HROZNY	-Histoire de l'Asie antérieure, de l'Inde et de la Crète - تاريخ آسيا الغربية، الهند وقرتا	Ed. Payot -Paris
IBN HAUQAL	-Configuration de la Terre (trad. J.H. Kramers et G.Wiet) - صورة الأرض (ترجمة J.H. Kramers et G.Wiet)	Ed. Maison neuve et Larose -Paris
H.IBN AL-KALBI	-Le livre des idoles (traduit par W.Atallah) - كتاب الأصنام (ترجمة عطا الله)	Ed. Maison neuve et Larose -Paris
A.JARDE	-La formation du peuple grec - تكون الشعب الإغريقي	Lib. Klincksieck -Paris
A.JAUSSEN	-Coutumes des Arabes au pays de Moab - أعراف العرب في بلاد موآب	Lib. A. Maison neuve -Paris
C.JULLIAN	-Vercingétorix - براس-مجد الرأس	Lib. Hachette -Paris
Ch.A.JULIEN	-Histoire de l'Afrique du Nord - تاريخ شمال إفريقيا	Ed. Payot -Paris
D.KOSAMBI	-Culture et civilisation de l'Inde ancienne - ثقافة وحضارة الهند القديمة	F. Maspéro -Paris

- Ph. LE BAS** -L'Asie mineure depuis les temps les plus anciens
-آسيا الصغرى منذ اقدم الأعمار
Firmin Didot
-Paris
- G.LE BON** -La civilisation des Arabes
-حضارة العرب
S.N.E.D. -Alger
- Les premières civilisations
-أولى الحضارات
Ed. Marpon et Flammarion
-Paris
- Les civilisations de l'Inde
-حضارات الهند
Ed. Flammarion
-Paris
- Ph.LIPPENS** -Expédition en Arabie centrale
-رحلة علمية في البلاد العربية الوسطى
Lib. A. Maison neuve
-Paris
- F.LOT** -La Gaule
-جاليا
Arthème Fayard
-Paris
- M.MAIMONIDE** -Le guide des égarés (trad. S.Munk)
-دليل الحائرين
Ed. Maison neuve et Larose -Paris
- C.MARROa** -Chronologie des pays du Caucase et de
HHAUPTMANN l'Euphrate aux 4^e-3^e millénaires
-التسلسل الزمني لبلدان القوقص والفرات من الألفية الرابعة إلى الثالثة.
- A.MEILLET** -Aperçu d'une histoire de la langue grecque
-لمحة حول تاريخ في اللغة اليونانية
-Linguistique historique et linguistique générale
Ed. Champion
-Paris
- لسانيات تاريخية ولسانيات عامة
-Introduction à l'étude comparative des langues européennes
Lib. Hachette
-Paris
- مدخل إلى الدراسة المقارنة للغات الأوروبية
- A.MORET** -Histoire de l'Orient
-تاريخ الشرق
P.U.F. -Paris
- T.OBENGA** -L'Afrique dans l'Antiquité
-إفريقيا في القدم
Ed. Présence africaine
-Paris
- H.PIRENNE** -Mahomet et Charlemagne
-محمد وكارل الكبير
P.U.F. - Paris

E. RENAN	- Vie de Jésus - حياة يسوع (عيسى) - De l'origine du langage - حول اصل الكلام - Histoire des langues sémitiques - تاريخ اللغات السامية	Ed. Arléa Ed. Calma - Lévy Ed. Calmann - Lévy
G. RYCKMANS	- Les religions arabes pré-islamiques - الديانات العربية قبل الإسلام	Université de Louvain
A. SEVERYNS	- Grèce et Proche-Orient avant Homère - بلاد الإغريق والشرق الأدنى قبل عمر	Office de Publicité - Bruxelles
L. SIRET	- Essai sur la chronologie proto-historique de l'Espagne - مقالات حول التسلسل الزمني ما قبل التاريخ لإسبانيا	Revue archéologique Ed. Leroux - Paris
SOPHOCLE	- Théâtre complet - المسرح التام	Ed. Garnier - Flammarion
STRABON	- Géographie - استوصاف الأرض	Lib. Hachette - Paris
H. TIDJANI	- La doctrine abrogationniste de l'exégèse et ses dimensions sociales - نظرية النسخ وإباحتها الاجتماعية	E.N.L. - Alger
L. de la VALLÉE-POUSSIN	- Indo-Européens et Indo-Iraniens - الهنود-الأوروبيون والهنود-الإيرانيون	Ed. de Boccard - Paris
C. VIROLLEAUD	- Légendes de Babylone et de Canaan - أساطير بابل وكنعان	Lib. Maison neuve - Paris
M. WHEELER	- L'Inde ancienne - الهند القديمة	Ed. Arthaud - Paris
J. ALLARD et FEUILLATRE	- Cours de langue grecque - دروس في اللغة اليونانية	Hachette - Paris
J. B. BELOT	- Vocabulaire arabe-français - معجم عربي-فرنسي	Imp. catholique - Beyrouth
BIBLE	- Version synodale - الرواية الجمعية - Version de L. Segond - رواية ل. Segond	S ^{te} biblique de France - Paris La Maison de la Bible - Genève
CORAN	- Traduction du sens des versets coraniques - ترجمة معاني القرآن الكريم	Presses du Complexe du roi Fahd - Médine (Arabie)

ثبت المحتوى

- من المؤلف إلى القارئ..... 5
- من المترجم إلى القارئ..... 11
- المقدمة..... 15

الباب الأول

التاريخ واللّسانيّات

- الفصل الأول : العالم العربيّ المعاصر..... 29
 - 1. خصائص استوصافيّة-أرضيّة واجتماعيّة..... 29
 - 2. الهجرة العربيّة في العالم..... 34
- الفصل الثاني : العالم العربيّ قبل مجيء الإسلام..... 37
 - 1. العرب (الحضر) والأعراب (البدو)..... 38
 - 2. الحضارات العربيّة قبل العهد الإسلاميّ..... 43
- الفصل الثالث : الوطن الأول لتكلمي اللّغات العروبيّة..... 62
 - 1. الهد الأول للناطقين بالعربيّة..... 62
 - 1.1 الأدلة اللّغويّة والعلميّة..... 62
 - 2.1 الأدلة التاريخيّة والحضاريّة..... 64
 - 3.1 أدلة تتوافق مع معاني آيات قرآنيّة..... 72
 - 4.1 تاويلات..... 77
 - 2. عوامل الهجرة من أعلى بلاد الرافدين والمناطق المجاورة نحو آفاق آخر..... 81
 - 3. أولى الهجرات العروبيّة وتسلسلها الرّمنيّ..... 84
 - 1.3 الهجرات العروبيّة..... 90
 - 2.3 المعنى الأصليّ للمصطلح "فانقي"..... 99
 - 3.3 التسلسل الرّمنيّ المفترض لوحات الهجرات هذه..... 102
 - 4. جملة القول..... 105
- الفصل الرابع : التجارة والملاحة..... 108
 - 1. في البحر الأحمر والمحيط الهنديّ..... 111
 - 2. في البحر الأبيض المتوسّط والمحيط الأطلسيّ..... 114
 - 3. في البحر الأسود ونهر الدانوب..... 117
 - 4. في بحر قصوين ونهر البولغا..... 121
- الفصل الخامس : الألسن العروبيّة لآسيا..... 124
 - 1. لسان فانقيا..... 124
 - 2. لغات آسيا الصغرى..... 126

3. السن بلاد الرافدين.....134
4. لغات القوقص والإيرانية-البربرية.....136
5. لغات فارس والهند.....139
6. جملة القول.....146

الباب الثاني

ديانات الأنبياء ولسانهم

- الفصل الأول ، الأنبياء ولسانهم.....153
1. إبراهيم وإسماعيل وإسحاق (عليهم السلام).....153
2. يعقوب ويوسف وموسى وهارون (عليهم السلام).....160
3. عيسى (عليه السلام).....165
4. محمد (صلى الله عليه وسلم).....167
- الملحق الأول : سلسلة نسب نوح وإبراهيم (عليهما السلام).....169
- الفصل الثاني : تقارير.....170
1. التقرير التاريخي.....170
2. التقرير اللساني.....179
- 1.2 الفانقية أو الكنعانية، لسان التوراة.....182
- 2.2 الأرمية، لسان الإنجيل.....182
- 3.2 العربية، لسان القرآن.....183
- الفصل الثالث ، الإسلام واللسان العربي.....187
1. دراسة تقابلية بين ديانات التوحيد (في الأصل) واللغات العروبية.....189
- 1.1 نسخ آية في كتاب واحد - التطور اللغوي ضمن لغة واحدة.....190
- 2.1 نسخ الأحكام السابقة - تطور اللغات العروبية وكتابتها الخاصة بها.....191
- 3.1 تناظر التسلسل الزمني بين الكتب السماوية للنزلة والسنتها الخاصة بها.....194
2. التواصل اللغوي وتغير اللغات.....197
3. العربية، هل هي محددة اللغات العروبية، على غرار الإسلام،
الذي هو امتياز، النين الوحيد الخالد؟.....199
- الملحق الثاني : تطور كتابة اللغات العروبية بدلالة الفضاء (الحيز) والزمن.....206

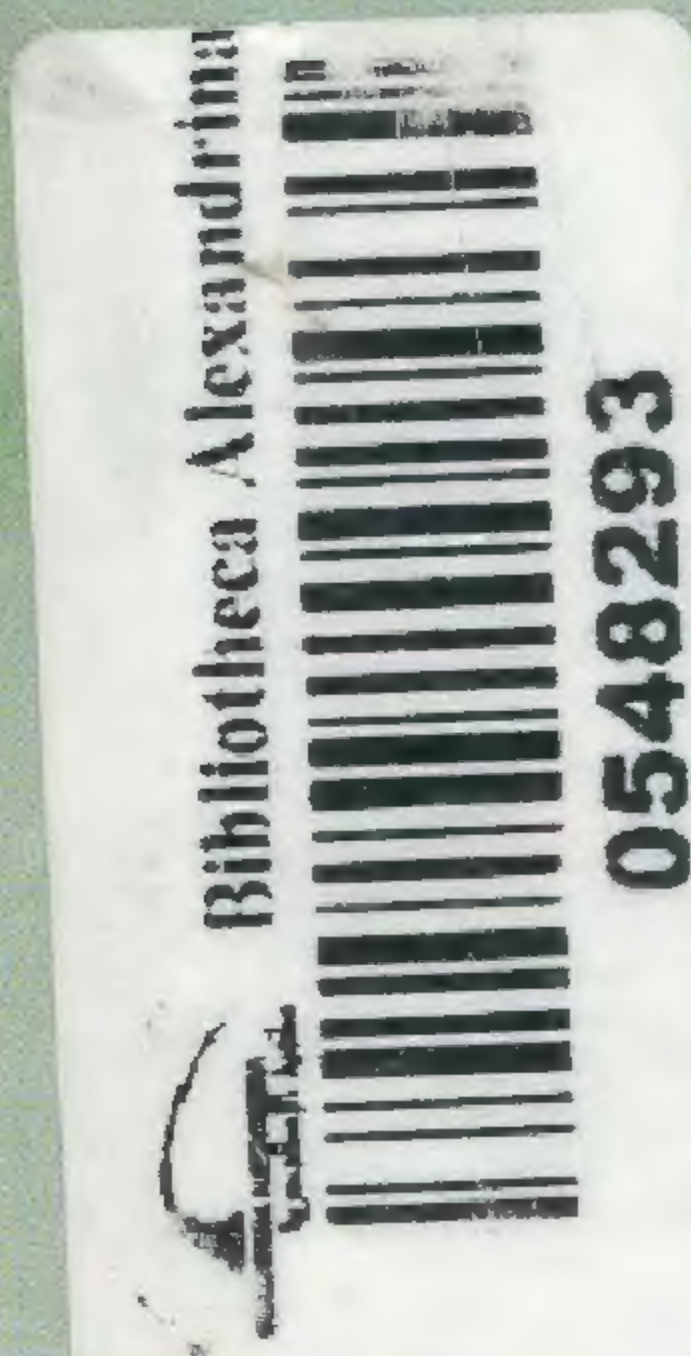
الباب الثالث

قرابة اللغات العروبية فيما بينها والتوافق بين اللغة العربية واللغات الهندية-الأوروبية

- الفصل الأول ، حول تصنيف اللغات العروبية واللغات التي تتلي لها بقرابة.....209
1. اللغات العروبية التي يطلق عليها الكتاب الأوروبيون تسمية لغات سامية أو حامية-سامية.....209
 2. يقسم المؤلفون العرب متكلمي اللغة العربية إلى فئات ثلاث.....211
 3. لغة عروبية مجهولة، البربرية.....214
 4. المالطية.....216
 5. لغات غير مصنفة ضمن اللغات العروبية، ولكنها تتلي لها بقرابة -إن يسيرة أو وطيدة.....217
 - 1.5 لغة نصف-عروبية، اليونانية الفصحى.....217
 - 2.5 الأخوية.....221
 - 3.5 اللغات القوقسية.....223
 - 4.5 الجالية.....223
 - 5.5 الفارسية.....225
 - 6.5 التركية.....226
 - 7.5 لغات شبه القارة الهندية.....226
 - 8.5 المالوية.....227
 - 9.5 السواحلية والولوف واللغات الإفريقية ما دون الصحراء.....227
 - 10.5 في أوروبا.....228
- الملحق الثالث ، التوافق المعجمي بين مختلف اللغات العروبية.....229
- الفصل الثاني ، قرابة اللغات العروبية فيما بينها230
1. الصرف.....230
 2. الصوتيات والكتابة.....238
 3. المعجم.....246
 4. حول تكون بعض الكلمات من معجم اللغات العروبية.....253
 - 1.4 مع الجذر الفانقي ، "ار" أو "ر".....254
 - 2.4 مع الجذر البربري ، "إسك" (أو إشك).....257
 - 3.4 كلمات ذوات الجذرين (البربري والفانقي).....258
 - 4.4 مع جذر آخر بربري، "ز".....259
 - 5.4 مع الجذر المصري "ز" أو "ع".....261

264.....	للحق الرابع : استعمال الحرف الصوتي (ر) في المعجم العربي بمعاني عديدة
270.....	5. جملة القول.....
277.....	للحق الخامس : استعمال الحرف الصوتي (ر) في كلمات متعندة المعاني
286.....	- الفصل الثالث : القرآن العربي واللسان العربي
286.....	1. حول الاسم "عربي" : دلاليًا ولغويًا
293.....	2. حول الاسم "عربي" في القرآن
293.....	1.2. القراءات المختلفة.....
303.....	2.2. تعليقات.....
306.....	3. العلاقات الدلالية للاسم "عرب" بالقباب الأنبياء، وهذا الاسم نفسه في اللغات العروبية ..
306.....	1.3. عند الأنبياء (عليهم السلام)
312.....	2.3. الكتب المنزلة على الرسل (عليهم السلام)
322.....	3.3. في اللغات العروبية.....
328.....	4.3. العرب والأعراب في القرآن.....
330.....	4. جملة القول.....
	للحق السادس : جذور أخرى - من غير حرف الراء - لها معان ذات علاقة
342.....	في الحين ذاته بالمكان أو الكيان المرتفع (سما، جبل، ...) ولقاء المتحتر (مطر، ماء نبع) ..
345.....	- الفصل الرابع : حول التطابقات بين العربية واللغات الهندية-الأروبية
345.....	1. العلاقات الدلالية.....
347.....	2. بلدان كانت جسرا لمرور اللغات العروبية نحو اللغات الهندية-الأروبية.....
347.....	1.2. في بلاد الإغريق (الإغريق-العظمى)
349.....	2.2. في شبه الجزيرة الإيطالية.....
353.....	3.2. في إبيريا.....
357.....	3. جملة القول.....
357.....	1.3. في الحقبة التاريخية.....
359.....	2.3. حول أطروحة الأصل المشترك للغات العروبية واللغات الهندية-الأروبية.....
381.....	- الخاتمة.....
393.....	- مسارد المصطلحات.....
421.....	- ثبت المصادر والمراجع.....
427.....	- ثبت المحتوى.....

طبع بمطبعة دار هومة
34، حي لابروريار - بوزريعة - الجزائر
الهاتف: 021.94.19.36 / 021.94.41.19
الفاكس: 021.79.91.84 / 021.94.17.75
www.editionshouma.com
email : Info@editionshouma.com



للطباعة والنشر والتوزيع
34 حي البيرديار - بوزريعة - الجزائر

الهاتف: 021 94 19 36 الفاكس: 021 94 17 75
021 79 91 84 021 94 41 19

www.editionshouma.com
e-mail: info@editionshouma.com